

كاتب حققت رواياته مرتبة الأكثر مبيعاً على قائمة نيويورك تايمز

ستيغن كينغ

STEPHEN KING

بيلي سامرز

BILLY SUMMERS



مكتبة ياسمين

رواية



الدار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc.

بيلي سامرز

BILLY SUMMERS

كانت لذكريات طفولة بيلي سامرز القاسية والتي حفرت جروحاً عميقة في شخصيته، الأثر الكبير في تحديد مجرى حياته، فالتحق بالقوات البحرية، وتحول إلى قناص محترف، ومنه إلى قاتل ماجور لا تخطئ رصاصته هدفها.

لكن عندما تكون مهمته الأخيرة قبل التقاعد مقابل مليوني دولار، وعندما تكون ذكريات الطفولة وذكريات أيام الجندية في شوارع الفلوجة قابضة في ركن قصي من تفكيره تصبح القصة مختلفة.

قصة عن جريمة بحق رجل سيئ، تترافق الجريمة مع عمليات تضليل وتمويه كبيرة، حيث نجد أنفسنا أمام ثلاثة شخصيات وثلاثة أماكن وثلاث قصص. ولكن ما خفي هو المهم.

من هي أليس؟ وما دورها؟ وهل هي من ستحرك الرحمة في قلب بيلي أو هي من ستفجر بركان الغضب؟

نهاية متوقعة تليها نهاية غير متوقعة

أما التفاصيل فصراع بين نوع من الخير مع نوع من الشر على أكثر من مستوى، وحب يدفع فيه المحب روحه ثمناً له، وخسيس يحظى بنهاية تليق به، أما الأم وإن كانت شريرة، فيبقى قلبها قلب أم ومستعدة لعبور الأرض من مشرقها إلى مغربها كرمي لولدها.

مكتبة ياسمين

t.me/yasmeenbook



الدار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc.
www.asp.com.lb - www.aspbooks.com



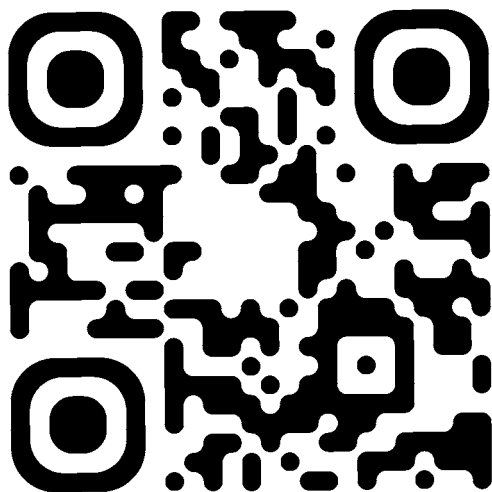
بیلی سامرز

BILLY SUMMERS

يسعدنا انضمامكم إلى قاعة

مكتبة ياسمين

معكم تكبر ونستمر بكل جديد



بیلی سامرز

BILLY SUMMERS

ستیقن کینگ

STEPHEN KING

تعريب
مندی فايز علمي

مکتبہ یاسمین

t.me/yasmeenbook



الدار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc.

يتضمن هذا الكتاب ترجمة الأصل الإنكليزي

BILLY SUMMERS

by Stephen King

حقوق الترجمة العربية مرخص بها قانونياً من المؤلف عبر

c/o The Lotts Agency Ltd., 68 Jay Street, Suite
201, Brooklyn, N.Y. 11201, U.S.A (Agent).

بمقتضى الاتفاق الخطي الموقع بينه وبين الدار العربية للعلوم ناشرون

Copyright © 2021 by Stephen King

All rights reserved

Arabic Copyright © 2022 by Arab Scientific Publishers

الطبعة الأولى: أيلول/سبتمبر 2022 م - 1444 هـ

ردمك 3-3541-01-614-978

الدار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc.



جميع الحقوق محفوظة للناشر:

التوزيع في المملكة العربية السعودية

دار إقراء للنشر

إصدار

الدار العربية للعلوم ناشرون م م ح

مركز الأعمال، مدينة الشارقة للنشر

المنطقة الحرة، الشارقة

الإمارات العربية المتحدة

جوال: +971 585597200 - داخلي: 0585597200

هاتف: 786233 - 785108 - 785107 (1-961+)

البريد الإلكتروني: asp@asp.com.lb

الموقع على شبكة الإنترنت: <http://www.asp.com.lb>

مكتبة ياسمين

t.me/yasmeenbook

الفصل الأول

1

ظهيرة يوم الجمعة، جلس بيلى سامرز في بهو الفندق ينتظر السيارة التي ستقله؛ صحيح أنه كان يقرأ كتاب قصص مصورة ملخصاً بعنوان أصحاب وفتيات آرثشي الذي اعتقد أنه إلى حد كبير كتاب للشباب اليافعين، إلا أنه كان يفكر في إميل زولا، وروايته الثالثة تيريز راكون والتي كانت بمثابة نقطة الانطلاقة الفعلية لشهرته. لقد فكر أن في روايته تلك قد بدأ في التنقيب عما سيصبح منجماً عميقاً ورائعاً للمعادن الثمينة⁽¹⁾، فقد اعتقد أن زولا هو عبارة عن النسخة الكابوسية المُرعبة من تشارلز ديكنز، وفكر في الطريقة التي يمكن لهذا الأمر أن يكون موضوعاً جيداً ليُكتب عنه مقالاً ما، وهو الذي يعلم أكثر من أي شخص آخر أنه لم يسبق له أن كتب.

في تمام الساعة الثانية عشرة والدقيقتين، فُتح الباب، ودخل رجلان إلى بهو الفندق؛ أحدهما طويل القامة، أسود الشعر مُسرح إلى الخلف في الخمسين من العمر، والآخر قصير القامة، يضع نظارة طبية. كان الرجلان يرتديان بذلتين رسميتين، كما هو حال جميع رجال نيك. عرف بيلى الرجل الطويل الذي سبق له أن عمل مع نيك لفترة طويلة، إنه يدعى فرانك ماكتوش. لقد ناداه عدد من رجال نيك بفرانكي إلفيس، بسبب تسريحة شعره الشبيهة بتسريحة المغني الأميركي إلفيس بريسلي، ولكنهم يلقبونه الآن سولر إلفيس من دون علمه، وذلك بعد أن أصبح لديه بقعة صلعاء في مؤخرة رأسه.

لم يعرف بيلى الرجل الآخر، لا بد أنه من سكان المنطقة. مد ماكتوش يده، فنهض بيلى وصافحها.

(1) يقصد أفكاره ورواياته.

فرانك: «مرحباً يا بيلي، لقد مرّ وقت طويل على لقائنا الأخير، تسرّني رؤيتك».

بيلي: «وأنا أيضاً يا فرانك».

فرانك: «أقدم لك بولي لوغان».

صافح بيلي الرجل القصير وقال له: «مرحباً يا بولي».

ردّ بولي: «يسعدني لقاءك يا بيلي».

أخذ ماكتوش الملخّص من يد بيلي وقال: «أرى أنك ما زلت تقرأ القصص المصوّرة».

ردّ بيلي: «نعم، تعجبني المضحكة منها، وأحياناً قصص الأبطال الخارقين، ولكنني لا أحبها بالقدر نفسه».

قلّب ماكتوش الصفحات بسرعة، وعرض شيئاً على بولي لوغان قائلاً: «انظر إلى هؤلاء الشابات، يمكنني أن أصل إلى النشوة وأنا أشاهدهن».

قال بيلي وهو يأخذ الكتاب من يد فرانك: «بيتي وفيرونيكا؛ فيرونيكا هي صديقة آرثشي وبيتي منافستها».

سأل لوغان: «هل تقرأ الكتب أيضاً؟».

ردّ بيلي: «أقرأ بعضاً منها، خصوصاً إذا كنتُ ذاهباً في رحلة طويلة، بالإضافة إلى المجلّات، ولكن معظم الأحيان أقرأ كتب القصص المصوّرة».

قال لوغان: «جيد، جيد»، ثمّ غمز ماكتوش بشكل عابر، والذي عبس بوجه لوغان، لكن بيلي لم يكثر بذلك.

سأل ماكتوش: «هل أنت مستعد للذهاب في جولة بالسيارة؟».

ردّ بيلي وهو يضع الملخّص في حقيبة ظهره قائلاً: «بالتأكيد».

آرثشي وصديقاته الفتيات صاحبات الصدور الناهدة؛ سيكون عنواناً لائقاً لمقال، حول كم هي مريحة قصّات الشعر، والسلوك والمواقف التي لا تتغيّر، حول ريفرديل، وكيف يقف الزمن هناك ساكناً.

قال ماكتوش: «حسناً، فلنذهب، نيك ينتظرنا».

أعلن لوغان أنه سيجلس في الخلف لأنه قصير، وتولى ماكتوش أمر القيادة. توقع بيلي منهما أن يتوجها غرباً، لأن هذا هو الجزء الفاخر من المدينة، فقد أحب نيك ماغاريان أن يعيش عيشة الأثرياء الناجحين، سواء أكان في الوطن أو بعيداً عنه، إضافةً إلى أنه لم يكن ينزل في الفنادق، ولكنهم اتجهوا إلى الشمال الشرقي بدلاً من ذلك.

دخلوا حياً على بعد ميلين من مركز المدينة، وبدا بالنسبة إلى بيلي من أحياء الطبقة الوسطى الأدنى، أعلى بيضع درجات من ساحة المقطورات التي نشأ فيها، ولكنه بعيد كل البعد عن الفخامة. لم ير منازل ذات بوابات كبيرة، إذ كان حياً من المنازل الريفية التي تحوي مروجاً صغيرة، ذات مرشات مياه تدور وترشق رقعاً صغيرة من العشب، ومعظم تلك المنازل كانت من طابق واحد، وحسنة الصيانة، لكن بعضها احتاج إلى طلاء، ونمت في حدائق البيوت الأخرى أعشاب ضارة.

رأى منزلاً سُدَّت نافذته المكسورة بقطعة من الكرتون، ورأى أمام منزل آخر رجلاً سميناً يرتدي شورتاً يصل إلى ركبته وقميصاً من دون كمين يجلس على مقعد حديقة قابل للطبي يبدو أنه من أحد متاجر التخفيضات، وكان يشرب البيرة وهو يراقبهم يمرون أمامه.

تمر أميركا الآن بفترة من الإزدهار، لكن هذا الازدهار غير مضمون على المدى البعيد. عرف بيلي أحياء كهذه، فهي تُعتبر مقياساً يعكس الوضع والظروف الراهنة، وقد بدأ الوضع في الانحدار. الأشخاص الذين يعيشون هناك عملوا في وظائف تتطلب عملاً على مدار الساعة.

توجه ماكتوش إلى مرأب السيارات الخاص بمنزل مكون من طابقين ذي حديقة لم يكتمل نمو عشبها بعد، مع بقع بنية متناثرة بين خصلات العشب الخضراء. كان المنزل مطلياً باللون الأصفر الباهت، ويُعتبر لا بأس به، ولكنه لم يبدو مكاناً سيختار نيك ماغاريان العيش فيه، ولا حتى لبضعة أيام.

لقد بدا وكأنه منزل ميكانيكيٍّ أو موظفٍ مطارٍ يقطنه هو وطفلاه وزوجته التي اعتادت البحث عن السلع الاستهلاكية ذات الحسومات، ويدفع أقساط الرهن العقاري كل شهر، ويلعب البولينغ في دوري البيرة⁽¹⁾ في ليالي الخميس.

فتح لوغان باب السيارة ليبي الذي وضع ملخص آرتشي على لوحة القيادة وترجل، وصعد ماكتوش درجات الرواق أولاً أمام صديقيه. كان الجو حاراً في الخارج، ولكن المنزل كان مكيف الهواء. وقف نيك ماغاريان في الردهة القصيرة المؤدية إلى المطبخ، وكان يرتدي بذلة ربما يُعادل ثمنها قسط الدفعة الشهرية للرهن العقاري على هذا المنزل، وكان شعره الخفيف مُمشطاً بشكلٍ مستوٍ؛ لم يملك شعراً طويلاً من الأمام، ومُمشطاً إلى الخلف مثل فرانك. كان وجه نيك مستديراً، وقد بدت بشرته سمراء بفعل شمس فيغاس، أما جسده فقد كان ممتلئاً وذا رقبة قصيرة وثخينة، وعندما جذب بيبي إليه ليعانقه، أحس أن بطنه البارزة كانت صلبة مثل الصخر. صرخ نيك: «بيبي»، وقبله على خديه بقوة. رُسمت على وجه نيك ابتسامة المليون دولار⁽²⁾، ثم قال: «بيبي، بيبي، يا رجل، تسعدني رؤيتك».

ردّ بيبي: «وأنا أيضاً تسعدني رؤيتك»، ثم التفت حوله وأردف: «في العادة تقيم في منازل أفضل من هذا»، صمت بيبي قليلاً ثم أردف: «أرجو ألا يزعجك كلامي». ضحك نيك ضحكة عذبة ومُعدية تتماشى مع ابتسامته العريضة، فانضم إليها ماكتوش ولوغان.

- (1) دوري البيرة في أميركا الشمالية أو دوري الحانات في بريطانيا، وهو شكل من أشكال الدوريات الرياضية التي تمول بشكل أساسي من خلال رعاية من الحانات، غالباً ما يُقدّم مشروب مجاني لكل لاعب، في مقابل الإعلان عن المؤسسة على الزي الرسمي يمكن أن تكون بطولات البيرة من أي رياضة تقريباً، ولكنها عادة ما تكون ذات طبيعة هواة وترفيهية، ولا ترتبط بنظام دوري تنافسي أكبر ويتنافس عليها الكبار.
- (2) ابتسامة يتوقف عندها الوقت، وتأسرك اللحظة وكل ما يمكنك رؤيته عندها هو هذه الابتسامة.

قال نيك: «أمتلك منزلاً في الجانب الغربي من المدينة، يمكنك تسميته منزلاً للسكن المؤقت، في فناءه الأمامي بركة مياه يتوسطها تمثال طفلٍ عارٍ، ماذا يسمى؟...»، عرف بيلى أن نيك يقصد ملاكاً يتم تجسيده في الفن كطفل جميلٍ وعارٍ ذي جناحين قصيرين، ولكنه استمرّ بالابتسام فقط.

تابع نيك: «أياً يكن الأمر، إنه طفل يتبول الماء، ستراه، ستراه، لا بل سيكون ملكك يا بيلى. إذا قبلت بالعمل، فسيكون لك».

3

شرح نيك عن المنزل لبيلى وقال له: «إنه مؤثث بالكامل»، وكأنه سيبعده إياه؛ ربما كان هذا صحيحاً.

في الطابق الثاني هناك ثلاث غرف نوم وحمّامان؛ الحمّام الصغير على الأغلب للأطفال؛ أما في الطابق الأول، فهناك مطبخ، وغرفة معيشة، وغرفة طعام صغيرة جداً لدرجة أنها في الواقع أقرب إلى زاوية لتناول الطعام. حوّل معظم القبو إلى غرفة طويلة مفروشة بالسجاد مع تلفاز كبير في أحد طرفيها، وطاولة بينغ بونغ في الطرف الآخر، مع سكة في السقف للإنارة. كان نيك يسميها غرفة الضوضاء، وقد جلسوا فيها.

سألها ماكتتوش إن كانا يرغبان في تناول شيء ما، وقال إن هناك مشروبات غازية، وبيرة، وليموناضة، وشايًا مثلجاً. قال نيك: «أريد أننولد بالمر⁽¹⁾»، وبدوره قال بيلى: «هذا جيّد لي أيضاً»، ثم أجريا محادثة قصيرة ريثما أحضرت المشروبات. لقد كان الجو حاراً للغاية هناك.

أراد نيك أن يعرف كيف كانت رحلة بيلى، وقال بيلى إنها كانت جيّدة، ولكنه لم يذكر من أين سافر، ولم يسأله نيك.

سأل نيك: «ماذا عن ذاك اللعين ترامب؟».

ردّ بيلى بسؤال مستفسراً: «ما به؟»، هذا كل ما كان لديهما ليقولاه قبل

(1) نصف شاي والنصف الآخر لليموناضة مع الكثير من الثلج.

أن يعود ماكتوش وفي يده صينية عليها كأسان طويلتان، وبمجرد مُغادرته بدأ نيك حديثه الذي جاء من أجله.

نيك: «عندما خاطبت رجلك بوكي، أخبرني أنك تأمل في التقاعد».

بيلي: «إنني أفكر في ذلك. أنا أعمل منذ فترة طويلة، طويلة جداً».

نيك: «هذا صحيح، كم تبلغ من العمر؟».

بيلي: «عمري أربعة وأربعون».

نيك: «هل أنت تعمل منذ أن خلعتَ الزبي الرسمي⁽¹⁾؟».

ردّ بيلي: «فعلياً أجل»، كان متأكداً أن نيك يعرف ذلك.

نيك: «كم سنة مضت عليك وأنت تعمل؟».

رفع بيلي كفيّنه قائلاً: «لا أتذكر تماماً، ربما سبع عشرة، أو ثماني عشرة

سنة إذا أخذت بالحسبان الرجل الأول ذا الجبيرة على ذراعه».

نيك: «قال بوكي إنك ربما تقوم بالأمر مجدداً إذا كان السعر مناسباً»،

وانتظر أن يسأله بيلي، ولكنه لم يفعل، فتابع نيك كلامه: «السعر على هذا

الشخص سيكون مناسباً للغاية، يُمكنك أن تقوم بالأمر، ثم تقضي بقية

حياتك في مكان دافئ وأنت تشرب البينا كولاذا على أرجوحة قماشية»،

ابتسم نيك ابتسامته العريضة مرّة أخرى وقال: «مليونان، خمسمئة ألف

مقدّماً، والباقي بعد العملية».

صفر بيلي؛ لم يكن صفيّره تعبيراً عن ردّ فعل، فالرجال الأغنياء أمثال

نيك وفرانك وباولي هم الذين يصدرون ردّ فعل، لقد كان صفيّره بمثابة

حزام الأمان، فأنت لا تستخدمه لأنك تتوقع أن يحصل حادث تصادم،

ولكنك لا تعرف أبداً مَنْ مِنَ الممكن أن تقابله قادماً من أعلى تلٍ وفي

جانبك نفسه من الطريق. ينطبق هذا الأمر أيضاً على طريق الحياة، حيث

يُحيدُ الناس عن طريقهم في كل مكان فيها، ويقودون على الجانب الخاطئ

منه، فيدفعوا ضرائب الدخول إلى أماكن ما كان يجدر بهم الوصول إليها.

(1) يقصد منذ أن غادر الجيش.

بيلي: «لِمَ كل هذا المبلغ؟»؛ لم يسبق له أن حصل على أكثر من سبعين ألف دولار؛ «إنه ليس سياسياً، أليس كذلك؟ لأن لا علاقة لي بالسياسيين». نيك: «لا، لا علاقة له بالسياسة».

بيلي: «هل هو شخص سيئ؟». هزّ نيك رأسه يميناً ويساراً وهو يضحك، ثمّ نظر إلى بيلي بعاطفة حقيقية وقال: «إنك تطرح دائماً السؤال نفسه».

أوماً بيلي برأسه إيجاباً. قد تكون شخصيته الغيبة كاذبة، لكنه في الحقيقة لا يقتل إلا الأشخاص السيئين، وهكذا استطاع أن ينام ليلاً قريح العين. من الواضح أنه كسب رزقه من العمل لصالح الأشخاص السيئين، نعم، ولكن بيلي لم يرَ في ذلك معضلة أخلاقية، فلا مشكلة لديه عندما يدفع له الأشرار ليقتل أشراراً آخرين، إنه يرى نفسه أساساً كرجل يتخلّص من القمامة، ولكن بمُسَدّس.

نيك: «إنه رجل سيئ جداً».

بيلي: «حسناً...».

نيك: «النقود التي ستأخذها ليست نقودي، إنني مجرد وسيط هنا، وأحضلُ على ما يمكنكُ تسميته برسوم وساطة، وليس من حصّتك، حصّتي على حدة».

انحنى نيك إلى الأمام، وشبك يديه واضعاً إياهما بين فخذيّه، وكانت تعابير وجهه جدية للغاية، فثبّت عينيه على بيلي ثمّ قال: «إن الهدف هو مطلق نار محترف، مثلك تماماً، ولكن هذا الرجل لا يسأل أبداً إن كان الهدف شخصاً سيئاً أم جيداً، فهو لا يميز بين ضحاياه، بل يقوم بالمهمّة دائماً عندما يكون المبلغ مناسباً. يمكننا تسميته جو في الوقت الحالي. قبل ستة أعوام، أو ربّما سبعة، لا يهمّ، قتل هذا الرجل المدعو جو صبيّاً يبلغ من العمر خمسة عشر عاماً وهو في طريقه إلى المدرسة. هل كان ذلك الصبيّ شخصاً سيئاً؟ لا، في الحقيقة كان طالباً يحظى في المدرسة على

مرتبة الشرف، ولكن هناك من أراد أن يُرسل رسالة إلى والد الطفل، فكان الصبي هو الرسالة، وجو هو المرسال».

تساءل بيلى إن كانت القصة حقيقية، قد لا تكون كذلك، فهي تبدو مثل قصة من نسج الخيال، ولكن بشكل أو بآخر كانت قابلة للتصديق، فسأله: «تريدني أن أقتل قاتلاً؟»، لقد بدا بسؤاله أنه يستوضح.

نيك: «أصبت، جو مُعتقل في لوس أنجلوس الآن، في سجن الرجال المركزي، إذ اتُّهم بالاعتداء ومحاولة الاغتصاب. سأخبرك في وقت لاحق بشأن محاولة الاغتصاب تلك، إذا لم تكن فتاةً مؤيدة لحركة أنا أيضاً، وهذا أمر مضحك نوعاً ما في الحقيقة. لقد اعتقد بالخطأ أن تلك الكاتبة والتي كانت تحضر مؤتمراً في لوس أنجلوس - وقد كانت كاتبة مدافعة عن حقوق المرأة - وضيعة، واقترح عليها أن يمارسا الجنس، بشكل فظّ على ما أعتقد، فرشّت عليه رذاذ الفلفل المسيل للدموع، فلكمها لكمة شديدة على أسنانها وخلع فكّها. من المُحتمل أنها باعت مئة ألف كتاب آخر بسبب ذلك. كان يفترض بها أن تشكره بدلاً من أن تدّعي عليه، أليس كذلك؟».

لم يُجب بيلى.

نيك: «بالله عليك يا بيلى، فكّر في الأمر. يعلم الله وحده كم قتل هذا الرجل من أشخاص، وبعضهم أشدّاء للغاية، وفي النهاية، رشّت عليه امرأة مؤيدة لحقوق المرأة الرذاذ؟ يجب أن ترى سخريّة الأمر».

ابتسم بيلى ابتسامة موحية وقال: «تقع لوس أنجلوس في الجانب الآخر من البلاد».

ردّ نيك: «هذا صحيح، ولكنّه كان هنا قبل أن يذهب إلى هناك. لا أعرف لماذا كان هنا ولا أهتمّ أيضاً، لكنني أعلم أنه كان يبحث عن لعب البوكر، وأخبره أحدهم أين يمكنه أن يعثر على البوكر هناك. دعني أوضح أكثر، كان صديقنا جو يتخيل نفسه مقامراً كبيراً، والقصة بالمختصر، خسر في إحدى المباريات كثيراً من الأموال، وعندما خرج الشخص الذي ربح

أكبر مبلغ من المال قرابة الخامسة صباحاً، أطلق جو النار عليه في معدته؛ لم يسترجع جو ماله فحسب، بل أخذ الأموال كلها. حاول شخص ما إيقافه، ومن المحتمل أنه كان غيبياً آخر من لعبة البوكر، فأطلق جو النار عليه أيضاً». بيلي: «أقتلهما؟».

نيك: «مات الفائز في المستشفى، ولكن بعد أن فضح هوية جو، لكن الرجل الذي تدخل نجا منها، وقام أيضاً بالتبليغ عن جو. هل تعرف ماذا أيضاً؟».

هزّ بيلي رأسه نافياً.

نيك: «هناك فيديو كاميرات المراقبة، هل تعلم ماذا سيحدث الآن؟». علم بيلي بالتأكيد، ولكنه قال: «لست متأكداً».

نيك: «قُبِضَ عليه في كاليفورنيا بتهمة الاعتداء، والتي لن يتمكن من التخلص منها، بخلاف تهمة محاولة الاغتصاب والتي من المحتمل أنه سيفعل، لأن الأمر لا يبدو وكأنه جزأها إلى زقاق أو أي شيء، بل في الواقع هو فقط عرض أن يدفع لها، لذلك إنها مجرد محاولة إغواء من أجل الجنس، ومحامي المقاطعة لن يهتمّ حتى بذلك. بقضائه فترة حكمه في السجن، قد يحصل على تسعين يوماً في سجن المقاطعة، ويكون هذا هو الثمن الذي دفعه، ولكن هنا، إنها جريمة قتل، وهم يأخذون هذا الأمر بمنتهى الجدّية على هذا الجانب من الميسيسيبي».

يعرف بيلي ذلك، ففي الولايات الحمراء⁽¹⁾ يخلّصون هذا النوع من القتل عديمي المشاعر من معاناتهم⁽²⁾، وهو ليس لديه مشكلة في ذلك. نيك: «وبعد مشاهدة لقطات كاميرات المراقبة، فمن شبه المؤكد أن تقرر هيئة المحلفين إعطاء حقنة الموت لجو العجوز. فهمت الآن، أليس كذلك؟». بيلي: «بالأكيد».

(1) الولايات التي تصوت في الغالب لصالح الحزب الجمهوري أو تدعمه.

(2) يطبقون حكم الإعدام هناك.

نيك: «إن محاميه يتصدى لمحاولة تسليم المجرمين، وهذا ما يفترض به القيام به، أنت تعرف ما هو تسليم المجرمين، أليس كذلك؟
بيلي: «بالتأكيد».

نيك: «حسناً، بذل محامي جو أقصى ما في وسعه من أجل القضية، والرجل ليس محامياً متخصصاً في دعاوى المطالبة بالتعويض عن الأضرار الشخصية. لقد تمكّن بالفعل من الحصول على تأجيل لجلسة الاستماع ثلاثين يوماً، وسيستخدمها لاكتشاف طرق أخرى للمماطلة، لكنه في نهاية المطاف سيخسر، وجو موجود الآن في زنزانة منعزلة، لأن شخصاً ما حاول طعنه بسكين، فأخذها جو العجوز منه، وكسر له معصمه، ولكن، حيث يوجد رجل يحمل سكيناً، يمكن أن يوجد الكثير غيره».

بيلي: «هل الأمر له علاقة بعصاة؟ ربما هم الكرييز؟ هل هم على خلاف معه؟».

رفع نيك كتفيه قائلاً: «من يعلم؟ يمضي جو أيامه الآن في زنزانة خاصة، وهو لا يختلط مع السجناء الآخرين، ويحصل على ثلاثين دقيقة بمفرده في ساحة السجن. إضافة إلى ذلك، في هذه الأثناء يحاول محاميه جاهداً أن يتواصل مع العديد من الأشخاص لإيصال رسالة مفادها أن هذا الرجل سيتحدث عن شيء كبير للغاية ما لم يُبرأ من تهمة القتل».

بيلي: «وهل ذلك ممكن؟»، لم تُعجب تلك الفكرة بيلي، على الرغم من أن الرجل الذي قتله جو بعد البوكر كان شخصاً سيئاً، فقال: «إذاً، فقد تقوم النيابة العامة بإلغاء المطالبة بإعدامه، أو حتى تخفيض جريمته إلى الدرجة الثانية، أو شيء من هذا القبيل؟».

نيك: «ليس سيئاً يا بيلي، بدأت تفهم الفكرة على الأقل، ولكن ممّا سمعت، يريد جو إسقاط جميع التهم عنه، لا بد أنه يُخفي شيئاً بغاية الأهمية».
بيلي: «يعتقد أن بإمكانه مقايضة هذا الشيء الذي يعرفه حتى يُفليت بجريمته».

قال نيك: «وحده الله يعلم عدد المرات التي أفلتَ فيها بجريمتك من العقاب»، وشرع يضحك.

لم يضحك بيلى معه، وقال: «لم أطلق النار أبداً على أحد لأنني خسرت المال في البوكر، فأنا لا ألعب البوكر، ولا أسرق».

أوماً نيك رأسه بشدة وقال: «أعرف ذلك يا بيلى، تقتل الأشخاص السيئين فقط، كنت أمزح معك فحسب، أكمل شرابك».

شرب بيلى من كأسه، وفكّر: مليونان من أجل مهمة واحدة فقط، ما السرّ وراءها؟ ثمّ سأل: «لا بدّ أن أحدهم يريد بشدة أن يوقف هذا الرجل عن فضح ما يعرفه».

أشار نيك بإصبعه إلى بيلى، وكأنه يطلق النار عليه، وكأن بيلى قطع قفزة مذهلة في استنتاجه وقال: «أحسنت، أياً يكن الأمر، وصلتني رسالة من هذا الشخص المحلي، والذي ستقابله في حال قبولك للمهمة، ومفادها أننا نبحث عن قناص محترف، ويجب أن يكون الأفضل على الإطلاق، ففكرت أن بيلى سامرز هو من يبحثون عنه ليحلّ هذه المشكلة اللعينة ببساطة».

بيلى: «تريدني أن أقتل هذا الرجل، ولكن ليس في لوس أنجلوس، بل هنا».

نيك: «لست أنا من يريدك، فأنا مجرد وسيط، أتذكّر ذلك؟ إنّه شخص آخر، شخص يملك كثيراً من المال».

بيلى: «ما اللغز وراء القصة؟».

ارتسمت ابتسامة على شفطي نيك، وأشار مجدداً بأصابعه إلى بيلى وكأنه يطلق النار وقال له: «تريد أن نصل إلى المضمون اللعين من دون أي دردشة أخرى أليس كذلك؟ إلا أنه لا يوجد أي لغز، وربما يوجد، فذلك يعتمد على ما تشعر به. لقد حان الوقت الآن، سوف تقيم هنا...»، ولوّح نيك بيده للإشارة إلى البيت الأصفر الصغير، أو ربما إلى الحي الذي يوجد فيه، والذي سيكتشفه بيلى ويسمّى ميدوود. ربّما المدينة بأكملها والتي

تقع شرق الميسيسيبي وعلى حدود ماسون ديكسون تماماً من الجنوب،
«... ولفترة طويلة من الوقت».

4

تحدثنا لبعض الوقت، وقال نيك لبيلي إن الموقع الذي سيطلق منه النار اختير وضبط وأضاف أنه لا يفترض ببيلي أن يقرر حتى يراه ويسمع عنه أكثر من قبّل كين هوف؛ كان هو الرجل المحلي الذي يُفترض أن يقابله ببيلي؛ ولكن نيك قال إنه كان خارج المدينة اليوم.

سأله ببيلي: «هل يعرف نوع السلاح الذي أستخدمه؟»، لم يعن ذلك أنه وافق على المهمة، ولكنها كانت خطوة كبيرة في ذلك المنحى، فمبلغ المليونين مقابل أمر يتطلّب منه الجلوس على مؤخرته ثم إطلاق رصاصة واحدة، من الصعب أن يرفض.

أوماً نيك برأسه.

ببيلي: «حسناً، متى سألتقي بالمدعو هوف؟».

نيك: «غداً، وسيتصل بك اليوم عندما تكون في فندقك ليخبرك بموعد اللقاء ومكانه».

ببيلي: «إذا قبلت المهمة، فسأحتاج إلى ما يبرّر سبب وجودي هنا». «كل شيء على ما يرام، إنه جميل. سيخطّط جورجيو للأمر. سنخبرك ليلة الغد بعد أن تقابل هوف». نهض نيك، ومد يده ليصافح ببيلي. لقد سبق له أن تعامل مع نيك، وكان يعرف أنه شخص سيئ، ولكن يصعب عليه ألا يحبه فهو يعرف كم هو محترف، وهذا أمر جيد بل رائع.

5

أعاده بولي لوغان إلى الفندق؛ إنه قليل الكلام، فسأل ببيلي إن كان يستطيع تشغيل الراديو، وعندما سمح له بذلك، ضبط بولي الراديو على

محطة تبث موسيقى روك ناعمة، وفي وقت ما قال: «لوغينز ومسينا هما الأفضل»، وبعد ذلك لم يتفوّه بأي كلمة باستثناء شتمه شخصاً عبر الشارع في سیدار ستريت.

لقد فكّر بيلى بكل الأفلام التي سبق له أن شاهدها عن اللصوص الذين يفكّرون في عملية السرقة الأخيرة لهم، وفكّر في أن العملية الأخيرة دائماً ما تكون سيئة، ولكن بيلى ليس لئماً، ولا يعمل مع عصابة، وهو لا يؤمن بالخرافات، ولكنه يشعر بالسوء لعمله الأخير هذا؛ ربما لأن السعر مرتفع جداً، وربما لأنه لا يعرف من يدفع، أو لماذا، وربما هي القصة التي رواها نيك وأخبره فيها أن المستهدف قتل ذات مرة طالباً يبلغ من العمر خمسة عشر عاماً وهو حائز على مرتبة الشرف في المدرسة.

سأله بولي عندما ركن السيارة في الفناء الأمامي للفندق: «هل ستبقى في الجوار؟ سيغلب لك الرجل الذي يدعى هوف الأداة التي تحتاج إليها، كان بإمكانني فعل ذلك بنفسني، لكن نيك رفض ذلك».

«هل هو في الجوار؟».

«لا أعرف. ربما».

6

في غرفته، شغل بيلى حاسوبه المحمول وغير المنطقية الزمنية عليه، ثم تحقق من برنامج في بي أن، لأن القرصنة يحبون الفنادق. كان بإمكانه البحث عن محاكم المقاطعة في لوس أنجلوس باستخدام غوغل، ويجب أن تكون جلسات الاستماع لتسليم المجرمين متاحة للعمامة، ولكن هناك طرقاً أبسط للحصول على ما يريد، وهو يريد هذه الطرق البسيطة. كان لدى رونالد ريغان وجهة نظر عندما قال حرص ولا تُخون.

زار بيلى موقع صحيفة لوس أنجلوس تايمز، ودفع لقاء اشتراك لسته أشهر، واستخدم بطاقة ائتمان تعود إلى شخص آخر يدعى توماس هاردي،

وهو الكاتب المفضل لدى بيلى؛ من مدرسة الطبيعة على أي حال. بمجرد دخوله، بحث عن كاتبة نسوية، وأضاف محاولة اغتصاب، فوجد نصف دزينة من المقالات، كل واحد منها أصغر من سابقه. هناك صورة للكاتبة النسوية التي تبدو مثيرة ولديها الكثير لتقوله. وقع الهجوم المزعوم في الفناء الأمامي لفندق بيفرلي هيلز، وتبين أن المعتدي المزعوم بحوزته بطاقات هوية وبطاقات ائتمان متعددة، ووفقاً لصحيفة التايمز، فإن اسمه الحقيقي هو جويل راندولف ألين، وقد سبق له أن أدين بالاغتصاب في ماساتشوستس عام 2012.

يعتقد بيلى أن جو كان يتمتع بجاذبية.

بعد ذلك، انتقل إلى الموقع الإلكتروني لصحيفة هذه المدينة، مرة أخرى استخدم بطاقة توماس هاردي للاشتراك، وبحث عن بوكر. القصة موجودة، وصور كاميرات المراقبة المرفقة معها مشوشة للغاية. لم يكن الضوء جيداً بما يكفي لإظهار وجه الفاعل، لكن الختم الزمني في الجزء السفلي من الصورة يشير إلى الساعة 5:18 صباحاً. لم تكن الشمس قد أشرقت، ولكن النور كان كافياً، ووجه الرجل الواقف في الزقاق كان واضحاً إذا كان من يريد النظر إلى الصورة مدعيّاً عاماً؛ إنه يضع يده في جيبه، منتظراً أمام باب كتب عليه منطقة التحميل، ممنوع الوقوف، إذا كان بيلى عضواً في هيئة المحلفين، فإنه سيصوت ضده لأنه كان يقف هنا، فيبيلي سامرز خبير عندما يتعلق الأمر بالترصد، وهذا ما شاهده وهو ينظر إلى هذه الصورة.

يفيد أحدث مقال في صحيفة ريد بلاف أنه قبض على جويل ألين بتهم غير ذات صلة في لوس أنجلوس. بيلى متأكد من أن نيك يظنه أنه يقبل بكل شيء كما يبدو على ظاهره، مثل أي شخص آخر عمل بيلى لصالحه على مرّ السنوات، اعتقد نيك أنه عدا مهاراته الرائعة في القنص، فهو بطيء بعض الشيء، وربما حتى ضمن النطاق. يؤمن نيك بالشخصية الغبية لأن

بيلي يعاني من آلام كبيرة، ولن يقوم بالمبالغة في ذلك. لا فم ثرثار، ولا نظرات حادة، ولا غباء صريح، فكتاب مصور عن الشجاعة يفعل العجائب. رواية زولا التي كان يقرأها مدفونة بعمق في حقيبته، وإذا فتش أحدهم فيها واكتشفها، كان بيلي ليقول إنه وجدها متروكة في جيب مقعد طائرة وأخذها لأنه أعجب بصورة الفتاة على الغلاف.

فكر في البحث عن تلميذ حائز على مرتبة شرف يبلغ من العمر خمسة عشر عاماً، لكن لا توجد أي معلومات كافية. يمكنه البحث عبر غوغل طوال فترة ما بعد الظهر، ولكنه لن يعثر عليه، حتى وإن وجد شيئاً، فلن يكون متأكداً من أنه الشاب نفسه البالغ من العمر خمسة عشر عاماً الذي يبحث عنه، لذا اكتفى بمعرفة أن المعلومات تطابق بقية القصة التي قالها نيك.

طلب شطيرة وشايًا، وعندما أحضر ما طلبه، جلس بجانب النافذة ليأكل ويقرأ تيريز راكون. يعتقد أن الأمر أشبه بحمل جيمس أم كاين لكتاب هزلي مرعب من الخمسينيات. بعد غدائه المتأخر، استلقى ويده خلف رأسه أسفل الوسادة، وشعر بالبرودة التي ترقد هناك، والتي، مثل الشباب والجمال، لن تدوم طويلاً. سيرى ما سيقوله كين هوف، وإذا تطابقت أقواله، رجح أنه سيتولى المهمة. سيكون الانتظار صعباً، وهو لم يكن يحب الانتظار، فجزب التأمل، لكنه لم يفلح، إلا أنه مقابل دفع مليوني دولار يمكنه الانتظار.

أغمض بيلي عينيه ونام.

عند الساعة السابعة مساءً، كان يتناول وجبة العشاء في الغرفة ويشاهد فيلم غابة الإسفلت على حاسوبه المحمول. إنها صورة وظيفية أخيرة محفوفة بالمخاطر بالتأكيد. رن الهاتف؛ إنه كين هوف، وقد أخبر بيلي أين سيلتقيان بعد ظهر الغد. ما كان على بيلي أن يدون العنوان، فالكتابة تُعتبر أمراً خطيراً، ولدى بيلي ذاكرة جيدة حقاً.

الفصل الثاني

1

مثل معظم نجوم السينما الذكور - ناهيك عن الرجال الذين يمر بهم ببلي في الشارع والذين يقلدون نجوم السينما - كانت لحية كين هوف شعناء وخشنة، كما لو أنه نسي أن يحلقها لثلاثة أو أربعة أيام. لم يكن مظهر هوف لائقاً بشعره الأصهب، ولم تبدُ عليه القوة والقسوة، بل بدا أنه يعاني من حروق شمس.

إنهما يجلسان إلى طاولة تحت مظلة خارج مطعم يسمى صنسبوت كافيه. عند ناصية شارعي ماين والمحكمة، خَمَن ببلي أن المكان يكون في غاية الازدحام خلال الأسبوع، ولكن بعد ظهر يوم السبت يكاد يكون مهجوراً بالداخل، ويمكنهما اختيار أي من الطاولات الخارجية المتفرقة.

ربما يبلغ هوف من العمر خمسين عاماً، وربما خمسة وأربعين. شرب هوف كأساً من النبيذ أما ببلي فشرب صودا الحمية، لا يبدو أن هوف يعمل لدى نيك، لأن نيك مقيم في فيغاس، لكن لدى نيك أذرع في عدة أماكن، وليست جميعها في الغرب. ربما هناك علاقة تجمع بطريقة ما بين نيك ماغاريان وكين هوف، أو ربما يكون هوف على علاقة بالرجل الذي يدفع مقابل المهمة، مفترضاً أن هناك عملاً دائماً يجمع بينهما.

قال هوف: «هذا المبنى المقابل للشارع ملكي؛ اثنان وعشرون طابقاً فقط؛ إنه جيد بما يكفي لجعله ثاني أعلى مبنى في ريد بلاف. سيكون ثالث أعلى مبنى عندما يُشَيّد مركز هيغينز، الذي سيكون بارتفاع ثلاثين طابقاً مع مركز تجاري. لقد حصلت على حصّة فيه أيضاً، ولكن هذا المبنى هو طفلي المدلّل. لقد سخروا من ترامب عندما قال إنه سيصلح للاقتصاد،

لكنه أصلحه».

لا يهتم بيلي بترامب أو باقتصاد ترامب، لكنه تفحص المبنى باهتمام مهني. إنه متأكد من أنه المكان الذي يفترض به أن يطلق الرصاصة منه، واعتقد أن تسمية مبنى مؤلف من اثنين وعشرين طابقاً فقط برجاً أمر مبالغ فيه قليلاً، لكنه يفترض أنه في هذه المدينة التي تكثر فيها الأبنية الصغيرة المشيدة من الطوب، والمتداعية بمعظمها، ربما يبدو وكأنه برج. توجد أمامه لافتة كتب عليها المكاتب والشقق الفاخرة متوفرة الآن، كما أن هناك رقماً للاتصال، ويبدو أن اللافتة قد مضى عليها بعض الوقت.

قال هوف: «لم يعمل بالطريقة التي توقعتها، ازدهر الاقتصاد، وهناك العديد من الأشخاص الذين يتبرزون مالياً وسيكون عام 2020 أفضل، لكنك ستفاجأ يا بيلي بالمقدار الذي يتم التحكم به بواسطة الإنترنت. لا بأس إذا ناديتك بيلي؟».

«طبعاً، لا مشكلة».

«خلاصة القول، أنا أعاني من نقص في السيولة هذا العام، ومشاكل التدفق النقدي منذ أن تورطت في الورلد وايد أنترتينت، ولكن عندما عرض عليّ قرض مع ثلاث سنوات من الإعفاء من الفائدة، لم أستطع أن أرفض».

ليس لدى بيلي فكرة عما يتحدث عنه. ربما، شيء عن مصارعة المحترفين؟ أو منافسات السيارات ذات العجلات العملاقة الذي يستمر الإعلان عنها على التلفاز؟ نظراً لأن هوف يعتقد بوضوح أنه يجب أن يعرف، أو ما بيلي برأسه كما لو كان يفعل.

«يعتقد المستثمرون الحمقى القدامى المحليون أنني أفرط بالتوسع، لكن عليك المراعاة على الاقتصاد، هل أنا محقّ؟ اضرب الحديد وهو حامي. يجب أن تضحى بالمال لكسب المال، أليس صحيحاً؟».

«بالتأكيد».

«لذلك أفعل ما يجب أن أفعله. ومهلاً، أعرف الشيء الجيد عندما أراه، وهذه صفقة جيدة بالنسبة إليّ، إنها محفوفة بالخطر بعض الشيء، لكنني بحاجة إلى جسر، ويؤكد لي نيك أنه إذا قبض عليك، مع أنني أعلم أنه لن يحدث، ولكن في حال حدث ذلك، فستُقبلي فمك مغلقاً».

«نعم، هذا صحيح»، لم يسبق أن قبض على بيبي، ولا ينوي أن يُقبض عليه هذه المرة.

«هذه هي طريقة العمل، هل أنا محق؟».

«بالتأكيد»، اعتقد بيبي أن كين هوف قد شاهد كثيراً من الأفلام، وربما كان بعضها من نوع الوظيفة الأخيرة، وتمنى أن يصل الرجل إلى ما يريد قوله. الجو حارّ هنا، حتى تحت المظلة، ورطب، كما يعتقد أن هذا الجو يناسب الطيور، وربما حتى الطيور لا تفضله.

قال هوف: «حجرت لك استوديو جميلاً في الطابق الخامس على الزاوية، فيه ثلاث غرف: مكتب، وغرفة استقبال، ومطبخ صغير. ما رأيك؟ ستكون بخير مهما طال الوقت اللازم لإتمام المهمة. أنا لا أقيّمك، لكنني متأكد من أنه يمكنك العدّ إلى خمسة، أليس كذلك؟».

بالتأكيد، فكّر بيبي أنه يستطيع أيضاً أن يمشي ويمضغ اللبان في الوقت نفسه.

المبنى مربع، والاستوديو مزود بنوافذ، لذلك يوجد بالفعل استوديوان على الزاوية في الطابق الخامس، لكن بيبي يعرف أي واحد يعنيه هوف: الاستوديو الموجود جهة اليسار. من النافذة، يمكنه أن يرى أسفل شارع المحكمة الذي يوجد فيه مجمعين من المباني فقط. مسار الطلقة التي سيطلقها إذا تولّى المهمة، ينتهي عند درجات محكمة المقاطعة، وهو عبارة عن امتداد من الغرانيت الرمادي للمبنى. الدرجات، التي لا تقل عن عشرين، تؤدي إلى مساحة ينتصب عندها تمثال لقاضية معصوبة العينين في الوسط وهي تحمل ميزاناً. من بين الأشياء العديدة التي لن يخبرها لكن هوف

أبدأ: ترمز القاضية إلى إيوستيس، وهي إلهة رومانية اخترعها الإمبراطور أغسطس إلى حدّ ما.

عاود بيلى الالتفات نحو استوديو الزاوية في الطابق الخامس، ونظر مرة أخرى، وقد بدا له أنه يبعد خمسمئة ياردة من النافذة إلى الدرج. يمكنه الإطلاق حتى في حال كانت الريح قوية؛ طبعاً إذا كان مزوداً بالبندقية الصحيحة.

«ماذا لديك لي يا سيد هوف؟».

«ماذا؟»، للحظة، بدا له هوف غيباً. ثنى بيلى سبابة يده اليمنى، وهي إيماءة تعني «هيا» في العادة، ولكن ليس في هذا الوضع.
«أوه، بالتأكيد. تقصد طلبك، أليس كذلك؟»، نظر حوله، ومع أنه لم يَرِ أحداً، لكنه أخفض صوته على أي حال وتابع: «ريمغتون 700».
«بندقية أم 24»، هذا هو تصنيف الجيش.

«أم...؟». مدّ يده إلى جيبه الخلفي وأخرج محفظته، ثم مرّر إبهامه عبرها، وأخرج منها قصاصه من الورق ونظر إليها متابعاً: «أم 24، صحيح». همّ بإعادة قصاصه الورق إلى محفظته، لكن بيلى مدّ يده.
سلم هوف قصاصه الورق إلى بيلى الذي وضعها في جيبه. في وقت لاحق، وقبل أن يذهب لرؤية نيك، سيرمي الورقة في المرحاض في غرفته بالفندق؛ لا تدون الأشياء. وكان يأمل ألا يكون هذا الرجل هوف مشكلة.
«البصريات؟».

«ماذا؟».

«المنظار».

بدا هوف مرتبكاً وقال: «إنه الشيء الذي طلبته».

«هل كتبت ذلك أيضاً؟».

«على قصاصه الورق التي أخذتها مني للتو».

«حسناً».

«لقد حصلت على الأداة في...».

«لست بحاجة لمعرفة أين، لم أقّر بعد قبول المهمة»، لكنه موافق رغم ذلك، «هل هناك رجال أمن في هذا المبنى؟»، سؤال غبي آخر.
«نعم، بالتأكيد».

«إذا حدث وتوليت المهمة، فسيكون نقل الأداة إلى الطابق الخامس من مسؤوليتي. هل نحن متفقان على ذلك يا سيد هوف؟».
«نعم، بالتأكيد»، بدا هوف مرتاحاً.

«حسناً، أعتقد أننا انتهينا»، ثم وقف بيلى وصافحه قائلاً: «سررت بلقائك»، رغم أنه لم يكن كذلك. لم يكن بيلى متأكداً من قدرته على الوثوق بالرجل، أضف إلى ذلك أن تلك اللحية الغبية القذرة لم تعجبه، فأى امرأة تريد تقبيل فم محاط بشعيرات حمراء؟

صافحه هوف قائلاً: «وأنا سررت بلقائك يا بيلى، توترتي يُعزى إلى الضغط الذي أرزح تحته. هل قرأت كتاباً بعنوان رحلة البطل؟».
لقد فعل بيلى، لكنه هزّ رأسه نافياً.

«عليك أن تقرأه، لقد وصلت للتو إلى صلب موضوع، هذا أنا، أتخلص من الهراء. لا أستطيع تذكر اسم الكاتب، لكنه يقول إن كل رجل يجب أن يمر بوقت اختبار قبل أن يصبح بطلاً. هذا هو وقتي».

لم يكن بيلى متأكداً أن جوزيف كامبل سيُصنّف من يزود قاتلاً ببندقية فنص وموقع مراقبة في فئة الأبطال.
«حسناً، أتمنى لك التوفيق».

2

افترض بيلى أنه سيحصل على سيارة في نهاية المطاف إذا بقي هنا، لكنه في الوقت الحالي لا يعرف طريقه في الأرجاء، وهو سعيد بالسماح لبولي لوغان بنقله من الفندق إلى حيث يقيم نيك. فُتحت بوابة الممر الطويل

المنحني بلمسة من إبهام بولي على الأداة الموجودة على الزجاج الأمامي. هناك بالفعل تمثال لملاك صغير يتبول بلا انقطاع في بركة من الماء، واثنان من التماثيل الأخرى (جندي روماني، وحسنا عارية الصدر) تضيئها بقع خفية الآن بعد أن حلّ الغسق.

فرانك ماكتوش المعروف أيضاً باسم فرانكي إلفيس، ينتظر على الشرفة التي لا نهاية لها لاستقباله. إنه يرتدي بذلة داكنة، ويضع ربطة عنق زرقاء من اللون الذي ينم عن رصانة. بالنظر إليه، لن تخمن أبداً أنه بدأ حياته المهنية بكسر ساقَي مرابٍ. بالطبع، كان ذلك منذ فترة طويلة قبل أن ينتقل إلى الكبار. نزل إلى منتصف الطريق أسفل درجات الشرفة، ماداً ذراعه مثل سيد القصر.

كان نيك ينتظره في صالة؛ واحدة أكبر بكثير من تلك الموجودة في المنزل الأصفر المتواضع في ميدوود.

نيك ضخم الجثة، لكن الرجل الذي معه هائل. هذا هو جورجيو بيغليلي، المعروف بالطبع لكادر نيك في لاس فيغاس باسم جورجيو بيغز (ليس بسبب وجهه). إذا كان نيك رئيساً تنفيذياً، فإن جورجيو هو الرئيس التنفيذي للعمليات، وبالنسبة إليهما، إن وجودهما هنا، بعيداً عن قاعدتهما الرئسيتين، يشير إلى أن رسوم التوكيل يجب أن تكون مرتفعةً للغاية، وقد وعده بيلي بمليونين.

بكم وُعد هذان الرجلان؟ أو كم دُفع لهما أصلاً؟ شخص ما قلق للغاية بشأن جويل ألين؛ شخص ربما يمتلك منزلاً مثل هذا، أو حتى أكثر قبحاً، من الصعب تصديق أن مثل هذا الشيء ممكن، لكنه على الأرجح حقيقي. ربّت نيك على كتف بيلي وقال: «ربما تعتقد أن هذا السمين هو جورجيو بيغليلي».

قال بيلي بحذر وهو يتسم لجورجيو: «بالتأكيد، يبدو مثله».

أوماً نيك برأسه وقد ظهرت ابتسامة المليون دولار على وجهه، ثم

قال: «أعلم أنه كذلك، لكنه في الحقيقة جورج روسو، وكيلك».

«وكيل؟ كما هو الحال في العقارات؟».

ضحك نيك قائلاً: «كلا، ليس من هذا النوع. هيا بنا إلى غرفة المعيشة.

سنحتسي الشراب، وسيوضح لك جورجيو الأمر، كما قلت بالأمس، إنه جميل».

3

غرفة المعيشة طويلة مثل بولمان؛ هناك ثلاث ثريات، اثنتان صغيرتان وواحدة كبيرة، ويدعم تمثالان آخران على شكل ملاكين صغيرين مرآة كاملة الطول، وهناك ساعة كبيرة يبدو أنها تشعر بالحرج لوضعها هنا.

فرانك ماكتوش، كاسر السيقان الذي تحوّل إلى خادم، جلب المشروبات على صينية: البيرة لبيلي ونيك، وما يشبه الشوكولاتة المذابة لجورجيو الذي يبدو مصمماً على تناول كل السعرات الحرارية الممكنة قبل الموت في سن الخمسين. اختار المقعد الوحيد الذي يناسبه، وتساءل بيلي إن كان سيستطيع النهوض عنه من دون مساعدة.

رفع نيك كأس البيرة قائلاً: «نخبنا، أتمنى أن نقوم بأعمال تجعلنا سعداء وراضين».

شربوا نخب ذلك، ثم قال جورجيو: «أخبرني نيك أنك مهتم، لكنك لم توقع بالفعل على هذا بعد. لا تزال في ما يمكن تسميته بمرحلة الاستكشاف».

قال بيلي: «هذا صحيح».

«حسناً، لأغراض هذه المناقشة، دعنا نتظاهر بأنك في الفريق»، شرب جورجيو الشوكولاتة الذائبة بالقشة وتابع: «يا رجل، هذا جيد. مجرد تذكرة في أمسية دافئة». مدّ يده إلى جيب معطفه المصنوع مما يكفي من القماش لكسوة دار للأيتام، كما اعتقد بيلي، وأخرج محفظته وأمسك بها.

أخذها بيلي؛ إنها جميلة، ولكنها ليست فاخرة، وقد بدت قديمة بعض

الشيء، مع جيبين جلديين.

«انظر داخلها».

هذا ما فعله بيلي، هناك سبعون دولاراً في المحفظة، وبعض الصور، معظمها للرجال الذين يمكن أن يكونوا أصدقاء، وصور لنساء يمكن أن يكنّ صديقات، لا شيء يشير إلى أن لديه زوجة وأطفالاً.

قال جورجيو: «أردت أن أضع صورتك في واحدة، واقفاً في الغراند كانيون أو شيء من هذا القبيل، ولكن لا يبدو أن أحداً لديه صورة لك يا بيلي».

«يمكن أن تؤدي الصور إلى مشاكل».

قال نيك: «معظم الناس لا يحملون صوراً لأنفسهم في محافظهم، أياً يكن الأمر. أخبرت جورجيو بذلك».

استمر بيلي في تفحص المحفظة، وقراءتها مثل رواية تيريز راكون التي أنهاها أثناء تناول العشاء في غرفته. إذا بقي هنا، فسيصبح اسمه ديفيد لوكريدج. لديه بطاقتا فيزا وماستركارد، وهما صادرتان عن مصرف سيكوست في بورتسموث.

سأل جورجيو: «ما هي حدود السحب على هاتين البطاقتين؟».

«خمسمئة لبطاقة الماستر، وألف لبطاقة فيزا. أنت ضمن الميزانية بالطبع، وإذا نجح كتابك كما نأمل أن يحدث، فقد يتغير ذلك». حدّق بيلي إلى جورجيو، ثم إلى نيك، متسائلاً عما إذا كان هذا فخاً، ومتسائلاً في الوقت عينه عما إذا كانا غبيّين.

صرخ نيك تقريباً وهو يقول: «إنه وكيلك الأدبي».

«غطائي هو كاتب؟ بالله عليك! كيف ذلك وأنا لم أكمل حتى المرحلة الثانوية؟ حصلت على تعليمي العام في الصحراء، بحق الله، وكان ذلك بمنحة من العمّ سام لتفادي العبوات الناسفة والمجاهدين في الفلوجة والرمادي. لن ينجح الأمر. هذا جنون».

قال نيك: «إنه ليس جنوناً بل عبقرية. ببلي، استمع إلى الرجل، أم يفترض بي البدء بمناداتك ديف منذ الآن؟».

«لن تناديني ديف أبداً إذا كان هذا هو غطائي».

إنه غطاء يناسبه جداً، فهو قارئ، لا ريب في ذلك، ولطالما حلم في الكتابة، مع أنه لم يحاول كتابة سوى قطع متناثرة من النثر، والتي مزقتها ولم يحتفظ بها.

«نيك، لن ينجح الأمر، أعلم أنكما يا رفيقي قد بدأتما بالفعل هذا الأمر...»، رفع المحفظة متابعاً: «... أنا آسف، لكن الأمر لن ينجح. ماذا سأقول إذا ما سألني أحدهم عن موضوع كتابي؟».

قال جورجيو: «امنح نفسك خمس دقائق، عشر دقائق على الأكثر، وبعدها إذا لم يعجبك ما سأقوله، فسنبقى جميعاً أصدقاء». شك ببلي في ما إذا كان هذا صحيحاً، لكنه طلب منه المضي قدماً.

وضع جورجيو كأسه الفارغة على الطاولة بجانب مقعده وتجشأ، ولكن عندما حوّل كامل انتباهه إلى ببلي، تمكن الأخير أن يرى ماهية جورجيو بيغز بحق: عقل رياضي مدفون داخل محيط الشحم الذي سيقتله بعد سنوات ليست ببعيدة. «أعرف كيف يبدو الأمر من النظرة الأولى، فأنت من النوع الذي أنت عليه، لكنك تنجح».

قال جورجيو: «ستبقى هنا لمدة ستة أسابيع على الأقل، وربما لمدة ستة أشهر، هذا يعتمد على المدة التي سيحتاج إليها المحامي ليلعب أوراقه أو حتى يحصل على صفقة بشأن تهمة القتل. أنت تحصل على أجر مقابل المهمة، ولكنك تحصل أيضاً على أجر مقابل وقتك، هل أنت تحصل على ذلك؟».

أوما ببلي إيجاباً.

«هذا يعني أنك بحاجة إلى سبب لوجودك هنا في ريد بلاف، خاصة أنها ليست مكاناً لقضاء العطلات».

قال نيك: «إنها الحقيقة»، وأصبح وجهه مثل وجه طفل صغير ينظر إلى طبق من البروكلي.

«كذلك تحتاج أيضاً لسبب لتواجد في هذا المبنى المطل على المحكمة. أنت تكتب كتاباً، هذا هو السبب.»
«ولكن...».

قال جورجيو متبجحاً: «أنت لا تظن أن الغطاء سيكون ناجحاً، لكنني أخبرك أنه سينجح، وسأريك كيف.»

بدا بيلى متشككاً، ولكن الآن بعد أن تجاوز مخاوفه بشأن تمويه الشخصية الذي اعتبره ساذجاً، قرّر أن ينظر إلى ما يستطيع جورجيو الوصول إليه، فلربما هناك احتمالات.

«لقد أجريت بحثي، أنا أقرأ مجموعة من مجلات الكتاب، بالإضافة إلى الكثير من الأشياء عبر الإنترنت. إليك قصة الغلاف الخاصة بك: نشأ ديفيد لوكريدج في بورتسموث، نيو هامبشاير، ولطالما حلم أن يصبح كاتباً، ولكنه بالكاد أنهى المرحلة الثانوية. عمل بالبناء، وواصل الكتابة، وبعد أن عانى كثيراً من الشراب، فكّر في الطلاق، لكنه قرر أنه سيكون هناك الكثير ليمضي قدماً من أجله.»

فكّر بيلى.

«أخيراً، بدأت شيئاً جيداً، حسناً؟ هناك الكثير من الحديث في المدونات التي قرأتها عن الكتاب الذين ظهرت موهبتهم فجأة، وهذا ما يحدث لك. ستكتب مجموعة، ربما سبعين صفحة، وربما مئة...».

«عمّاذاً؟»، بدأ بيلى الآن بالاستمتاع، لكنه حرص على عدم إظهار ذلك.

تبادل نيك وجورجيو النظرات فهزّ رأسه وقال: «لم أقرّر ذلك بعد، لكنني سأتوصل إلى شيء ما...».

«ربما قصتي الخاصة؟ أعني قصة ديف. هناك كلمة لذلك...».

«السيرة الذاتية»، ابتسم نيك كما لو أنه أجاب على سؤال في برنامج المسابقات جيوباردي.

قال جورجيو: «قد ينجح ذلك»، وتعابير وجهه تقول: محاولة لطيفة، ولكن اترك هذا للخبراء، «أو ربما تكون رواية. الشيء المهم هو ألا تتحدث أبداً عنها بناءً على أوامر من وكيلك. إنه أمر سري للغاية. أنت تكتب، ولا يمكنك إبقاء ذلك سراً، فكل شخص تقابله في المبنى سيعرف أن الرجل في الطابق الخامس يكتب كتاباً، لكن أحداً لا يعرف موضوع الكتاب، وبهذه الطريقة لن يحصل تناقض في أقوالك».

سأل بيلى: «كيف وصل ديفيد لوكريديج من بورتسموث إلى هنا؟ وكيف انتهى به المطاف في برج جيرارد؟».

قال نيك: «هذا هو الجزء المفضل لدي»، بدا وكأنه طفل يستمع إلى قصة محببة في وقت النوم، ولا يعتقد بيلى أنه يزيّف أو يبالغ، إذ بدا منغمساً بشكل تام في هذا الدور.

قال جورجيو: «لقد بحثت عن وكلاء عبر الإنترنت»، قال ذلك متردداً، ثم سأل: «أنت تستخدم الإنترنت، أليس كذلك؟».

قال بيلى: «بالأكيد»، إنه متأكد تماماً من أنه يعرف الكثير عن الحواسيب أكثر من أي من هذين الرجلين البدينين، ولكن هذه أيضاً معلومات لا يشاركها، «أستخدم البريد الإلكتروني، وفي بعض الأحيان ألعب على هاتفي، بالإضافة إلى استخدام الكوميسولوجي، وهو تطبيق يمكنك من تنزيل العديد من الأشياء، وأنا أستخدمه على حاسوبي المحمول».

«حسناً، جيد. أنت تبحث عن وكلاء. أرسلت رسائل تقول فيها إنك تعمل على هذا الكتاب. معظم الوكلاء يرفضون، لأنهم يلتزمون بأصحاب الدخل المعروفين مثل جيمس باترسون وفاتنة هاري بوتر. لقد قرأت مشكلة على مدونة، تفيد أن المؤلف يحتاج إلى وكيل لنشر أعماله، ولا يمكنه الحصول على وكيل قبل أن ينشر».

قال نيك: «الأمر نفسه ينطبق على الأفلام، لكن الأمر كله يتعلق بالوكلاء، فهم لديهم القوة الحقيقية، ويخبرون النجوم بما يجب عليهم فعله، ويا فتى، إنهم يفعلون ذلك».

انتظر جورجيو بصبرٍ حتى ينتهي، ثم تابع: «أخيراً، يقول أحد الوكلاء نعم، حسناً، اللعنة، سألقي نظرة، أرسل لي أول فصلين».

قال بيلى: «أنت؟».

«أنا، جورج روسو. قرأت بعض الصفحات، وقد نالت إعجابي، فعرضتها على عدد قليل من الناشرين الذين أعرفهم...»، قال بيلى في نفسه: عليك اللعنة، تعرضها على عدد قليل من المحررين الذين تعرفهم، ولكن يمكن إصلاح هذا الجزء إذا لزم الأمر. أكمل جورجيو كلامه قائلاً: «وقد أعجبوا بها، لكنهم لن يدفعوا الكثير، وربما سيدفعون حتى رقم مكوّن من سبع خانات، ولن يُبَيّن في الأمر قبل الانتهاء من الكتابة، لأنك سلعة غير معروفة. هل تعرف ماذا يعني ذلك؟».

أوشك بيلى على القول إنه يعرف بالطبع، لأنه شعر بالثقة من الاحتمالات هنا. يمكن أن يكون في الواقع غطاءً ممتازاً، خاصةً الجزء المتعلق بسرية المشروع، وقد يكون من الممتع التظاهر بأنه ما تمنى أن يكونه دائماً.

«كما لو أنك تبيع السمك في الماء».

لمعت عينا نيك، وبدأت الأمور تتضح، فأوما جورجيو برأسه.

«مرّ بعض الوقت، لكن ديف لم يرسل مزيداً من الصفحات، فتوجّهت لرؤيته في لوبستر لاند، ولكن ماذا وجدت؟ الرجل يحتفل وكأنه أرنست همنغواي اللعين، لم يكن يعمل، فهو يمضي الوقت في الخروج مع أصدقائه أو يحتسي الخمر ويشمل، أو يتعاطى المخدرات بما يليق بموهبة أدبية مثل موهبته، كما هو شائع بين العباقرة».

«أحقاً؟».

«هذا أمر مثبت، لكن جورج روسو يصمم على إنقاذ هذا الرجل، على الأقل بما يتيح له إنهاء كتابه، ولذلك يتواصل مع ناشر للتعاقد معه، والذي دفع له سلفاً ثلاثين أو ربما خمسين ألفاً. ليست أموالاً طائلة، ولكنها ليست أموالاً قليلة أيضاً، بالإضافة إلى أنه يمكن للناشر المطالبة باستردادها إذا لم يظهر الكتاب بحلول موعد نهائي معين، والذي يسمونه تاريخ التسليم. لكن انظر، إليك صلب الموضوع يا بيلي، الشيك باسمي وليس باسمك». بدت الأمور واضحة الآن بالنسبة إلى بيلي، لكنه سيسمح لجورجيو بتدويرها.

«لديّ شروط معينة، فمن أجل مصلحتك عليك أن تترك لوبستر لاند، وتبتعد عن أصدقاء الخمر والمخدرات، كما عليك الذهاب إلى بلدة أو مدينة حيث لا يوجد شيء تفعله ولا أحد يفعل ذلك حتى لو توافرت جميع الأشياء هناك، وأخبرك أنني سأستأجر لك منزلاً». المنزل الذي رأيته، أليس كذلك؟»

«أجل، والأهم من ذلك، سأستأجر لك مكتباً، وستذهب إلى هناك كل يوم من أيام الأسبوع، وتجلس في غرفة صغيرة، وتكدر هناك حتى تنتهي من كتابك السري. إما أن توافق على هذه الشروط أو أن تقول وداعاً لتذرك الذهبية».

جلس جورجيو على مقعده، مع أن المقعد كان متيناً إلا أنه كان يصدر صوتاً بفعل الثقل الذي يرزح تحته.

«الآن، إذا أخبرني أن هذه فكرة سيئة، أو حتى أخبرني أنها فكرة جيدة ولكنك لا تستطيع تقبلها، عندها سنلغي الأمر برمته».

أمسك نيك بيده وقال: «قبل أن تقول شيئاً يا بيلي، أريد أن أخبرك شيئاً يجعل من الأمر جيداً. كل شخص يعيش معك في الطابق نفسه سيتعرف إليك، والكثير من الأشخاص الآخرين في المبنى أيضاً. أنا أعرفك، ولديك موهبة أخرى إلى جانب القنص من مسافة ربع ميل».

كما لو أن ذلك باستطاعتي، يفكر بيلى، كما لو أن كريس كايل استطاع أيضاً.

«أنت تتوافق مع الناس من دون أن تصاحبهم حقاً، فيبتسمون عندما يرونك قادماً»، كما لو أن بيلى قد أنكر ذلك، «لقد رأيت ذلك. أخبرني هوف أن بضع عربات طعام تتوقف أمام هذا المبنى كل يوم، وفي طقس لطيف يصطف الناس ويجلسون في الخارج على المقاعد لتناول وجبات الغداء. يمكنك أن تكون أحد هؤلاء الناس. يجب ألا يضيع وقت الانتظار هباءً، إذ يمكنك استخدامه لتصبح مقبولاً، وبمجرد أن تنتهي من دوام عملك في الكتابة ستعود إلى منزلك الصغير في ميدوود».

تخيل بيلى الأمر.

«لذلك وعندما تفلح هذه الأمور، فهل ستبقى غريباً لا يعرفه أحد؟ الغريب الذي يجب أن يكون قد فعل ذلك؟ آه، آه، لقد كنت هناك لأشهر، ستبدأ الدردشة في المصعد، وسترمي قطعة نقدية مع بعض رجال وكالة التحصيل من الطابق الثاني لمعرفة من يشتري سندويشات التاكو».

قال بيلى: «سيعرفون من أين أتت الطلقة».

«بالتأكيد، ولكن ليس على الفور، لأنه في البداية سيبحث الجميع عن هذا الغريب، ولأنه سيكون هناك تمويه، وذلك لأنك كنت دائماً مثل هوديني اللعين عندما يتعلق الأمر بالاختفاء بعد الضربة، وبحلول الوقت الذي تبدأ الأمور به في الاستقرار، سيكون قد مضى وقت طويل على اختفائك».

«ما هو التمويه؟».

قال نيك: «يمكننا التحدث عن ذلك لاحقاً»، هذا ما جعل بيلى يعتقد أن نيك ربما لم يتخذ قراره بشأن ذلك بعد. عندما يتعلق الأمر بنيك، فمن الصعب معرفة ذلك، «نحن نملك متسعاً من الوقت. لذا في الوقت الحالي...»، استدار ناحية جورجيو، المعروف أيضاً باسم جورجى بيغز، والمعروف أيضاً باسم جورج روسو، ونظر إليه نظرة تحمل عبارة: الأمر منوط بك.

مدّ جورجيو يده إلى جيب معطفه العملاق مرة أخرى وسحب هاتفه قائلاً: «بيلي، قل الكلمة - الكلمة هي رمز المرور للبنك المفضل لديك في الخارج - وسأرسل إليه خمسمئة ألف دولار. سيستغرق الأمر حوالي الأربعين ثانية، أو حوالي الدقيقة والنصف إذا كان الاتصال بطيئاً. أيضاً الكثير من الأموال في أحد البنوك المحلية لبدء العمل». أدرك بيلي أنهما يحاولان دفعه إلى اتخاذ قرار، وشعر كما لو أنه بقرة تُقاد إلى منحدر الذبح في المسلخ، ولكن ربما يكون هذا مجرد جنون العظمة بسبب يوم الدفع الهائل. ربما لا يجدر بآخر وظيفة للمرء أن تكون فقط الأكثر ربحاً، بل الأكثر إثارة للاهتمام، لكنه يودّ أن يعرف شيئاً آخر.

«لماذا هوف متورط؟».

قال نيك على الفور: «مبناه».

«نعم، لكن...»، استهجن بيلي، وظهر تعبيرٌ على وجهه ينم عن تركيز كبير وتابع: «قال إن هناك الكثير من الأجنحة الشاغرة في ذلك المبنى». قال نيك: «استوديو الزاوية في الطابق الخامس رئيسي، لقد استأجره وكيلك جورجيو، وهذا ما ييقينا خارج الموضوع برمته».

قال جورجيو: «سيؤمن أيضاً البندقية، قد تكون لديه بالفعل. على أي حال، لن تكون دليلاً يشير إلينا».

يعرف بيلي ذلك بالفعل من الطريقة التي كان بها نيك حريصاً على ألا تتم رؤيته معه - لا، ولا حتى على شرفة هذا العقار المسور - لكنه غير راضٍ تماماً، لأن هوف ثرثارٌ للغاية، والثرثرة ليست شيئاً جيداً عندما تخطط للاغتتيال.

4

في وقت لاحق من تلك الليلة؛ قبل منتصف الليل بقليل؛ استلقى بيلي على سرير غرفته في الفندق، ووضع يديه تحت الوسادة، واستمتع بالبرودة

التي سرعان ما ستزول. قال: نعم، بالطبع، وعندما تقول نعم لنيك ماغاريان، لا يمكنك التراجع، إنه الآن يؤدي دور البطولة في قصة وظيفته الأخيرة. لقد جعل جورجيو يرسل خمسمئة ألف دولار إلى بنك في منطقة البحر الكاريبي. هناك مبلغ كبير من المال في هذا الحساب الآن، وبعد وفاة جويل ألين على درجات المحكمة تلك، سيكون هناك صفقة أفضل بكثير، تكفيه للعيش لفترة طويلة إذا كان حكيماً، وسيكون كذلك. ليس لديه متطلبات باهظة الثمن، ولم تكن خدمات الشمانيا والمرافقة تعني شيئاً له. سيكون لدى ديفيد لوكريديج في بنكين محليين آخرين ألف وثمانمئة دولار إضافية للاستفادة منها، وهو مبلغ كبير من المال، لكن ليس بما يكفي لتفادي فخاخ الشرطة الفيدرالية.

كان لديه سؤالان آخران، وكان الأهم هو مقدار المهلة الزمنية التي يمكن أن يتوقعها عندما يوافق على الصفقة.

قال نيك: «ليست طويلة، سنعرف مباشرة بعد طلب التسليم، وستتلقى مكاملة أو رسالة نصية. ستكون أربعاً وعشرين ساعة على الأقل، وربما ثلاثة أيام أو حتى أسبوع. حسناً؟».

قال بيلي: «نعم، طالما أنك تفهم أنه لا يمكنني ضمان أي شيء إذا كانت خمس عشرة دقيقة أو حتى ساعة».

«لن يكون كذلك».

«ماذا لو لم يظهر على عتبة المحكمة؟ ماذا لو تم استخدام باب آخر؟» قال جورجيو: «هناك باب آخر، إنه الذي يستخدمه بعض موظفي المحكمة، ولكن سيظل لديك مجال رؤية من الطابق الخامس والمسافة ليست سوى ستين ياردة أو أكثر من ذلك بقليل. يمكنك أن تفعل ذلك، أليس كذلك؟».

كان بإمكانه ذلك، وقد قال فعلاً. رفع يده كما لو كان يدفع ذبابة مزعجة بعيداً وقال: «هذه هي التعليمات، اعتمد عليها. أي سؤال آخر؟».

يوم الاثنين سينتقل إلى المنزل الأصغر الصغير الذي استأجره له وكيله؛ وكيله الأدبي؛ ويوم الثلاثاء، سيرى استوديو المكتب الذي استأجره جورج بيغز له أيضاً. عندما سأله جورجيو عما سيفعله هناك، أخبره بيلي أنه سيبدأ بتنزيل تطبيق كوميكسولوجي لقراءة القصص الهزلية على حاسوبه المحمول، وربما بعض الألعاب.

«تأكد من كتابة بعض النكات المضحكة»، قال جورجيو مماًزحاً بعض الشيء، «أنت تعرف، ادخل في الشخصية، وعش الدور». ربما سيفعل، ربما سيفعل ذلك، حتى لو لم يكن ما يكتبه جيداً جداً، فسوف يمرّ الوقت. كانت السيرة الذاتية اقتراحه، أما جورجيو فاقترح رواية، ليس لأنه يعتقد أن بيلي موهوب بما يكفي لكتابة واحدة، ولكن لأن بيلي يمكن أن يقول ذلك عندما يسأله أحدهم، ومن المؤكد أن أحدهم سيسأله، وربما يسأله كثيرون بمجرد أن يتعرف إلى الناس في برج جيرارد.

كاد أن يغط في النوم عندما أيقظته فكرة رائعة: لماذا لا يكون مزيجاً من الاثنين؟ لماذا لا تكون رواية وهي في الواقع سيرة ذاتية، واحدة لم يكتبها بيلي سامرز الذي يقرأ زولا وهاردي، ولكن واحدة كتبها بيلي سامرز الآخر؟ الأنا البديلة التي يسميها الشخصية الغبية؟ هل يمكن أن ينجح ذلك؟ أجل، إنه يعتقد ذلك، لأنه يعرف بيلي كما يعرف نفسه.

فكر في نفسه قائلاً: لم لا أجربها، فأنا لا أملك إلا الوقت، فلم لا؟ وأخذ يفكر في كيفية البدء حتى غطّ أخيراً في النوم.

الفصل الثالث

1

جلس بيلى سامرز مرة أخرى في بهو الفندق منتظراً رحلته. إنه ظهر الاثنين؛ حقيته وحقيبة حاسوبه المحمول بجانب مقعده وهو يقرأ كتاباً هزلياً آخر، هذا الكتاب يسمى قصص آرتشي الهزلية المذهلة: أصدقاء للأبد. إنه لا يفكر اليوم في تيريز راكون، ولكن في ما قد يكتبه في مكتب الطابق الخامس الذي لم يره بعد. الأمر ليس واضحاً في ذهنه، لكن لديه جملة أولى وهو متمسكٌ بها، إذ قد تقوده هذه الجملة لإنجاز كتابه، أو ربما لا. إنه مستعدٌ للنجاح، لكنه مستعدٌ أيضاً لخيبة الأمل، إنها الطريقة التي يمضي بها قدماً، وقد آتت ثمارها حتى الآن؛ بمعنى، على الأقل، أنه ليس في السجن.

عند الساعة الثانية عشرة والأربع دقائق، دخل فرانك ماكتوش وبولي لوغان إلى الردهة مرتدين بذلتيهما، وتصافحوا جميعاً. يبدو أن بومبادور فرانك قد تغير بمرور الوقت.

«هل تريد أن تسجل مغادرتك؟».

«لقد فعلت».

«حسناً، لنذهب».

وضع بيلى كتابه آرتشي في الجيب الجانبي لحقيته وحملها. قال فرانكي: «لا، لا، دع بولي يحملها لك. إنه بحاجة إلى التمرين». رفع بولي إصبعه الوسطى، لكنه حمل الحقيبة، ثم استقلوا السيارة التي قادها فرانك وجلس بولي في الخلف، متوجهين إلى ميدوود والمنزل الأصفر. نظر بيلى إلى العشب المصفر، واعتقد أنه عليه أن يرويه، وإذا لم

يكن هناك خرطوم، فسيشترى واحداً. هناك سيارة في الممر؛ تويوتا صغيرة الحجم بدت قديمة قليلاً.
«هل هي لي؟».

قال فرانك: «نعم، هي ليست فخمة، فوكيلك يقيقك على ميزانية منخفضة على ما أعتقد».

وضع بولي حقيبة بيلى على الشرفة، وأخرج مغلفاً من جيب سترته، ثم أخرج حلقة من المفاتيح، وفتح الباب. وضع المفاتيح مرة أخرى في المغلف وسلمه لبيلى، وقد كُتب عليه: 24 شارع إيفرغرين. بيلى، الذي لم يتحقق من لافتة الشارع بالأمس أو اليوم، أصبح الآن يعرف أين يعيش.

قال فرانك وهو يصفحه مرة أخرى: «مفتاح السيارة موجود على طاولة المطبخ». إذأ، هذا هو الوداع؛ لا بأس بذلك بالنسبة إلى بيلى.
قال بولي: «قدها برفق».

بعد أقل من ستين ثانية ذهباً؛ من المفترض أنهما عادا إلى المنزل الكبير حيث تمثال الملاك الذي يتبول إلى ما لا نهاية في الفناء الأمامي العملاق.

2

صعد بيلى إلى الطابق العلوي حيث غرفة النوم الرئيسية، وفتح حقيبتة على سرير مزدوج بدأ جديداً عندما فتح الخزانة لوضع الأشياء، رأى أنها مليئة بالقمصان، وأثياب السترات الصوفية، وقلنسوة، وبنطالين، كما كان هناك حذاء جديد للجري، وقد بدت مقاسات كل الأنسبة مناسبة. أما في خزانة الملابس فقد وجد الحواريب والملابس الداخلية والقمصان والجينز من ماركة رانجلر، ووضع أغراضه الخاصة التي لم تكن كثيرة في الدرج الفارغ؛ لقد ظن أنه سيشتري مزيداً من الملابس من وول مارت الذي رآه في الطريق، لكن يبدو أن ذلك لن يكون ضرورياً.

ذهب إلى المطبخ حيث وجد مفتاح التويوتا على الطاولة بجانب بطاقة

كتب عليها كينيث هوف رائد أعمال.

رائد أعمال - فكر بيلى - هذا ما يصف به نفسه. قلب البطاقة، ورأى ملاحظة موجزة على الجهة نفسها كما في المغلف الذي يحتوي على حلقة مفاتيح المنزل: إذا كنت بحاجة إلى أي شيء، فقط اتصل. هناك رقمان، أحدهما للعمل والآخر لهاتف محمول.

فتح الثلاجة فوجدها مليئة بالمواد الغذائية الأساسية: العصير، والحليب، والبيض، واللحم المقدّد، وبعض أكياس اللحوم المطبوخة، وعلبة من سلطة البطاطا. هناك رفٌّ من قناني مياه بولندا سبرينغ، ورف من عبوات الكوكا كولا، وست عبوات من بيرة بدلايت. سحب درج الثلاجة وابتسم لأن ما بداخله يشير إلى الكثير عن كين هوف؛ إنه أعزب وحتى مطلق (بيلى متأكد من أنه مُطلق لمرة واحدة على الأقل)، تم إطعامه وسقيه من قبل النساء، بدءاً من أم ربما تناديه بكيني وتأكدت من أنه يقصّ شعره كل أسبوعين. كانت الثلاجة محشوة بالمقبلات والبيتزا المجمدة وعلبتين من الآيس كريم، من النوع الذي يأتي على عود خشبي، لكن لا وجود لخضروات طازجة أو مجمدة.

قال بيلى بصوت عالٍ: «لم يعجبني»، واختفت الابتسامة التي كانت مرتسمة على شفثيه.

لا، إنه لا يحب ما يفعله هوف في هذا، بصرف النظر عن أن هوف سيكون في الواجهة بعد انتهاء المهمة، فهناك شيء لم يخبره به نيك. ربما هذا لا يهم، أو كما يقول ترامب مرة واحدة على الأقل في اليوم، من يدري؟

3

هناك خرطوم في الطابق السفلي ملفوف ومغبر. في ذلك المساء، عندما بدأت حرارة النهار تتلاشى قليلاً، سحب بيلى الخرطوم وربطه بالصنوبر على جانب المنزل. كان بيلى يقف في الحديقة الأمامية، ويرتدي

الجينز والقميص، ويرش العشب عندما أتى رجل من المنزل المجاور -
طويل القامة، وبياض أسنانه اللامع يعمي العيون، وذو بشرة سوداء داكنة
- حاملاً علبتين من البيرة.

قال: «مرحباً أيُّها الجار، أحضرت لك واحدة باردة لأرحب بك في
الحي. أنا جمال أكرمان». حمل علبتي البيرة في يد كبيرة وصافحه بالأخرى.
صافحه بيلى قائلاً: «ديفيد لوكريدج. ديف»، ثم لف الخرطوم ليوقف
تدفق الماء وأضاف: «تفضّل إلى الداخل، أو يمكننا الجلوس على المصطبة،
فلم أرتب المكان بعد». لا حاجة للشخصية الغبية هنا؛ ففي ميدوود يمكنه
أن يكون شخصاً أكثر انتظاماً.

قال جمال: «المصطبة ستكون جيدة».

جلسا وفتحا علبتي البيرة، ثم رفع بيلى علبته إلى جمال وقال: «شكراً».
شربا البيرة، ثم تابعا ريّ العشب.

قال جمال: «سيتطلب الأمر أكثر من الماء لكي ينمو هذا العشب
مجدداً، لديّ بعض السماد إذا كنت تريد استخدامه. كان لديهم عرض في
مركز والي وورلد للبستنة الشهر الماضي ولديّ الكثير».

«قد أذهب إلى هناك، أنا أخطّط لرحلة إلى والي وورلد قد أشتري
كرسيين للشرفة، ولكنني سأذهب الأسبوع المقبل، فعندما يكون المنزل
جديداً يحتاج إلى كلّ شيء».

ضحك جمال قائلاً: «هل أبدأ؟ هذا هو المنزل الثالث الذي نعيش
فيه منذ زواجي في التسعينيات. أول منزل كان لأمها»، تظاهر بالارتعاش،
فابتسم بيلى، ثم وأضاف: «لدي طفلان، في العاشرة والثامنة من عمرهما.
صبي وفتاة. عندما يزعجانك، وهما سيزعجانك حتماً، اصرخ بهما ليدخلا
إلى المنزل».

«إذا لم يحطّم زجاج النوافذ أو يشعلا النار في المنزل، فلن أنزعج».

«هل أنت المالك أم المستأجر؟».

«مستأجر. سأبقى هنا لفترة، لا أعرف كم ستمتد. أنا... إنه أمر محرج بعض الشيء أن أخرج مباشرة وأقولها، لكنني أؤلف كتاباً، لنقل إنني أحاول، يبدو أن لديّ فرصة لنشره، وقد يكون هناك بعض المال الحقيقي فيه، لكن سأضطر للعمل بجهد، ولديّ مكتب في المدينة. هل سمعت ببرج جيرارد؟ يُقال إن لديّ مكتباً هناك، سألقي نظرة عليه غداً.»

جحظت عينا جمال وقال: «مؤلف؟ يعيش هنا في شارع إيفرغرين؟ سأكون ملعوناً.»

ضحك بيلى وهز رأسه قائلاً: «على رسلك أيها الرجل الكبير، أنا أسعى لأؤلف كتاباً، ولم أصبح مؤلفاً بعد.»

«انتظر حتى أخبر كورين. يجب أن ندعوك إلى العشاء يوماً ما، وعندها، سنكون قادرين على إخبار الناس أننا نعرفك.»

رفع يده وضرب بيلى، وهنا تذكر قول نيك إنك تتوافق مع الناس من دون أن تصاحبهم حقاً. هذا صحيح، يحب بيلى الناس، ويحب إبقاءهم على مسافة قريبة. يبدو وكأنه تناقض، لكنه ليس كذلك.

«ما هو موضوع كتابك؟»

«لا أستطيع أن أخبرك...»، هذا هو المكان الذي يبدأ فيه التحرير، قد يعتقد جورجيو أنه يعرف كل شيء من قراءته لعدد قليل من مجلات الكتاب والمنشورات عبر الإنترنت، لكنه ليس كذلك، ثم أضاف: «ليس لأنه سرّ كبير أو شيء من هذا القبيل، ولكن لأنني يجب أن أبقيه سراً. إذا بدأت الحديث عن ذلك...»، رفع كتفيه.

ابتسم جمال قائلاً: «نعم يا رجل، فهمت.»

4

في تلك الليلة، تصفّح بيلى قناة نيتفليكس على التلفاز الكبير في غرفة المعيشة. كان يعلم أنها كانت شيئاً هذه الأيام، لكنه لم يكلف نفسه عناء

التحقيق فيها عندما يكون هناك الكثير من الكتب لقراءتها. يبدو أن هناك الكثير لمشاهدته أيضاً، فالحجم الهائل للاختيارات مخيف. في النهاية، قرّر الذهاب باكراً إلى الفراش بدلاً من مشاهدة أي شيء، وقبل أن يخلع ملابسه، تأكد من هاتفه، ووجد رسالة نصية من وكيله الجديد.

ج. روسو: التاسعة صباحاً في برج جيرارد. لا تقُدِ السيارة. اطلب سيارة أوبر.

بيلي لا يعرف هاتف ديفيد لوكريدج - لم يعطه جورجيو ولا فرانك ماكتوش أي رقم - وليس لديه هاتف مؤقت، لذا قرر استخدام هاتفه الشخصي بما أن جورجيو استخدم هاتفه الشخصي أيضاً. مع تطبيق المراسلة المشفرة، يجب أن يكون الأمر على ما يرام، وبيلي لديه شيء يحتاج حقاً إلى قوله.

رد بيلي: «حسناً، لا تحضر هوف».

تتابع النقاط بينما يكتب جورجيو رده دليل على أن الأمر لن يستغرق وقتاً طويلاً.

ج. روسو: «يجب أن أحضره. آسف».

النقاط تختفي؛ انتهى النقاش.

أفرغ بيلي جيوبه، ووضع بنطاله في الغسالة مع كل شيء آخر، وقد فعل ذلك ببطء وهو عابس. إنه لا يحب كين، في الحقيقة، لم يعجبه حتى قبل أن يفتح فمه؛ إنه ردّ فعل فطري، أو ما كان والدا جورجيو وأجداده يسمونه الحدس الغريزي. أوضح نص جورجيو ذلك: يجب أن أحضره. ليس الأمر كما لو أن نيك وجورجيو أحضرا شخصاً محلياً إلى أعمالهما، لا سيما أعمال الحياة والموت مثل هذا: هل هوف معنا في العمل بسبب المبنى؟ الموقع، الموقع، الموقع، كما يحب رجال العقارات أن يقولوا؟ أو لأن نيك ليس محلياً؟

ما من شيء يجعل بيلي يتقبل هوف، لقد قال: أنا أعاني من بعض

الصعوبات في هذا العام، لكن بيلى يعتقد أن عليه أن يكون أكثر من مجرد ساع وراء المال ليساهم في مؤامرة اغتيال.

منذ البداية، بدا هوف لبيلى مثل الرجل الذي سيكون أول من سينقلب في غرفة الاستجواب إذا عُرِضت عليه صفقة، فالصفقات، بعد كل شيء، كانت ما قدّمه كين هوف للعالم.

استدار واستلقى في الظلام، ووضع يديه تحت الوسادة، ولم ينظر إلى أي شيء محدد. هناك قليل من حركة المرور في الشارع، فأخذ يتساءل متى سيصبح المليون دولار وكأنهما غير كافيين، أو متى سيصبح المبلغ عبارة عن أموال لا فائدة منها. يبدو الجواب واضحاً: بعد فوات الأوان للتراجع.

5

طلب بيلى سيارة أوبر إلى برج جيرارد وفقاً للتعليمات، ووجد هوف وجورجيو ينتظران أمام البرج. لا تزال شعيرات وجه هوف تجعله يبدو لبيلى مثل المتشرد بدلاً من المتألق الرائع، ولكن بخلاف ذلك كان يرتدي بذلة صيفية خفيفة ويضع ربطة عنق رمادية. من ناحية أخرى، بدا جورج روسو أضخم من العادة، وهو يرتدي قميصاً أخضر غير مدسوس في البنطال، وبنطال جينز أزرق. افترض بيلى أنها الطريقة التي يفكر فيها الرجل السمين بشأن الملابس التي يفترض بوكيل أدبي أن يرتديها في منطقة ريفية، وقد وضع بين ساقيه حقيبة حاسوبٍ محمولٍ.

لم يبدُ هوف الآن على الأقل مثل البائع البوهيمي، ربما بناءً على طلب جورجيو، لكنه لم يكن قادراً على مقاومة التحية الصغيرة المبهجة إذ قال: «من الجيد رؤيتك. رجل الأمن المناوب هذا الصباح، ومعظم أيام الأسبوع، هو إيرف دين. يريد أن يرى رخصة قيادتك ويلقي نظرة سريعة عليك، هل هذا جيد؟».

لا يزال عدد قليل من الأشخاص المتجهين إلى العمل يعبرون الردهة

إلى المصاعد؛ يرتدي بعضهم بذلات، وانتعلت بعض النساء أحذية عالية الكعب التي يعتقد بيلى أنها أحذية ذات نقرة، ولكنه تفاجأ بعدد الذين يرتدون ملابس غير رسمية، حتى إن بعضهم ارتدوا قصصماناً تحمل علامات تجارية. إنه لا يعرف أين يعملون، لكنهم ربما لا يتوافقون مع الجو العام. بدأ الرجل الجالس في منصة الحراسة في وسط الردهة بدينياً ومتقدماً في السن، وقد جعلته الخطوط العميقة جداً حول فمه يبدو وكأنه دمية متكلمة من بطنها بالحجم الإنساني. خمن بيلى أنه شرطي متقاعد، وقد كان زيه عبارة عن سترة زرقاء عليها شارة أمنية بخطّ ذهبي؛ عمل رخيص؛ المزيد من الأدلة على أن هوف في ورطة، لكنها ستكون مشكلة أكبر، إن كان بمفرده في هذا المبنى.

بدأ هوف بلكنته الساحرة، واقترب من الرجل العجوز مبتسماً ومدّ يده قائلاً: «كيف الحال يا إيرف؟ هل كل شيء على ما يرام؟».

«بخير يا سيد هوف».

«كيف حال زوجتك؟».

«التهاب المفاصل يزعجها بعض الشيء، لكنها مع ذلك بخير».

«هذا جورج روسو، لقد قابلته الأسبوع الماضي، وهذا ديفيد لوكريدج، سيكون مؤلفنا المقيم».

قال دين: «تسعدني مقابلتك يا سيد لوكريدج»، علت الابتسامة شفثيه، وجعلته يبدو أصغر سنأً بعض الشيء، «أتمنى أن تعثر على أفكار جيدة هنا».

اعتقد بيلى أن أفضل ما يمكنه أن يقوله: «وهذا ما أتمناه أنا أيضاً».

«هل تمنع أن أسأل عن موضوع كتابك؟».

وضع بيلى إصبعه على شفثيه وقال: «سرّي للغاية».

«حسناً، اسمع، هذا استوديو صغير لطيف ذو خمس نجوم. أعتقد أنك

ستحب ذلك. يجب أن ألتقط صورة لبطاقتك التعريفية الخاصة بالبرج إن

لم يكن لديك مانع».

«بالتأكيد».

«هل لديك رخصة قيادة؟».

سلمه بيلى رخصة القيادة الخاصة بديفيد لوكريدج، فاستخدم دين هاتفاً محمولاً مطبوعاً على الجهة الخلفية منه شعار برج جيرارد لتصوير رخصة القيادة الخاصة به أولاً ثم بيلى نفسه. الآن، هناك صورة له على خوادم الحواسيب الخاصة بالبرج. قال في نفسه إنه لا يهم، فهذه وظيفته الأخيرة، لكنه لم يحبها بعد؛ إنه شعور خاطئ.

«سأعطيك البطاقة عندما تغادر، فأنت تحتاج إلى استخدامها عندما لا يكون هناك أحد على المنصة، فقط ضعها على أداة القارئ هذه، فنحن نحب أن نعرف من في المبنى. سأكون هنا معظم الوقت، وسيحل لوغان مكاني في أيام عطفتي، وعندما نكون كذلك، سنسجل دخولك».

«فهمت».

«يمكنك أيضاً استخدام بطاقتك في مرآب السيارات في شارع ماين، فهي صالحة لمدة أربعة أشهر. لقد دفع وكيلك ثمن ذلك، وسيُرفع الحاجز بمجرد أن أضيفك إلى بيانات الحاسوب. انس أمر ركن السيارة في الشارع عندما تكون هناك جلسة في المحكمة، إذ لا توجد مساحة مخصصة في المرآب لكل سيارة، ولكن في معظم الأيام، ستجد مكاناً في الطابق الأول أو الثاني. لسنا مكتظين الآن». نظر إلى كين هوف نظرة اعتذار، ثم أعاد انتباهه إلى المستأجر الجديد.

«إذا أردت أي شيء، فكل ما هو مطلوب منك هو الضغط على الرقم واحد في هاتف مكتبك، لقد وُضِعَ هاتف أرضي في مكتبك بناءً على طلب وكيلك الأدبي».

قال جورجيو: «لقد كان السيد دين متعاوناً للغاية».

قال هوف بمرح: «إنها وظيفته، أليس كذلك يا إيرف؟».

«صحيح تماماً».

«بلغ زوجتك تحياتي، أخبرها أنني أمل أن تشعر بتحسّن. من المفترض أن تساعد تلك الأساور النحاسية التي يعلنون عنها على التلّفاز».

قال دين: «قد تجرّبها»، لكنه بدا مشككاً وهذا جيد بالنسبة إليه.

عندما اجتازوا منصة الحراسة، رأى بيلي أن رجل الأمن يضع مجلة سبورتنس أليس تريند في حضنه، وهناك فتاة ذات جسد فاتن على الغلاف، وقد دوّن بيلي ملاحظة ذهنية؛ شخصيته الغبية تحب الرياضة، وهو يحب الفاتنات.

استقلوا المصعد إلى الطابق الخامس، وخرجوا إلى ممزّ فارغ.

قال هوف مشيراً: «يشغل مكتب المحاسبة استديوين متصلين، وهناك بعض مكاتب المحامين، وأعتقد أن هناك طبيب أسنان في الجهة المقابلة، ما لم يكن قد ترك عيادته، لأن اللوحة على الباب قد أزيلت».

«يجب أن أسأل المسؤول عن عمليات التأجير، إذ تبدو سائر أجنحة الطابق شاغرة».

فكر بيلي مجدداً أن هذا الرجل في ورطة حقيقية، إنه يخاطر بإلقاء نظرة على جورجيو، لكن جورجيو - جورج - يحدق إلى الباب الذي لا يوجد خلفه طبيب أسنان الآن، كما لو كان هناك شيء لرؤيته.

بالقرب من نهاية الممر، مدّ هوف يده إلى جيب معطفه، وأخرج كيس قماش صغير مع ختم «ب. ج.» ذهبي على المقدمة. «هذا لك، بالإضافة إلى نسختين احتياطيتين».

مزرّ بيلي إحدى البطاقات الرئيسية للقارئ وتقدم إلى ما يمكن أن يكون غرفة استقبال صغيرة.

«يا إلهي، يبدو أنهم نسوا تشغيل التكييف. ثانية واحدة فقط، انتظر»، ضغط هوف على زرّين في وحدة التحكم على الحائط وشعر بالقلق عندما لم يحدث شيء، ثم بدأ الهواء البارد يخرج من فتحة التهوية، وقد لاحظ بيلي أن هوف ارتاح من خلال انسداد كتفيه.

الغرفة المجاورة عبارة عن مكتب كبير يمكن أن تضاهي غرفة اجتماعات صغيرة. لا يوجد مكتب، فقط طاولة طويلة تكفي لجلوس ستة أشخاص - إذا جلسوا كتفاً لكتف - ويوجد عليها كومة من مشابك الدفاتر، وعلبة أقلام، وهاتف أرضي. يفترض بيلى أن هذه الغرفة - أستوديو الكتابة الخاص به - أشد حرّاً من غرفة الانتظار بسبب شمس الصباح، ولم يتكلف أحدٌ عناء خفض الستائر أيضاً. حرك جورجيو ياقة قميصه على رقبته قائلاً: «يا له من حرّاً!».

قال هوف: «سيرد الاستوديو سريعاً»، بدا محموراً بعض الشيء، «هذا نظام تكييف رائع. لقد بدأ بالفعل، هل تشعر به؟».

لم يهتم بيلى بأمر حرارة الغرفة، على الأقل في الوقت الحالي، فتوجّه إلى الجهة اليمنى من النافذة الكبيرة المواجهة للشارع ونظر إلى درجات المحكمة، ثم نظر إلى الباب الصغير الذي يستخدمه موظفو المحكمة وأخذ يتخيل المشهد: سيارة شرطة تتوقف، وربما عربة فيها الشريف أو شرطة المدينة على الجانبين، وتصوّر خروج قوات حفظ النظام. اثنان على الأقل، ربما ثلاثة، أو أربعة؟ على الأغلب لا. سيفتحون الباب على جانب الرصيف إذا كانت سيارة، والأبواب الخلفية إذا كانت عربة، سيشاهد جويل ألين وهو يخرج من السيارة؛ لن تكون هناك مشكلة في اختياره، سيكون الشخص القريب من رجال الشرطة المصفّدة يدها.

عندما يحين الوقت - إذا حان - لن يكون هناك شيء أمام الطلقة. «بيلى»، أغضبه صوت هوف، كما لو كان يوقظه من الحلم. كان هوف يقف عند مدخل غرفة أصغر بكثير، إنها المطبخ الصغير. أشار هوف إلى راحة يده عندما رأى أنه يحظى باهتمام بيلى، مشيراً إلى وسائل الراحة في الشقة.

قال بيلى: «ديف، أنا أدعى ديف».

«فعلاً. آسف، هذا خطأي. هناك موقد صغير ثنائي الرؤوس، ولا يوجد

فرن، لكن يوجد مايكروويف للفشار، ووجبات العشاء، وأياً كان. الأطباق وأواني الطهي في الخزائن، ويوجد حوض صغير لغسل الأطباق، وثلاجة صغيرة. للأسف لا يوجد حمام خاص، يتشارك الرجال والنساء حماماً في نهاية الممر، لكنه على الأقل قريب من هنا، ثم هناك هذا».

أخذ مفتاحاً من جيبه، ووضع في اللوحة الخشبية المستطيلة فوق الباب بين المكتب/ غرفة الاجتماعات والمطبخ الصغير، ثم حرّك المفتاح ودفع اللوحة. يبدو أن المساحة بالداخل يبلغ ارتفاعها ثمانية عشر إنشاً، وطولها أربع أقدام، وعمقها قدمين. إنها فارغة.

قال هوف: «مخزن»، وقلد إطلاق النار من بندقية غير مرئية، «المفتاح حتى تتمكن من قفله أيام الجمعة، عندما يكون موظفو التنظيف...».

كاد بيلي أن يقول ذلك، لكن جورجيو سبقه، وهذا جيد لأنه من المفترض أن يكون المفكر، وليس بيلي سامرز، «لا تنظيف هنا. لا في أيام الجمعة، ولا في أي يوم آخر. مشروع كتابة سرّي للغاية، أتذكر؟ يمكن أن يبقى ديف المكان مرتباً بنفسه. إنه رجل أنيق، أليس كذلك يا ديف؟».

أوما بيلي برأسه؛ إنه فعلاً رجل أنيق.

قال لبيلي: «أخبر دين، وأخبر رجل الأمن الآخر؛ لوغان، أليس كذلك؟ وأخبر برودر؛ ستيفن برودر المشرف على البرج».

أوما بيلي برأسه، وحفظ الاسم.

وضع جورجيو حقيبة الحاسوب المحمول على الطاولة، ودفع أدوات الكتابة جانباً - لفئة وجدها بيلي حزينه ورمزية إلى حدّ ما - وفتحها قائلاً: «ماك بوك برو؛ أفضل ما يمكن شراؤه، قطعة فنية، إنه هديتي لك. يمكنك استخدام الحاسوب الخاص بك إذا أردت، ولكن هذا الشيء... بكل الميزات والإضافات، هل سيمكنك التعامل معه؟ ربما يكون هناك كتاب تعليمات، أو شيء من هذا القبيل...».

«سأكتشف ذلك».

لا مشكلة بهذا، ولكن قد يكون هناك شيء آخر. إذا لم يقم نيك ماغاريان باختراق هذا الحاسوب الأسود الجميل حتى يتمكن من استخدامه لمعرفة ما يكتبه بيلى في هذه الغرفة، فقد فاتته الخدعة، ونيك لا يفوت شيئاً في العادة.

قال هوف: «عزيزي، هذا يذكرني...»، وسلّم بيلى بطاقته الآخرين مع مفتاح الحجرة فوق باب المطبخ الصغير، «إن كلمة مرور شبكة الواي فاي آمنة تماماً كقبو بنك».

هراء، هذا ما فكر فيه بيلى وهو يضع البطاقتين والمفتاح في جيبه. قال جورجيو: «حسناً، أعتقد أننا انتهينا، ستركك لمساعدك الإبداعية. هيا يا كين».

بدا هوف متردداً في المغادرة، كما لو كان يشعر أنه يجب أن يكون هناك المزيد لإظهاره.

«اتصل بي إذا احتجت إلى أي شيء، ب... ديف. أي شيء على الإطلاق. الترفيه؟ تلفاز؟ أو راديو؟».

هز بيلى رأسه موافقاً. لديه مكتبة موسيقية كبيرة على هاتفه، معظمها من النمط الريفي والغربي، كما عليه القيام بالعديد من الأشياء في الأيام المقبلة، ولكن في مرحلة ما، سيجد الوقت ليستمع إلى الأغاني على هذا الحاسوب الجديد الرائع. إذا قرر نيك الاستماع معه، فيمكنه اللحاق بريبا وويلي وجميع أصدقاء هانك جونيور الصاخبين. ربما سيكتب هذا الكتاب بعد كل شيء على حاسوبه المحمول الخاص، والذي يثق به، كما سيتخذ إجراءات أمنية على كلا الحاسوبين؛ الجديد والشخصي، والذي يعتبره كصديق قديم.

أخيراً، أخرج جورجيو هوف، وترك بيلى الذي عاد إلى النافذة بمفرده، ووقف هناك يتتبع منطقتي الرمي: المؤدية إلى الدرجات الحجرية العريضة والأخرى المؤدية إلى باب الموظفين. مرة أخرى تخيل ما سيحدث، ورآه

بوضوح. أحداث العالم الحقيقي ليست تماماً مثل تلك التي تراها في رأسك، لكن هذا العمل يبدأ دائماً بالمشاهدة؛ إنه مثل الشعر بهذه الطريقة. الأشياء التي تتغير هي تلك غير المتوقعة، والمراجعات، ويجب التعامل مع هذه الأشياء عندما تظهر، لكنها تبدأ بالمشاهدة.

رَن هاتفه مشيراً إلى ورود رسالة نصية.

ج. روسو: آسف بشأن هوف. أعلم أنه أحرق بعض الشيء.

رد بيلي: هل أنا مضطر لرؤيته مرة أخرى؟

ج. روسو: لا أعرف.

يفضل بيلي شيئاً أكثر تحديداً، لكن هذا سيفي بالغرض الآن؛ سيتعين عليه ذلك.

6

عندما عاد إلى ما يفترض أنه منزله الآن، كانت بطاقة المبنى الخاصة بديفيد لوكريديج الجديدة في جيبه، وغداً سيقود سيارته المستعملة إلى العمل. وجد على باب الشرفة كيس سماد من ماركة ميراكل - غرو، وضعت عليه ورقة كتب عليها: اعتقدت أنه يمكنك استخدام هذا - جمال أ.

لوّح بيلي بيده صوب المنزل المجاور، مع أنه لم يكن متأكداً من وجود أحد هناك. لقد ظن أن الزوجين أكرمان لا يزالان في العمل، خاصة وأن نصف ساعة لا تزال تفصل عن موعد غروب الشمس. أدخل كيس سماد العشب، وأسندته إلى حائط البهو، بعد ذلك استقل سيارته، وتوجه إلى وول مارت، حيث سيشتري هاتفين مؤقتين - أساسياً واحتياطياً - ووحدتي تخزين ذاكرة، مع أنه قد لا يحتاج سوى إلى واحدة منهما؛ فالواحدة منهما قد تتسع لكل أعمال إميل زولا، ويبقى الجزء الأكبر منها فارغاً، كما أنه سيشتري جهازاً محمولاً رخيصاً من أول تيك، والذي سيضعه في خزانة غرفة نومه، ويجب أن يكون جديداً. دفع نقداً مقابل الهاتفين ووحدتي

تخزين الذاكرة، واستخدام بطاقة ديفيد لوكريدج ليدفع ثمن الحاسوب المحمول. لم يرد استخدام الهاتفين فوراً، وربما لن يستخدمهما، لأن الأمر مرتبط بالاستراتيجية التي سيعتمدها للهرب، وهي لا تعدو في هذه المرحلة عن كونها مجزدة فكرة.

في طريق العودة، توقف عند برغر كينغ، وعندما وصل إلى المنزل الأصفر، وجد طفلين يلعبان على دراجتين أمام الباب؛ فتى وفتاة، الفتى أبيض والفتاة ذات بشرة سوداء، وقد خمن أن الفتاة هي ابنة جمال وكورين أكرمان. سأله الفتى: «هل أنت جارنا الجديد؟».

أجابه بيلى: «صحيح»، واعتقد أنه من الممتع أن يعتاد على اسمه الجديد فأضاف: «أنا ديف لوكريدج. من أنت؟».

«داني فازيو. هذه صديقتي شانيس، أنا في التاسعة من عمري، وهي في الثامنة».

صافح بيلى داني، ثم الفتاة التي نظرت إليه بخجل في الوقت الذي احتضن يدها السوداء بيده البيضاء.

«يسرني التعرف إليكما. هل تستمتعان بإجازتكما الصيفية؟».

أجاب داني: «برنامج القراءة الصيفي جيد، يعطون ملصقات لكل كتاب تقرأه. لقد حصلت على أربعة ملصقات، أما شانيس فحصلت على خمسة، لكنني سألحق بها. بعد العشاء ستوجه إلى منزلي حيث ستلعب مجموعة منا المونوبولي في الحديقة»، أشار إلى شان شارحاً: «وهي ستحضر اللوحة. أنا أفوز دائماً».

الأطفال بمفردهم في القرن الحادي والعشرين - يتعجب بيلى - ماذا عن ذلك؟ عندها فقط لاحظ الرجل السمين الذي يقف على بعد منزلين - مرتدياً قميصاً داخلياً وشورتاً - وهو يراقب الطريقة التي يتعامل بها مع الطفلين.

قال داني وهو يركب دراجته: «حسناً، أراك لاحقاً أيها التمساح».

بعد برهة سأل بيلي: «تمساح؟»، وضحك الطفلان.

بعد ظهر ذلك اليوم، أخذ قيلولته - يُفترض أنه سُمح له بقيلولة بعد الظهر، وخاصة بعد أن أصبح كاتباً - ثم أخذت عبوات من بيرة بدلايت الموجودة في الثلاجة، وتركها على شرفة أكرمان واضعاً إلى جانبها ورقة كُتِب عليها: شكراً على سماد العشب - ديف.
فكّر في سرّه قائلاً: إنها بداية جيدة هنا.

7

في ذلك المساء، بينما كان بيلي يضع سماد العشب، أتى جمال أكرمان حاملاً عبوتين من البيرة التي كانت في ثلاجة بيلي، وكان يرتدي سترة خضراء كتب اسمه عليها بخطٍ ذهبي، وعبارة «كسلنت تاير إلى جانبه، وإلى جانبه فتى صغير يحمل علبة بيبسي».

قال جمال: «مرحباً يا سيد لوكريدج».

«هذا الرجل الصغير هو ابني ديريك، وقد قالت لي شائيس إنها قابلتك».

«نعم، مع رجل صغير يدعى داني».

«شكراً على البيرة. ما الذي تستخدمه؟ يبدو مثل غربال الدقيق الخاص

بزوجتي».

«بالضبط هذا ما هو عليه، فكّرت في شراء جهاز نشر السماد من وول

مارت، ولكنه بدا لي غالياً...»، نظر إلى الرقعة الصغيرة الخاوية ورفع كتفيه.

«يبدو أنه يعمل بشكل جيد، وقد أجزّبه بنفسه، ولكن ماذا بشأن الفناء

الخلفي؟ يبدو العشب طويلاً».

«يفترض بي أن أجزّه، ولكنني لا أملك جزّازة».

قال ديريك: «يمكنك استعارة جزّازتنا، أليس كذلك يا بني؟»، مسدّد

جمال شعر الطفل الذي أجاب: «طبعاً، متى أراد».

قال بيبي: «لا، هذا كثير جداً، سأشتري واحدة».

توجهوا إلى المصطبة، وجلسوا على الدرج. فتح بيبي البيرة وشرب قائلاً: «لقد أتت البيرة في وقتها المناسب».

سأله ديريك وهو يجلس بينهما: «ما هو موضوع كتابك؟».

أجاب مبتسماً: «سزيّ للغاية».

«نعم، لكن هل هو خيالي أم واقعي؟».

«إنه يجمع بعض الشيء بينهما».

عندها تدخل جمال قائلاً: «هذا يكفي، ليس من اللياقة التطفل».

من الجهة البعيدة، اقتربت امرأة ذات شعر رمادي في أواسط العقد الخامس من عمرها من أحد المنازل، واضعة أحمر شفاه لامعاً، وحاملة كأساً زجاجية وهي تترنح في مشيتها.

قال جمال بصوتٍ حرص على أن يقيه منخفضاً: «هذه السيدة كيلوغ، لقد توفي زوجها العام الماضي بعد أن أصيب بجلطة دماغية وهو يجزّ العشب»؛ محاولاً أن يقول ذلك بلطف.

سألت السيدة كيلوغ: «هل هذه حفلة؟ هل يمكنني المشاركة؟»، مع أنها كانت بعيدة ولم يكن هناك ريح، إلا أن بيبي شمّ رائحة الجنّ في أنفاسها وأجابها: «طبعاً، إذا لم يكن لديك مانع في الجلوس على المصطبة»، نهض بيبي ومدّ يده معزفاً عن نفسه: «ديف لوكريدج».

في غضون ذلك، أتى من المنزل المجاور الرجل الذي كان يراقب تفاعل بيبي مع شانيس وداني وقد استبدل قميصه الداخلي والشورت بجينز وقميص ماسترز أوف ذا يونيفيرس برفقة سيدة شقراء طويلة ونحيفة ترتدي فستاناً وتنتعل حذاءً رياضياً، وكان يحمل بيده ما بدا أنه طبق من الحلوى، بعدها أتت زوجة جمال وابنته، فدعا بيبي الجميع إلى الداخل حيث يمكنهم الجلوس على كراسٍ فعلية.

ظنّ أن سكان الحيّ يرحّبون به.

الرجل الذي يرتدي قميص ماسترز أوف ذا يونيفيرس وزوجته الشقراء النحيلة هما آل راغلاند. أتى آل فازيو أيضاً، ولكن ابنهما لم يكن معهما، ولحق بهما آل بيترسون من نهاية الحي، وجلبا معهما زجاجة من النبيذ الأحمر. امتلأت غرفة المعيشة؛ إنها حفلة مرتجلة صغيرة لطيفة. بدا بيلى مستمتعاً، ويرجع ذلك جزئياً إلى أنه لا يتعين عليه العمل على إبراز الشخصية الغبية، لقد أحب كل ذلك، حتى جين كيلوغ التي بدت نزقة للغاية، ولم تكف عن دخول الحمام الذي تُطلق عليه اسم بيبي. بحلول الوقت الذي غادر فيه الجميع - باكراً، لأن الغد هو يوم عمل - عرف بيلى أنه سيتأقلم هنا، وسيكون موضع اهتمام لأنه يكتب كتاباً، وهذا ما رآه غريباً، لكنه سيمرّ. بحلول منتصف الصيف، بافتراض أن جويل ألين لن يأتي باكراً إلى مواعده مع الرصاصة، سينظر إليه الجميع هنا باعتباره جاراً، ولن ينظر إليه أحد في الشارع باعتباره رجلاً غريباً.

علم بيلى أن جمال هو رئيس العمال في معمل إكسلنت تاير، وسبق لكورين أن عملت في المحكمة. يا له من عالم صغير! وأن ديان فازيو تجالس شانيس خلال العطلة الصيفية بينما يكون جمال وكورين في العمل. ذهب ديريك شقيق شانيس إلى المخيم النهاري، وسيذهب إلى مخيم كرة السلة في شهر آب. كما علم أن آل دوغان، الذين انتقلوا فجأة من المنزل الأصفر في أكتوبر الماضي (تم التلاعب بهم كما قال بول راغلاند)، كانوا متعجرفين، وبالتالي، فإن ديف لوكريدج هو بديل جيد. بعد إطلاقه للرصاصة، سيخبر هؤلاء الجيران المراسلين أنه بدا رجلاً لطيفاً. لم ير بيلى في الأمر معضلة، فهو يرى نفسه أنه رجل لطيف يعمل عملاً قديراً، ولكنه لا يظن أن قذارته دنيئة، فهو لم يطلق النار على طفل يبلغ من العمر خمسة

عشر عاماً في طريقه إلى المدرسة، بخلاف ما ظن أن جويل ألين المعروف باسم جو قد فعل.

قبل النوم، فتح حقيبة الحاسوب المحمول الذي اشتراه من متجر أول تيك، وشغله، وبحث عبر موقع غوغل عن كين هوف. إنه تقريباً أهم شخصية في ريد بلاف، إنه كالنار على علم هنا، وفي الوقت الحالي هو عضو في الروتاري، وسبق له أن ترأس فرع جايسيز⁽¹⁾ المحلي، والهيئة المحليّة الانتخابيّة للحزب الجمهوري خلال دورة انتخابات عام 2016، وهناك صورة لكين وهو يعتمر قبعة حمراء كتب عليها «لنجعل أميركا عظيمة مجدداً»، وهو أيضاً عضو سابق في مجلس تخطيط المدينة، لكنه استقال في العام 2018 بعد اتهامات بتضارب المصالح. يمتلك ستة مبانٍ في وسط المدينة، بما في ذلك برج جيرارد، والذي يفترض ببلي أنه يجعله نموذجاً مصغراً من دونالد ترامب. بالإضافة إلى ثلاث محطات تلفاز، واحدة هنا في ريد بلاف واثنان في ألاباما؛ الثلاثة لها علاقة بالترفيه، وهو ما يفسر على الأرجح إشارة هوف إلى «دابليو دابليو إي». لقد طلق مرتين، وهذا يعني أنه مزواج، وقد ألغى خطط بناء ملعب للغولف أواخر العام الماضي، وعلّق خطة لبناء مبنى آخر في وسط المدينة، وكذلك قدّم طلباً للحصول على رخصة كازينو. بشكل عام، يبدو أن إمبراطورية الرجل التجارية تترنح، ولن تحتاج سوى إلى دفعة صغيرة لتنهيار.

توجّه ببلي إلى السرير، وتمدّد محدّقاً في الظلام واضعاً يديه تحت الوسادة. لقد بدأ يفهم سبب انجذاب نيك إلى كين هوف، ولماذا انجذب كين هوف إلى نيك. يمكن أن يكون نيك ساحراً (ابتسامة المليون دولار)، وهو أذكى من الدب العادي، ولكن عندما تقترب منه تعرف أنه ضبع، وما تجيده الضباع هو محاصرة الماشية العابرة والتقاط أضعفها، أما كين هوف، فسيكون كبش الفداء، ولن يُتهم بالقتل، لأنه ستكون لديه حجة غياب عن

(1) الغرفة التجارية.

المكان، ولكن عندما ستبدأ الشرطة بالبحث عن الشخص المحرّض على القتل، سيكون نيك قد اختفى، ولن يكون أمامهم سوى كين، وهذا ما لم يجد فيه بيلى ضيراً.

لقد دَفِنَت المنطقة الباردة تحت الوسادة، فما كان منه سوى أن ينقلب إلى الجهة اليمنى، ويغطّ سريعاً في النوم؛ فقد اختبر اليوم مدى صعوبة أن يكون المرء جاراً جيداً.

مكتبة ياسمين

t.me/yasmeenbook

الفصل الرابع

1

في اليوم التالي، أوصل بيلى جهاز الماك بوك برو الجديد في المكتب الذي يقع في الطابق الخامس، وحمل تطبيق سوليتير؛ لتطبيق السوليتير عشرات الإصدارات المختلفة، وقد اختار منها بيلى إصدار كان فيلد، وجهاز الحاسوب لينتظر فترة توقف مدتها خمس ثوانٍ قبل كل حركة. إذا اختار نيك أو جورجيو التجسس على نشاطاته ومتابعتها (أو تكليف فرانكي إيفيس بهذه المهمة)، فلن يعلموا أبداً أن الحاسوب يلعب بمفرده.

ذهب بيلى إلى النافذة، ونظر إلى الخارج حيث ركنت سيارات على جانبي شارع المحكمة، أغلبها سيارات شرطة، وقد جلس إلى الطاولات المحمية بمظلات في صنسبوت كافيه أناسٌ يتناولون الدونات. شاهد قلة من الناس ينزلون درج المحكمة العريض، ولكنه رأى كثيرين يصعدونه، وقد أظهرت الخطوات المهرولة للبعض شيئاً من لياقتهم البدنية، بينما تهادى آخرون في حركتهم؛ معظم المتعبين كانوا محامين، ويمكن تمييزهم من خلال حقائبهم الضخمة التي تشبه الصندوق. ستعقد المحكمة جلسة قريباً. شاءت الصدفة، وربما من أجل تأكيد ما توصل إليه، أن تتحرك حافلة صغيرة - كانت حمراء يوماً ما، والآن أصبحت وردية اللون - ببطء أسفل الشارع المزدهم متجاوزة خطوات المارة، وتوقفت خارج الباب الأصغر في الطرف الأيمن من المبنى الحجري الكبير. عندما فُتح باب الحافلة خرج شرطيٌّ ثم تبعه رهط من السجناء في بذلاتهم البرتقالية، ثم شرطي آخر. التفّ السجناء حول الحافلة، وعندما فُتح باب مدخل الموظفين، ودلف الرجال الذين يرتدون الزي الرسمي إلى الداخل حيث سينتظرون ريثما

يُسْتَدْعُونَ. تلك تجربة مثيرة للاهتمام، وتستحقّ حفظها، ولكن عندما فكّر بيلي رأى أن نيك محقّ: عندما يأتي ألين، سيرافق إلى أعلى درجات المدخل الرئيسي. في الحقيقة، لم يكن الأمر مهماً، فهو سيطلق الرصاصة أياً يكن الأمر، فما يهمه هو أن شارع المحكمة مزدحم خلال أسبوع العمل، وقد يقلّ عدد الناس في الشارع بعد الظهر، إلا أن معظم المحاكمات تحصل قبل الظهر.

قال نيك: «كنت دائماً ما تمارس الجنس مثل هوديني عندما يتعلق الأمر بالضرب ثم الهرب، وعندما يحين الوقت الذي تستقر فيه الأمور ستكون قد رحلت بعيداً».

من الأفضل أن يكون كذلك، لأن الهرب جزء من المهام التي يدفعون له من أجلها، وهو جزء مهم. يعلم نيك تماماً أن لاستخدام بيلي مزايا معينة إن فشلت عملية الهرب. لا أصدقاء له ولا أقارب يمكنهم الضغط عليه - أو استخدامهم للضغط عليه - لإفشاء اسم مُشغله.

على الرغم من أن نيك لا يعتبر بيلي الأفضل في مجاله، إلا أنه يعلم أنه ذكي بما يكفي لإدراك أنه لا يستطيع عقد صفقة مع المدعي العام من خلال البوح باسم المحرّض من أجل تغيير التهمة الموجهة إليه من قتل مع سبق الإصرار والترصد إلى قتل عن طريق الخطأ، فعندما تطلق النار على رجل بقناصة من الطابق الخامس من المبنى الذي أقمت فيه أسابيع أو شهوراً، فلن يكون هناك جدالّ حول التهمة التي ستكون قتلاً عن سبق الإصرار والترصد، ولن ينجو من الإعدام لينفّذ جريمة أخرى.

مع ذلك، إن قبض على بيلي، فلن يقدم له الادعاء سوى عرض واحد، وهذا ما يعرفه نيك جيداً. هذه الولاية تطبق عقوبة الإعدام. قد يُقدّم نائب محامٍ عامّ ذكي فرصة الحياة لبيلي في سجن رينكون بدلاً من الإعدام؛ إن تحدّث وذكر اسم المحرّض. يفترض بيلي أنه لا يزال بوسعه إبعاد نيك عن الأمر إن وصلت الأمور إلى هذا الحد، إذ يمكنه أن يذكر اسم كين هوف،

لأن هوف لن يعيش طويلاً إن قبض رجال الشرطة على بيلى سامرز وهو يغادر برج جيرارد. أياً يكن الأمر، قد لا يعيش هوف طويلاً، فنادراً ما يعيش الحمقى عندما يتعاملون مع أمثال نيك ماغاريان.

قد لا يعيش بيلى طويلاً، لأن الحرص دائماً ما يكون أنجع من الندم؛ قد يسقط من أعلى درج السجن ويدها مكبلتان خلف ظهره، وقد يُطعن في الحمام بفرشاة أسنان حادة أو بحشو قطعة صابون في حلقه، ولكن السؤال، هل يريد بيلى قضاء كامل حياته في السجن؟ بالطبع لا. الموت أفضل من السجن، ويُفترض أن نيك يعرف ذلك أيضاً.

لن تُشكّل أيّ من التهديدات السابقة خطراً طالما لم يُقبض عليه، وهذا ما لم يسبق له أن حصل، لقد تمكّن من الفرار في المرات السابقة، لكنه لم يواجه موقفاً كهذا من قبل، فلا تبدو هذه المرة شبيهة بالمرات التي أُطلق فيها النار من أحد الأزقة، حيث تكون إلى جواره سيارة مستعدة لإخلائه، والتي حُدّد لها أفضل مسار آمن لمغادرة المدينة.

كيف ستختفي إن أطلقت النار على رجل من الطابق الخامس من مبنى مكاتب في وسط المدينة وبوجود عدد كبير من رجال شرطة المدينة والمقاطعة في الجهة المقابلة من الشارع؟ يعرف بيلى تماماً كيف يحصل هذا في الأفلام: سيستخدم مطلق النار الشرير كاتماً للصوت وخافياً للوميض، وهذا مستحيل في هذه المهمة، فالهدف سيكون على مسافة بعيدة نسبياً، وإن أخطأ الهدف فنن يكون لديه فرصة أخرى، عدا عن حتمية حصول صوت واضح للرصاص التي ستحترق الزجاج، حيث سيكون كاتم الصوت عديم الأهمية عندها.

أضف إلى ذلك أن بيلى مشكلة شخصية مع كواتم الصوت؛ فهو لا يثق بها.

يعتقد بيلى أن وضع أداة في نهاية فوهة بندقية جيدة يُعدّ مخاطرة قد تؤدي إلى حرف الرصاص عن هدفها، لذلك سيكون الصوت قوياً، وسيعرف

الناس مصدره بسرعة، وذلك عندما يتوقفون عن المهمة وينظرون إلى الأعلى، ويرون نافذة في الطابق الخامس تنقصها دائرة من الزجاج، لأن تلك النوافذ لا يمكن فتحها.

لا تثبط المشاكل من عزيمة بيلى، بل على العكس تماماً، إنها تحفزها. ما من شك أن هوديني كان سيفكر في محاولة فرار محفوفة بالخطر، كأن يقيّد بالسلاسل داخل خزانة، ويلقى به في النهر الشرقي، أو يدلى من ناطحة سحاب بواسطة حبل. لا يملك بيلى خطة كاملة بعد، لكنه أمسك طرف الخيط. كانت مواقف السيارات مزدحمة أكثر بقليل في المستويين الأولين مما أشار إليه إيرف دين، وقد يكون جدول أعمال المحكمة مزدحماً اليوم على وجه التحديد، ولكن بحلول الوقت الذي وصل فيه بيلى إلى الطابق الرابع كان قد حدّد بالفعل مجموعة البقع المستهدفة. بعبارة أخرى، الخصوصية أمر جيد، ولا يشك بيلى في أن هوديني كان سيوافق الرأي. عاد إلى الطاولة، حيث لا تزال لعبة كان فيلد تعمل على جهاز الماك بوك برو باهظ الثمن. شغل حاسوبه الشخصي وزار موقع أمازون حيث يمكن شراء أي شيء.

2

فقط السيارات المصرح لها يمكنها أن تركز بجانب الرصيف أمام برج جيرارد. بحلول الساعة الحادية عشرة والربع ركنت عربة رُسم على جانبها قبة كبيرة كتب تحتها مأكولات خوسيه، وتحتها الطعام للجميع، وبدأ الناس بمغادرة المبنى، متوجهين نحو العربة كالنمل الذي جذبه السكر، وبعد خمس دقائق توقفت عربة أخرى خلف الأولى. على جانب العربة صورة فتى كرتوني مبتسم أسفل قطعة من البرغر بالجبن، وعند الساعة الحادية عشرة والنصف، وبينما كان الناس يقفون للحصول على البرغر، والبطاطا المقلية، والتاكو، والأنشلادا، ظهرت عربة نقائق فجأة، عندها

أدرك بيلى أن أوان الأكل والتعرف إلى بعض الجيران قد آن.
هناك أربعة أشخاص ينتظرون المصعد، ثلاثة رجال وامرأة؛ إنهم
يرتدون جميعاً ملابس العمل، وبدوا أنهم في أواسط العقد الثالث من العمر،
ربما كانت المرأة أصغر، فانضم بيلى إليهم، وعندها سأله أحدهم إن كان
الكاتب الجديد المقيم... كما لو أن بيلى قد حل محل كاتب قديم. زعم
بيلى أنه كذلك فعلاً، وقدم نفسه، وبدورهم قدموا أنفسهم: جون، وجيم،
وهاري، وفيليس. وبعد التعارف استفسر بيلى عن الأشياء الجيدة في الأسفل
ليقترح جون وهاري العربة المكسيكية.

قال جون: «تاكو السمك ممتاز»، وقال جيم إن البرغر ليس سيئاً، وإن
حلقات البصل ممتازة، وقالت فيليس إنها تحب تقانق بيتي الحارة.
قال هاري: «لا شيء منها يُعْتَبَرُ فاحراً، لكن لا بأس بها».
استفسر بيلى عن المقهى في الجهة المقابلة من الطريق، فهز الأربعة
رؤوسهم.

كان وقع هذا الإجماع الفوري فكاهياً على بيلى فابتسم.
قال هاري: «ابتعد عنه، إنه مزدحم في وقت الغداء».
وأضاف جون: «وأسعاره مرتفعة. لا أعرف عن الكتاب، ولكن عندما
تعمل في شركة حمامة ناشئة، فعليك أن تراقب نفودك بشكل أفضل».
سأل بيلى فيليس عندما انفتح باب المصعد: «هل يوجد الكثير من
المحاميين في المبنى؟».

فأجابته: «لا تسألني، بل اسألهم. أنا أعمل في كرسنت أكاونتينغ.
أجيب على الهاتف، وأتحقق من الاستردادات الضريبية⁽¹⁾».

قال هاري: «القانونيون منا قليلون، بعضهم في الطابقين الثالث والرابع،
وقليل منهم في الطابق السادس. أعتقد أن هناك شركة بناء ناشئة في الطابق
السابع، وأعلم أن هناك استوديو تصوير في الطابق الثامن؛ إنهم يصورون
الاسترداد الضريبي هو إعادة مبلغ زائد دُفع للحكومة الفيدرالية أو حكومة الولاية.»

أشياء تجارية للكتالوجات».

قال جون: «لو كان هذا المكان برنامجاً تلفازياً لسمّوه «المحامون الصغار». تقع الشركات الكبيرة غالباً على بعد مجمعين أو ثلاثة، في الجهة المقابلة للمحكمة في شارعِي هولاند ستريت وإيمري بلازا. نحن قريبون هنا لنحصل على الفتات الذي يسقط عن طاولة الكبار».

أضاف جيم: «ونتظر حتى يموتوا، معظم المحامين في الشركات القديمة هم كالديناصورات التي ترتدي بذلات من ثلاث قطع ويبدون مثل بوس هوغ»⁽¹⁾.

فكر بيلى في اللافتة الأمامية: مساحات مكتبية وشقق فاخرة متاحة حالياً، إذ بدأ الأمر وكأنها هناك منذ مدة، وكحال هوف، فقد كانت تعكس شيئاً من اليأس. أطرى هاري على بيلى قائلاً: «أربع سنوات بسعر لا يصدق، بالإضافة إلى ذلك، سيظل عقد الإيجار ساري المفعول حتى لو أعلن مالك المبنى، هوف، إفلاسه».

قال جيم: «المحامي الذي يُخالف عقد التأجير الخاص به يستحق الإفلاس».

ضحك المحامون الشباب وابتسمت فيليس. فتح باب المصعد معلناً وصولهم إلى الردهة، فأسرع الرجال الثلاثة الخطى لأنهم جائعون، أما بيلى فعبّر الردهة مع فيليس بخطوات أبطأ؛ إنها امرأة حسنة المظهر بطريقة بسيطة.

قال: «أشعر بالفضول حيال شيء ما».

ابتسمت قائلة: «إنه جزء مما يفعله الكتاب، أليس كذلك؟ الفضول».

(1) جيفرسون ديفيس المعروف باسم بوس هوغ، وهو شخصية خيالية ظهرت في المسلسل التلفزيوني الأمريكي The Dukes of Hazzard. كان مفوض مقاطعة هازارد، والرئيس السياسي للمقاطعة، وكان يرتدي دائماً بدلة بيضاء بالكامل مع قبعة رعاة بقر بيضاء ويدخن سيجاراً؛ إنه يعبر عن شخص سيئ غير فعال.

أشار إلى زوجين يقتربان من الباب قائلاً: «أفترض ذلك. أرى الكثير من الناس الذين يرتدون ملابس غير رسمية مثل هذين الشخصين»؛ كان الرجل يرتدي الجينز الأسود وقميصاً، أما المرأة الحامل التي ترافقه فكانت ترتدي ثوباً يكشف بطنها بدلاً من إخفائه، وكان شعرها مربوطاً على شكل ذيل حصان بربطة مطاطية حمراء؛ «لا تقولي لي إنهما محاميان أو مساعداً مهندس، أعتقد أنهما يعملان في استديو التصوير، ولكن هناك عدداً كبيراً منهم».

«إنهم يعملون في بيزنس سوليوشنز في الطابق الثاني؛ إنها وكالة تحصيل⁽¹⁾؛ ونحن نطلق عليهم اختصار بي أس⁽²⁾». تجعد أنفها كما لو أنها شمّت رائحة كريهة، لكن يبلي استشعر شيئاً من الحسد في صوتها. قد يكون ارتداء الملابس من أجل النجاح مثيراً للاهتمام في البداية، ولكن مع مرور الوقت يصبح عبثاً، خاصة بالنسبة إلى النساء؛ الشعر الجيد، والمكياج الجميل، والحذاء عالي الكعب. لا شك أن تلك المرأة الجميلة في شركة المحاسبة في الطابق الخامس تفكر من وقت إلى آخر في مقدار الراحة الذي ستشعر به عند ارتداء بنطلون جينز وبلوزة، مع لمسة بسيطة من أحمر الشفاه. أضافت فيليس قائلة: «لست بحاجة إلى ارتداء الملابس عندما تقضي يومك في العمل على الهواتف في مكتب كبير مفتوح. لا يراك جمهورك المستهدف عندما تطلب منهم أن يدفعوا المال أو سيقوم المصرف بحجز منازلهم»، وقفت على مقربة من الأبواب متسائلة: «أتساءل عما يصنعونه». «لا أعتقد أنك تحسبين الضرائب التي يجب أن يستردها».

(1) وكالة التحصيل هي شركة يستخدمها المقرضون والدائنون لاسترداد الأموال التي تخلف المدينون عن سدادها أو التي فات موعد استحقاقها.

(2) اسم شركة التحصيل في اللغة الإنكليزية Business Solutions وإذا اختصرنا الحرفين الأولين من الاسم BS فهما يشكلان في اللغة الإنكليزية اختصاراً لـ bullshit والتي يعني تعريبها اللطيف هراء.

«اعتقادك في مكانه، لكن ضع بالحسبان أنك إن حققت نجاحاً كبيراً في كتابك يا سيد لو كريدج، فإن شركتي جيدة، أعتقد أنني أملك بطاقة في حقيتي...».

لمس بيلى معصمها قبل أن تبدأ بحثاً جدياً في الحقيقة قائلاً: «لا تزعجي نفسك، عندما أحقق نجاحاً كبيراً، سأنزل وأطرق بابك بنفسى». ابتمت له ونظرت إليه نظرة ثابتة؛ لا يوجد خاتم زواج أو خطوبة. رأى بيلى أنه لو كانت الظروف مختلفة فستكون هذه اللحظة مناسبة لدعوها لاحتساء شراب بعد العمل. ربما ترفض، ولكن تلك النظرة من تحت رموشها وتلك الابتسامة جعلتاه يعتقد أنها ستوافق، لكنه لن يطلب ذلك. إنه منفتح على لقاء الناس ومبادلتهم الإعجاب، لكنه لن يتقرب من أحدهم؛ فالتقرب فكرة سيئة، وأمر خطير. قد يتغير ذلك بعد أن يتقاعد.

3

اشترى بيلى البرغر ومشى عبر الحديقة وجلس على أحد مقاعد الساحة مع المحامي جيم، اسمه الكامل جيم أولبرايت. قال وهو يسمك حلقة بصل كبيرة: «جرب واحدة من هذه، إنها لذيذة جداً».

«بالفعل»، قال بيلى مؤكداً على ضرورة حصوله على حصة من تلك الحلقات، ووافق جيم الرأي. حصل بيلى على حلقاته في قارب ورقي صغير مع بعض مغلفات الكاتشب، وعاد ليجلس بجانب جيم. «حسناً، ما هو موضوع كتابك يا ديف؟».

وضع بيلى إصبعاً على شفثيه قائلاً: «سري لل غاية».

«حتى وإن وقعت على اتفاقية سرية، فإن جوني كولتن متخصص في تلك الأمور»، مشيراً في قوله إلى أحد زملائه الموجودين بالقرب من العربة المكسيكية.

«وإن كان كذلك، فلن أفصح عن الموضوع».

«أحب حذرَكَ، كنت أعتقد أن الكتاب يحبون التحدث عمّا يعملون عليه».

قال بيلي: «أعتقد أن الكتاب الذين يتحدثون كثيراً يكتبون قليلاً، لكن بما أنني الكاتب الوحيد الذي أعرفه حقّ المعرفة، فإن ذلك يبقى مجرد تخمين»، ثم قال ليغير الموضوع بالكامل: «انظر إلى زيّ ذلك الرجل هناك عند عربة النقانق، ذلك ليس زيّاً تراه كلّ يوم».

انضمّ الرجل الذي أشار إليه إلى بعض زملائه عند عربة الطعام المكسيكية، وبالرغم من كونه بين الموظفين الآخرين في شركة بيزنس سوليوشنز، إلا أن مظهره كان مميزاً عن البقية، فقد ارتدى بنطالاً ذهبيّ اللون فضفاضاً أعاد بيلي إلى فترة طفولته في ولاية تينيسي عندما ارتدى بعض صعاليك البلدة المحتملين أزياء شبيهة لحضور رقصات ليلة الجمعة في رولر دوم، بالإضافة إلى قميص عالي الياقة، كالذي ترتديه فرق موسيقى الروك البريطانية في فيديوهات يوتيوب القديمة، واعتمر قبعة إنكليزية انسدل من تحتها شعر أسود كثيف على كتفيه.

ضحك جيم قائلاً: «هذا كولن وايت، إنه يبدو مثل لوحة أزياء، أليس كذلك؟ إنه مبهج كظهيرة يوم أحد في باريس. يتقوقع المثلثيون على أنفسهم لكن كولن ذاك هو فراشة اجتماعية عادية»، هزّ جيم رأسه وتابع: «هو كذلك في وقت الغداء على الأقل. أتساءل عن طباعه في باقي أوقات اليوم عندما يتنمّر على الأرامل والأطباء البيطريين الفقراء. لا بد أنه يجيد عمله، فقد حصلت تغييرات كبيرة في شركته وهو يعمل فيها قبل وصولي للعمل هنا».

«منذ متى وأنت تعمل هنا؟».

«منذ ثمانية عشر شهراً، في بعض الأحيان يأتي كولن مرتدياً تنورة؛ أقسم لك؛ وأحياناً يأتي مرتدياً عباءة. يملك أيضاً زي مايكل جاكسون ذلك الشبيه بملابس سلاح الفرسان المزوّد بكتفيات وأزرار براقّة؟».

أوماً بيلى برأسه؛ كان كولن وايت في هذه اللحظة يحمل علبة من الورق المقوى تحتوي شطيرتي تاكو تاكو، وتوقف للتحديث مع فيليس، وقال لها شيئاً جعلها تقهقه.

قال جيم بما يبدو كعاطفة حقيقية تجاه الرجل: «إنه دمية».

مشت فيليس، ثم جلست مع بعض النساء، وأفسح زوجان من أتباع كولن وايت مكاناً له. قبل أن يجلس، وضع قدماً خلف الأخرى وأدى استدارة سريعة. حَمَن بيلى أن طول كولن حوالى ست أقدام على أحسن تقدير؛ ربما يكون جزءاً من الخطة، بعد الطابق الرابع من مرأب السيارات، وربما المزيد من أجهزة الحاسوب المحمولة، والآن كولن وايت الذي يبدو مثل طائر نادر الريش.

4

بعد ظهر ذلك اليوم، ضبط جهاز الماك بوك برو ليلعب بنفسه لعبة غريبانغ، مع تأخيرٍ لمدة خمس ثوانٍ قبل كل حركة لللاعب الأول، كما ضبط الجهاز ليتمكن اللاعب 2 من هزيمة اللاعب 1 في كل مرة، الأمر الذي سيقيد انتباه المتطفلين لمدة ساعة تقريباً، ثم شغل حاسوب الماك الخاص به وعاد إلى موقع أمازون واشترى اثنين من الشعر المستعار: الأول أشقر قصير والثاني أسود طويل. في ظروف مختلفة كان سيطلب وصول الطرد إلى صندوق البريد في البيت الأصفر، ولكن لا جدوى من فعل ذلك، خاصة عندما يعرف قبل غروب يوم إطلاق النار أن الفاعل هو ديفيد لوكريدج.

بعد الانتهاء من موضوع الشعر المستعار، وضع دفترًا فارغاً بجوار حاسوبه المحمول، وبدأ جولة افتراضية بحثاً عن المنازل وشقق الإيجار، فعثر على بعض المنازل المناسبة، لكن لا يمكن البدء بأي تحقيق ميداني قبل حصوله على ما طلبه من أمازون.

لم تكن الساعة قد تجاوزت الثانية من بعد الظهر عندما أنهى البحث الافتراضي عن منزل. لا يزال اليوم طويلاً؛ حان الوقت لبدء الكتابة فعلياً؛ لقد فكّر بالأمر ملياً. في البدء، ظنّ أنه سيستخدم حاسوبه الخاص، إذ إن استخدامه لحاسوب الماك بوك برو يعني أن صاحب العمل - وربما وكيله الأدبي - يمكن أن يقرأ من دون علمه، ما جعله يفكر في الأخ الأكبر في رواية 1984.

هل سيشعر نيك وجورجيو بالريبة إن نظرا ولم يجدا أيّ نسخة؟ يعتقد بيلى أن ذلك وارد جداً، فهما لن يقولوا شيئاً، ولكن قد يجعلهما ذلك يعتقدان أن بيلى يعرف عن التطفل والقرصنة أكثر ممّا يريد هما أن يعرفا. هناك سبب آخر للكتابة على جهاز الماك بوك برو، بالرغم من أنه قد يتمّ التجسس عليه؛ إنه تحدّ. هل يمكنه فعلاً كتابة نسخة ذاتية خيالية من قصة حياته؟ إنه أمر محفوف بالمخاطر، لكنه يعتقد أنه قد يستطيع ذلك. كتب فوكنر رواية الصخب والعنف، وكتب دانيال كيز زهور الغرنون، وقد يكون هناك المزيد.

خرج بيلى من لعبة غريباغ الآلية، وفتح مستند وورد فارغاً. بعنوان قصة بنغي كومسون إشارة إلى فوكنر وهو واثق أن نيك أو جورجيو لن يفتحاها. جلس لثوانٍ معدودةٍ ناقراً أصابعه على صدره وممعناً النظر في الشاشة البيضاء.

أعتقد أن تلك مجازفة مجنونة.

أعتقد أن هذا سيكون العمل الأخير، وكتب الجملة التي كان يحتفظ بها في ذهنه لهذه المناسبة فقط: عاد الرجل الذي عاشت أمي معه إلى المنزل بذراع مكسورة.

نظر إلى ما كتبه لدقيقة تقريباً، ثم عاود الكتابة.

لا أذكر اسمه، لكنه كان في غاية الغضب. أعتقد أنه ذهب إلى المستشفى أولاً لأنه كان يضع جبيرة. أختي

هزّ بيلى رأسه ليشعر بأنه أفضل حالاً، وهو بالفعل كان يعتقد أنه أفضل حالاً.

عاد الرجل الذي عاشت أمي معه إلى المنزل بذراع مكسورة. أعتقد أنه ذهب إلى المستشفى أولاً لأنه كان يضع جبيرة. وكانت أختي تحاول إعداد البسكويت، لكنها أحرقتة. أعتقد أنها نسيت مراقبة الوقت. عندما عاد ذلك الرجل إلى المنزل كان غاضباً للغاية. لقد قتل أختي، ولكنني لا أتذكر اسمه حتى.

نظر إلى ما كتبه، واعتقد أن بإمكانه المتابعة؛ لقد أراد أن يكتب حقاً. قبل البدء بالكتابة، كان يقول: إنني أتذكر شيئاً مما حدث، ولكنه يشعر الآن أنه يتذكر المزيد، فتلك الفقرة القصيرة فتحت باباً ونافذة. لا يزال يذكر رائحة السكر المحترق، والدخان يتصاعد من الفرن، والرقائق على جانب الموقد، والزهور في فنجان الشاي على الطاولة، وبعض الأطفال في الخارج الذين يرددون: «حبة بطاطا، حبتا بطاطا، ثلاث حبات بطاطا، أربع حبات بطاطا». لا يزال يذكر التراب الذي خلّفه حذاء ذلك الرجل وهو يصعد الدرج؛ ذلك الرجل، ذلك الخليل. إنه يتذكر الاسم الآن، كان بوب راينز. يذكر عندما سمع الرجل يضرب أمه بقبضتيه، ينهال بوب على أمي بالضرب. يذكر ابتسامتها بعد ذلك وتبريرها بأنه لم يكن يقصد ذلك، وأن ذلك كان خطأها.

كتب بيلى لساعة ونصف، وأراد أن يتابع لكنه كبح نفسه. إن نظر نيك أو جورجيو أو حتى إيفيس إلى ما يكتبه، فسرون الشخصية الغبية تسير ببطء وتعاني مع كل جملة. هو ليس بحاجة لأن يخطئ تهجئة الكلمات عمداً على الأقل؛ لأن تلك التي لا يصححها الحاسوب تلقائياً يظهر تحتها خط أحمر. عند الساعة الرابعة حفظ ما كتبه، وأغلق البرنامج، ووجد أنه يتطلع لإمساك طرف الخيط غداً.

لعله كان كاتباً بالفعل.

وجد بيلى عند عودته إلى ميدوود، ملاحظة مثبتة على باب منزله. كانت دعوة لتناول الأضلاع والسلطة وفطيرة الكرز في مطعم راغلاندر في نهاية الشارع. سيذهب لأنه لا يريد أن يعتقد الناس أنه انطوائي، لكنه لم يكن متحمساً، متوقفاً حواراً بعد العشاء حول علاقة علب رغوة الصابون بأطفال الجامعات والمهاجرين القذرين.

لقد فاجأه اكتشاف أن بول ودينيس راغلاندر قد صوتا لهيلاري كليتون وأنهما لا يطيقان ترامب، وأنهما يسميان «الرئيس البكاء». للبرهان مجدداً، يفترض بيلى وهو يسير إلى المنزل، أنه لا يمكن الحكم على رجل من خلال زوجاته. لقد كان متأثراً بالفعل ببرنامج أوزارك الذي يُعرض على نتيفليكس وكان مستعداً لمشاهدة الحلقة الثالثة عندما رنّ هاتفه - هاتف ديفيد لوكريديج - معلناً وصول رسالة.

جورج روسو، الوكيل المعني، يريد أن يعرف كيف كان يومه الأول.
د. لوك: حسناً. كتبتُ القليل.

ج. روسو: يعجبني سماع ذلك، سنجعل كتابك من الكتب الأكثر مبيعاً. هل يمكنك الحضور عند الساعة مساء يوم الخميس؟ على العشاء.
يريد ن. التحدث إليك.

أما زال نيك في البلدة.

د. لوك: بالتأكيد، ولكن من دون هـ.

ج. روسو: بالتأكيد لا.

هذا جيد. يعتقد بيلى أن بإمكانه العيش طويلاً والموت سعيداً إن لم يرَ كين هوف مجدداً. أغلق التلفاز وتوجه إلى السرير حيث استسلم جفناه بسهولة للنوم، وفي وقت ما قبل بزوغ الفجر مرّ بكابوس؛ كابوس سيدونه غداً، تحت اسم بنغي كومسون.

عاد الرجل الذي عاشت أمي معه إلى المنزل بذراع مكسورة. أعتقد أنه ذهب إلى المستشفى أولاً لأنه كان يضع جبيرة. كانت أختي تحاول إعداد البسكويت لكنها أحرقته. أعتقد أنها نسيت مراقبة الوقت. عندما عاد ذلك الرجل إلى المنزل كان غاضباً للغاية. لقد قتل أختي، ولكنني لا أتذكر اسمه حتى. بدأ بالصراخ حال دخوله. كنت على أرضية المقطورة أجمع أحجية من 500 قطعة، وعندما أنهيتها كانت هناك قطتان تلعبان بكرة الصوف. كنت أستطيع شم رائحة الخمر الذي كان يشربه حتى مع رائحة الدخان المتصاعد من البسكويت المحترق لأكتشف لاحقاً أنه خرج من شجار في حانة والي. لا بد أنه خسر الشجار، فقد كان السواد يعلو عينه أيضاً. كانت أختي

اسم أختي هو كاثرين، بالرغم من أنه لم يكن الاسم الذي يدعوها به؛ تقريباً. كاثرين آن سامرز، كان عمرها تسع سنوات فقط يوم ماتت، وقد كانت شقراء وصغيرة.

كانت أختي كاسي تجلس إلى الطاولة التي تناولنا عليها الطعام تلون الرسومات على دفترها. كانت ستبلغ العاشرة بعد شهرين أو ثلاثة، وكانت متشوقة ليصبح عمرها مكوناً من رقمين بدلاً من رقم واحد. كان عمري أحد عشر عاماً، وكان يفترض بي الاعتناء بها.

كان خليل أمي يصرخ غاضباً ويلوح بيديه لإبعاد الدخان الذي انطلق للتو قبل قدومه صارخاً بها: «ماذا فعلت؟ ماذا فعلت؟»، بينما كانت كاسي تحاول تدارك الموقف أمله ألا يرى أحدهم شيئاً في ذلك الوقت. محا يبلي ذلك بسرعة، وهو يأمل ألا يكون أحد قد رآه.

قالت كاسي معتذرة إنها كانت تخبز البسكويت، وتعتقد أنه احترق. صرخ بها قائلاً إنها عاهرة صغيرة غبية، وأنه لا يصدق كم هي غبية. فتح باب الفرن، فتصاعد المزيد من الدخان. لو كنا نملك كاشف دخان لانطلق بجنون، لكننا لم نكن نملك واحداً في مقطورتنا. التقط منشفة صحن، وبدأ يلوح بها لإخراج الدخان، وكنت سأفتح الباب الخارجي، لكنه كان مفتوحاً بالفعل.

حاول خليل أمي مد يده لإمساك طبق البسكويت، وبالفعل أمسكه، لكن المنشفة انزلت وأحرق الطبق يده، وسقط البسكويت الذي كان بعدة أشكال ساعدت كاسي على تشكيلها، لكنها سقطت جميعاً على الأرض. انحنت كاسي لجمع قطع البسكويت، فشرع بعملية قتلها، ولعل الأمر حصل فوراً عندما ضربها بالطبق على رأسها الذي اصطدم بالجدار. كان الاصطدام قوياً، لكنها وقتها ربما كانت حية، فشرع يركلها بحذائه الذي انتعله على الدوام والذي كانت أمي تدعوه حذاء الدرجات. صرختُ: «توقف، إنك تقتلها»، لكنه لم يتوقف حتى صرخت: «توقف أيها الداعر الجبان المتنمر ابن العاهرة، توقف عن إيذاء أختي»، ثم اندفعت لإعاقة ولأسقطه أرضاً.

نهض بيلى وتوجه إلى نافذة مكتبه الذي أصبح الآن - كما يفترض - غرفة كتاباته. صعد الناس على درج المحكمة ونزلوا، لكنه لا يراهم. توجه إلى المطبخ الصغير لشرب الماء، فأراق القليل لأن يديه كانتا ترتجفان. اليدان اللتان لم تعادا الارتجاف عندما كان يحتسي الشراب، لقد كانتا ثابتتين على الدوام، لكنهما ترتجفان الآن؛ ليس كثيراً، لكن بما يكفي لإراقة بعض الماء. شعر بالجفاف في فمه وحلقه لذا شرب كل الماء الذي في القنينة. استعاد وعيه بالكامل ما جعله يشعر بالخزي. سيرك ما كتبه عن محاولة عرقلة بوب راينز، لأنه يضيف شيئاً من الخيال البطولي إلى الحقيقة، وهو أمر لا يطاق. هو لم يعرقل بوب راينز عندما كان يركل أخته ويدوس صدرها الهش الذي لم يكن نهدها قد نميا بعد. كان يفترض بيلى أن يهتم بها؛ كان الاهتمام بأخته آخر وصايا أمه عندما غادرت للعمل في المصبغة، لكنه لم يهتم بها، بل هرب، هرب لينجو بحياته. لكنه كان في بالي حتى ذلك الحين؛ فكّر بذلك وهو يعود إلى طاولته وحاسوبه. توجب حدوث ذلك، لأنها لم تكن غرفتنا تلك التي ركضت إليها.

قال بيلى: «ركضت إلى غرفتهما»، وتابع حيث توقف.

بعدها ذهبتُ لإيقافه، لكنه دفعني، فنهضتُ وركضتُ عبرَ الرواق إلى غرفتهما في النهاية، وصدقتُ البابَ خلفي. بدأ بطرقه على الفور مستخدماً كل اسم خطرَ على باله وقال لي إنني إن لم أفتح الباب فسأندم. فقط أنا عرفتُ أنه لن يهتم إن فتحتُ البابَ أو لم أفتحه، ذلك لأنه سيفعل بي كما فعلَ بكاسي، فهي كانت ميتة، وهو ما يستطيعُ طفل في الحادية عشرةً من عمره أن يراه جلياً.

يخدمُ خليلُ أمي في الجيش، لذلك اعتادَ على أن يخفي مقتنياته الشخصيةً في نهاية السرير ويضع بطانيةً فوقها. دفعتُ البطانيةَ بعيداً، وفتحتُ صندوقَ مقتنياته. كان له قفلٌ، ولكن نادراً ما أقفله، وربما لم يقفله أبداً، لو أنه أقفله ربما ما كنتُ أكتبُ هذا الآن، لأنني كنتُ في عداد الأموات، وإن لم يكن مسدسه منخراً كنتُ سأموت، لكنني عرفتُ أنه كذلك حيثُ يبقيه منخراً تحسباً لما يسميه حالاتُ الاشتباكات الفجائية. ففكرُ بيبي في سرّه: اشتباكاتُ فجائية، يا إلهي! كيف استذكر كلَّ هذا؟ أحدثُ صدعاً في الباب، كما فكرتُ تماماً.

ففكرُ بيبي في سرّه: لقد عرفتُ ذلك، لأنه ليسَ إلا مجرد لوح رقيق. حيثُ اعتدتُ أنا وكاسي سماعهما تقريباً كلَّ ليلةٍ. لو عادت أمي بأكرأ إلى المنزل في وقتِ الظهيرة، لكان هو قد غادر؛ لكن هذا خيالٌ آخر من عنده. عندما دخلتُ كنتُ جالساً وقد أوليت ظهري لمؤخرة السرير وأنا أوجهُ سلاحه نحوه، من نوع أم 9 إكس 19 والذي يحتوي على 15 طلقة. لم أعلمُ ذلك حينها بالتأكيد، لكن علمتُ أنه كان ثقيلاً وحملته بكلتا يديّ مقابلَ صدري. قال لي حينها: «أعطني هذا من يدك يا عديم الفائدة، ألا تعرفُ أن الأطفالَ يجبُ ألا يلعبوا بالأسلحة؟».

عندها أطلقتُ عليه، في المنتصف تماماً. وقفَ عند المدخل وكان شيئاً لم يحدث، لكنني علمتُ أنني فعلتها عندما رأيتُ الدمَ يتطاير من ظهره تنهد بيبي وهو يتذكر ارتداد المسدس على صدره وتجشؤهُ وظهور كدمةٍ لاحقاً فوق عظمِ القص.

وقع أرضاً، فتوجهتُ إليه، وفكرتُ أنني يجبُ أن أطلقَ عليه النار مرةً أخرى؛ إن اضطررتُ كنتُ سأفعل ذلك. هو خليلُ أمي، لكنه مخطئٌ ورجلٌ سيئٌ.

قال بيلي: «لقد مات بوب راينز».

فَكَرَّ لوهلةً بحذفِ كلِّ شيءٍ كتبه، فقد كان مريعاً، لكنه حفظه بدلاً من ذلك. لم يعرف ماذا يمكنُ أن يظنَّ أيُّ شخصٍ آخر، لكن بيلي يعتقدُ أنه جيدٌ. الجيد في الأمر أنه مريع، لأنه في بعض الأحيان يكمن جزء مريع في الحقيقة. اعتبر نفسه الآن كاتباً، لأن هذه هي أفكار الكتاب. ربما هذا ما ظنَّه إميل زولا عندما كتبَ رواية تيريزا راكون، أو عندما مرضت نانا وخَفَّتَ جمالها.

شعر بأن وجهه كالنار، فذهب إلى المطبخ ورشق الماء عليه، ثم انحنى على الحوض الصغير مغمض العينين، لا تزعجه ذكرى إطلاق النار على بوب راينز بقدر ما يؤلمه تذكُّرُ كاثي. اعتنِ بأختك.

الكتابة جيدة، لطالما أرادَ أن يكتب، وهو الآن يكتب، إن الكتابة أمرٌ عظيمٌ.

من يعلمُ فقط كم هذا مؤلم؟!
رَنَّ الهاتفُ الأرضي، فقفز من مكانه؛ إنه إيرف دين، يخبره بأن لديه طرداً من أمازون، فيجيبه بيلي بأنه سيأتي حالاً ويستلمُ الطرد.
قال إيرف: «يا رجل، هذه الشركة تباعُ كلَّ شيء».
وافقه بيلي معتقداً أنه لا يعرفُ نصف ما يجري.

7

لم يصل الشعران المستعاران بعد؛ لن يصلا قبل الغد حتى مع خدمة التوصيل السريع لأمازون. يمكن أن يضع ما أحضره بيلي اليوم في الحجرة الموجودة فوق المدخل بين المكتب والمطبخ، لكنه لا ينوي أن يفعل ذلك، لأنه قرَّر وضع كلِّ ما سيصله من أمازون في البيت الأصفر في ميدوود.
فتح الطرد وأخرج الأغراض التي طلبها الواحد تلو الآخر. يحتوي

أحدها وهو من متجرٍ في هونغ كونغ على شاربٍ أشقر مصنوع من شعرٍ بشريٍّ حقيقيٍّ، ويشبه أحد الشعرين المستعارين اللذين طلبهما، إنه كثيف الشعر ولكنه سيقصه، فهو يريدُ التنكّرَ لا الظهور، أما الغرضُ التالي فهو عبارةٌ عن نظارة ذات إطارٍ عظيمٍ شفافة العدستين، إذ يمكنه شراء نظارة للقراءة من أي صيدلية، لكن نظرَ بيلى 10/10 وأي تكبير خفيف يسبب له الصداع. جزبها ووجد أن المقاسَ واسعٌ قليلاً حيث يمكنه أن يشد ذراعي النظارة، لكنه لن يفعل، لأنها لو انزلت على أنفه قليلاً فستمنحه منظر الباحث.

أخيراً، الغرض الأعلى، إنه بطن الحاملِ المصنوع من السيليكون، والذي يتمّ بيعه عبر أمازون لكن يتمّ تصنيعه من قِبَل شركة تدعى مام تايم. كان غالباً لأنه قابل للتعديل حيث يسمح لمرتيده بالانتقال من بطن حامل في الشهر السادس إلى بطن حامل في الشهر التاسع ومزود بأحزمة فيكرو.

يعرف بيلى أن هذه البطون المزيفة هي أدوات سرقة مشينة، ويطلب من أفراد الأمن الكبار أن يراقبوا هؤلاء الأشخاص، لكن بيلى لم يأتِ إلى هذه المدينة الصغيرة ليسرق، ولن يكون امرأة عندما يحين الوقت ليعمل.

الفصل الخامس

1

ظهر بيلى في بيت نيك الفاخر قبل الساعة بقليل من مساء الخميس، وهو الذي قرأ في مكان ما أن الضيف اللبِق يصل قبل الموعد بخمس دقائق، لا أكثر ولا أقل. كان بولي هو المرحّب الرسمي هذه المرة، وقد انتظر نيك مرة أخرى في القاعة، وبخلاف المتوقع كان يتسم، ومدّ ذراعيه ليعانق بيلى. «حضر الطاهي الشاتوبريان، لا أعرف ماذا يفعل في هذه المدينة المتعفّنة، لكنه رائع، وأنا واثق من أنك ستحبه، لذلك اترك بعض المساحة للشاتوبريان»، أمسك بكتفي بيلى، وهمس له بصوت أجش: «سمعت أنه حضر مخبوزات آلاسكا، لا بد من أنك تعبت من الأطعمة سريعة التحضير، أليس كذلك؟».

أجابه بيلى: «بالفعل».

ظهر فرانك بقميص زهري وربطة عنق، وبدا شعره اللامع المربوط مرتباً. بدا كالسفاح في فيلم العصابات والذي يتم قتله أولاً. وضع بعض الأكواب وزجاجة خضراء كبيرة على صينية؛ شامانيا موت أند شانندن. وضع الصينية ونزع سداة الفلين من عنق الزجاجة من دون أي جلبة. قد لا يعرف فرانكي إلفيس الفرنسية، لكن طريقة فتحه للزجاجة رائعة وكذلك الأمر طريقة سكبها.

رفع نيك كأساً وتبعه الآخرون بذلك: «نخب النجاح».

قهقه بيلى، وشرب بولي وفرانك، وفي الحال شعر بيلى بالخفة في رأسه بفعل الشمبانيا، لكنه رفض كأساً أخرى قائلاً: «سأقود، لا تريدون أن أوقف بتهمة القيادة تحت تأثير الكحول».

قال نيك لصديقيه: «هذا بيلى، الذي يسبقني دائماً بالتفكير بخطوتين إلى الأمام».

قال بيلى: «ثلاث»، وضحك نيك كما لو أن هذا أظرف شيء سمعه منذ أن مات هنري بونغمان، وشاركه الأصدقاء أجواء المرح والضحك.

قال نيك: «حسناً، دعونا من الشراب يا أصدقاء، ماذا بشأن الطعام؟». كان العشاء جيداً، بدأ بحساء البصل الفرنسي، وتبعه لحم البقر المنقوع في النيذ الأحمر، وانتهى مع مخبوزات ألاسكا المعهودة التي قدمتها امرأة عابسة ترتدي زياً أبيض، باستثناء الحلوى.

تولى نيك، فرانك، وبولي الحديث، والذي دار بمعظمه عن فيغاس: من يلعبُ هناك، من بيني هناك، من يبحث عن رخصة كازينو، كما لو أنهم لا يفهمون أن فيغاس قد أصبحت بالية، فكّر بيلى بذلك في سرّه، ربما لا يعرفون ذلك.

لم يظهر جورجيو. هزّ بيلى رأسه عندما أتت المرأة التي تقدم المشروب الكحولي بعد العشاء، وكذلك فعل نيك.

قال نيك: «مارج، يمكنك المغادرة أنت وآلان الآن، كانت وجبة رائعة». «شكراً، لكننا بدأنا للتو بتنظيف...».

قال رجلي العجوز: «سنقلقُ بشأن ذلك غداً، أعطي أجرة السيارة هذه لآلان»، دفع بعض النقود في يدها وتمتمت أنها ستفعل، واستدارت لتذهب قائلة: «ومارج؟».

عادت.

«أنت لم تدخني في المنزل، أليس كذلك؟».

«لا».

أوما نيك برأسه: «لقد مكثنا هنا أكثر من اللازم، هيا بنا نذهب إلى غرفة المعيشة ونتحدث ونشرب قليلاً، أما أنتم أيها الأصدقاء فقوموا بشيء ما». أخبر بول بيلى أنه كان من الجيد رؤيته ووجهه إلى الباب الأمامي.

تبع فرانك مارج إلى المطبخ، وأسقط نيك منديله في بقايا الحلوى وقاد بيلى إلى غرفة المعيشة. المدفأة في أحد طرفيها كبيرة بما يكفي لتحميص المينوتور، كما كان هناك تماثيل في المنافذ ولوحات جدارية في السقف والتي تشبه نسخة من كنيسة السيستين.

قال نيك وهو ينظرُ حوله: «عظيم، أليس كذلك؟».

قال بيلى: «طبعاً»، معتقداً أنه إذا توجبَ عليه قضاء المزيد من الوقت في هذه الغرفة، فقد يفقد عقله.

«اجلس يا بيلى، دع الأمر عنك قليلاً».

جلس بيلى وسأل: «أين جورجيو؟ هل عاد إلى فيغاس؟».

أجابه نيك: «حسناً، من الممكن أن يكون هناك، أو ربما في نيويورك أو هوليوود يتحدث إلى منتجي الأفلام عن الكتاب الرائع الذي تعده».

اعتقد بيلى أن هذا ليس من شأنه وهو بطريقةٍ ما منصفٌ كفاية. إنه مجرد موظفٍ بعد كل هذا. ماذا اعتادوا أن يطلقوا على قاتلٍ مأجورٍ في الأفلام الغربية القديمة التي اعتاد السيد ستيينك أن يحبها؟

التفكير في السيد ستيينك جعله يفكر في ألف سيارة خردة - بدا الأمر وكأنه ألف سيارةٍ لطفل، ولكن أياً يكن الأمر ربما كانت بذلك العدد فعلاً - مع زجاجها الأمامي المتحطم الذي يلمع في الشمس. كم سنة مرت منذ آخر مرةٍ فكر فيها بمقبرة السيارات تلك؟ باب الماضي مفتوح، وكان بإمكانه دفعه وإغلاقه، ومن ثم إحكام قفله، لكنه لم يرد ذلك. دع الرياح تهب، الجو باردٌ، لكنه منعش، والغرفة التي كان يعيش فيها خانقة.

قال نيك وهو يقطع أصابعه: «أين أنت يا بيلى؟».

«أنا هنا».

«نعم؟ اعتقدتُ لدقيقة أنني فقدتك. اسمع، هل تكتب شيئاً بالفعل؟».

قال بيلى: «نعم، أنا أكتب».

«حياة واقعية أم خيالية؟».

«خيالية».

قال وهو يتسّم: «ليس عن آرثشي أندروز وصديقاته، أليس كذلك؟». هزَّ بيلي رأسه مبتسماً أيضاً.

«يقولون إنَّ الكثيرَ من الناس الذين يكتبون الروايات للمرة الأولى يتحدثون عن أنفسهم، فأنا أذكر ذلك من أستاذ اللغة الإنكليزية في ثانوية باراموس حين قال: اكتب ما تعرفه. هل هذه حالك؟».

هزَّ بيلي إحدى يديه وقال كما لو أن الفكرة قد خطرت له للتوّ: «هيا، أنت لا تتجنّس على ما أكتبه، أليس كذلك؟».

سؤالٌ خطير، لكنه لم يستطع كبح نفسه. قال نيك: «يا إلهي، لا، لأنني لا أريد ذلك»، بدا متفاجئاً ومصدوماً بشدة، لكن بيلي يعرف أنه يكذب، «لماذا سنفعل ذلك حتى وإن استطعنا؟».

«لا أعرف، أنا فقط...»، رفع كتفيه، «... لا أريد أن يتجنّس أحد عليّ، لأنني لست كاتباً، وأنا أحاول أن أبقى في الشخصية وأمضي الوقت، كما أنني سأشعر بالحرج إذا قرأ أحدٌ ما أكتبه».

«وضعتَ كلمة مرورٍ للحاسوب المحمول، أليس كذلك؟». أوماً بيلي برأسه إيجاباً.

انحنى نيك إلى الأمام وقال: «حسناً، لن يتجنّس أحدٌ عليك»، ثمَّ أخفض صوته كما فعل عندما أخبر بيلي عن مخبوزات ألاسكا متابعاً: «هل تكتب عن أمور حميمية؟ جنس ثلاثي الشركاء وما إلى ذلك؟». «لا، ماذا؟ ليس حقاً».

«نصيحتي لك، ضمّن ما تكتبه بعض الجنس، فهو يسهّل عمليات البيع»، ضحك وذهب إلى خزانة في آخر الغرفة ليحصل على رشفة من البراندي، «أتريد بعضاً منه؟».

«لا، شكراً»، انتظرَ عودة نيك ليسأل: «هل هناك أي خبر عن جو؟». «كما أخبرتك، الأمور القديمة ذاتها، يستأنف محاميه قرار التسليم،

لكن كل شيءٍ معلقٌ. من يعرف؟ ربما لأن القاضي جوني في إجازة».

«لكنه لا يتحدث عما يعرفه؟».

«إن تحدث، كنت سأعرف».

«ربما قد يتعرض لحادثٍ في السجن، ولا يتم تسليمه على الإطلاق».

«إنهم يعتنون به جيداً في السجن، هل تذكر؟».

«أوه، نعم، صحيح»، لا يستطيع بيلى إظهار شيء من الارتياح؛ كانت

ستبدو حركة ذكيةً منه.

«كن صبوراً يا بيلى، يقول فرانكي إنك تلتقي بالجيران هناك في

ميدوود».

إن لم يَرَ فرانك في الحي، فهذا لا يعني أن فرانك لم يره. يتجسس

عليه نيك عبر حاسوبه المحمول الجديد المثير كما يشاء، ويراقبه في مسكنه،

هذا ما ذكره برواية 1984.

«أنا...».

«وفي البرج؟».

«هناك أيضاً بالتأكيد، غالباً على الغداء عند عربات الطعام».

«هذا رائع، اندمج وكن جزءاً من المشهد، أنت جيدٌ في هذا، أراهنُ

أنك كنت هكذا في العراق».

يعتقدُ بيلى أنه كان جيداً في كل مكان، على الأقل كان هكذا بعد أن

قتل بوب راينز.

«قلت إنه سيكون هناك مشتتات انتباه»، محاولاً تغيير الموضوع؛ «قلت

إننا سنتحدث لاحقاً عن الموضوع. هل هذا يكفي؟».

ارتشف نيك رشفة من البراندي، وتمضمض بها كما لو أنه غسل

للفم، ثم ابتلعه وقال: «إنه كذلك. سيحدث لتأكيد فكرة أردت تجربتها

عليك، وسيكون عبارة عن زوج من القنابل الدخانية، هل تعرف ما الذي

أتحدث عنه؟».

بيلي يعرف لكنه هز رأسه نافياً.

«تستخدمها فرق الروك حيث تُصدرُ فرقةً ووميضاً كبيرين، عندما أعلم أن جو قادم إلى الشرق بكل تأكيد، سيكون هناك تشتيت للانتباه، سأضع إحداهما في الزقاق خلف ذلك المقهى في الزاوية، وقد اقترح بولي وضع إحداهما في مرأب السيارات، لكنه بعيد جداً، وإلى جانب ذلك، أيُّ إرهابي يفجر مرأب سياراتٍ لعين؟».

لم يبدِ بيلي أيَّ محاولةٍ لإخفاء قلقه قائلاً: «لن يُكلف هوف بوضعهما، أليس كذلك؟».

لم يكلف نيك نفسه عناء التمضمض بالرشفة الثانية من البراندي، واكتفى بابتلاعها. سعل وتحول السعال إلى ضحك، «ماذا؟ أظنني غبي إلى هذا الحد لأكلف شخصاً وضيعاً مثله بمثل هذا العمل؟ سأحزن كثيراً إن كان هذا رأيك بي. لا، سيقوم بذلك اثنان من رجالي، إنهما جيدان وجديران بالثقة».

فكر بيلي في سرّه: إنه لا يريد أن يضع هوف القبليتين الدخائيتين، لأن هذا قد يضرّه، لكنه لا يمانع في أن يكلفه بشراء السلاح وتسليمه لي، لأن هذا قد يضرني. إلى أي مدى تعتقد أنني غبي؟

«من المحتمل أن أكون في فيغاس عندما يحصل كل هذا، لكن سيكون فرانكي إلفيس وبول لوغان هنا مع الرجلين الآخرين اللذين سأحضرهما، وإذا احتجت أيَّ شيءٍ فهم سيعتنون بك»، مجدداً، انحنى إلى الأمام وابتسم مضيفاً: «سيكون شيئاً جميلاً. تنطلق الرصاصة، يخاف الجميع، ثم تنفجر القبليتان الدخائيتان - بوم، بوم - ومن لم يكن قد ركض سيركض الآن. قناصٌ نشط. مفجرون انتحاريون. القاعدة. داعش. أياً كان، أليس ذلك الجمال الحقيقي؟ ما لم يكسر أحدهم ساقه وهو يهرب، سيكون جويل ألين الضحية الوحيدة، هذا اسمه الحقيقي. يدب الرعب في شارع المحكمة، ويقودني هذا إلى ما أردت أن أحدثك بشأنه».

«حسناً».

«أعلم الآن أنك اعتدت على التخطيط لعمليات هروبك، وكنت دائماً جيداً في ذلك لكن لديّ وجورجيو فكرة صغيرة. لأنه...»، هز نيك رأسه، «... يا رجل، قد يكون هذا أمراً صعباً حتى بالنسبة إليك، حتى وإن نشرنا الذعر في الشارع بواسطة القنبلتين الدخائيتين، وهذا ما سيحصل. إذا كان لديك شيء جاهز، فلتذهب بأمان الله، لكن إذا لم...».

«لا، ليس لديّ»، مع أنه خطّط لكل شيء، إلا أنه ابتسم ابتسامة تنم عن غباء وقال: «يسعدني دائماً الاستماع يا نيك».

2

إنه المنزل - يعتقد أن المنزل الأصفر هو منزله، على الأقل لفترةٍ من الوقت - بحلول الساعة الحادية عشرة مساءً، وضع كل ما اشتراه من أمازون في الخزانة، وسيبقى هناك حتى يتلقّى اتصالاً يخبره أن ألين يتّجه شرقاً من لوس أنجلوس، لكن شيئاً ما تغيّر، فهو لا يشعر بالراحة.

أخذ الأغراض إلى السيارة ورتّبها في الصندوق؛ فهو لن يمضي يوم الغد في مكتب الطابق الخامس وهذا لا بأس به. الشيء الجميل في كونك كاتباً في برج جيرارد هو أنك لست موظفاً وعليك العمل وفقاً لساعات محددة، بل يمكنك المجيء متأخراً والذهاب باكراً، كما يمكنك التنزه إذا رغبت في ذلك، وإذا سأل أيّ شخصٍ يمكنك القول إنك تعمل على فكرة جديدة، أو تقومُ ببحثٍ ما، أو أنك أخذت إجازةً لمدة ساعة أو ساعتين. سيمشي غداً متجاوزاً تسعة مجمعات حتى يصل إلى شارع بيرسون 658. إنه مبنى من ثلاثة طوابق على حدود وسط المدينة. نظر بيلى بالفعل إلى المنزل الموجود على موقع زيلو لكن هذا ليس جيداً بما يكفي، فهو يريد أن ينظر إليه عن كثب. أقفل السيارة ودخل المنزل مجدداً، أحضر الماك بوك برو اللامع من مكتبه، ووضعه على طاولة المكتب، وفتحه وقرأ ما كتبه باسم

بنغي كومسون. لم يكتب سوى صفحتين، انتهت بإطلاق بنغي النار على بوب راينز. قرأهما أكثر من ثلاث مرات، محاولاً أن ينظر إليهما كما يجب أن يراهما نيك. لم يكن لدى بيلى شكٌ بأن نيك قرأهما بعد الحديث عن الكتاب الذين يستخدمون تجاربهم الخاصة.

إنه لا يعطي بالأإن أصبح لنيك معرفة بطفولته، لأن كل ما يعرفه بيلى هو أن نيك قد تحقق من ذلك بالفعل، وما يهتم به بيلى بالفعل هو حماية الشخصية الغبية، على الأقل في الوقت الحالي. لن يكون قادراً على النوم حتى يتأكد من عدم وجود شيء في هاتين الصفحتين أو الثلاث صفحات يجعله يبدو ذكياً جداً، لهذا أعاد قراءة ما كتبه للمرة الرابعة.

أخيراً، أغلق الحاسوب؛ لا يعتقد أن أي طالب ضعيف في اللغة الإنكليزية لا يستطيع كتابة ما كتبه، لقد كانت الإملاء وعلامات الترقيم جيدة، ربما صححها مصحح وورد التلقائي، مع أنه يخلط في بعض الأحيان بين الكلمات، ودائماً ما يستبدل كلمة بأخرى، ولكنه مع ذلك يشير على الأخطاء باللون الأحمر، ويلفت الانتباه إلى الهفوات الإملائية الفظيعة. لكنه غير مرتاح.

ليس لديه سبب يجعله لا يثق بنيك، صحيح أنه رجل سيء، لكنه لطالما تعامل بنزاهة معه، بعكس ما هي عليه الحال الآن، ما كان لينفي اطلاعاً على النسخة الأولية، إن لم يطلع عليها فعلاً، ولكن بيلى لا يزال يفترض أنه سيتعامل معه في هذه المهمة بنزاهة، فالربع الأول من المبلغ المتفق عليه، والذي تبلغ قيمته خمسمئة ألف، أودع في حسابه المصرفي، ولكن لا يزال يشعر بأن هناك خطباً ما، صحيح أنه ليس خطيراً، ولكنه مثير للريبة. إنه مثل إحدى تلك اللقطات التي تراها أحياناً في فيلم حيث يتم إمالة الكاميرا قليلاً لإعطاء إحساساً بالارتباك، وهذا ما تبدو عليه هذه المهمة. لكن هذا الارتباك لن يجعله يعتذر عن المهمة، أضف إلى ذلك أن الاعتذار عن المهمة ليس ممكناً، ولكن كل ما في الأمر أنه يشعر بالقلق.

هناك خطة الهروب التي اقترحها عليه نيك حين قال له: «إذا نجحت بالفعل، امضِ بأمان الله، لكن إن لم تنجح، فلدي أنا وجورجيو فكرة قد تنجح».

لم تكن المشكلة في فكرة نيك أنها سيئة، فهي لم تكن كذلك، ولكن دائماً ما كانت مسؤولية الهرب بعد تنفيذ بيلي لأي مهمة تقع على عاتقه، ولكي يبدأ نيك عمله هكذا... حسناً...
تمتم بيلي في مطبخه: «الارتباك».

قال نيك إنه منذ ستة أسابيع، عندما بدا أن هذه المهمة ستُنْفَذ، أرسل بول لوغان إلى ماكون، وطلب منه أن يشتري سيارة نقلٍ من ماركة فورد، ليست جديدةً ولكن لم يتجاوز عمرها الثلاث سنوات. لقد كانت الآلية التي تستخدمها دائرة الأشغال العامة في ريد بلاف، حيث شاهد بيلي بالفعل العديد منها باللونين الأصفر والأزرق مع شعار نحن هنا لتقديم الخدمة مرسوماً على الجانبين. تقف الآن سيارة النقل البنية التي اشتراها فرانك من جورجيا في مرأب في ضواحي المدينة، مطليةً بألوان إدارة الأشغال العامة وبشعارها.

قال نيك: «سيكون لديّ فكرة جيدة عند موعد تسليم ألين»، ثم قال وهو يرتشف رشفة من البراندي: «الرجلان اللذان أخبرتك عنهما - اللذان سيأتيان - سيدآن الخروج والتنقل بسيارة النقل الفورد، سيدوان منهمكين في العمل، ولكنهما في الحقيقة، لن يقوموا بأيّ عمل، ولن يبقيا طويلاً في مكان واحد، ولكنهما مع ذلك سيبقيان بالقرب من برج جيرارد والمحكمة، وسيمضيان ساعة هنا وساعة هناك، بحيث يبدوان جزءاً من المشهد العام، مثلك تماماً».

قال نيك إن سيارة نقل إدارة الأشغال العامة المزيفة ستقف يوم وصول ألين بالقرب من زاوية برج جيرارد، ربما سيفتح عاملاً المدينة المزيفان غطاء فتحة تصريفٍ ويتظاهران أنهما يقومان بشيءٍ ما داخلها. عندما تطلق

النار، وتنفجر القبيلتان الدخانيتان سيركض الناس في كلِّ اتجاه، بمن فيهم العاملون في برج جيرارد وكذلك بيلى سامرز الذي سيركض حول الزاوية ومنها إلى الجزء الخلفي من سيارة النقل، وهناك سيرتدي ملابس إدارة الأشغال العامة.

قال نيك: «ستتجه سيارة النقل إلى المحكمة، وبالطبع سيكون هناك رجال شرطة في المكان، عندها ستسأل أنت ورجلاي إن كنتم تستطيعون أن تقدموا أي مساعدة؛ وضع لوحات لإغلاق الشارع أو أي شيء من هذا القبيل، في كل هذا الإرباك، سيدو طبيعياً مئة بالمئة، أترى ذلك؟». رأى بيلى كم كانت الخطة جريئةً وجيدةً. «الشرطة...».

قال بيلى: «سيطلبون منا أن نغادر المكان، صحيح أننا عمال لصالح المدينة لكننا مدنيون، هل هذا صحيح؟». ضحك نيك وشفق بيديه قائلاً: «أترى؟ أي شخص يعتقد أنك غبي هو مغفلٌ جداً. بعد ذلك ستغادر مع الرجلين، وتتولى القيادة بعد تبديل سيارة النقل». «إلى أين سأوجه؟».

«هناك منزلٌ آمنٌ في وسكنسن على بعد ألف ميل من هنا، ستبقى هناك ليومين، حيث ستسترخي وتتفقد حسابك المصرفي لتتأكد من استلام المبلغ المتبقي كما هو متفق عليه؛ ستكون بمفردك. كيف تبدو لك الخطة؟». بدا الأمر جيداً؛ جيداً جداً. إن كان أحدٌ سيدان فهو كين هوف، ولكن المشكلة في الخطة التي عرضها نيك، أنه سيعتمد في هروبه على أشخاص آخرين، وهو ما لم يسبق له أن قام به. لم يعجبه الأمر، ولكن لا الوقت ولا المكان كانا مناسبين للتعبير عن ذلك. «حسناً، دعني أفكر في الأمر».

قال نيك: «أتراهن أنك ستفكر في الأمر لفترة طويلة؟».

أخرج بيلى حقيته من خزانة غرفة النوم الرئيسية، ثم وضعها على السرير وفتحها؛ بدت فارغة، لكنها لم تكن كذلك، فقد احتوت البطانة على شريط فيلكرو يمتد على طول الجانب السفلي. سحب البطانة إلى الأعلى، وأخرج علبة صغيرة مسطحة. إنه من الأشخاص الأذكاء - هؤلاء الذين يقرأون أشياء أكثر تحدياً - الذين يوصفون بأنهم موسوعة بسبب سعة أطلاعهم. داخل العلبة هناك محفظة مع بطاقات ائتمان ورخصة قيادة صادرة باسم دالتون كرتيس سميث من ستو، فيرمونت.

لقد امتلك بيلى خلال مسيرته المهنية العديد من المحافظ التي احتوت على هويات شخصيات مختلفة؛ لم يمتلك هوية لكل عملية قتل بل ربما اثنتي عشرة بطاقة هوية لكل عملية، وإحدى هذه الهويات في هذه العملية تعود لشخص وهمي يدعى ديفيد لوكريدج، أما هوياته السابقة كان بعضها يعود لشخصيات سيئة وبعضها الآخر لشخصيات جيدة. إن بطاقات الائتمان ورخصة القيادة في محفظة ديفيد لوكريدج تعود لشخص جيد، لكن الأشياء الموجودة في العلبة الرمادية المسطحة أفضل، فتلك الأشياء هي عبارة عن ذهب، وقد كان تجميعها نتاج عمل خمس سنوات، وقد غمره سيل من الحب عندما قرّر أخيراً الخروج من عمل يجعله - اعترف بذلك - مجرد شخص سيئ آخر.

تبدو محفظة دالتون سميث نظامية مع رخصة قيادة بداخلها، إنها تعود لشخص يبدو أنه حقيقي حيث استُخدمت بطاقات ائتمان كل من ماستر كارد، أميكس وفيزا كما هو الحال مع بطاقة الحسم من بنك أميركا. لم تُستخدم البطاقات كل يوم، ولكنها استُخدمت بما يكفي حتى لا تتراكم الرسوم على الحسابات.

إن تصنيفه الائتماني ليس ممتازاً، بحيث يلفت الانتباه، لكنه جيد جداً.

تحتوي المحفظة أيضاً على بطاقة تبرع بالدم من الصليب الأحمر، وبطاقة ضمانه الاجتماعي، وعضوية دالتون في مجموعة مستخدمي آبل، وهنا يمكننا القول إن دالتون كرتيس سميث هو مسوقٌ مستقلٌ لقطع الحاسوب مع هامشٍ مريحٍ إلى حدٍّ ما يسمح له بالذهاب إلى أيِّ مكانٍ تقذفه إليه الرياح. كذلك احتوت المحفظة على صور لدالتون وزوجته - انفصلاً قبل ستِّ سنواتٍ - ودالتون والديه - قُتلاً في حادث السيارة الشهير عندما كان دالتون مراهقاً - ودالتون مع أخيه المنبوذ؛ لم يتحدثا منذ أن اكتشف دالتون أن أخاه صوّت لـ رالف نادر في انتخابات عام 2000.

كذلك احتوت المحفظة على شهادة ولادة دالتون، بالإضافة إلى توصياتٍ بعضها من الأفراد والشركات الصغيرة التي أصلح دالتون أجهزة الحواسيب الخاصة بها، وبعضها الآخر من الأشخاص الذين تعاملوا معه في بورتسموث، وشيكاغو، وإرفين. كتب رجله المفضل في نيويورك، بوكي هانسون، بعضاً من هذه التوصيات حيث إن بوكي هو الشخصُ الوحيد الذي يثق به بيلي بشكلٍ تام، في حين أن بقية التوصيات كتبها بيلي بنفسه. لم يمكث دالتون سميث طويلاً في مكانٍ واحدٍ أبداً بما يكفي ليشعر بالقلق، لكنه يصبح شخصاً آخر عندما يكون في بيته؛ أنيقاً وهادئاً ودائماً ما يدفع الإيجار في الوقت المحدد.

بالنسبة إلى بيلي، فإن دالتون سميث بحسن نيته ودمائته يشبه حقلاً ثلجياً لا تشوبه أي شائبة، إنه يكره فكرة تشويه هذا الجمال عبر تشغيل دالتون، لكن أليس هذا بالضبط ما جعله يخلق شخصية دالتون كرتيس سميث؟ إنه كذلك. عملٌ واحدٌ أخيراً وبعدها يستطيع بيلي أن يختفي في هوية جديدة. ربما لن يعيش لبقية عمره فيها، ولكن الاحتمال وارد، إن تمكن من مغادرة هذه المدينة من دون أن يضطرَّ إلى إحراق هذه الشخصية. لقد دخلت بالفعل خمسمئة ألف في حساب دالتون المصرفي في نيفيس وانتهى الأمر، وهذا دليل على أن نيك لا يستخف بالموضوع، وعندما ينجز

المهمة، سيحوّل المبلغ الباقي.

أظهرت صورة الوجه لرخصة قيادة دالتون رجلاً بعمر يبلي تقريباً، وربما أصغر بسنة أو سنتين، لكنه أشقر بدلاً من أن يكون داكن الشعر وذا شارب.

4

صباح اليوم التالي، ركن يبلي سيارته في الطابق الرابع من المرأب بالقرب من برج جيرارد، ثم مشى بالاتجاه المعاكس بعد إجراء بعض التعديلات على مظهره؛ فهذه هي الرحلة الأولى لدالتون سميث. عندما تكون المدينة صغيرة، يمكن للمسافات الصغيرة أن تُحدث فرقاً كبيراً. يقع شارع بيرسون على بُعد تسعة مجمعات فقط من مرأب السيارات في الشارع الرئيسي، على بعد خمس عشرة دقيقة سيراً على الأقدام - لا يزال برج جيرارد يبدو قريباً كفاية لرؤيته بوضوح - لكن هذا عالمٌ مختلفٌ عن ذلك الذي يكون فيه الرجال بربطات العنق والإناث يتتعلن أحذية عالية الكعب، ويظهر الرجال والنساء في منشوراتهم على وسائل التواصل الاجتماعي عند تناول الغداء في ذلك النوع من المطاعم حيث يقدّم لك النادل قائمة نبيذٍ مع قائمة الطعام.

هناك بقاليةٌ عند الناصية، ولكنها مغلقة - يبدو هذا الحيّ مثل العديد من الأحياء الفقيرة صحراء طعام - وهناك حانتان، إحداهما مغلقة والثانية تبدو وكأنها صامدة، وهناك متجرٌ رهنٍ يعمل بصرف الشيكات والقروض الصغيرة، بالإضافة إلى مركز تجاريٍّ صغيرٍ كئيبٍ ومجموعة من المنازل التي تحاول أن تبدو أنها تعود للطبقة الوسطى ولكنها تعجز عن بلوغ ذلك. خمن يبلي أن سبب تدهور المنطقة هو قطعة الأرض الخالية مباشرةً على الجانب الآخر من الشارع مقابل شقته المنشودة، وهي عبارة عن أرضٍ شاسعة مليئة بالركام، تعبرها قضبان سكة حديدية صدئة بالكامل، والتي

بالكاد يمكن رؤيتها بين الحشائش العالية والنباتات. تشير اللافتات إلى أن ملكية الأرض تعود لهيئة المدينة، وتدعو إلى عدم التخريب، وتحذّر من خطر الاقتراب، كما لاحظ أطلال مبنى لا بدّ من أنه كان في السابق محطة القطار ربما كانت تخدم خطوط الحافلات أيضاً؛ غري هاوند، تريل وايز، وساوثرن.

الآن، انتقلت وسائل النقل البرّي إلى مكانٍ آخر، وأصبح هذا الحيّ الذي كان مزدحماً في العقود الأخيرة من القرن الماضي يعاني من نوع من مرض الانسداد الرئوي المزمن إن جاز التعبير. هناك عربة تسوّق مقلوبة وصدئة على الرصيف المقابل، حيث يرفرف زوج ممزق من السراويل الداخلية للرجال من إحدى عجلاتها. بفعل الريح الحارة، تحرك الشعر المستعار الأشقر للدالتون سميث، ورفرفت ياقة قميصه.

تحتاج معظم المنازل إلى طلاء، ووُضِعَت لافتات للبيع أمام بعضها، ويحتاج العقار 658 للطلاء أيضاً، ولكن تشير اللافتة في الأمام إلى أنه عبارة عن شقق مفروشة للإيجار، ويوجد رقم وكيل عقاراتٍ للاتصال به.

دوّن يبلي الرقم، ثم صعد ممراً إسمنتياً متصدعاً وراقب صفّاً أجراس الأبواب. على الرغم من أن البناء يتألّف من ثلاثة طوابق إلا أنه هناك أربعة أجراس، ولم يدوّن أيّ اسم على أيّ منها سوى الثاني من الأعلى: جنسن، فرنّ الجرس؛ ربما لا يوجد أحدٌ في المنزل في مثل هذا الوقت من النهار، لكن من حسن حظه كان موجوداً.

سمع صوت خطوات تنزل الدرج، فنظرت إليه شابة عبر زجاج الباب المتسخ، ورأت رجلاً أبيض البشرة يرتدي قميصاً أنيقاً مفتوح الياقة وبنطالاً فضفاضاً، ذا شعر أشقر قصير وقد اعتنى بتشذيب شاربه، ويضع نظارة. إنه بدين للغاية، لكن لا يمكن وصفه بالمفرط في البدانة، مع أن هذا الوصف سينطبق عليه قريباً، ولكن إن خسر عشرين إلى ثلاثين رطلاً، فسيبدو قوامه جيداً. فتحت الباب، ولكن بشكلٍ مواربٍ.

فكر بيلى بالخطوة الاحترازية التي أقدمت عليها، وخاطب نفسه قائلاً:
أتظنين أنني لن أستطيع المضي قدماً إلى الداخل وخنقك هناك في الردهة؟
وبما أنه لا توجد سيارة في الطريق أو أي سيارة مكونة على الرصيف، فهذا
يعني أن زوجك في العمل، كما أن الأجراس الثلاثة التي لم يدون أي اسم
بجانها تشير إلى أنك الشخص الوحيد في هذا المبنى الفيكتوري القديم.
قالت السيدة جنسن: «أنا لا أشتري من الباعة المتجولين».

«لا يا سيدتي، أنا لست بائعاً متجولاً، أنا جديدٌ في المدينة، وأبحث عن
شقة، وتبدو لي شقق هذا المبنى وكأنها ضمن النطاق السعري الذي وضعته،
وأردت فقط أن أعرف إذا كان هذا المكان متاحاً. أدعى دالتون سميث».

مدّ يده، فمدت يدها لبرهة وسحبته للخلف، وبدا أنها تنوي التحدث
فقالت: «حسناً، إنها ليست المنطقة الأفضل كما ترى، وتبعد أقرب سوبر
ماركت ميلاً على الأقل، ولكنني لا أعاني من مشكلة في ذلك وكذلك
زوجي. يأتي الشبان أحياناً إلى ساحة القطار القديمة تلك في الجهة المقابلة،
غالباً للشرب وتناول المنشطات، وينبح كلب هناك عند الزاوية نصف الليل،
ولكن هذا أسوأ ما في الأمر».

سكتت لبرهة، ولاحظ أنها تنظر إلى الأسفل باحثةً عن خاتم زواج غير
موجود، ثم تابعت قائلةً: «أنت لا تصدر ضجيجاً في الليل يا سيد سميث،
أليس كذلك؟ أنا أقصد بالضجيج الحفلات والموسيقى الصاخبة».

«لا، لا يا سيدتي»، ابتسم ومسّ بطن الحمل المزيف الذي بدا كبطن
امرأة حامل في الشهر السادس وأضاف: «لا ملاذات لدي سوى الأكل».
«لأنه يوجد بند عن الضجة المفرطة في عقد الإيجار».
«هل يمكنني أن أسأل كم تدفعان شهرياً؟».

«هذا أمر بيني وبين زوجي. إذا أردت السكن هنا يجب عليك التواصل
مع السيد ريختر، إنه الرجل الذي يتولّى أمور هذا المكان. هناك زوجان
آخران يسكنان أيضاً في الأسفل، وأعتقد أنهما لطيفان».

«مفهوم تماماً، أعتذر عن السؤال».

شعرت السيدة جنسن بالحر قليلاً وقالت: «سأنصحك ألا تستأجر الطابق الثالث، فهو لا يعدو عن كونه صندوقاً مغلقاً حاراً، حتى عندما تهب الرياح من ساحة القطار في الجهة المقابلة، وهو ما يحدث معظم الوقت».

«لا يوجد تكييف للهواء كما فهمت».

«فهمتها بشكل صحيح، لكن عندما يتعلّق الأمر بالطقس البارد، فالحرارة لا بأس بها. بالتأكيد يجب أن تدفع ثمن الكهرباء أيضاً، فكلّ هذا مدوّن في العقد. إن سبق لك أن استأجرت، أعتقد أنك ستكون على علم بكلّ هذه الأمور».

حرك عينيه بما يشير إلى شعوره بالدوار، فابتسمت له أخيراً سائلةً إياه: «يا فتى، هل فعلت ذلك في أي وقت مضى؟». الآن، يستطيع أن يسأل ما يريد أن يسأله: «ماذا عن الشقة في الطابق السفلي؟ هل هي شقة للسكن؟ لأنه يبدو أن هناك جرساً...».

اتسعت ابتسامتها قائلةً: «أوه، نعم، إنها جميلة للغاية ومؤثثة كما تشير اللافته، لكنّ الأثاث لا يشمل سوى الأساسيات، لقد أردت هذه الشقة، لكنّ زوجي يظن أنها لن تناسبنا إذا قبل طلبنا؛ فنحن نحاول التنبّي».

اندهش بيلى من هذا، فهي كشفت للتو عن جزء مهمّ من قلبها - من صميم زواجها - بعد أن امتنعت عن كشف قيمة الإيجار التي تدفعها هي وزوجها، والذي سأل عنها ليس لأنه أراد حقاً أن يعرف، بل لأنه أراد أن يبدو صادقاً وجدياً.

«حسنًا، حظاً طيباً لكما، وشكراً لك. إذا اتفقت والسيد ريختر هذا، فربما ستريانني أكثر. طاب يومك».

«طاب يومك أنت أيضاً، وتشرفت بمعرفتك»، مدّت يدها هذه المرة لمصافحة حقيقية، وفكر بيلى مجدداً في ما قاله نيك: كن ودوداً ولكن لا تكن مقرباً من الناس. من الجيد أن يعرف أن ذلك قد نفع حتى لو بدوت

نادته وهو يمشي على الرصيف وقالت: «أراهن أن شقة الطابق السفلي تبقى لطيفةً ومعتدلةً حتى في الجو الأكثر حرارة. كنت أتمنى أن نستأجرها». رفع إبهامه إلى الأعلى مشيراً إليها، واتجه نحو وسط المدينة، ورأى كل ما يحتاج إلى رؤيته، وتوصل إلى قرار: هذا هو المكان الذي يريده، ولا داعي لأن يعرف نيك ماغاريان شيئاً عنه.

في منتصف طريق العودة، دخل إلى متجرٍ صغيرٍ يبيع الحلوى، والسجائر، والمجلات، والمشروبات الباردة، والهواتف المحمولة التقليدية في أكياس النايلون ذات الفقاعات، فاشترى واحداً ودفع نقداً، ثم جلس على مقعدٍ انتظار الحافلة لتجهيزه وتشغيله، إذ إنه سيستخدمه طالما يتوجب عليه ذلك، ثم يتخلص منه، وكذلك بالنسبة إلى الهاتفين الآخرين. يفترض دائماً أن المهمة ستفشل، وسيعرف رجال الشرطة على الفور بأن ديفيد لوكريدج هو من قتل جويل ألين، وسيكتشفون بعد ذلك أن ديفيد لوكريدج هو اسم مستعار لويليام سامرز، الجندي السابق في سلاح البحرية يتمتع بمهارات القناصة، كما سيكتشفون أيضاً ارتباط سامرز بكينيث هوف، رجل السقوط المدبر. ما يجب ألا يكتشفوه هو أن بيلي سامرز، المعروف بديفيد لوكريدج، قد تخفى في هوية دالتون سميث، ولا يمكن أن يعرف نيك ذلك أبداً.

اتصل ببوكي هانسون في نيويورك، وطلب منه إرسال الصندوق الذي دُونت عليه كلمة أمانات إلى عنوانه في شارع إيفرغرين وقال: «إذاً، هذا هو، ليس كذلك؟ أنت حقاً تنهي الموضوع».

قال بيلي: «يبدو كذلك، لكننا سنتحدث أكثر».

«متأكد أننا سنفعل. تأكد فقط من أنه لن يتم جمعها من بعض صناديق

المساجين في سجن المدينة. أنت الرجل الذي أعتمد عليه».

أنهى بيلي الاتصال، ثم اتصل بريختر، رجل العقارات الذي يعمل

وكيلاً للعقار في شارع 658.

«أنا أفهم أنها مؤثثة، هل سيتضمّن ذلك الواي فاي؟».

قال ريختر: «ثانيةً فقط»، لكن الثانية بدت وكأنها دقيقة، حيث سمع بيلى حفيف أوراقٍ، وفي النهاية قال ريختر: «نعم، وضعته منذ عامين، لكن من دون تلفاز؛ يجب عليك تأمينه».

قال بيلى: «حسناً، أنا أريدها، ما رأيك أن أتوجّه إلى مكتبك؟».

«أستطيع أن أقابلك في المبنى وأريك المكان».

«لن يكون هذا ضرورياً، فأنا أريد الشقة فقط كقاعدةٍ للأعمالِ عندما أكون في هذا الجزء من البلاد. قد يكون عقد الإيجار لمدة عامٍ أو عامين، فأنا أسافر قليلاً. لقد بدا الحيّ هادئاً، وهذا ما يهمني».

ضحك ريختر قائلاً: «أراهن على ذلك منذ أن هدموا محطة القطار،

لكن الناس هناك قد يضحون ببعض الضجة مقابل المزيد من التجارة».

حددا يوم الاثنين المقبل موعداً للقاء، وعاد بيلى إلى الطابق الرابع في مرأب السيارات حيث ركن سيارته التويوتا في بقعةٍ مميّنة لا تستطيع أيٌّ من الكاميرات التقاطها؛ هذا إن كانت تستطيع ذلك أصلاً، فهي تبدو معطّلة بالنسبة إلى بيلى. أزال الشعر المستعار، والشارب، والنظارة، وبطن الحمل المزيّف، وسلك طريق العودة إلى برج جيرارد بعد أن وضعها في صندوق السيارة.

وصل في الوقت المناسب للحصول على بوريتو من العربة المكسيكية، والتي تناولها مع جيم أولبرايت وجون كولتن، المحاميين من الطابق الخامس، ورأى كولن وايت الأنيق الذي يعمل في بيزنس سوليوشنز، وقد بدا اليوم لطيفاً للغاية في بذلة بخار. قال جيم ضاحكاً: «ألا يبدو هذا الرجل مثل صندوق الفرجة؟».

واقفه بيلى قائلاً: «نعم»، وفكّر في سرّه: صندوق الفرجة الذي يناهز

طولي.

أمطرت طوال الأسبوع، وصباح السبت، ذهب بيلى إلى وول مارت حيث اشترى حقيبتين رخيصتين والكثير من الثياب الرخيصة التي ستناسب شخصية دالتون سميث ذي الوزن الزائد، ودفع نقداً، حيث إن النقد لديه يضمن ألا يتذكره أحدٌ.

بعد الظهر، جلس على شرفة المنزل الأصفر يشاهد العشب في حديقة منزله الأمامية؛ هذا ليس منزله، وهذه ليست بلدته أو ولايته، وسيغادر من دون أن ينظر إلى الوراء أو يشعر بالندم، لكنه لا يزال يشعر بالفخر لما أنجزته يده، إذ لن يحتاج العشب إلى الجزّ قبل مضي أسابيع، وربما لن يحتاج إلى الجزّ قبل شهر آب. إن كان هناك، فسيجزّه بعد أن يدهن وجهه بواقٍ من أشعة الشمس وهو يرتدي شورطاً وقميصاً من دون كمين.

«سيد لو كريدج؟».

نظر إلى البيت في الجهة المقابلة حيث يقف ديريك وشانيس أكرمان على شرفة منزلهما، وينظران إليه من خلال المطر. كان الفتى هو الذي يتحدث: «صنعت أمي للتو كعكاً مغطى بالسكر، وقالت لي أن أسألك إذا كنت تريد بعضاً منه».

قال بيلى: «هذا يبدو جيداً»، نهض وعبر الشارع تحت المطر. أخذت شانيس التي تبلغ من العمر ثماني سنوات بيده بانعدام تامٍ للوعي الذاتي، واصطحبته إلى الداخل حيث جعلت رائحة الكعك الطازج معدة بيلى تصدر صوتاً.

إنه منزلٌ صغيرٌ لكنه أنيق ومنظم، هناك قرابة مئة صورة مؤطرة في غرفة المعيشة، بما في ذلك عشرات الصور على البيانو والتي تحتل الصدارة. في المطبخ، كانت كورين أكرمان تخرج بقيةً المخبوزات من الفرن.

«مرحباً أيها الجار. هل تريد منشفةً لشعرك؟».

«أنا بخير، شكراً. ركضتُ ولم أتبلل».

ضحكت قائلة: «خذ بعض الكعك. يشربُ الأطفال الحليب مع قطعهم، هل تريد كوباً؟ يوجد أيضاً قهوة، إذا كنت تفضل ذلك».

«سيكون القليل من الحليب جيداً».

ابتسمت سائلةً إياه: «كمية مضاعفة؟».

بادلها الابتسام قائلاً: «يبدو جيداً».

ثم جلست.

جلس مع الطفلين، ووضعت كورين طبقاً من الكعك على الطاولة وقالت: «كونا حذرين، إنها لا تزال ساخنة. ستجهز حصتك المنزلية من الدفعة التالية يا ديفيد».

أخذ الطفلان قطعهما، وكذلك أخذ بيلى قطعة كانت لذيدة المذاق، فقال: «رائع يا كورين. شكراً لكِ لأنك خبزتها في يوم ماطر كهذا».

أعطت الطفلين كوبين كبيرين من الحليب، وأعطت بيلى كوباً أصغر، وسكبت لنفسها كوباً صغيراً، وانضمت إليهم في حين كان المطر يتساقط مصدراً أصواتاً على السطح.

قال ديريك: «أعلم أن كتابك غايةٌ في السرية، لكن...».

حذرته كورين قائلة: «لا تتحدث وفمك مليء بالطعام، فأنت تنثر الفتات في كلِّ مكان».

قالت شانيس: «أنا لا أثر الطعام».

قالت كورين: «لا، أنتِ تُبلينِ بلاءً حسناً».

لم يهتم ديريك بالقواعد وقال: «أخبرني فقط شيئاً واحداً، هل في الكتاب مشاهد دموية؟».

فكر بيلى ببوب راينز، وفكر بأخته وبأضلاعها المحطمة - نعم، كلِّ ضلعٍ لعين - وصدرها المضغوط وأجاب: «لا، لا يوجد دم»، وقضم كعكته. مدت شانيس يدها لتأخذ كعكة أخرى، فقالت لها أمها: «يمكنك أخذ

هذه القطعة، وواحدة أخرى، وأنت أيضاً يا ديريك. الباقي للسيد لوكريدج ولوقتٍ لاحقٍ. أنتما تعلمان أن والدكما يحبها»، ثم قالت لبيلي: «يعمل جمال ستة أيامٍ في الأسبوع، ويعمل لوقتٍ إضافي عندما تُتاح له الفرصة. إن آل فازيو يُجيدون الاعتناء بولدنا عندما نكون في العمل. إنه ليس حيناً سيئاً، لكننا نتطلع إلى حيٍّ أفضل».

سألها بيلي: «هل ستنتقلون».

ضحكت كورين، وأومات برأسها إيجاباً.

قالت شانيس: «لا أريد أن ننتقل أبداً»، ثم أضافت ببراءة الأطفال الساحرة: «لديّ أصدقاء هنا».

قال ديريك: «وأنا كذلك يا سيد لوكريدج. هل تعرف كيف تلعب المونوبولي؟ سألعب أنا وشان، لكن اللعبة تبدو سيئة عندما لا يتجاوز عدد اللاعبين الاثنين، وأمي لن تلعب».

قالت كورين: «هذا صحيح، أمك لن تلعب، إنها أكثر لعبة مملّة في العالم. اجعل والدك يلعب معك الليلة، فهو سيفعل ذلك إذا لم يكن متعباً جداً».

قال ديريك: «لن يأتي والدي قبل مضيّ ساعات، وأنا أشعر بالملل الآن».

قالت شانيس: «وأنا أيضاً. كنت سألعب الكلمات المتقاطعة إن كان لديّ هاتف».

قالت كورين: «سيكون لديك هاتف السنة القادمة»، وأدارت عينيها بطريقة جعلت بيلي يعتقد أن الفتاة لديها معرفة جيدة بأمور الهواتف المحمولة منذ أن كانت صغيرة.

سأله ديريك: «هل تلعب؟»، وبدا أنه يطرح السؤال من دون أن يكون لديه أمل أن يوافق بيلي.

قال بيلي: «سألعب»، وانحنى باتجاه الطاولة مشيراً إلى ديريك أكرمان

بعينه وأضاف: «ولكنني أحذرك، فأنا جيد في اللعب، ودائماً ما أفوز». قال ديريك مبتسماً وقد شكّل الحليب شارباً أعلى شفته: «وأنا كذلك». قالت شانيس: «وأنا كذلك».

قال بيلي: «لن أتهاون لأنكما طفلان وأنا كبير، بل سأقوم بإيذائكما بممتلكاتي المؤجرة، ثم أقتلكما بفنادقي. إذا كنا سنلعب، يجب أن تعرف ذلك مسبقاً».

قال ديريك: «حسناً»، قفز وكاد يسكب بقية حليبه. تظاهرت شانيس بالبكاء قائلة: «حسناً»، وقفزت بدورها. «هل ستبكيان عندما أفوز؟».

«لا».

«لا».

«حسناً، ما دام الأمر واضحاً بالنسبة إليكما».

سألته كورين: «هل أنت متأكد؟ هذه اللعبة، أقسم إنها يمكن أن تستمر طوال اليوم».

قال بيلي: «لن تستمر طوال اليوم عندما أرمي النرد».

قالت شانيس: «نحن نلعب في الطابق السفلي»، وأخذت بيده مرة أخرى.

الغرفة الموجودة في الأسفل هي بحجم الغرفة الموجودة في منزل بيلي، لكنها تبدو مخصصة بشكل كامل لوالد الطفلين. في هذا الجزء، أنشأ جمال مساحة عمل وثبت أدواته على الحائط، وقد لاحظ بيلي منشاراً شريطياً للخشب، كما لاحظ وجود قفل فوق مفتاح التشغيل/الإيقاف. تمتلئ نصف غرفة الأطفال بالألعاب وكتب التلوين، وهناك تلفاز صغير متصل بوحدة تحكم ألعاب رخيصة تستخدم شرائط كاسيت. ظن بيلي أنها مشتراة من سوق البرغوث حيث كدسوا ألعاب الطاولة مقابل جدار واحد. أخذ ديريك صندوق المونوبولي، ووضع اللوح على طاولة للطفلين.

قالت شانيس فزعة: «السيد لوكريدج كبيرٌ جداً بالنسبة إلى كرسيّنا». أبعد بيلى أحد الكرسيين وقال: «سأجلس على الأرض». هناك متسعٌ فقط لساقيه المتشابكتين تحت الطاولة. سأل ديريك: «أيُّ قطعةٍ تريد؟ أنا آخذ عادةً سيارةً السباق عندما أكون أنا وشان فقط، لكن يمكنك الحصول عليها إذا أردت». «لا بأس. أيّ واحدة تفضلين يا شان؟».

قالت: «الكشتبان»، ثم أضافت على مضض: «إلا إذا أردته». أخذ بيلى القبعة وبدأت اللعبة. بعد أربعين دقيقةً، عندما حان دور ديريك مرةً أخرى، نادى والدته: «أمي، أحتاج نصيحةً». نزلت كورين الدرج، ووقفت واضعةً يديها على وركيها، متفحصةً اللوح، ثم وزعت أموال المونوبولي قائلةً: «لا أريد أن أقول إنكما في ورطةٍ يا طفلي، ولكنكما كذلك». قال بيلى: «لقد حذرتهما».

«ماذا تريد أن تسألني يا ديريك؟ ضع في حسابك أن والدتك بالكاد تدبّرت مصاريف المنزل في وقتٍ سابقٍ».

قال ديريك: «حسناً، هذه مشكلتي، حصل هو على اثنين من المناطق الخضراء؛ المحيط الهادئ وبنسلفانيا؛ لكنني حصلت على كارولاينا الشمالية، وقال السيد لوكريدج إنه سيعطيني تسعمئة دولارٍ مقابلها، وهذا ثلاثة أضعافٍ ما دفعته، لكن...».

قالت كورين: «لكن ماذا؟».

قال بيلى: «لكن ماذا؟».

«لكن عندها يستطيع أن يبني منازلَ فوق المساحات الخضراء، ولديه بالفعل فنادق في بارك بليس وعلى الساحل».

سألت كورين: «والحلّ؟».

قال بيلى وهو يبتسم: «والحلّ؟».

قالت شانيس: «يجب أن أذهب إلى الحمام، وأنا على وشك الخسارة بكل الأحوال»، ونهضت.

«عزيزتي، لست بحاجة لإعلانِ اضطرارك لدخولِ الحمام، عليك فقط أن تقولي اعذروني».

قالت شانيس باعتزاز الراحين نفسه: «سأضع بودرةً على أنفي، حسناً؟».

انفجر بيلى ضاحكاً، وانضمت إليه كورين بينما لم يُعر ديريك أيَّ اهتمامٍ بل تأمل اللوح ونظر إلى والدته قائلاً: «أبيعُ أم لا؟ أو شكت أموالِي أن تنفد».

قال بيلى: «إنه خيار هوبسون، والذي يعني أنه يجب عليك أن تقرّر بين المخاطرة أو التوقف، دعني أسرّ لك أمراً يا ديريك، أعتقد أنك ستخسر في كلتا الحالتين».

قالت كورين: «أعتقد أنه محقّ يا عزيزي».

قال ديريك لوالدته: «إنه محظوظٌ حقاً، هبطَ في موقفٍ مجانيٍّ وحصلَ على كلِّ المال هناك حيث كان عبارةً عن رزمة».

قال بيلى: «ولكن اعترف أيضاً بأنني أجيد اللعب».

حاول ديريك أن يعبس، لكنه لم يتمكن من المحافظة على عبوسه لفترة طويلة، ثم أخرج الشيك مع القلم الأخضر وقال: «ألف ومئتان». انتحب بيلى وقال: «اتفقنا»، وسلّمه النقود.

بعد عشرين دقيقة، أفلس الطفلان، وانتهت اللعبة. أصدرت ركبتا بيلى صوتَ فرقةٍ فضحكَ الطفلان، ثم قال لهما: «لقد خسرتما يا صديقي، لذلك عليكما أن تضعوا اللعبة جانباً، أليس كذلك؟».

قالت شانيس: «هذه هي الطريقة التي يلعبُ بها أبي أيضاً، لكن في بعض الأحيان يسمحُ لنا بالفوز».

انحنى بيلى وقال مبتسماً: «أنا لا أفعلُ ذلك».

قالت: «أنت متممٌ كبير»، ثم ضحكت ويداها على فمها.
نزل داني فازيو على الدرج وهو يصدُر صوتاً بمعطفٍ أصفر مطري
وينتعل جزمة واسعة بدت مثل القمع وقال: «هل يمكنني أن ألعب؟».
قال بيلى: «في المرة القادمة، لقد وضعت قاعدة مفادها أنني مستعد
لأن أهزم الأطفال مرة واحدة في نهاية كل أسبوع».
إنه مجرد مزاح، ما قد يسميه هؤلاء الأطفال تهكماً، ولكنه رأى فجأةً
كعكاتٍ محترقةً مبعثرةً على الأرض أمام الموقد في مقطورتهم والبقايا على
يد بوب راينز الملقاة على جانب وجه كاثي ولم يعد الأمر مضحكاً بعد الآن.
ضحك الأطفال الثلاثة لأن الأمر كان مضحاً بالنسبة إليهم. لم يشاهد
أحد منهم أخته وهي تُداس من قِبَل غولٍ مخمورٍ مع وشم حوريةٍ باهتةٍ
على يده.

في الطابق الأعلى، أعطته كورين كيساً من الكعك وقالت: «شكراً
لجعل يومٍ ماطرٍ ممتعاً جداً بالنسبة إليهما».
«في الحقيقة، لقد استمتعت برفقتكما».
استمتع حتى النهاية وعندما عاد إلى المنزل رمى الكعك في القمامة.
كورين أكرمان خبازةٌ صغيرةٌ جيدةٌ، لكنه لا يستطيع التفكيرِ بأكلِ الكعكات
الآن، ولا يستطيع حتى أن يتحمّل النظر إليها.

6

يوم الاثنين، ذهب لرؤية وكيل التاجير الذي يقوم بأعمال تجارية في
مركز التسوق الصغير الكئيب الذي يبعد ثلاثة مجمعات عن شارع 685.
مكتب ريختر عبارة عن غرفتين ضيقتين بين صالون تسميرٍ وصالون جولي
روجر للوشم.

ركنت سيارةً دفع رباعيٍّ في الأمام، قديمة جداً، مع لافتةٍ مثبتةٍ على
أحد جانبيها (ريختر للعقارات) وخدشٍ طويلٍ على الجانب الآخر. ألقى

الرجل نظرةً خاطفةً على توصيات دالتون سميث المصممة بعناية فائقة، ثم أعادها له مع عقد الإيجار، وقد ظلَّت الأماكن التي من المفترض أن يوقَّعها بيلى باللون الأصفر.

قال ريختر كما لو أن بيلى قد احتجَّ: «يمكنك أن تخبرني أن الأمر مبالغٌ فيه قليلاً، ولا بد أنك محقٌّ، لكن بشكلٍ قليل فقط، إذا أخذنا بعين الاعتبار الأثاث وشبكة الواي فاي، ولا يمكنك ركن سيارتك قبل السادسة مساءً، إذ يُعدُّ الممر راحةً حقيقيةً، وستشاركه مع عائلة جنسن، بالطبع...». «أخططُ لإبقاء سيارتي في مرأبٍ محليٍّ في أغلب الأوقات»، ربت على بطنه المزيف وأضاف: «يمكنني بذلك القيام ببعض التمارين الرياضية، يبدو الإيجار مرتفعاً، لكنَّ المكان راقٍ لي».

اندهش ريختر وسأل: «من دون رؤيته؟».

«تحدثت السيدة جنسن بشكلٍ جيّدٍ عنه».

«أوه، لقد فهمت. على أيِّ حال، إذا كنا متفقين...؟».

وقَّع بيلى العقد، وكتب شيكه الأول باسم دالتون، ودفع بدل إيجار الشهر الأول وربما الأخير، وتأمين الأضرار وهو أمرٌ مشينٌ إلا إذا كانت تجهيزات المطبخ مكسوةً بالكامل بأدوات المطبخ الصينية المزخرفة وتأتي المصابيح بألوانٍ وأشكالٍ مزخرفةٍ.

قال ريختر: «رجل تكنولوجيا المعلومات، هاه؟»، ووضع الشيك بعيداً

في درج مكتبه.

دفع بمغلفٍ كُتِبَ عليه كلمة مفاتيح عبر المكتب، ثم ضرب حاسوبه القديم كما يفعل المرء مع كلب لا يريده، لكنه يبقيه في الجوار وقال: «يمكنني بالتأكيد الحصول على بعض المساعدة بخصوص هذا الكلب العنيد».

قال بيلى: «أنا خارج العمل، لكن يمكنني أن أعطيك بعض النصائح.

استبدله قبل أن تفقد كلَّ شيء. هل يشمل بدل الإيجار مصاريف التدفئة،

الكهرباء، الماء، والكابلات؟».

ابتسم ريختر كما لو أنه يعطي بيلى جائزة: «كلا، هذا كله على نفقتك الخاصة يا صديقي».
ومدَّ يده.

كان من الممكن أن يسأل بيلى ريختر عما يفعله بالضبط مقابل عمولته، إذ إنه من الواضح تماماً أن العقد عبارة عن نموذج مطبوع من الإنترنت مع إسقاط التفاصيل الفرعية، لكن هل هذا يهمه؟ على الإطلاق.

7

رغب بيلى بالعودة إلى قصته - يبدو أنه سابق لأوانه أن يطلق عليها كتاباً - ولكن كان عليه القيام بأمر آخرى، حيث سيذهب إلى بنك ساوثرن ترست عندما تفتح البنوك يوم الثلاثاء، ويسحب بعضاً من أموال النفقات التي أودعت في حساب ديفيد لوكريديج. ذهب إلى ثلاث سلاسل متاجر مختلفة، واشترى ثلاثة حواسيب محمولة أخرى، كلُّها نقداً، وكلها من ماركات رخيصة مثل أول تيك، واشترى أيضاً تلفازاً، ودفع ثمنه ببطاقة ائتمان دالتون سميث.

التالي على قائمته هو استئجار سيارة، خبأ سيارته التويوتا في مرآب في الطرف الآخر من المدينة بعيداً عن الذي يستخدمه بصفته ديفيد لوكريديج، إذ لا يريد أن يصادف أحداً من البرج ويراها في هيئة دالتون سميث. قد تكون هذه مجازفة صغيرة، حيث إنه في هذا الوقت من النهار يكون الأشخاص في أعمالهم يعملون بجِدِّ، لكن القيام بمجازفاتٍ صغيرة أمر غبي، فهذه هي الطريقة التي يُفتَضَّح بها أمر الناس المتخفين.

استدعى سيارة أوبر عندما وضع الشعر المستعار، والنظارة، والشارب، والبطن الكبير وطلب أن تقله إلى ماكوي فورد، في الطرف الغربي من المدينة. استأجر هناك سيارة فورد فيوجن لسته وثلاثين شهراً، كتدبير

احترازي، وذكره التاجر بأنه إذا قادها أكثر من 10500 ميل في السنة، فإنه سيدفع رسوماً زائدة بشكل كبير. شك بيلي أنه سيقود هذه السيارة لثلاثمائة ميل حتى.

النقطة المهمة هنا أن نيك يعرف أشياء عن بيلي، لكنه لا يعرف شيئاً عن دالتون سميث، إنه إجراء احترازي في حال كان نيك يخطط لشيء مريب، ولكن الأهم من ذلك أنه يبقي دالتون كرتيس سميث منفصلاً عما سيحدث على درج المحكمة؛ إنه يبقيه نظيفاً من الناحية القانونية.

ركن بيلي سيارته الجديدة إلى جانب سيارته القديمة - في مرأب مختلف، لكن في المنطقة العمياء نفسها ذات المستوى العالي - لفترة كافية لنقل التلفاز والحواسيب المحمولة الجديدة إلى سيارة الفيوجن، وأيضاً الحقائب الرخيصة التي خبأها في صندوق سيارة التويوتا في وقت متأخر من الليلة الماضية، والتي كانت مليئة بملابس وول مارت الرخيصة. قاد سيارته الفيوجن إلى شارع بيرسون 658، وركنها في الممر والذي هو عبارة عن إسفلتٍ مرصوف مع أعشاب تنمو في وسطه، وتمنى أن تراه السيدة جنسن وهو ينتقل، وهذا ما حصل.

هل رآها دالتون سميث وهي تنظر إلى الأسفل من نافذتها في الطابق الثاني؟ قرّر بيلي أنه لا يريد أن يفعل ذلك. إن دالتون مهووس بالحواسيب ويضيع في عالمه. كافح ودفع اثنتين من الحقائب حتى الباب واستخدم مفتاحه الجديد لفتحه، وقد قادته تسع درجات إلى الأسفل إلى باب شقة دالتون سميث الجديدة، حيث استخدم مفتاحاً آخر. فتح الباب مباشرة على غرفة المعيشة، وأسقط الأكياس على السجادة، ثم تجوّل متفقدًا الغرف الأربع والتي تصبح خمس غرف إذا احتسبنا الحمام.

قال ريختر: «المفروشات ظريفةٌ للغاية»، هذا ليس صحيحاً، لكنها ليست فظيعةً للغاية؛ تتبادر كلمة محلية إلى الذهن. السرير مزدوج، وقد أصدر صريراً عندما استلقى بيلي عليه، لكن ليس هنالك أي تسريب فوقه،

وهذا فوزٌ بحدّ ذاته، وهناك كرسيٌّ مريحٌ أمام طاولةٍ من الواضح أنه كان من المفترض أن تحمل تلفازاً صغيراً يشبه الذي اشتراه من ديسكاونت إلكترونيكس. الكرسي مريحٌ بشكل كافٍ، لكنه منجّد بقماش مطبوع عليه نقش الحمار الوحشي، وهذا ما أزعج بيّلي.

سيرغب بتغطيته بشيءٍ ما.

بشكل عام، لقد أحب المكان. ذهب إلى النافذة الضيقة التي تقع على مستوى العشب، واعتقد بيّلي أن الأمر يبدو تقريباً مثل النظر من خلال منظار، فأخذ انطباعاً بأنه مريحٌ بطريقةٍ ما. أحبّ جيرانه في ميدوود وخاصة عائلة أكرمان في البيت المجاور، لكنه اعتقد أنه أحب هذا المكان أكثر، فهو يشعره بالأمان. هناك أيضاً أريكةٌ قديمةٌ تبدو مريحةً أيضاً، فقرّر أنه سينقلها الآن إلى حيث يوجد الكرسي المخطّط والمنجّد بالقماش المطبوع عليه نقش الحمار الوحشي، حتى يستطيع الجلوس عليها والنظر إلى الشارع. قد ينظرُ الأشخاص الذين يمرون على الرصيف إلى المنزل، لكن معظمهم لن ينظروا إلى نوافذ الطابق السفلي ويروه ينظرُ إليهم، حيث بدت له الشقة وكأنها وكر. إذا توجّب عليه الاختباء، فهذا هو المكان الذي يجب عليه أن يختبئ فيه، وليس منزلاً آمناً في ويسكنسن، لأن هذا المكان في الحقيقة هو في الخفاء. سمع نقراً خفيفاً خلفه - في الواقع أكثر من خشخشة - فاستدار ورأى السيدة جنسن تقفُ عند الباب الذي تركه مفتوحاً وهي تمرّر أظافرها على الدعامة.

«مرحباً يا سيد سميث».

«أوه، مرحباً»، صوت دالتون سميث أعلى قليلاً من ذلك الذي استخدمه عندما يكون بشخصية بيّلي سامرز وديفيد لوكريدج. إنه يلهث بعض الشيء، ربما لأنه يعاني من نوع خفيف من الربو: «أمسكت بي وأنا أنتقل يا سيدة جنسن»، وأشار إلى الحقائق.

«بما أننا سنصبحُ جيراناً، لِمَ لا تناديني بيفرلي؟».

«حسناً، شكراً، وأنا دالتون. آسف لا أستطيع أن أقدم لك القهوة أو أي شيء، فلا توجد لوازم حتى الآن...».

«أفهم تماماً، الانتقال أمرٌ متعب، أليس كذلك؟».

«إنه بالتأكيد كذلك، الجزء الجيد هو أنني أسافرُ كثيراً، لذلك لا أملك كثيراً من الأغراض، رأيت فنادق أكثر مما أردت على الإطلاق، وسأمضي بقية هذا الأسبوع في لينكولن، نبراسكا، ثم أوماها»، وجد بيلى أن من يكذب بشأن السفر بغرض العمل إلى مدن ذات حجمٍ وأهمية ثانويين في المخطط الكبير للأشياء، فسيصدقه الناس، «لدي بعض الأشياء الأخرى التي يجب إحضارها، لذلك إذا سمحت لي»....

«هل تحتاج المساعدة؟».

«لا، أنا بخير»، ثم قال كما لو أنه أعاد النظر في ما قاله: «حسناً...». ذهباً إلى سيارة الفيوجن، فأعطها بيلى الحواسيب الثلاثة الرخيصة. مع الصناديق التي بين ذراعيها، بدت وكأنها امرأة تعمل بالتوصيل لصالح دومينوز: «يا إلهي، من الأفضل ألا أوقعها، إنها جديدة كلياً، وربما هي باهظة الثمن».

لقد اشتراها بتسعمئة دولار، لكن بيلى لم يخبرها بثنائها، وسأل إذا كانت الأغراض ثقيلة جداً.

«أوه، أخف من سلّة غسيلٍ مبلّل. هل ستقوم بتشغيل كلّ هذه؟».

قال بيلى: «نعم، بمجرد أن تصلني الكهرباء، هذه هي الطريقة التي أنجز بها عمالي، أو لنقل بعضاً من عمالي، إذ إنني أقوم بالاستعانة بمصادر خارجية في معظم الأوقات»، الاستعانة بمصادر خارجية هي واحدة من الكلمات التي تبدو مثيرة للإعجاب والتي يمكن أن تعني أي شيء. أخرج العلبة التي تحتوي التلفاز، ثم صعد الممر عبر الباب الأمامي المفتوح أسفل الدرج.

قالت بيفرلي جنسن: «تعال بعد أن تستقر قليلاً، سأحضر إبريق القهوة،

وأستطيع أن أقدم لك الدونات، إذا كنت لا تمنع وجودك ليوم واحد هنا». «لا أقول لا للدونات أبداً، شكراً لك يا سيدة جنسن». «بيفرلي».

ضحك: «بيفرلي، صحيح. بقيت حقيبة واحدة عليّ أن أحضرها، وسأكون معك بعد ذلك».

أرسل بوكي صندوق بيبي، ذلك الذي يحمل علامة أمانات، والذي يوجد فيه هاتف دالتون سميث المحمول، وحالما أفرغ سيارته الفيوجن، استخدمه بيبي لإجراء بعض مكالمات دالتون سميث. في الوقت الذي كان يشرب فيه فنجاناً من القهوة، ويأكل الدونات في شقة السيدة جنسن في الطابق الثاني، ويستمتع بانجذاب واضح بينما تخبره بيفرلي بكل شيء عن مشاكل زوجها مع رئيس الشركة التي يعمل بها، وصلت الكهرباء إلى بيته الجديد.

أو وكره تحت الأرضي.

8

سبقى في العقار 658 حتى عصر اليوم، حيث سيفرغ الثياب الرخيصة، ويجهز الحواسيب الرخيصة، ويتسوق من بروك شاير على بعد ميل واحد. باستثناء دزينة من البيض وبعض الزبدة، فإنه يتعد عن المواد سريعة التلف، ومعظم ما يشتريه هو أشياء لن تتلف عندما لا يكون متواجداً في المنزل: معلبات ووجبات عشاء مجمدة. عند الساعة الثالثة، قاد سيارته الفيوجن المستأجرة عائداً إلى الطابق الرابع في مرأب السيارات، وبعد أن تأكد من أن أحداً لا ينظر إليه، أزال النظارة والشارب المزيف. إن التخلص من البطن المزيف هو راحة لا تصدق، ورأى بأنه سيحتاج إلى البعض من بودرة الأطفال إذا أراد تجنب الطفح الجلدي.

قاد التويوتا عائداً إلى مرأب السيارات رقم 1، ثم عاد إلى الطابق

الخامس في برج جيرارد. لم يعمل على قصته، ولم يلعب الألعاب على حاسوبه أيضاً، بل اكتفى بالجلوس والتفكير؛ لا توجد بندقية في المكتب، لا شيء أكثر فتكاً من سكين تقشير في أحد أدراج المطبخ الصغير، ولا بأس بذلك. قد تمضي أسابيع أو حتى أشهر قبل أن يحتاج بيلى إلى سلاح. قد لا يحدث الاغتيال على الإطلاق، وهل سيكون هذا سيئاً جداً؟ من الناحية المالية، نعم، إذ سيخسر مليوناً ونصف، أما بالنسبة إلى الخمسمئة ألف التي حوّلت لحسابه، فهل سيريد الشخص الذي طلب الاغتيال- الشخص الذي يتوسط نيك لأجله - أن يسترد المال؟ قال بيلى: «حظاً موفقاً في ذلك، وضحك».

9

فكّر بيلى وهو يمشي متاقلاً عائداً إلى مرأب السيارات في كيفية الجمع بين امرأتين. لم يسبق له أن تزوّج، ولكن كيف سيشعر إن كان على علاقة بامرأتين؟ إنه يعرف الآن كيف سيشعر حيال هذا الموضوع، والتعبير عن شعوره سيكون كلمة واحدة، متعباً. إنه لا يضع نفسه فقط في حياتين مختلفتين، بل في ثلاث. بالنسبة إلى نيك وجورجيو، وإلى كين هوف الذي يكرهه أيضاً، هو عبارة عن سلاح للقتل واسمه بيلى سامرز، بينما هو بالنسبة إلى سكان برج جيرارد كاتب طموح اسمه ديفيد لوكريدج، الشيء ذاته لسكان شارع إيفرغرين في ميدوود. والآن، في شارع بيرسون- على بعد تسعة مجمعات من برج جيرارد وأربعة أميال آمنة عن ميدوود- هو خبير حاسوب يعاني من زيادة الوزن يدعى دالتون سميث.

فكّر بالأمر، هناك أيضاً حياة رابعة: حياة بنغي كومبسون، الذي لا يشبه بيلى بما يكفي حتى يتمكن بيلى من النظر إلى الذكريات المؤلمة التي يتجنبها عادة.

بدأ كتابة قصة بنغي على حاسوب محمول يعرف أنه يتم التجسس عليه، لكنه تعامل مع الأمر بإيجابية، أراد أن تتم قراءتها، من قبل أي شخص، ليس فقط من قبل أشخاص قساة من فيغاس مثل نيك ماغاريان وجورجيو بيغليلي، وهو يدرك الآن - وهو أمر لم يدركه من قبل ولم يفكر فيه أبداً - أن أي كاتب ينشر أعماله على الملأ يواجه الخطر، وهو جزء من الجاذبية؛ انظروا إلي، أنا أريكم ما أنا عليه، إنني أتعتى أمامكم وأكشف نفسي. وهو يقترب من مدخل مرأب السيارات، عميقاً بهذه الأفكار، أته نقرة على كتفه جعلته يقفز، فاستدار ورأى فيليس ستانهوب، المرأة التي تعمل في شركة المحاسبة.

قالت: «أنا آسفة»، وخطت خطوة إلى الخلف متابعه: «لم أقصد أن أخيفك».

هل رأت شيئاً في تلك اللحظة غير الحذرة؟ ومضة لمن هو حقاً؟ هل هذا ما كانت تعنيه الخطوة إلى الخلف؟ ربما، إذا كان الأمر كذلك. حاول تغيير الموضوع بابتسامة بسيطة وبالحيقة المطلقة قائلاً: «لا بأس، كنت غارقاً في أفكارى».

«تفكر في كتابك؟»

«هذا صحيح».

خطت فيليس خطوة إلى جانبه، وحققتها تتدلى من كتفها. كانت تضع أيضاً حقيبة ظهر للأطفال عليها صورة سبونج بوب، وقد استبدلت حذاءها عالي الكعب بجوارب بيضاء وحذاء رياضي أبيض. سألته: «لم أرك على الغداء اليوم، هل أكلت في مكتبك؟».

«كنت في الخارج أقوم ببعض الأعمال، ما زلت أحاول الاستقرار، بالإضافة إلى أنني أجريت حديثاً طويلاً مع وكيلتي».

تحدث في الواقع مع جورجيو، على الرغم من أنه لم يكن حديثاً طويلاً. عاد نيك إلى فيغاس، لكن جورجيو يقيم في منزله الضخم وقد

اصطحب معه الشابين الجديدين؛ ريغي ودانا.

لا يظن بيلي أن نيك وجورجيو بيغز يتعاونان معه، لكنها صفقة كبيرة بالنسبة إليهما وستفاجأ بيلي إذا كانا مستهترين، وسيكون مصدوماً حقاً. الشخص الوحيد الذي ربما سيبقيان يراقبانه في الواقع هو كين هوف. بقيت فيليس منتظرة كالساذجة ليكمل حديثه، فتابع قائلاً:

«بالإضافة إلى ذلك، حتى عندما لا يكون الكاتب على مكتبه، فهو يعمل»، ونقر على صدغه.

بادلته الابتسام، وهي ابتسامة جميلة قائلة: «أراهن أن هذا ما يقوله الجميع».

«في الحقيقة، يبدو أنني اصطدمت ببعض العقبات».

«ربما بسبب تغيير المكان».

«ربما».

لا يعتقد أن هناك عقبة بالفعل، لم يكتب أي شيء ما عدا القسم الأول، لكن البقية موجودة، وهي تنتظر. يريد الوصول إليها، إنها تعني شيئاً له، فهي ليست مثل كتابة اليوميات، إنها ليست محاولة لتحقيق السلام في حياة كانت في نواح عديدة غير سعيدة وصادمة، وهي أيضاً ليست اعترافاً على الرغم من أنها قد ترقى إلى مستوى الاعتراف؛ الأمر يتعلق بالقوة. استغل أخيراً السلطة التي لا تأتي مع فوهة البندقية، مثل المنظر من نوافذ الطابق الأرضي في شقته الجديدة، فهو يحبها.

عندما وصلا إلى مدخل مرأب السيارات قال: «على أي حال، أخطط للعمل بجدّ ابتداءً من الغد».

رفعت حاجبها قائلة: «نقول البارحة ونقول غداً»، اندمج معها وانتهيا معاً: «لكن لا نفع لها اليوم أبداً».

«أياً يكن الأمر، لا أطيق الانتظار لقراءته»، بدأ بالطريق المنحدر، الذي بدا بارداً بشكل مبهج بعد الشمس الحارقة في الشارع. توقفت في منتصف

الطريق عند أول منعطف قائلَةً: «أنا وصلت»، ضغطت على زر الإنذار، واستجابت الأضواء الجانبية لسيارة بريوس زرقاء صغيرة. هناك ملصقان ضخمان يحيطان بلوحة رخصتها: أجسادنا، اختياراتنا وآمنوا بالمرأة.

قال بيلى: «أنت قادرة على التعامل مع هؤلاء، إنه وضع خطير ومهم». رفعت حقبتها أمامها، وابتسمت له ابتسامة عكس تلك التي استقبلته بها، إنها أكثر ما تشبه ابتسامة هاري القذر: «إنها أيضاً حالة تعقّب خفية، لذلك إذا حاول أي شخص إزالة الملصقين الواقيين للصدّات، يُفضّل أن يفعلوا ذلك بينما أنا لست بالجوار».

هل هذا مجرد عرض؟ هل تتحلل السيدة المحاسبة الصغيرة شخصية مزيفة أمام رجل قد تكون مهتمة به؟

ربما، وربما لا. في كلتا الحالتين، إنه معجب بها لأنها صريحة بشأن ما تؤمن به، ولأنها شجاعة، هكذا يتصرف الشخص الجيد، على الأقل يكون ذلك عندما يخرجون أفضل نسخة من أنفسهم.

قال بيلى: «حسناً، سأراك في الأرجاء، أنا في الأعلى بعدة طوابق».

«ألم تتمكن من العثور على شيء أقرب؟ حقاً؟».

يمكن أن يقول ذلك لأنه جاء في وقت متأخر اليوم، لكن ذلك قد يسبب له المشاكل في وقت لاحق، لأنه دائماً ما يركن في الطابق الرابع. رفع إبهامه وقال: «فرصة أقل للاصطدام بسيارة أخرى والهرب من هناك».

«أو تتم إزالة ملصق الصدّات الخاص بك؟».

قال بيلى: «لا أملك أياً منها»، وأضاف الحقيقة الثابتة: «أحب أن أقود بسرعة عالية تحت الرادار»، ثم قال باندفاع - وهو نادراً ما يكون رجلاً مندفعاً - ما وعد نفسه بالأيفعله: «فلنحتسّ شراباً في وقت ما، ألا تريدان؟». ومن دون تردّد قالت: «نعم»، كما لو أنها كانت تنتظره لي طرح السؤال، «ماذا عن يوم الجمعة؟ هناك مكان جميل على بعد مجمّعين، يمكن أن نذهب ونتقاسم الفاتورة، دائماً ما أشارك في الدفع عندما أذهب لتناول

مشروب ما مع رجل»، صممت لبرهة ثم أضافت: «على الأقل في المرة الأولى».

«ربما هي سياسة جيدة، قودي بأمان يا فيليس».
«فيل، ادعني فيل».

نظر إلى أضواء سيارتها الخلفية قبل أن يمضي بقية المسافة إلى الأعلى وصولاً إلى الطابق الرابع. هناك مصعد، لكنه يريد أن يمضي، ويريد أن يسأل نفسه لماذا فعل ما فعله للتو، أو ماذا عن لعب المونوبولي مع ديريك وشانيس أكرمان، خصوصاً عندما علم أنهما يريدان إعادة اللعبة الأسبوع القادم، وهل سيضطر لذلك على الأرجح؟ ماذا حدث بـ كن ودوداً، لكن ليس مقرباً جداً؟ هل يمكنك أن تكون جزءاً من المشهد عندما تكون في المقدمة؟

الجواب القصير هو لا.

الفصل السادس

1

يستمرّ الصيف بأيامه المشمسة حيث الرطوبة مرتفعة، والتي تتخللها عواصف رعديّة قوية، والتي قد تؤدي إلى معاناة بعض الأشخاص من الرشح، أما الأعاصير فكانت تشقّ طريقها عبر الريف، لكن أياً منها ما كان يصل إلى ميدوود أو وسط المدينة. بعد العواصف سرعان ما يتصاعد البخار من الطرقات التي لا تلبث أن تعود جافة.

معظم المكاتب في الطوابق العليا لبرج جيرارد شاغرة، إما لأنها غير مستأجرة، وإما لأن العاملين فيها غادروا في عطلات إلى حيث يكون الطقس أكثر برودةً. نظراً لحقيقة أن غالبية الشركات لا تزال شابة ولا تزال تحاول تأسيس نفسها، فإنها لا تزال في الغالب مزودة بكادر كامل؛ بعضها عبارة عن شركات ناشئة لم تكن موجودة حتى قبل عامين، مثل المكتب القانوني أسفل استوديو مكتب بيلي.

ذهب بيلي وفيل ستانهوب لتناول مشروب في حانة لطيفة كُسيّت جدرانها بالألواح الخشبية، والتي تقع بجانب أحد أفضل مطاعم بلاف المتخصص بإعداد شرائح اللحم. طلبت فيل الويسكي والصودا وهو ما وصفته بأنه خلطة والدها المفضلة، أما بيلي فطلب كأس أرنولد بالمر، وشرح لها أنه يمتنع عن شرب الكحول، وحتى البيرة لا يحتسيها أثناء العمل على كتابه.

قال: «لا أعرف إن كنت مدمناً على الكحول بالفعل، لكنني واجهت مشكلة مع الكحول». أخبرها عن الخلفية التي أعطاها له كلٌّ من نيك وجورجيو: الإفراط في الشرب في المنزل في نيو هامبشاير مع وجود عدد

كبير جداً من الصحبة.

أمضياً معاً نصف ساعة بشكل جيد، لكنه كان يعلم أنها ليست مهمّة به كما تهتمّ بشخص قد تراه أكثر من مجرد صديق، معتقداً أن الفرق يكمن في ما يوجد في كأسيهما. إن احتساء الويسكي مع رجل يحتسي مزيجاً من الشاي المثلج والليموناضة يشبه الشرب بمفردها، وربما تعاني فيل نفسها من مشكلة في الشرب - وهذا ما لاحظته من اللون الذي طغى على خديها وهي تنهي محتوى كأسها - أو سوف تعاني من مشكلة في السنوات القادمة. يودّ اصطحابها إلى الفراش، وهو أمر مخزٍ نظراً للوضع الحالي، لكن الحفاظ على الأمور الودية يقلّل من احتمال حدوث مشكلات. هناك انجذاب بينهما، لذا لن يكون بعيداً تماماً عنها، لكنه لن يتيح لفريق الأدلة الجنائية العثور على بصمات أصابعه في غرفة نومها، وسيكون هذا ممتازاً بالنسبة لكليهما.

دالتون سميث لديه خلفية لا تشمل مشاكل الكحول، لذلك يمكنه تناول بيرة على جانب الطريق في حي بيرسون 658 مع زوج بيفرلي. يعمل دون جنسن في شركة تنسيق للحدائق تسمى غروينغ كونسيرن. إنه محبط تماماً مع دون الآخر، الشخص الذي يجلس في حي أكبر بكثير في شارع بنسلفانيا 1600. يتفق بشكل خاص مع دون الآخر عندما يتعلق الأمر بقضية الهجرة؛ «لا يريد أن يرى أميركا مطلية باللون البني»، كما يقول على الرغم من أن جزءاً كبيراً من العاملين في غروينغ كونسيرن هم من المهاجرين غير الشرعيين الذين لا يتحدثون الإنكليزية، إنهم أجانب غير شرعيين ولا يتحدثون الإنكليزية «على الرغم من أنهم يعرفون بشأن قسائم الطعام»، كما يقول. عندما يشير بيلى إلى التناقض، يلوّح دون جنسن بعيداً ويقول: «نجوم السينما تأتي وتذهب، لكن المكسيكيين يبقون إلى الأبد». سأله دون إلى أين سيذهب بعد ذلك، فأجابه بيلى أنه سيمضي أسبوعين في مدينة أيوا، ثم سيتوجّه إلى دي موين وأميس.

قال دون: «من المؤكد أنك لن تقضي وقتاً طويلاً في هذه الشقة، وهذا يبدو لي هدراً للأموال التي تدفعها بدلاً للإيجار».

«في الصيف يكون العمل كثيفاً، ولكن في الخريف ستراني كثيراً، وأنا بحاجة إلى مكان لأرتاح فيه».

«سأشرب نخب ذلك. هل تريد بيرة أخرى؟».

أجابه بيلى: «لا شكراً، لدي بعض الأعمال التي يفترض بي الانتهاء منها».

قال دون: «تبدو مهووساً بالعمل»، وربت برفق على كتفه.

قال بيلى: «أنت تعاملني كما لو أنني مذنب».

في شارع إيفرغرين، دعاه آل راغلاند - باول ودينيس - لتناول الدجاج المشوي الذي أحضره من مطعم بيغ كلاكس، وبعد ذلك قدمت دينيس التحلية التي صنعتها بنفسها، وهي عبارة عن كيك الفراولة، وكانت لذيذة جداً، كذلك دعاه آل فازيو - بيت وديان - لتناول البيتزا يوم الجمعة، والتي تناولوها في غرفة المعيشة التي تقع في الطابق السفلي، وشاهدوا فيلم غزاة الفلك المفقود جنباً إلى جنب مع داني فازيو وولدي أكرمان اللذين يقيمان في الجهة المقابلة من الشارع.

أعجبهم الفيلم كما أعجب بيلى وكاثي عندما ذهبا لمشاهدته في العرض الثالث في أولد بيجو. أما جمال وكورين أكرمان فاصطحباه لتناول التاكو وفتيرة الشوكولاتة، وكانت هي الأخرى لذيذة. لقد اكتسب بيلى خمسة أرطال من الوزن، وبما أنه لا يريد أن يبدو مثل المستغل في الحي، اشترى شواية من وول مارت بواسطة إحدى بطاقات ائتمان ديفيد لو كريدج، ودعا العائلات الثلاث التي سبق لها أن دعتته، بالإضافة إلى جين كيلوغ، الأرملة التي تعيش في نهاية الحي، لتناول البرغر والهوت دوغ في فناء منزله الخلفي.

في عطلة نهاية الأسبوع، لعب المونوبولي مع جميع أطفال الحي، وليس أطفال شارع إيفرغرين فقط، وسعى الجميع للإطاحة بالبطل، ولكن أياً منهم لم يستطع. في أحد أيام السبت، شارك جمال أكرمان في اللعبة، إنه أفضل قليلاً من الأطفال، ولكنه أفلس بعد سبعين دقيقة، وتفاخر بيلى عليه. أخيراً، تمكنت كورين يوم السبت الماضي من الحاق الهزيمة به، وذلك قبل عودة الطفلين إلى المدرسة مجدداً. عندما أعلن بيلى إفلاسه صَفَّق لها كل الأطفال، وكذلك بيلى، فبادرتهم كورين بالإنحاء تواضعاً، ثم التقطت صورة للوح اللعب، وحرص بيلى على ألا يظهر في الصورة. لم يهتم بيلى كثيراً لأمر الصور، فهذا هو عصر كاميرا الهاتف المحمول، وهو متأكد من أن له صورة على هاتف ديريك، وربما أيضاً على هاتف داني فازيو. نظر ولدا أكرمان إلى بيلى بعيون لامعة وهما يصفقان. أصبحت هذه الألعاب مهمة لجميع الأطفال، وخصوصاً لديريك وشانيس، فهما كانا البادئين بها. لقد أصبح مهماً بالنسبة إلى الجميع، ولكنه سيخذلهم في النهاية. في الحقيقة، لا يعتقد أنه سيفطر قلوبهم عندما يقتل جويل ألين، أو بالأحرى يرفض هذه الفكرة أو لا يستطيع تقبلها، ولكنه واثق من أنهم سيصدّمون ويخيب ظنهم به. ارتباك؛ إنهم سيشعرون بذلك ليس تجاهه فقط، بل تجاه أي شخص يقدم على مثل هذا العمل، ولكن الأمر خرج من يده، ولم يبقَ له سوى الأمل أن يُرفض طلب تسليم ألين، أو يُقتل في السجن، أو أن يهرب، وبذلك يستحيل تنفيذ المهمة.

خلال أيام العمل، كان يتناول الطعام من العربات أمام برج جيرارد، هذا إن كان الطقس مقبولاً، ويبدل قصارى جهده للتعرف إلى كولن وايت، الذي بتأنقه الملفت لا يبدو نموذجاً للرجل المثلي بقدر ما يبدو شخصية هزلية تعود لأحد المسلسلات الكوميديّة من الثمانينيات. إنه يتحدث بنبرة مشيرة للإعجاب، ويبالغ في الإيماءات، ولا يخاطب بيلى سوى بعبارتي حبيبي ويا عسل، ولكن بيلى، رأى خلف كل هذا المظهر رجلاً فظناً حاداً

الذكاء، وعندما لا تكون عيناه منمهمكتين في توزيع الغمرات، فهما تراقبان بحدّة. في وقت لاحق بعد أن ينجز بيّلي المهمة، سيصف كثيرون ديفيد لوكريدج؛ سيصفه بعضهم بالجيد بمن فيهم فيليس ستانهوب، لكن بيّلي يعتقد أن هذا الرجل سيكون الأكثر دقّة، وهو ينوي الاستفادة منه، لكن في غضون ذلك عليه توخي الحذر منه. بيّلي يتّصف بالشخصية الغبية، ولكنه يعتقد أن كولن وايت يتّصف بالذات السخيفة اللعينة، والشبيه يعرف شبيهه.

ذات يوم، وبينما كانا يجلسان على مقعد عند الظهيرة أمام البرج، طرح بيّلي سؤالاً على كولن مفاده: «كيف تقوم بتهديد الناس مقابل حفنة من الدولارات مع أنك رجل لطيف؟»، وضع كولن يده على خده، وبحلق صوب بيّلي ثمّ قال: «حسناً... من باب التغيير».

أخفض يده، فاخفت ابتسامته اللطيفة التي يبرزها بشكل واضح ملمّع الشفاه الذي طلى به شفّتيه، تلك الابتسامة الشبيهة بابتسامة الأطفال، واستبدل صوته الهامس بصوت محامٍ غاضبٍ وقال:

«سيدتي، لقد نفذ منك الوقت إذا كنت تريدين الاحتفاظ بسيارتك، وإذا أنهيت المكالمة من دون اتفاق، وأعني أكثر من مجرد كلمة، فإن مكالمتي التالية ستكون لشركة إعادة الشراء التي نستعين بها. ابكي كما تريدين، فهذا لن يؤثر بي، أريد أن أرى على الشاشة أمامي أنك حولت ستين دولاراً أو على الأقل خمسين».

صمت قليلاً ونظر إلى بيّلي بعينين مكحلتين سائلاً إيّاه: «هل هذا يساعدك على الفهم؟».

لقد فهم، ولكن ما لم يستطع فهمه، هل كان كولن وايت رجلاً جيداً أم سيئاً؟

ربما هو جيد وسيء في الوقت نفسه، لطالما وجد بيّلي هذا المفهوم مقلّقاً.

في ذلك الصيف، كانت تصله مرة في الأسبوع وأحياناً مرتين رسائل من وكيله على الهاتف الخاص بديفيد لوكريدج.

ج. روسو: لم تُتَحْ لمحرك فرصة قراءة أحدث صفحاتك بعد.

ج. روسو: اتصلتُ بمحرك، لكنه كان خارج المكتب.

ج. روسو: لا يزال محرك في كاليفورنيا.

وهلَمْ جزأً. الرسالة التي كان ينتظرها، والتي تعني أن قاضياً في كاليفورنيا قد وافق على تسليم ألين هي: يريد محرك النشر. عندما تصل هذه الرسالة إلى بيلي، سيبدأ استعداداته النهائية.

ستكون الرسالة الأخيرة التي ترده من جورجيو الشيك في الطريق.

في أواسط شهر آب عاد نيك من فيغاس، فاتصل بيبي وطلب منه القدوم إلى المنزل الكبير بعد أن يحلّ الظلام، وهي تعليمات بالكاد يحتاج إليها بيبي. جلسوا لتناول العشاء عند الساعة التاسعة والنصف. ليس هناك من خدم وقد طبخ نيك بنفسه لحم العجل الذي لم يكن رائعاً، لكن مشروب بينوت نوار كان جيداً. اكتفى بيبي بشرب كأس واحدة، متذرعاً بأنه يريد أن يقود بسلام في طريق العودة.

شارك في العشاء فرانكي وبولي والرجلان الجديدان، ريغي ودانا.

أسرفوا في امتداح الوجبة، بما في ذلك الحلوى، وهي كعكة مشتراة من السوبر ماركت مزينة إما بالكريما الباردة أو بكريما الدريم ويب.

يعرف بيبي طعم الكريما، فقد أكل منها بما يكفي في طفولته في ليالي الجمعة في ستينك هاوس، والذي أطلق عليه هو وروبن وغاد - بالإضافة إلى سجناء متنوعين آخرين - اسم «دار الطلاء الأبدي».

إنه يتذكر ذلك المكان كثيراً هذه الأيام، لقد كان روبن مهووساً أيضاً بتلك الفتاة التي سيكتب عنها قريباً، التي سيغير اسمها إلى شيء من قبيل ريكي وربما روني، سيغير كل الأسماء باستثناء اسم الفتاة ذات العين الواحدة.

معظم طاقم نيك، الرجال الذين يعتقد بيلى أنهم الرجال العنيدون، لديهم أسماء تنتهي بلواحق من شخصيات أفلام كوبولا أو سكورسيزي. دانا إديسون مختلف؛ إنه يربط شعره الأصهب على شكل كعكة في الخلف ليغطي ما فقده من شعر في المقدمة فتبدو جبهته أشبه بمدرج.

فرانكي إلفيس وبولي مفتولا العضلات، أما دانا فلا يبدو أنه شرير، ولكن عينيه الزرقاوين خلف النظارة تبدو باردتين، إنهما عينا قنّاص.

بعد أن انتهوا من تناول الطعام سأل بيلى: «هل من أخبار عن ألين؟». «في الواقع، هناك خبر». ثم خاطب بولي قائلاً: «لا تشعل هذا السيجار اللعين هنا؛ هناك شرط عدم التدخين في عقد الإيجار، وانتهاك هذا الشرط ينهي العقد فوراً بالإضافة إلى غرامة قدرها ألف دولار». نظر بولي لوغان إلى السيجار الذي أخرجه من جيب قميص بول ستيوارت الوردي وكأنه لا يعرف من أين أتى، وأعادته وهو يعتذر بشدة، ثم عاد نيك ليخاطب بيل: «سيكون ألين في المحكمة يوم الثلاثاء بعد عيد العمال، وسيحاول محاميه تأجيل الجلسة مرة أخرى. هل سيحصل عليها؟». رفع نيك يديه وراحته إلى الأعلى مضيفاً: «ربما، لكن ما أسمع من أصدقائي في لوس أنجلوس هو أن القاضي عبارة عن عاهرة عجوز غاضبة».

ضحك فرانك ماكينتوش، ثم توقف وصالب ذراعيه على صدره عندما رأى أن نيك استهجن ضحكه؛ كان مزاج نيك سيئاً معظم الوقت تلك الليلة. اعتقد بيلى أنه يريد العودة إلى فيغاس، والاستماع إلى بعض كبار السن - فرانكي أفالون، وربما بوبي ريديل وغيرهما - يغنون فولاري.

«أخبروني أن الصيف كان ماطرأ هنا، هل هذا صحيح يا بيلى؟».

أجابه بيلى: «لقد تناوب بين المطر والصحو»، وراح يفكر في حديثه في ميدود؛ إنها خضراء مثل غطاء طاولة البلياردو الجديد، حتى العشب في شارع بيرسون 658 يبدو أفضل، والأعشاب الطويلة أخفت ركام محطة القطار عبر الشارع.

قال ريغي: «أيها الرئيس، عندما تمطر هنا، تمطر بغزارة بخلاف ما هي عليه الحال في فيغاس».

عندها سأل بيلى: «هل يمكنك الإطلاق تحت المطر؟ أريد الحقيقة، وليس بعض الهراء المتفائل».

«بالطبع، ما لم تمطر قطعاً وكلاباً».

«جيد. جيد. نأمل أن تبقى الققط والكلاب في المنازل. بيلى، رافقني إلى المكتب، أريد التحدث إليك لبعض الوقت، وبعد ذلك، يمكنك العودة إلى المنزل والحصول على الراحة، أما أنتم يا رفاق فجدوا شيئاً تفعلونه. بولي، إذا دخت هذا الشيء في الخارج، فلا تدعني أجد قذارتك على العشب غداً».

«حسناً يا نيك».

«سأراقب».

ذهب بيلى ونيك إلى غرفة تغطي الكتب جدرانها من الأرض حتى السقف، وتسلط المصابيح الصغيرة خيوطاً من النور على المجموعات ذات الأغلفة الجلدية. سيحب بيلى تصفح تلك الكتب على الأرفف - إنه متأكد تماماً من أنه يرى الأعمال الكاملة لكل من كيلينغ وديكنز - لكن هذا ليس من الأمور التي سيفعلها بيلى ونيك هنا. عرف بيلى أن نيك سيجلس على الكرسي ذي الظهر المجنح ويعطي كل تركيزه.

«هل رأيت ريغي ودانا في الجوار؟».

«نعم، بين الفينة والأخرى». رأهما يستقلان سيارة النقل التابعة لدائرة الأشغال العامة، وبمجرد أن يتوقفا عند الرصيف أمام برج جيرارد، حيث

تركن عربات الطعام في وقت الغداء، كانا يعبثان بغطاء فتحة التصريف. مرة أخرى رأهما في شارع هولاند، راكعين ويسلطان ضوءي مصباحيهما في شبكة الصرف الصحي. كانا يرتديان ملابس رمادية، ويعتمران خوذتي العمل، ويتعلان حذاءيهما.

«ستراهما أكثر. هل يبدوان طبيعيين؟».

رفع بيلى كتفيه.

سأله نيك بصبرٍ نافذ: «ماذا يعني ذلك؟».

«لقد بدوا طبيعيين».

«هل يلفتان الانتباه على نحو خاص؟».

«لم يبدُ لي ذلك».

«جيد، جيد. سيارة النقل في المرأب هنا، إنهما لا يخرجانها كل يوم، على الأقل ليس بعد، لكنني أريد أن يعتاد الناس على رؤيتهما يتجولان».

قال بيلى بأفضل ابتساماته الغبية: «الاندماج في المشهد».

وجه نيك سبابته نحوه؛ إنها علامته التجارية كما يعلم بيلى، وربما التقطها من ملاهي فيغاس، لكن بيلى لا يهتم حتى بتوجيه مسدس حقيقي نحوه. قال نيك: «بالضبط، هل سلّمك هوف السلاح؟».

«كلا».

«هل رأيته؟».

«لا، ولست متشوقاً لرؤيته كثيراً؟».

«حسناً»، تهّد نيك، ومرر أصابع يده عبر شعره وأضاف: «ربما ترغب

في رؤية البندقية، أليس كذلك؟ أو ترغب بالتمرن عليها في الجوار؟».

قال بيلى: «ربما»، لكنه لن يخاطر بإطلاق النار، حتى في المحطة حيث كل إشارات التوقّف مليئة بثقوب الرصاص. يمكنه أن يعاير البندقية باستخدام تطبيق آي-فون وأداة ليزر يبيعونها في أمازون. انحنى نيك قليلاً، ويداه مشبوكتان أمامه كما لو أنه يحتضن سلة، وقد بدا على مظهره القلق

الودي، ولكن يبلي رأى في وضعيته هذه وضعية محتال، وسأله: «كيف الحال في تلك المنطقة؟ ما اسمها؟ ميدوود؟»
«ميدوود، نعم. جيدة جداً».

«نوع من القذارة، أعلم، لكن المكافأة تستحق العناء».

«صحيح. في الواقع، يبدو لي الحي جميلاً جداً».

«هل تتوخى الحذر ولا تلفت الأنظار إليك؟».

أوماً يبلي برأسه إيجاباً، فلا حاجة لأن يعلم نيك بأمر جلسات لعب المونوبولي، أو اللقاءات في فناء منزله الخلفي، أو المشروب الذي تناوله مع فيل ستانهوب؛ الآن أو في أي وقت لاحق.

«هل فكّرت في خطة الهروب التي ذكرتها لك؟ لأنه، كما ترى، سيكون

الرجلان جاهزين عندما يحين الوقت. ريغي ليس عالم صواريخ، لكن دانا يفكر كالمقط، وهما يستطيعان القيادة».

«كل ما عليّ القيام به هو الالتفاف عند الزاوية، أليس كذلك؟ والدخول

إلى الجزء الخلفي من عربة النقل».

«صحيح، وتبدّل ملابسك، وترتدي زياً من الذي يرتديه موظفو

المدينة، وتسالون رجال الشرطة إن كنتم تستطيعون تقديم أي مساعدة في

السيطرة على الحشود أو شيء من هذا القبيل؛» كأن يبلي قد نسي كل هذا؛

«إذا قالوا نعم - ربما لن يفعلوا ذلك - ولكن إذا فعلوا ذلك، فإنك تدخل

مباشرة. في كلتا الحالتين، ستكون خارج الولاية وفي طريقك إلى ويسكنسن

بحلول الليل، وربما في وقت أقرب. ما رأيك؟».

تخيل يبلي نفسه ليس في طريقه إلى ويسكنسن، بل جثة هامدة ملقاة

بجانب طريق المقاطعة في حفرة مع علب البيرة وعلب وجبات بيغ ماك

المرمية.

هذا التخيل واضح جداً. ابتسم ابتسامة عريضة وقال: «تبدو الخطة

جيدة، فأنا لم أستطع التفكير بأي شيء أفضل منها».

لا يفترض بنيك أن يعرف بخطته الفعلية للهروب، ربما سيغضب عندها، ولكن لماذا يغضب إن تمت المهمة بنجاح؟
وقف نيك وقال: «جيد، أنا مسرور لأنني أستطيع أن أقدم لك المساعدة، أنت رجل جيد».

لا لست كذلك، ولا أنت أيضاً.
«شكراً يا نيك».

«آخر عمل، هاه؟ هل أنت واثق من أنه سيكون كذلك؟»
«أجل».

«حسناً، تعالَ إلى هنا، لتتعاقد».
تقدّم بيلي.

4

بعد يومين، سمع طرقاتاً على باب مكتبه.

كان بيلي يكتب منغمساً في ماضي شخصية بينغي كومبسون، والذي هو على الأرجح ماضيه، فحفظ ما كتبه، وفتح الباب؛ إنه كين هوف. يبدو أنه فقد عشرة أرتال منذ أن رآه بيلي في شهر حزيران، وكان شعر ذقنه طويلاً كما لم يسبق له أن رآه؛ ربما لا يزال يظن أن ذلك يجعل منه شبيهاً بأحد نجوم أفلام الأكشن، ولكن بيلي لا يرى في مظهره سوى مظهر رجل ثمل منذ خمسة أيام، ولم يساعد اللبان بنكهة النعناع في تعطير أنفاسه وإخفاء رائحة الكأس أو الكأسين اللتين احتساهما وهو في الطريق إليه. كان قميصه مجعداً، أما ربطة العنق فكانت أنيقة، فأدرك بيلي أن هناك خطباً ما.
«مرحباً يا بيلي».

«هل تذكر أنني ديف؟».

«صحيح، ديف، تذكرت»، نظر هوف خلف بيلي ليتأكد أن ما من أحد موجود وأدرك ما تلفظ به عن طريق الخطأ، وبعدها سأله: «هل يمكنني

الدخول؟».

«بالتأكيد، تفضل يا سيد هوف». لن يمنع الرجل الذي يمتلك المبنى من دخول الاستوديو، فتنحى بيلى جانباً، وعاود كين النظر خلف بيلى قبل أن يدخل. كانا يقفان في غرفة الاستقبال؛ إذا اعتبرنا أن هذا الاستوديو هو مكتب فعلي؛ ثم أغلق بيلى الباب، وسأله: «كيف يمكنني مساعدتك؟».

«لا أريد شيئاً، أنا بخير»، بلّل هوف شفتيه، وأدرك بيلى أن الرجل يخاف منه، ثم تابع: «لقد جئت للتو لأرى إن كان كل شيء يسير على ما يرام، وإذا كنت بحاجة إلى أي شيء».

ظن بيلى أن نيك أرسله؛ الرسالة؟ لقد كانت بدايتك سيئة مع بيلى وهو رجلنا هنا، لذلك يجب أن تتوافق معه.

قال بيلى: «شيء واحد فقط، ستأكد من أن البضاعة موجودة عندما أحتاجها، أليس كذلك؟»، قصد بندقية أم 24، وما أطلق عليها هوف ريمغتون 700.

«إنها في متناول اليد، هل تريدها الآن يا صديقي، أو...؟».

«لا، سيخبرك أحد أصدقائنا عندما يحين الوقت، وحتى ذلك الحين، احتفظ بها في مكان آمن».

«لا مشكلة، إنها في...».

«لا أريد أن أعرف، على الأقل لا أريد أن أعرف الآن». يجب ألا تقلق بشأن الأمور التي قد تحدث في المستقبل، يكفي القلق بشأن الأمور التي تحدث اليوم؛ اقتباس من إنجيل ماثيو؛ فما يريد اليوم هو العودة إلى ما كان يفعله، ولم تكن لديه أدنى فكرة عن الشعور الجيد الذي تمنحه إياه الكتابة.

«حسناً، بالتأكيد. اسمع، هل نذهب لاحتساء شراب في وقت ما؟».

«لا أظنها فكرة سيّدة».

ابتسم هوف؛ ربما يكون الأمر ساحراً عندما يكون في لعبته، لكنه ليس كذلك الآن، فهو في غرفة مع قاتل مأجور، وهذا جزء منه ولكن ليس كله.

شعر أن الجدران تقترب، ولم يعتقد بيلى أن السبب في ذلك يعود إلى أن هوف يشتهه في أنه خدع من أجل الإيقاع به؛ يجب أن يعرف لكنه لا يعرف. ربما لا يستطيع تصور ذلك، بالطريقة التي لا يستطيع بها بيلى تصور الثقوب السوداء بعيداً في الفضاء على أنها أشياء حقيقية بالفعل.

«سيكون الأمر على ما يرام. أنت كاتب، كما أنك مستأجر لدي».

أياً يكن ما عناه في ذلك، إلا أن بيلى قال: «لن يكون جيداً لاحقاً. من أجلك، عندما تستجوب، يمكنك القول إنك لم تكن على علم بما أفعله هنا، ولكن من الأفضل ألا تُستجوب أصلاً».

«لكن لا مشكلة بيننا يا بيلى، أليس كذلك؟».

«أنا ديف. عليك أن تعتاد على ذلك حتى لا تخطئ، وبالتأكيد، لا مشكلة بيننا. ما الذي يجعلك تظن ذلك؟».

أعطاه بيلى مظهر الغبي واسع العينين.

إنها تعمل، فهذه المرة ابتسم هوف لأن لسانه لم يخرج ليلطخ شفثيه في منتصفهما وقال: «ديف الآن وإلى الأبد، ولن أنسى ذلك. هل أنت متأكد من أنك لا تحتاج إلى أي شيء؟ لأنني أملك سينما كارميك في مجمع ساوث غيت؛ تسع شاشات، ولدي فيلم أي ماكس الذي لن يعرض قبل العام المقبل. يمكنني أن أحصل لك على تصريح، إذا كنت...».

«سيكون ذلك رائعاً».

«رائع. سأحضره لك بحلول الظهر...».

«لماذا لا ترسله عبر البريد؟ إلى هنا، أو إلى العنوان في شارع إيفرغرين؟ أنت تعرفه، أليس كذلك؟».

«بالطبع أعرفه، لقد زودني به وكيلك. العرض الكبير في الصيف، كما تعلم»، أوماً بيلى برأسه كما لو أنه لا يطيق الانتظار لرؤية مجموعة من الممثلين يرتدون بذلات خارقة.

«اسمع يا ديف، لقد حصلت على اشتراك في خدمة الفتيات المرافقات؛

إنهن فتيات لطيفات جداً، ومتحفظات جداً، وسأكون سعيداً...».

«من الأفضل ألا تفعل. ابقَ بعيداً عن الأنظار، هل تتذكر؟»، ثم فتح الباب. هوف ليس مجرد مشكلة، هوف هو حادث ينتظر أن يحدث.
«هل يحسن إيرف دين معاملتك؟ حارس الأمن الذي يعمل في الردهة؟».

«نعم، في بعض الأحيان أَلعب وإياه تذاكر مطابقة بدولار واحد».
قهقه هوف، ثم نظر من فوق كتفه مرة أخرى ليرى إن سمعهما أحد، وتساءل بيلى عما إذا كان كولن وايت والموظفون الآخرون في بيزنس سوليوشنز لديهم رقم كين هوف في قائمة مكالماتهم؛ على الأغلب لا. قال في سره: الأشخاص الذين يدين لهم كين - وهو مدين، بيلى متأكد من ذلك - لا يتصلون بك عبر الهاتف. في مرحلة معينة يأتون فقط إلى منزلك، ويغرقون كلبك في حمام السباحة، ويكسرون أصابع يدك التي لا تكتب فيها الشيكات.

«جيد، هذا جيد. وستيف برودر؟ مدير المبنى؟».

أجابه بيلى: «لم أره. اسمع يا كين، شكراً على الزيارة».

وضع بيلى ذراعه حول كتفي قميص الرجل المجعد، ورافقه إلى الردهة، ووجهه نحو المصاعد.

«أتراهن؟ سأكون رجلك إذا ما احتجت أي شيء».

«أعلم أنك ستكون كذلك».

وصل هوف إلى آخر الردهة، ولكن عندما اعتقد بيلى أنه قد تخلص منه، عاد وقد بدا اليأس في عينيه، ثم تحدث بصوت خفيض قائلاً:
«لا مشكلة بيننا، أليس كذلك؟ أعني، إذا فعلت أي شيء أساء إليك أو أزعجك، فأنا أعتذر».

قال بيلى: «لا مشكلة حقاً»، وفكر في أن هذا الرجل يمكن أن ينفجر، وإذا فعل ذلك، فلن يكون نيك ماغاريان وقتها، وسوف يظهر على حقيقته.

قال هوف: «أريد أن نكون جيدين»، ما زال يتحدث بصوتٍ منخفض، وتفوح منه رائحة النبيذ وعطر الكرييد، «يبدو الأمر كما لو أنني لاعب الوسط وأجنحتي مغطاة، ولكن بعد ذلك تفتح فجوة مثل السحر، وأنا، كما تعلم، أنا...».

في منتصف هذه الاستعارة المخنوقة، فُتح باب مكتب المحامين في نهاية الردهة، وخرج منه جيم أولبرايت متوجهاً إلى الحمام. رأى بيلى وألقى عليه التحية، فحيّاه بأحسن منها.

قال بيلى: «لقد فهمت. سيكون كل شيء على ما يرام»، ولأنه لا يستطيع التفكير في أي شيء آخر، فقد ربح.

تألّق هوف وهو يقول: «الثالث والهدف»، ثم أمسك بيد بيلى، وصافحها بسرعة متوجهاً إلى نهاية الردهة محاولاً أن يبدو مبتهجاً.

راقبه بيلى حتى دخل المصعد واختفى عن الأنظار. خاطب نفسه قائلاً: ربما يجب علي أن أهرب فقط، أشتري مضرباً مثل دالتون سميث وأهرب. لكنه يعلم أنه لن يفعل، وذلك بسبب المليون والنصف، فهو لم يحصل سوى على ربع المبلغ، وما ينتظره في المكتب/ غرفة الاجتماعات هو النصف الآخر، وربما أكثر من النصف. أكثر ما يريد بيلى فعله ليس لعب المونوبولي أو شرب الجعة مع دون جنسن أو ممارسة الجنس مع فيل ستانهوب أو أن يطلق النار على جويل ألين، إنه يريد الكتابة. جلس وشغل حاسوبه المحمول، وفتح المستند الذي كان يعمل عليه، وغاص في عالم الماضي.

الفصل السابع

1

توجَّهت إليه، وفكَّرت أنني قد أضطرَّ إلى إطلاق النار عليه مجدداً؛ إن اضطررت، كنت سأفعل ذلك. صحيح أنه خليل أمي، لكنه مخطئ ورجل سيئ. بدا ميتاً، ولكنني أردت التأكد، فلعلت راحة يدي، وركعت إلى جانبه ووضعت يدي فوق أنفه وفمه لأستشعر أي أثر للأنفاس، ولكنني لم أجد لها أثراً، فتيقَّنت عندها أنه ميت.

كنت أعرف ما الذي يتوجب عليَّ القيام به، لكنني في البدء توجَّهت صوب كاسي، كان لديَّ بعض الأمل، ولكن عندما رأيت صدرها مسحوقاً، أدركت أنها ميتة لا محال، ولكنني لعلت راحة يدي مجدداً، ووضعتها فوق أنفها وفمها، ولكنني أيضاً لم أستشعر أثراً للأنفاس، فاحتضنتها، وبكيت، وفكَّرت بما كانت توصيني به أمي دائماً قبل أن تذهب إلى عملها في المصبغة؛ كانت تقول لي: اعتنِ بأختك، لكنني لم أعتنِ بها. كان يفترض بي أن أطلق النار على ابن الوضيعة في وقت أبكر، وبذلك كنت سأفقد ما أوصتني به أمي، وأيضاً كنت سأعنتي بها هي أيضاً لأنني كنت أعرف أنه يضربها، وكانت تقول لي مبتسمة عندما أرى عينها المزرقَّة أو شفيتها المجروحة: كنت أَلعب معه فأذيت وجهي، وكأنني أصدق ذلك، حتى كاسي التي كانت في التاسعة من عمرها، ما كانت تصدِّق كلامها. بعد أن توقَّفت عن البكاء، توجَّهت إلى الهاتف، ونجحت في الاتصال. في العادة، ما كان الأمر ينجح، ولكنه نجح اليوم لأن الفاتورة كانت مدفوعة، فاتصلت برقم الطوارئ، وردَّت عليَّ سيدة.

قلت مرحباً، اسمي بينغي كومبسون، وقتلت للتو خليل أمي بعد أن قتل أختي.

سألتني السيدة إذا كنت متأكداً من موت الرجل، فأجبتها بنعم،

وعندما سألتني عن العنوان، قلت إنه طريق سكاى لاين 19 في هيل فيو
تريبلر بارك، وعندما سألتني إن كانت أمي في البيت، أجبته بلا، إنها
تعمل في المصبغة التي تفتح أبوابها على مدار الساعة في إيديندال،
وعندما سألتني إن كنت متأكداً من موت أختي، أجبته بنعم. قلت إنني
متأكد لأنه داس عليها، وسحق صدرها بالكامل، وأخبرتها أنني لعقت
راحة يدي لأستشعر وجود أي أنفاس، ولكنني لم أجد لها أثراً، فقالت:
حسناً يا بني، ابقَ حيث أنت، وسيصل رجال الشرطة إليك قريباً. فقلت
لها: شكراً لك يا سيدتي.

قد تظن أن الشرطة ستصل في الحال لأن هناك إطلاق نار،
ولكن حديقة المقطورات كانت في ضواحي المدينة، وكان الناس دائماً
ما يطلقون النار على الغزلان والراكون والمرموط في حدائقهم، أضف
إلى ذلك أننا في تينيسي حيث لا يكفّ الناس عن إطلاق النار؛ إن
إطلاق النار في تينيسي هواية.

اعتقدتُ أنني سمعت شيئاً، مثل عودة الروح إلى خليل أمي، وأنه
يركض صوبي. كنت أعلم أنه لا يستطيع فعل ذلك، إلا أنني كنت أفكر
في فيلم سبق لي أن شاهدته خلصة في السينما. لقد تسللت معي كاسي،
وأغمضت عينيها في اللقطات المرعبة، وبعد ذلك كانت تراودها الكوابيس،
وعرفت أنه من الغباء أن أخذها إلى هناك مجدداً؛ فأنا لا أعرف لماذا
أخذتها، أعتقد أن هناك شيئاً ثميماً في الناس وأحياناً يخرج مثل الدم
أو القيح. كنت سأعيد مشاهدة هذا الفيلم إذا استطعت، وكنت سأقتل
خليل أمي مجدداً، لقد كان شخصاً سيئاً جداً لأنه قتل فتاة صغيرة
غير مؤذية. كنت سأفعل ذلك، وإن أدى ذلك إلى ذهابي إلى الإصلاحية.

أياً يكن الأمر، هناك زومبي في أفلام الرعب، لقد مات خليل أمي
مثل كلب. تساءلت إن كان يجدر بي أن أعطي كاسي ببطانية أو شيء
من هذا القبيل، لكنني عدلت عن الأمر، لأنني ظننت أن ذلك محزن
وفظيع. بعد ذلك، اتصلت بالمصبغة التي تعمل فيها أمي، والتي كان
رقمها مدوناً على الورقة المعلقة على الحائط بجانب الهاتف، فأجابت
سيدة من المصبغة، وقلت إن اسمي بينغي كومبسون، ويجب أن أتحدث

إلى والدتي أرلين كومبسون، فهي تعمل على آلة الكوي. سألتني إن كان الأمر ملحاً، فأجبتها: نعم يا سيدتي إنه كذلك. قالت: إننا مشغولون للغاية هذا الصباح، ما هو الأمر الملح؟ قلت: لقد ماتت أختي، هل يُعتبر هذا الأمر ملحاً؟ قالت: يا إلهي، هل أنت متأكد؟ فقلت: من فضلك دعيني أتحدث إلى أمي، وذلك بعد أن اكتفيت من فضول هذه الوضعية. انتظرتُ قليلاً حتى تحدثت أمي عبر الهاتف، وكانت تتحدث بصعوبة، وسألتني: ما الذي حدث؟ من الأفضل ألا تكون هذه مزحة، واعتقدت أنه سيكون من الأفضل لنا جميعاً إذا كانت مزحة، لكنها لم تكن كذلك. قلت إن خليلها جاء في حالة سكر وذراعه مجبرة وقتل كاسي، وحاول قتلي، لكنني أطلقت النار عليه وقتلته.

قلت: إن الشرطة قادمة، يمكنني سماع صفارات الإنذار، لذا عودي إلى المنزل، ولا تدعيهم يأخذونني إلى السجن، لم أقتل بمحض إرادتي، ولكن الوضع كان على النحو التالي، إما أن أقتله أو يقتلني.

خرجت صوب أعلى درجة في درجات المقطورة، والتي لم تكن درجات على الإطلاق؛ بل كانت كتلاً من الإسمنت صنعها آخر خليل لأمي، الذي كان قبل خليلها السيئ هذا. كان اسمه ميلتون، وكان لا بأس به؛ يا ليت له لم يغادر. قالت أمي إنه لا يريد تحمل مسؤولية طفلين، كما لو كان خطأنا، وكأننا نطلب أن نولد. أياً يكن الأمر، نزلت تلك الدرجات لأنني لم أرغب في أن أكون في المقطورة مع الجثتين. ظللت أسأل نفسي إن كانت كاسي قد ماتت فعلاً، وكنت أجيّب بأنها ماتت فعلاً. وصلت أمي عندما كنت أخبر أول رجال الشرطة الواصلين بما حدث، وحاول رجال الشرطة منعها من الدخول، لكنها دخلت، وعندما رأت كاسي، شرعت بالصراخ والنحيب، فوضعت يدي على أذني. كنت غاضباً منها، وفكرت في ما اعتقدت أنه سيحدث؛ لقد ضربنا من قبل مثلما ضربك، فما الذي تعتقدين أنه سيحدث؟ عاجلاً أم آجلاً يقوم الأشرار بأشياء سيئة، حتى الطفل يعرف ذلك.

بحلول ذلك الوقت، تجمهر الجيران في الخارج. كان أحد رجال الشرطة لطيفاً، فأجلسني في سيارة الشرطة حيث لم يكن يستطع

الجيران رؤيتي بسهولة وعانقني. قال إن لديه بعض الحلوى في حجرة القفازات، وسألني إن كنت أريد قطعة، لكنني قلت: لا شكراً لك. قال: حسناً يا بينغي، أخبرني بما حدث، وما الذي فعلته. لا أعرف عدد المرات التي رويت فيها تلك القصة، لكنها كانت قليلة جداً. أياً يكن الأمر، بدأت بالبكاء، وعانقني مرة أخرى، ووصفني بالشجاع، وتمنيت أن يكون لأمي خليل مثل هذا الرجل.

بينما كنت جالساً في سيارة الشرطي وأخبره بما حدث، جاء المزيد من رجال الشرطة، وعربة كتب عليها وحدة الطب الشرعي لشرطة مايفيل. التقط شرطي من العربة صوراً، ورأيت في ما بعد بعضاً منها في جلسة الاستماع، ولكنني لم أر صور الجثتين. لا أعرف لماذا شعر الأشخاص في جلسة الاستماع أنني لا أستطيع النظر إلى صور الجثتين اللتين رأيتهما شخصياً. لكن ما أريد قوله هو إن إحدى الصور التي التقطها الرجل نُشرت في الصحيفة، وكان عنوانها «لقد قُتلت بسبب الحلوى»، لم أنس ذلك أبداً، كم كان ثميناً وصحيحاً في الوقت نفسه! اضطررت للذهاب إلى جلسة الاستماع؛ لم تكن الجلسة أمام قاض بل أمام ثلاثة أشخاص؛ كانوا رجلين وامرأة واحدة يشبهون المعلمين ويتحدثون مثلهم. لم يكن هناك أحد في الغرفة سواي وأمي ورجال الشرطة الذين وصلوا أولاً إلى المقطورة التي أطلقوا عليها اسم «مسرح الجريمة». لم يكن لدينا محام كما في مسلسل القانون والنظام ولم تكن بحاجة إلى واحد. قالت المرأة إنني ولد شجاع، وأخبرت والدتي أنني يجب أن أحصل على المشورة، حينها قالت والدتي إنها فكرة جيدة، ولكنها أخبرتني في وقت لاحق أن بعض الناس يعتقدون أن المال ينمو على الأشجار.

كنا نهمّ بالمغادرة، واعتقدتُ أن الأمر قد انتهى، ولكن بعد ذلك قال أحد الرجلين: دقيقة واحدة من فضلك يا سيدة كومبسون. أريد أن أقول شيئاً، إن بعض اللوم يقع على عاتقك بشأن هذه المأساة. ثم روى قصة عن كيف توصل عقربٌ ليعبر نهرًا هائجاً على ظهر

ضفدع طيب القلب، ولكن في وسط النهر لسع العقرب الضفدع، وعندما سأله الضفدع: لماذا فعلت ذلك؟ سنغرق الآن معاً. أجابه العقرب: إن طبيعتي هي اللسع، وأنت تعلم أنني كنت عقرباً عندما سمحت لي باعتلاء ظهرك.

ثم قال الرجل: إنك التقطت عقرباً يا سيدة كومبسون، وهو لسع ابنتك الصغيرة حتى الموت، وكان من الممكن أن تفقدي ابنك أيضاً، لكن هذا لم يحدث لحسن الحظ، ولكن هذا الجرح سيلازمه طيلة حياته. أقترح في المرة القادمة التي تصادفين فيها عقرباً أن تسحقه تحت قدمك بدلاً من إيصاله إلى منزلك.

احمرت وجنتا أمي وقالت: كيف تجرؤ؟ لم أكن لأعرض طفلي للخطر أبداً إن كنت أعرف أن شيئاً مثل هذا يمكن أن يحدث. قال الرجل: إنك ستحتفظين بحضانة الشاب بنجامين لأننا لا نستطيع إثبات خلاف ذلك.

بدأت والدتي بالبكاء، وهذا ما جعلني أرغب بالبكاء أيضاً. قالت: إنك غير عادل أبداً، تجلس هناك على عرشك العالي. متى كانت آخر مرة اضطررت للعمل فيها أربعين ساعة لتأمين الطعام لعائلتك؟ فأجابها: هذا الأمر لا علاقة له بي يا سيدة كومبسون، لقد فقدت طفلاً بسبب الخيارات السيئة، لذا حافظي على الآخر. وهنا انتهت الجلسة.

2

في مرحلة ما خلال ذلك الصيف - موسم هوياته العديدة - أعاد يبلي قراءة قصة مقتل بوب راينز، وجلسة الاستماع التي تلت ذلك، ثم ذهب إلى النافذة ونظر إلى المحكمة حيث رُكبت سيارة الشريف عند الرصيف، وخرج منها شرطيان يرتديان ملابس المقاطعة البنية.

فتح أحدهما الباب الخلفي، وانتظر أن يخرج رجل منه. كان السجين رشيقاً ونحيفاً، يرتدي بنطال جينز من ماركة كاربنتر وقميصاً أرجوانياً فاقع

اللون لا يناسب بتاتاً هذا اليوم شديد الحرارة عليه شعار خنازير أركنساس؛ حتى من مسافة خمسمئة ياردة بدا لبيلي حزيناً ومحبطاً. أمسك كل من الشرطيين بإحدى ذراعيه، واقتاده عبر الدرجات العريضة نحو العدالة التي تنتظره أياً تكن. إنه بالضبط في المكان الذي سيتعين على بيلي إطلاق النار عليه عندما يحين الوقت - إن حان - لكنه بالكاد يفكر به، فجلّ انتباهه منصباً على القصة التي يكتبها.

شرع في إخبار نفسه أنها الشخصية الغبية، لكنها تحوّلت إلى شيء آخر، ولم يدرك ذلك إلا بعد قراءته المتأنية. الشخصية الغبية موجودة، حسناً، فأَيّ قارئ - نيك وجورجيو، على سبيل المثال - سيقول إن الرجل الذي كتبها يمسك في الغالب بمجلتي ستار وإنسايد فيو وكُتب آرثي الهزلية، ولكن هناك شيئاً آخر، إنه صوت الطفل نفسه. لم يشرع بيلي أبداً بالكتابة بهذا الصوت، على الأقل عندما يكون واعياً، ولكن هذا ما فعله. يبدو الأمر كما لو أنه تراجع تحت التنويم المغناطيسي، وربما هذه هي الكتابة عندما يكون الأمر مهماً حقاً. هل هذا مهم حقاً عندما يكون الأشخاص الوحيدون الذين سيرونها هم هو واثنين من الرجال في فيغاس اللذين ربما فقدوا الاهتمام بالفعل؟

خاطب بيلي النافذة: «إنه مهم لأنها قصتي».

نعم، ولأنها حقيقية. لقد غير الأسماء قليلاً - كاسي بدلاً من كاثي، وكان اسم والدته دارلين، وليس أرلين، لكن كل ما عدا ذلك صحيح، وصوت الطفل صحيح. لم تتح الفرصة لهذا الصوت ليعبر عن نفسه، ولا حتى في جلسة الاستماع. أجاب عن الأسئلة التي طُرحت عليه، ولكن أحداً لم يسأله عمّا شعر به، عندما أمسك كاثي ورأى صدرها المسحوق، لم يسأله أحد عمّا شعر به عندما طُلب منه الاعتناء بأخته، وفشل بأهم مهمة على وجه الأرض، ولم يسأله أحد عمّا شعر به عندما لعق راحة يده ووضعها أمام أنف وفم أخته، وهو يأمل أن تكون على قيد الحياة، وهو يعرف أن

لا أمل في أن يعود الموتى إلى الحياة. لم يعرف أحد أن ارتداد المسدس جعله يتجشأ، وكأنه شرب الصودا بسرعة ودفعة واحدة. لم يسأله أحد بمن فيهم الشرطي الذي عانقه وهو يطرح عليه الأسئلة؛ إنه يشعر الآن بالراحة لأنه أتاح لهذا الصوت أن يُعبّر عن نفسه.

عاد إلى جهاز الماك بوك برو المفتوح وجلس ناظراً إلى الشاشة مفكراً: أعتقد أنني عندما أصل إلى جزء ستبنك هاوس - سأسميه فقط سبيك هاوس - يمكنني أن أترك هذا الصوت يكبر قليلاً، لأنني كنت أكبر قليلاً. بدأ يبلي في النقر على المفاتيح، ببطء في البداية، ثم ازدادت السرعة.

3

بعد الجلسة، عدتُ وأمي إلى المنزل؛ لقد دفننا كاسي، ولكنني لا أعرف ولا يهمني أن أعرف من دفن خليلها. في الخريف عدت إلى المدرسة حيث بدأ بعض الأولاد ينادونني بانغ بانغ بينغي خلال ذلك العام الدراسي. لم أقع في مشكلة بسبب القتال، لكنني كنت أتغيب كثيراً عن المدرسة، وحذرتني والدتي من أنه إذا لم أتحسن، فقد ينتهي بي الأمر بالانتقال إلى دار رعاية. لم أرغب في ذلك، لذا حاولت في العام التالي بجهد أكبر واجتزت مقرراتي. لم أرسل إلى سبيك هاوس بسبب خطأي، بل بسبب خطأ ارتكبته أمي.

بعد وفاة كاسي، شرعت أمي تكثر من الشراب، غالباً في المنزل، ولكن في بعض الأحيان كانت تخرج إلى الحانات، وفي بعض الأحيان كانت تحضر رجلاً معها إلى المنزل. بالنسبة إليّ، بدا الرجال الذين تحضرهم معها مثل الخليل السيئ، وإذا أردت أن أعبر بكلمة أخرى يمكنني وصفهم بالحمقى. لا أعرف لماذا تعود والدتي إلى نوعية الرجال نفسها بعد ما حدث، لكن هذا ما فعله. كانت مثل الكلب الذي يتقيأ ثم يلحق تقيؤه. أعرف أن هذه العبارة مقززة، لكنني لن أتراجع عما كتبت. كانت تدخل هي وهؤلاء الرجال - كان هناك ثلاثة على الأقل

وربما خمسة - إلى غرفة النوم، وقالت إنهم كانوا يمرحون فقط، ولكن بالطبع بحلول ذلك الوقت كنت أكبر سناً، وعرفت أنهم يمارسون الجنس معها. ذات ليلة عندما كانت تشرب في المقطورة، خرجت إلى محل 7-11 للحصول على علبة من رقائق الجبنة، وفي طريق عودتها، أوقفتها الدورية، ووجهت إليها تهمة القيادة تحت تأثير الكحول، واحتجرت لمدة 24 ساعة. لقد احتفظت بي في ذلك الوقت أيضاً، لكنها فقدت رخصتها لمدة ستة أشهر، واضطرت إلى ركوب الحافلة إلى المصبغة.

بعد أسبوع من استعادة رخصتها، أوقفت مجدداً بسبب القيادة تحت تأثير الكحول. كانت هناك جلسة استماع أخرى، هذه المرة عني فقط، ولكن الرجل نفسه الذي روى القصة عن العقرب والضفدع كان جالساً إلى الطاولة مع شخصين جديدين. قال لها: أنت مرة أخرى؟ قالت أمي: هذا صحيح، أنا مرة أخرى، وأنت تعرف أنني فقدت ابنتي، وتعرف ما مررت به. قال الرجل: إنني أعرف، ويبدو أنك يا سيدة كومبسون لم تتعلمي الدرس. قالت أمي: أنت لم تمر بما مررت به. كان لديها محام في ذلك الوقت لكنه لم يقل الكثير. بعد ذلك، عزلته، وسألته عما كان يجيده، فقال المحامي: إنك لم تعطيني الكثير لأعمل عليه يا سيدة كومبسون، فقالت له: أنت مطرود، فردّ عليها: لا يمكنك طردني لأنني استقلت.

عندما عدنا إلى غرفة الاستماع بعد يوم واحد قالوا إنني سأضطر إلى الذهاب إلى دار رعاية في مكان يسمى ستينك هاوس لأنها كانت أمأ غير مناسبة. قالت إنهم مجرد بائعي هراء، وإنها ستعترض، حتى إن اقتضى الأمر أن تصل شكواها إلى المحكمة العليا. قال الرجل الذي روى قصة الضفدع والعقرب: هل كنت تشربين؟ شتمته أمي، ولم يردّ عليها، لكنه قال: أمامك 24 ساعة لتوضيب أغراض بينغي وتوديعه، وسيكون ممتناً لك ولن ينسى الأمر إن كنت في كامل وعيك ولم تكوني ثملة وأنت تفعلين ذلك، ثم خرج هو والاثنان الآخران.

استقللنا الحافلة إلى المنزل، وقالت لي أمي إننا سنهرب، وإننا سنذهب إلى بلدة أخرى ونغير اسمينا، وسنبداً من جديد. لكننا لم نغادر

إلى أي مكان، وكان هذا آخر يوم لي في هيل فيو تريلر بارك؛ آخر يوم عشت فيه مع والدتي. أتى شرطي المقاطعة ليوصلني إلى ستبنك هاوس، وتمنيت لو كان الشرطي الذي عانقني، لكنه كان شخصاً آخر، ولكن لم يكن الشرطي مالكين سيئاً للغاية.

أياً يكن الأمر، لم تفتعل أُمي المشاكل لأنها كانت ثملة، بل اكتفت بالقول للشرطي إنها أجلت حزم أغراضي لأنها لم تصدق أن هذا ما سيحصل. امنحني خمس عشرة دقيقة، فقال الشرطي أن لا بأس في ذلك، وانتظر بينما كانت تحزم لي قطعة قماش مليئة بالملابس - انتظر في الخارج - ثم أعدت لي شطيرتين من المربي والزبدة، ووضعتهما في كيس غداء، وأخبرتني أن أكون ولداً جيداً، ثم بكت، وبكيت بدوري. لقد ابتعدت عنها بسبب خطأها، كل شيء كان بسبب خطأها، هي التي قبلت بإيصال العقرب وهي التي ظلت تشمل وتلوم كاسي على موتها، لكنني بكيت لأنني أحببتها.

عندما خرجنا، قال الشرطي إنه يمكنني الاتصال بالمنزل عندما أصل إلى ستبنك هاوس في إيفانز فيل. أخبرتني والدتي أن أتصل بالسيدة تيليتسون جارتنا، وقالت للشرطي إن السبب هو أن هاتفنا لن يعمل بعد الآن، وهذا يعني أنها لن تعاود دفع الفاتورة. قال الشرطي مالكين: تبدو الفكرة جيدة، وطلب مني أن أعانق أُمي، ففعلت، وشممت رائحة شعرها لأنه دائماً ما تكون رائحته عطرة. استغرق الوصول إلى إيفانز فيل قرابة الساعتين. جلست؛ خلف المقعدين الأماميين؛ حيث كان هناك شيء سلكي ما جعل ما خلفهما يبدو كقفص. قال الشرطي إنني إذا بقيت بعيداً عن المشاكل، فلن أضطر أبداً إلى العودة إلى هناك. سألتني عما إذا كنت سأبقى بعيداً عن المشاكل، وأجبت بنعم، لكنني كنت أفكر أنه عندما تكون ذاهباً إلى دار رعاية في سيارة شرطة، فأنت في صميم المشكلة.

أكلت شطيرة مربى وزبدة. ورأيت أنها وضعت بيضاً متبلاً في كيس الغداء أيضاً، وهذا ما جعلني أبكي مرة أخرى وأنا أفكر في يديها وهي تقوم بذلك. ربّت الشرطي على كتفي، وقال: إن الأمور ستتحسن يا بني.

كُتِبَ على بطاقته أف. دبليو. أس. مالكين، فسألته إلى ماذا يرمز هذا الاختصار لأنني اعتقدت أنه كان نوعاً من الوظائف الخاصة. قال إنه يمثل اسمه، وهو فرانكلين وينفيلد سكوت مالكين، لكنه قال: يمكنك مناداتي فرانك يا بينغي.

لم أكن أبكي حينها، لكن لا بد أنه رأى أنني حزين وربما خائف أيضاً، لأنه ربّت على كتفي وقال: ستكون بخير يا بينغي. هناك الكثير من الأولاد اللطفاء هناك. إنهم جميعاً منسجمون وإذا كنت مؤدباً، فستنسجم معهم. أعرف كل دور الرعاية في المقاطعات الثلاث وستبنيك ليست الأسوأ، وهي ليست الأفضل أيضاً، لكننا لم نواجه أي مشكلة معها. بعض الأشياء التي رأيتها، لا تريد أن تعرف عنها، وإذا تماشيت مع الأمور، فستكون على ما يرام.

قلت: إنني أفتقد والدتي، فقال: بالطبع ستفتقدها، وعندما تعود إلى رشدها، ستكون هناك جلسة استماع أخرى، ويمكنك العودة إلى المنزل. في غضون ذلك، يمكنها الحضور مساء الأربعاء وفي أي وقت السبت أو الأحد حتى الساعة السابعة مساءً. تأكد من إخبارها بذلك عندما تتحدث إليها.

لكنّ أُمي لم تعد إلى رشدها مطلقاً، واستمرت في الشرب، وحصلت على صديق أعطاه الميثامفيتامين الكريستالي وعندما كانت تحصل على هذه الأشياء، نادراً ما تكون واعية لأنها تكون منتشية معظم الوقت. في البداية، كانت كثيراً ما تأتي لرؤيتي، ثم أصبحت تأتي من حين إلى آخر، ثم لم تعد تأتي أبداً. في المرة الأخيرة التي أتت فيها، رأيت أنها فقدت بعض أسنانها، وكان شعرها متسخاً. قالت: أنا أكره أن تراني بهذا المنظر يا بينغي، فقلت: وأنا أكرهه أيضاً. بحلول ذلك الوقت كنت مراهقاً، وكان المراهقون يقولون أي شيء مؤذ عندما يتأذون.

كانت دار الرعاية ستبنيك في مكان بعيد من الريف؛ كانت متداعية، ولكنها كبيرة مثل قصر يضمّ غرفاً في كل مكان، وكانت الدار مكوّنة من ثلاثة طوابق، وربما أربعة. بدت جيدة من الخارج، ولكنها كانت عتيقة من الداخل وباردة وكانت جدرانها ترشح في الشتاء. قالت روني:

إنها باردة مثل عاهرة في الثلجة، لكنني لم أكن أعرف أنها دار قديمة عندما وصلت إلى هناك، بل اعتقدت أنها جديدة لأنها كانت مطلية باللون الأحمر الفاتح مع زخرفة زرقاء، ثم تبين لي في وقت لاحق أن أولاد الدار يطلونها كل عام، ويحصلون على دولارين في الساعة. في أحد الأعوام كانت الدار مطلية باللون الأخضر مع تقليم أبيض ثم طليت بلون أصفر مع تقليم أخضر. يمكنك أن ترى لماذا أسميتها أنا وروني دار الطلاء الأبدي. في العام الذي غادرت فيه للانضمام إلى مشاة البحرية، طُليت الدار مجدداً باللونين الأحمر والأزرق. قالت روني إنه مجرد طلاء، لكنه يحمل هذا الحطام المتجول معاً. كانت تلك مزحة اعتادت القاءها دائماً، لكنها كانت صحيحة أيضاً. أعتقد أن معظم المزحات تضم بين ثناياها شيئاً من الحقيقة، وهذا ما يجعلها مضحكة. قال الشرطي مالكين إن المشرفين على دار ستبنك لم يكونوا الأسوأ أو الأفضل، واتضح أن هذا صحيح. أمضيت هناك خمس سنوات، وعندها أصبحت كبيراً بما يكفي للتوقيع مع مشاة البحرية. في بعض الأحيان كانت السيدة ستبنك تضرب جانب رأسي بمنشفة أو صحن، لكنها لم تستعمل يدها أبداً ولم تضرب أياً من الأطفال الصغار مثل بيغي باي التي كانت في السادسة ولم تطفئ سيجارة في عينها. عندما كانت تصفع جانب رأسي كنت أستحق ذلك وقتها. رأيت السيد ستبنك يضرب الأطفال عدة مرات، إحداها عندما كسر جيمي ديكمان نافذة برشق من الحجارة، ومرة أخرى عندما أمسك سارة ببيودي وهي ترقص حول بيغي وتغني بيغي باي، بيغي باي، صدقوني أمل أن أموت، بيغي باي بعين واحدة؛ لا تملك سوى عين واحدة.

صفع السيد ستبنك وجهها بسبب ذلك. كانت سارة فتاة لثيمة وشخصية سيئة، فذات مرة عندما سألتها عما تريد أن تكون عندما تكبر قالت: سأكون فتاة هوى، وأمارس الجنس مع الرجال المشهورين للحصول على أموالهم، ثم ضحكت وكأنها مزحة، لذا ربما كانت كذلك. لم يكن الزوجان ستبنك شخصين طبيين أو سيئين، بل كانا يعيشان على أموال حصلوا عليها من ولاية تينيسي. لقد اجتازا جميع عمليات

التفتيش. كنا نذهب إلى المدرسة في الحافلة ودائماً بملابس نظيفة، وعندما قررت الانضمام إلى مشاة البحرية، ذهب السيد ستبنك معي إلى جلسة استماع واحدة حتى أتمكن من التحرر من والدتي، ومرة أخرى حتى يصبح هو الوصي القانوني، وبهذه الطريقة يمكنه التوقيع على الورقة، وبذلك يمكنني الانضمام في سن السابعة عشرة والنصف بدلاً من الانتظار حتى أكمل الثامنة عشرة. اعتقدت أن والدتي قد تظهر في جلسة التحرر، لكنها لم تفعل ذلك أبداً، وكيف يمكنها عندما لا تعرف أنه سيكون هناك واحدة؟ كنت سأخبرها، لكنها غادرت حيناً القديم، وكذلك الشقة التي عاشت فيها لفترة مع خليلها الذي حوّلها إلى مدمنة ميث. بعد جلستي الاستماع قال لي السيد ستبنك: ليكن الربّ في عونك. الآن، يمكنك أن تفعل ما تريد يا بينغي. قلت إنني لا أؤمن بالله، لكنه قال إنني سأؤمن، وإنني سأحتاج إلى بعض الوقت. تعلمت في دار الطلاب الأبدى أنه ليس هناك نوعان فقط من البشر - جيّد وسيئ - كما اعتقدت عندما كنت طفلاً وكنت قد كوّنت جلاً أفكاري عن تصرفات الناس من خلال ما أشاهده عبر التلفاز. هناك ثلاثة أنواع؛ النوع الثالث من الناس هم المنسجمون، وهو ما طلب مني الشرطي مالكين أن أكون عليه. هؤلاء هم أكثر الناس عدداً، وأعتقد أنهم أناس رماديون، لن يؤذوك - على الأقل عن قصد - لكنهم لن يساعدوك أيضاً، بل سيقولون: افعل ما تريد وليكن الله إلى جانبك. أعتقد أنه في هذا العالم عليك أن تساعد نفسك. عندما جئت إلى دار الطلاب الأبدى، كان هناك أربعة عشر ولداً بمن فيهم أنا، قالت روني إن هذا كان جيداً لأن ثلاثة عشر كان رقماً يجلب النحس. أصغرنا كانت بينغي باي، التي كانت لا تزال تبلل فراشها أحياناً. كان هناك توأم، تيمي وتومي، كانا في السادسة أو السابعة، وكان أكبرنا غلين داتون، وكان عمره سبعة عشر عاماً، والتحق بالجيش بعد وقت قصير من مجيئي. لم يكن بحاجة إلى السيد ستبنك ليصبح الوصي القانوني عليه أو يوقّع له، رغم ذلك، فعلت والدته ذلك لأن غلين قال إنه سيرسل لها اليانصيب.

أخبرنا غلين أنا وروني: إن تلك العاهرة ستبيني في سوق النخاسة إذا أدر ذلك عليها المال. كان غلين كبيراً ولا يكف عن إطلاق الشتائم طوال الوقت، حتى أكثر من روني التي لا تكف بدورها عن إطلاق الشتائم، لكنه لم يضايق الأطفال الصغار أبداً. لقد كان رساماً أيضاً، ودائماً ما تجده في العليّة.

عندما ركن الشرطي مالكين سيارته في الممر، كدت أن أعمى بسبب ما كان في الجوار؛ لقد رأيت عدداً من السيارات الخردة كما لم يسبق لي أن رأيت، ليس فقط بضع سيارات ولكن المئات. لقد غطت هذا الجانب من التلّ والجانب الآخر أيضاً، لقد كانت سيارات عتيقة وصدئة، وكانت الشمس تنعكس على الزجاج الأمامي للسيارات التي لا تزال تحتوي على زجاج أمامي.

على بعد نصف كيلومتر من دار ستبنك، كان هناك متجر أخضر لهيكل السيارات مصنوع من المعدن المموج. كان بإمكانني سماع أشخاص بالداخل يجرون المناقب ومفاتيح الربط. في المقدمة كانت هناك لافتة كُتِبَ عليها: «ستبنك: لقطع غيار السيارات والإصلاحات البسيطة وأفضل أسعار الشراء».

قال الشرطي مالكين: إن ملكية هذا المتجر تعود إلى شقيق السيد ستبنك. منظر مؤذ للعين أليس كذلك؟ إنه خارج تقسيم المقاطعة، وهكذا يفلت من العقاب. تقع دار ستبنك للرعاية داخل المقاطعة، ولهذا السبب اضطر إلى وضع سياج حول الجانبين والخلف. أنا أخبرك حتى لا تنظر إلى كل هذا السياج، وتعتقد أنك ذاهب إلى السجن. مقبرة السيارات تلك مكان خطير يا بينغي، إنها تقع خارج الحدود لسبب ما. لا تفكر في الذهاب إلى هناك، حسناً؟ فقلت: نعم، لكنني ذهبت أنا وغلين وروني ودوني، وفي بعض الأحيان ذهبت برفقة روني فقط، وأحياناً برفقة دوني بعد أن التحق غلين بالجيش، وغالباً ما ذهبت بمفردي وذلك بعد أن هربت روني. في بعض الأحيان أتساءل إلى أين ذهبت، وأتمنى أن تكون بخير؛ كان الأمر محزناً من دونها، وربما لهذا السبب التحقتُ بمشاة البحرية، لكن إن كان عليّ قول الحقيقة، فربما

كنت سألتحق أياً يكن الأمر.

كانت السنوات الخمس التي أمضيتها في دار ستبنك طويلة بما يكفي لرؤية لون طلائها يتغير مرات ثلاث. هناك بعض الأشياء التي بقيت في ذاكرتي من الأيام التي قضيتها هناك، مثل إيقافني من المدرسة بسبب الشجار عندما ناداني ولدان بانغ بانغ بينغي، وهو ما حدث عدة مرات من قبل، ولكن في ذلك الوقت كنت قد سئمت منه. كانا أكبر مني لكنني واصلت القتال حتى بعد أن ورّم أحدهما عيني وكاد الآخر أن يكسر أنفي، كان اسمه غاريد كلاين، والذي حصلت على سرواله، وأريت الجميع ملابسه الداخلية الملطخة بالبول. لقد هزأوا منه كثيراً ما جعله يتصرف بشكل لاأق في ما بعد.

الشيء الآخر الذي أتذكره هو عندما اضطرت بيغي باي للذهاب إلى المستشفى مصابة بالتهاب رئوي.

ثم بعد أسبوع، أو ربما عشرة أيام، جمعتنا السيدة ستبنك في غرفة المعيشة للصلاة لأنها قالت إن بيغي توفيت وصعدت روحها إلى الجنة لتكون مع يسوع، والآن يمكنها أن ترى بكلتا عينيها. قال دوني فيغيمور: أمل أن يكون الطعام أفضل هناك، وأخبره السيد ستبنك أن يحتفظ بملاحظاته الذكية لنفسه إذا كان لا يريد أن يصفعه. أياً يكن الأمر، صلينا من أجل روح بيغي، واضطرت روني إلى وضع يدها على فمها لتمنع نفسها من الضحك على ما قاله دوني، إلا أنها كانت تبكي أيضاً. كان الأولاد الآخرون يبكون أيضاً لأن بيغي كانت لطيفة مع الجميع، أما أنا فلم أبك لكنني شعرت بالسوء. في وقت لاحق عندما خرجت أنا وروني وغلين ودوني إلى ديمو ديربي، بكت روني كثيراً. عانقتها غلين وقالت روني: إن بيغي كانت لطيفة أليس كذلك؟ قال غلين: كانت لطيفة فعلاً، ثم عانقتني وعانقتها وكان ذلك شيئاً سعيداً خرج من وفاة بيغي لأنني كنت أحب روني جيفنز. كنت أعرف أن لا نتيجة من هذا الحب لأنها كانت أكبر مني بسنتين، ولأنها كانت معجبة جداً بغلين، لكن لا يمكنك التحكم في مشاعرك. المشاعر مثل الأنفاس، تدخل وتخرج. كان ديمو ديربي هو الاسم الذي أطلقناه على ساحة خردة السيارات خلف

دار الطلاب الأبدى. كان مكاننا الخاص، وكانوا يأمرونا بالابتعاد عنه، وهذا ما جعلنا نرغب في الذهاب إليه. قالت روني: إنه مثل شجرة الفاكهة المحرمة التي لم يكن من المفترض أن تأكل منها حواء. يلوح غلين بيده مشيراً إلى صفوف السيارات غير المرغوب فيها مع كل ذلك الزجاج الأمامي الذي يعكس ويحوّل شمساً واحدة إلى مئات من الشمس ويقول: إنه بستان كامل، وهذا ما أضحكني أنا وروني.

عندما كنا نذهب إلى هناك، كنا نبحث عن أفضل السيارات، مثل الكاديلاك ولينكولن وبيمرز، وذات مرة كانت هناك سيارة مرسيدس ليموزين قديمة ونهايتها الخلفية مختفية بالكامل. دائماً ما كان غلين يحمل مكنسة ويضرب بها المقاعد عدة مرات قبل أن ندخل لإخافة الفئران؛ إذا كان هناك أيّ منها؛ وذات مرة أخافه فأر كبير، حينها كان دوني معنا، فقال إن هذا هو السيد ستينك، وقتها ضحكنا مطولاً. كنا نتخيل أننا نجلس في سيارة جديدة وأنا ذاهبون إلى مكان ما.

كان بإمكاننا الدخول إلى ديمو ديربي بسهولة لأنه كان هناك ثغرة في السياج من الزاوية الخلفية للملعب، وسأل غلين: من يعرف عدد الأولاد الذين عبروا من خلال هذه الثغرة وأين هم الآن؟ وهذا ما أضحكنا جميعاً، ولكن بعد ذلك قالت روني إنهم ربما ذهبوا إلى مكان سيئ. ضحك دوني على ذلك أيضاً، بخلافي أنا وغلين، وتبادلت وإياه النظرات، إذ كنا نفكر في أنه «ليس هناك مكان جيد».

في بعض الأحيان، كان غلين يجلس خلف المقود، ويتظاهر بالقيادة، وكانت روني تجلس في المقدمة بجواره، وفي بعض الأحيان يحصل العكس، وعندما يجلس غلين في المقعد المجاور، كان يصرخ بأشياء غبية مثل «وو، روني انتبهي ألا تصدمي هذا الكلب الغبي»، عندها كانت روني تدير المقود وتتظاهر بأنها ابتعدت عن الكلب. كان غلين يتخبّط ورأسه في حضنها، وكانت روني تدفعه بعيداً، فيقول: اربطي حزام الأمان الخاص بك.

دائماً ما كنت أجلس في الخلف مع دوني إذا جاء معنا، ولكن في الغالب كنت أجلس لوحدي؛ وهو ما كنت أفضله. أحضر غلين عدة مرات

البيرة والتي كنا نمرّرها بيننا حتى تنتهي، ثم تعطينا روني اللبان لإزالة رائحة الكحول من أنفاسنا. أذكر مرةً أحضر فيها غلين ثلاث علب من البيرة حيث انتشينا قليلاً، وانقضّت روني على المقود تحركه إلى اليمين واليسار، فقال لها غلين: انتبهي ألا يتم تسطير مخالفة بحقك يا حبيبتي. ضحكا على ذلك، لكنني لم أضحك، لأن والدتي كانت قد تلقّت مخالفة من شرطة المرور وهي تقود تحت تأثير الكحول.

كان دوني مدخناً، لكنني لا أعرف إن كان يحصل على السجائر من الشخص نفسه الذي يجلب منه البيرة لغلين، لكنه كان يحتفظ بعلبة سجائر مارلبوروكلف سريره. لقد كان يدخن غالباً في الخارج بالقرب من المطبخ، لكن ذات يوم سحب العلبة عندما كنا نجلس في عربة بويك تابعة للولاية وقد كانت قديمة وكبيرة وكنا نتظاهر بالقيادة إلى لاس فيغاس حيث كنا نلعب الروليت ونطلق النار على الفضلات. قالت له روني: إياك أن تجرؤ على إشعال سيجارتك هنا حيث توجد كل هذه الأعشاب اليابسة والوقود المسكوب. قال دوني: ما بك؟ هل هو موعد دورتك الشهرية أم ماذا؟ استدار غلين، وأحكم قبضته أمراً دوني أن يسحب كلامه ما لم يرغب في أن يبتلع أسنانه الأمامية. في وقت لاحق، عندما كنت في الفلوجة، رأيت هذه المرة الرقيب ويست يطلق النار على قذائف آر بي جي في مستودع للمتمردين في الجزء من المدينة الذي أطلقنا عليه اسم شرائح البييتزا، وانفجرت في السماء بسبب كل الذخيرة بالداخل.

من حسن الحظ أننا لم نُقتل جميعاً لأننا لم تكن نتوقّع ذلك. جعلني ذلك أفكر كيف اعتاد دوني أيضاً التدخين أحياناً في سقيفة الإمداد، حيث كان السيد ستبنك يخزن كل الطلاء؛ ربما كان ذلك أكثر خطورة بكثير ممّا كان عليه في ديمو ديربي.

أخذ غلين السيجارة من يد دوني، لكن روني لكمت غلين بقوة على كتفه، وقالت له: لا أريدك أن تدافع عني يا داتون.

عندما تناديك روني باسمك الأخير، فاعلم أنها غاضبة فعلاً. استدارت إلى المقعد الخلفي وقالت: أنا لست بحاجة إلى أن أكون في

دورتي الشهرية لأقلق بشأن الاحتراق يا فيغموور لأنني سبق لي وأن عانيت من الحريق. رفعت ذراعها وأظهرت ندبة الحروق اللامعة على ذراعها؛ لقد سبق لنا جميعاً أن رأينا هذه الندبة التي تمتد من منتصف ذراعها تقريباً حتى كتفها. لقد مات والداها احتراقاً في المنزل، أتعي معنى ذلك؟ لكن روني، قفزت من نافذة الطابق الثاني في الوقت نفسه تقريباً الذي حرقت فيه ذراعها وجزءاً من ساقها على هذا الجانب، وكانت النيران تندلع في شعرها. هكذا انتهى بها الأمر في دار ستبنك للطلاء الأبدي عندما قالت قريبتها - عمته في الواقع - إنها لن تعني بها، وفي المرة الوحيدة التي زارت فيها روني في المستشفى، قالت روني إنها رفعت لها إصبعيها الاثنتين، وهذا يكفي، كما قالت إنها لا تستطيع لومها على ذلك.

قالت إنها تعرف ما يمكن للنار أن تفعله. إذا نسيت يوماً ما، فأنا بحاجة فقط إلى النظر إلى هذه الذراع لأتذكر. اعتذر دوني منها، وفعلت أنا الشيء نفسه. لم يكن لدي أي شيء أعتذر عنه، لقد شعرت بالسوء لأنها احترقت، ولكنها أيضاً سعيدة لأن النار لم تطل وجهها الجميل. أياً يكن الأمر، كنا جميعاً أصدقاء مرة أخرى بعد ذلك، على الرغم من أن دوني فيغموور لم يكن أبداً صديقاً لي مثل روني وغلين.

4

قال بيلي: «لقد أمضينا أوقاتاً ممتعة في ديمو ديربي».

نظر مجدداً عبر النافذة التي تطل على المحكمة؛ لقد أفسح شهر آب الطريق لأيلول، لكن الحرارة لا تزال مرتفعة. كان بإمكان البخار الذي ينبعث من الشارع، أن يذكرني بتلاؤم الهواء فوق المحرقة الكبيرة خلف مطبخ دار الطلاء الأبدي.

كان سبيك هم آل ستبنك، وروني جيفنز كانت روبن ماغووير، وغلين داتون كان غادسدن دريك. لا بد أن عائلته اكتسبت هذا الاسم بعد عملية شراء مقاطعة غادسدن من المكسيك. قرأ بيلي كتاباً عندما كان في مشاة

البحرية بعنوان العبودية، والشائعات، والسكك الحديدية، وقد غطى الكتاب عملية شراء قطعة الأرض القاحلة من المكسيك. لقد قرأه في الفلوجة، بين معركة الفلوجة الأولى في نيسان 2004 والمعركة الثانية في تشرين الثاني. قال غاد إن والدته أخبرته قبل وفاتها بسرطان الرئة أن والده الراحل كان مدرّساً للتاريخ، وهذا ما جعله يظن أن استنتاجه منطقي. قال ذات مرة أثناء خروجهم إلى ديمو ديربي متظاهراً بالذهاب إلى مكان ما: «قد لا أكون غادسدن الوحيد في العالم، لكنني أراهن أنه لا يوجد أكثر من عشرة؛ بالأخص مع الاسم الأول».

غير بيلى أسماء أصدقائه، لكنّه لم يغير اسم ديمو ديربي مطلقاً، لقد قضوا حقاً بعض الأوقات الجميلة هناك قبل الالتحاق بالجيش وهروب روبن إلى ... ماذا قالت اسمه؟

قال بيلى: «أسعى للحصول على ثروتي بالحذاء ذي السبعة فراسخ»، وهذا ما حصل، إلا أن أحذيته لم تكن ذات سبعة فراسخ، كل ما كان لديه هو أحذية الجلد المدبوغ بجوانبها المرنة المهترئة. خاطب بيلى نفسه قائلاً: لقد أحببتها كثيراً، ثم تابع كتابة القسم التالية.

الفصل الثامن

1

حصل أمران سيثان في عطلة عيد العمال؛ أحدهما أمر ينم عن غباء ومثير للقلق، والآخر يلقي الضوء على الشخص الذي لم يرغب بيلى أن يصبح عليه، وكلاهما جعلاه يدرك أنه كلما أسرع في الخروج من ريد بلاف سيكون الأمر أفضل. فكّر في نفسه: ما كان ينبغي لي أن أقبل بمهمة تستغرق كل هذا الوقت، لكن لم تكن هناك طريقة لمعرفة ذلك.

ما الذي لم يكن يعرفه؟ أن أكرمان والآخرين في شارع إيفرغرين سيعجبون به، وأنه سيحبّهم؟

في عطلة نهاية الأسبوع، وتحديدًا يوم السبت، كان هناك عرض في وسط المدينة. ذهب بيلى وآل أكرمان في عربة جمال التي تعود ملكيتها إلى شركة إكسلنت تايلر، وبينما كانوا يشقّون طريقهم بين الحشود للعثور على مكان عند التقاء شارعي هولاند وماين، كانت شانيس تمسك بيد والدتها من جهة وييد بيلى من جهة أخرى، وعندما بدأ العرض، رفع جمال ابنته على كتفيه، ورفع بيلى ديريك على ظهره؛ شعر الطفل بالراحة في الأعلى. سار العرض على ما يرام، حتى مع جلوس طفل على كتفي رجل سيتبين لاحقاً أنه قاتل؛ هذا أمر مقبول... نوعاً ما. إنّ الهفوة الغبية والمثيرة للقلق حصلت يوم الأحد. تقع بلدة كودي شبه الريفية بجوار ضاحية ميدوود في ريد بلاف، حيث أُقيمَ كرنفال صغير خلال الأسبوعين الأخيرين من الصيف قبل عودة الأطفال إلى المدرسة.

بما أن عربة العمل لا تزال مع جمال، وبما أن طقس يوم الأحد جميل، فلم يجد شيئاً يقوم به أفضل من رحلة إلى الكرنفال مع الطفلين. ظهر باول

ودينيس راغلاند في نهاية الشارع، وتجول السبعة في منتصف الطريق، وأكلوا التفائق، وشربوا المشروبات الغازية، ولعب ديريك وشانيس على الأحصنة الدوارة، والقطار، بينما توجه السيد والسيدة راغلاند للعب البنغو، أما كورين أكرمان، فألقت بالأسهم على بالونات الماء، وفازت بعصابة رأس كُتِبَ عليها «أعظم أم في العالم»، وعبرت شانيس لأمرها عن إعجابها بها قائلة إنها تبدو مثل الأميرات.

حاول جمال أن يصيب الزجاجات الفارغة ويوقعها ولكنه لم يفز بشيء، إلا أنه فاز بلعبة اختبار قوة وزنك. صَفَّقَت كورين قائلة: «هذا هو بطلي»، وقد حصل بسبب هذا الإنجاز العظيم على قبعة من الورق المقوى مزينة بوردة ورقية، وعندما اعتمرها ضحك ديريك بشدة لدرجة أنه اضطر للركض إلى أقرب حَمَامٍ متنقل كي لا يبُلِّل سرواله.

لعبَ الطفلان في العديد من الألعاب، لكن ديريك رفض لعب لعبة ونكي كاتريبلر لأنها مخصصة للصغار، ولكن بيلى لعبها مع شان، وبما أن المقعد كان ضيقاً جداً اضطر جمال أن يُخرج بيلى من المقعد عندما انتهت الرحلة كما تُخَرَج سداة الفلين من عنق الزجاج، وهذا ما جعل الجميع يضحكون.

كانوا يمشون عائدين ويبحثون عن الزوجين راغلاند عندما وجدوا منصة ديد آي ديك للتصويب. كان عشرات الرجال يخوضون تجربة استخدام بندق بي بي، ويطلقون النار على خمسة صفوف من الأهداف التي تتحرك في اتجاهين متعاكسين، بالإضافة إلى أرانب تنبثق من أسفل المنصة وأعلىها. أشارت شانيس إلى طائر الفلامنغو الوردى العملاق فوق جدار الجوائز وقالت: «أود الحصول عليه ووضعه في غرفة نومي، هل يمكنني شراؤه من مصروفي؟».

أوضح لها والدها أنه ليس للبيع، بل يجب الفوز به.

سألته: «حسناً، اربحه من أجلي يا أبي».

كان الرجل الذي يُشغَل منصّة التصويب يرتدي قميصاً مخطّطاً، ويعتمر قبعة من القش، ويضع شارباً مجعداً مزيفاً، حيث بدا وكأنه ينتمي إلى فرقة رباعي صالون حلاقة⁽¹⁾. سمع ما قالته شانيس لوالدها فقال: «اجعل فتاتك الصغيرة سعيدة يا سيدي، أصب ثلاثة أرانب أو أربعة من الطيور في الأعلى وستعود الفتاة إلى المنزل مع الفلامنغو فريدي».

ضحك جمال، وسلّمه خمسة دولارات مقابل عشرين طلقة، ثم قال: «استعدي لخيبة الأمل يا حبيبتني، لكنني قد أفوز لك بإحدى الجوائز الأصغر».

قال ديريك مشجّعاً أباه: «يمكنك الفوز يا أبي». شاهد بيلي جمال وهو يحمل البندقية وهو يعرف مسبقاً أنه سيكون محظوظاً إذا انتهى به الأمر مع إحدى دمي السلاحف المحشوة التي تمثل جوائز ترضية.

قال بيلي: «صوّب على الطيور، أعلم أنّ الأرناب أكبر حجماً، ولكنك لن تستطيع أن تطلق عليها بسرعة عندما تظهر». قال: «حسناً يا ديف».

أطلق جمال عشر طلقات على الطيور في الصف العلوي، ولم يصب أيّاً منها.

أخفض بصره وأطلق على زوجين من الأيائل القصديرية في الصف السفلي، وقبّل بإحدى السلاحف. نظرت شانيس إليه من دون حماسة، لكنها قالت: «شكراً لك».

سأل الرجل الذي يُشغَل اللعبة بيلي: «ماذا عنك؟ هل تريد أن تجرّبها؟ اشترِ بخمسة دولارات عشرين طلقة، وستحتاج فقط إلى إصابة أربعة من الطيور لتجعل صديقتك الصغيرة المالكة السعيدة للفلامنغو فرانكي».

قال بيلي: «اعتقدتُ أنه فريدي».

(1) فرقة أميركية

ابتسم الرجل وقال: «فرانكي، فريدي، أو فيليسيا، أيا يكن اسمه سيسعد الفتاة الصغيرة».

نظر إليه على أمل موافقته، لكنه لم يقل شيئاً. بل كان ديريك من أقنعه بفعل ذلك الشيء الغبي عندما قال: «يقول السيد راغلاند إن كل هذه الألعاب خداع ولا أحد يفوز بالجوائز الكبيرة».

قال بيلى: «حسناً، لنجرب ذلك»، دفع خمسة دولارات، فأعاد الرجل تشغيل اللعبة، وزود بيلى بالبندقية. هناك عدد قليل من الرجال مع امرأتين خجولتين. تحرك بيلى إلى الأسفل جزئياً لمنحهم مساحة، ولكن أيضاً لأنه لاحظ أن الطيور - بالإضافة إلى الأهداف في المستويات الأربعة الأخرى - تبطئ قليلاً قبل أن تغيب عن الأنظار. ربّما كانت محركات السلسلة بحاجة إلى التزيت، ويبدو أن الرجل الذي يُشغّل اللعبة مهمّل في تزيتها؛ يجب على المُشغّل الكسول دفع ثمن ذلك.

سأل ديريك: «هل ستصوّب على الطيور يا ديف؟ مثلما أخبرت أبي؟» لقد مرت فترة طويلة منذ أن توقفوا عن مناداته بالسيد لوكريدج.

قال بيلى: «بالتأكيد». تنفّس بعمق وزفر، ثم تنفس بعمق وزفر مجدداً، ثم تنفس للمرة الثالثة ولم يزفر. لم يبذل أيّ جهدٍ لاستخدام مصوّب البندقية، فهو سيكون عديم الفائدة بخلاف المصوّب في البندقية الحقيقية. أسند رأسه على قاعدة البندقية، وأطلق النار بسرعة: بوب - بوب - بوب - بوب - بوب. أخطأت الطلقة الأولى هدفها، لكنّ الطلقات الأربع التالية أصابت الطيور. كان يعلم أنه يفعل شيئاً غيبياً، ويجب أن يتوقف، لكنّه لم يستطيع مقاومة إصابة أحد الأرناب عندما ارتفع من مخبئه.

صفّق أكرمان، والرجل مُشغّل اللعبة، والرماة الآخرون، ثمّ أمسك الرجل بطائر الفلامنغو الوردى وسلّمه إلى شانيس التي احتضته بجزل.

قال ديريك بعينين لامعتين: «واو يا ديف، كنت مذهلاً».

فكّر بيلى في نفسه: الآن سيسألني جمال أين تعلمت التصويب بهذا

الشكل. كيف تعرف أنك أحمق؟ ستكون أحمق عندما تلفت أنظار الجميع إليك؛ الجميع كما حدث معي.

في الواقع، كورين هي من سألته وهم يتوجهون إلى خيمة البنغو، فأخبرها ببلي أنه تدرّب على ذلك عندما كان في الجيش، وأنه كان جيداً بالفطرة في ذلك.

سيكون إخبارها بأنه قتل ما لا يقل عن خمسة وعشرين مجاهداً في الفلوجة، وأطلق النار من أسطح المنازل خلال الأيام التسعة من المعركة الأولى فكرة سيئة للغاية.

حدث الأمر الثاني السيئ - التحقّق من الشخصية - يوم الاثنين، وهو يوم العطلة الفعلي. بما أنه كاتب مستقلّ يعمل من دون دوام، يمكنه الاستراحة متى يريد، وكذلك يمكنه العمل عندما يكون الآخرون في عطلة تعترف بها كل الولايات. برج جيرارد مهجور تماماً، والباب اللوبي مفتوح، وما من أحد في المنصة الأمنية. عندما مرّ المصعد في الطابق الثاني، لم يسمع صراخاً لأنّ العاملين في بنس سوليوشنز في عطلة، ويبدو أن المدنيين سيحظون بعطلة أيضاً، وهذا مفيد.

كتب ببلي لمدة ساعتين. إنّه على وشك الوصول إلى الفلوجة الآن، ويتساءل عما يجب أن يقوله عنها؛ هل يقول القليل، أو الكثير، أو ربّما لا شيء على الإطلاق؟ ألغى الفكرة، وقرر الظهور في شارع بيرسون، لتوطيد علاقته مع بيفرلي جنسن وزوجها الذي سيكون في المنزل اليوم. قاد سيارته المستأجرة بشعره المستعار، وشاربه، وبطن الحمل المزيف في مكانه. كان دون يجرّ العشب، وكانت بيفرلي تجلس على المنحدر مرتديّة شورتاً أخضر اللون مثيراً. تحدّث الثلاثة عن مدى حرارة الصيف، ومدى سعادتهم، وعن رحلة دالتون سميث الوشيكة إلى هنتسفيل، ألاباما.

ينبغي ألا يستغرق وقتاً طويلاً، وعلى حدّ قوله يأمل في العودة بعد ذلك لبعض الوقت.

قال دون: «إنهم بالتأكيد يقونك على أهبة الاستعداد».

وافقه بيلى، ثم سأل بيفرلي عن والدتها التي كانت حالتها سيئة وتعيش في ميسوري، فتهتدت بيفرلي وقالت إن حالتها لم تتغير. قال بيلى إنه يأمل أن تتحسن قريباً، وهذا ما تمتته بيفرلي بالتأكيد، وبينما كانت تخبره بذلك، نظر بيلى من فوق كتفها، ورأى دون يهز رأسه ببطء ولا يريد أن تعرف زوجته ما يفكر فيه بشأن فرص عيش حماته، ما جعل بيلى يُقدره، وفكر أن دون جنسن ما كان ليخبر زوجته أبداً أن شورتها الأخضر يجعلها تبدو بدينة حتى لا يجرح مشاعرهما.

نزل إلى شقته الرائعة في الطابق السفلي؛ في العادة يفترض بديفيد لوكريدج أن يحمل بيده كتاباً، ودالتون سميث لديه حواسيبه المحمولة. قد لا يكون عمل سميث مهماً، ولكن نظراً لأنه قد يكون مهماً بدرجة كبيرة عند الضرورة، فإنه يقوم بذلك بعناية، على الرغم من أنه بعد العمل على قصة بينغي كومبسون بدا الأمر مملاً وآلياً. انتهى بمراجعة سريعة للشاشات الثلاث. 10 مشاهير كانوا على وشك الموت؛ هذه الأطعمة السبعة يمكن أن تنقذ حياتك؛ أكثر 10 كلاب ذكاءً؛ إنها عناوين لافتة جداً، ولذلك نشرها على (facebook.com/ads). كان بإمكانه حقاً أن يفعل هذا لكسب رزقه، لكن من يريد ذلك؟

أغلق الحواسيب، وقرأ قليلاً - في الوقت الراهن، إنه يقرأ رواية لإيان ماك إيوان - ثم ذهب لتفقد البراد، ووجده شبه خالٍ، فقرر التوجه إلى غو مارت، وسأل دون وبيفرلي اللذين كانا على الشرفة يتشاركان علبة بيرة إن كانا يريدان أي شيء.

طلبت بيفرلي منه أن يحضر لها فوشار بوب سيكرت إن وجده في المتجر، وقالت: «سنشاهد فيلماً على نيتفليكس الليلة. مرحّب بك للانضمام إلينا إن أردت ذلك».

كاد يوافق على الفور، وهذا أمر مروّع، لكنّه أخبرهما بدلاً من ذلك

أنه سينام مبكراً هذه الليلة لأنه سيقود سيارته إلى ألاباما في الصباح الباكر. توجه إلى غو مارت الصغير والكثيب، ولم يرَ في أي مكان سيارة ريختر ذات الجانب المخدوش، وكان المكتب مغلقاً، وكذلك الحال بالنسبة إلى صالون نو يو للتسمير، وصالون هوت نيلس، وصالون جولي روجر للوشوم. كان يوجد خلف صالون هوت نيلس غرفة غسيل مهجورة ومتجر مع لافتة في الواجهة كُتِبَ عليها «زوروا موقعنا الجديد في باين بلازا». ثم وجد غو مارت في النهاية. أخذ بيلى الحليب من البراد، ولم يجد فوشار بوب سيكرت، ولكنه وجد فوشار آكت تو، فجلب علبة منه. كانت الموظفة امرأة في أواسط العمر ذات شعر مصبوغ، وقد بدت وكأنها عانت من الحزن لبعض الوقت، ربّما لعشرين عاماً أو شيء من هذا القبيل. أعطته كيساً بلاستيكياً، فشكرها بيلى؛ يستخدم المركز التجاري زوني الذي يقع فيه غو مارت الأكياس البلاستيكية الضارة بالبيئة.

مرّ بشابّين في طريق العودة كانا يقفان خارج غرفة الغسيل المهجورة؛ أحدهما أبيض، والآخر أسود. كل واحد منهما يرتدي سترة ذات قلنسوة، من النوع الذي توجد فيه جيوب في الأمام، وقد تدلت الجيوب بسبب ثقل ما بداخلها. كانا يثرثران ويهمسان سوية، وعندما مرّ بهما، نظرا إليه نظرات تقييم متطابقة، لكنه لم يبادلها النظرات، بل نظر إليهما بطرف عينه، ولاحظ أنهما عاودا الهمس. ربّما كانا يعلنان بشكل واضح: إننا نخطط للاحتفال بيوم العمل عن طريق نهب أحد المتاجر المحلية.

خرج بيلى من المركز التجاري الصغير، وعاد إلى الشارع وشعر أنهما ينظران إليه.

فكر في المرأة التي تعمل في غو مارت؛ فمن خلال النظر إلى مظهرها بدت سيئة الحظّ، ولا يبدو أن حظّها سيتغيّر في هذه العطلة. لم يُفكّر بيلى أبداً في العودة لمنع الشابين من تنفيذ ما يخططان لفعله، لأنه بذلك يقود نفسه ليلقى حتفه، وهذا ما بدا جلياً من تعابيرهما العدوانية، لكنّه فكر في

الاتصال بالطوارئ 911. لكن لا توجد هواتف عمومية في الجوار، ليس بعد الآن، والهاتف الذي معه يحمل اسم دالتون سميث، وإذا اتصل بالشرطة، سيكشفون أمر هويته المزورة.

عاد إلى المبنى السكني بدلاً من ذلك، وأخبر بيفرلي أنه ليس لديهم بوب سيكرت، فردت بأن آكت تو سيفي بالعرض.

كانت حركة المرور قليلة في شارع بيرسون في أفضل الأوقات، ولكنها تصبح في أيام العطلات شبه معدومة. ظلّ مهتياً لسماع صوت طلقات نارية، لكنه لم يسمع شيئاً، ولكن هذا لا يعني أنه لم يحصل شيء.

2

نزل بيلى تطبيق الجريدة المحلية بعد فترة وجيزة من وصوله إلى هذه المدينة، وكان يتحرّق شوقاً للتخلص منه. في اليوم التالي، بحث عن سرقة في المركز التجاري زوني، ووجد الخبر في صفحة الأماكن القريبة من منزله، كان مجرد مقتطف في تقرير إخباري بسيط، ذكر في الخبر أن اثنين من اللصوص المسلحين، سرقا ما يقلّ قليلاً عن مئة دولار، والتي من شأنها أن تشمل أموالى وأموال بيفرلي، كما فكّر بيلى.

كانت الوظيفة، واندا ستابس، وحدها في المتجر في ذلك الوقت، وقد نُقلت إلى روكلاند ميموريال لعلاج جرح رأسها، ثم خرجت من المستشفى. لا بدّ أن أحد اللّصين القذرين قد ضربها بمسدسه، ربما لأنها لم تُخرج النقود من صندوقها بالسرعة التي يريدونها.

فكّر بيلى أنه ربما كانت الأمور ستكون أسوأ، وربما كانا سيتراجعان عن السرقة إن اتصل بالطوارئ 911. هذا لا يغير حقيقة شعوره بأنّه يشبه الكاهن والعبّراني اللذين مرّا بجانب المسافر الذي تعرّض له اللصوص ولم يفعل شيئاً إلى أن أتى السامري الصالح وساعده.

قرأ بيلى الكتاب المقدس من الغلاف إلى الغلاف عندما كان في حالة

سيئة، إذ حصل كلٌّ من في المشاة البحرية على واحد عند الطلب. في أوقات كثيرة، ندم على قراءته واليوم هو أحد هذه الأوقات. الكتاب المقدس لديه قصة لكلّ لبس وإنكار. الكتاب المقدس - العهد الجديد كما القديم - لا يغفر.

3

ذهبت والسيد ستبنك إلى تشاتانوغا، لألتحق بمشاة البحرية. اعتقدت أنني سأضطر إلى الذهاب إلى قاعدة مشاة البحرية للتسجيل، لكن المكان الذي ذهبت إليه كان مجرد مكتب في مركز تسوق يقع بين محلّين أحدهما لبيع المكاسن الكهربائية والآخر عبارة عن مكتب للتصريح عن الضرائب. كان هناك علم فوق الباب مطبوع على أحد خطوطه نوغا سترونغ⁽¹⁾، وعلى الواجهة صورة لأحد أفراد مشاة البحرية كتب عليها «قوات النخبة، هل لديك المؤهلات؟».

سألني السيد ستبنك: هل أنت متأكد أنك تريد أن تلتحق يا بينغي؟ فقلت: نعم، لكنني لم أكن متأكداً. لا أعتقد أن أي شخص بعمر السابعة عشر والنصف سيكون متأكداً من أي شيء، مع أنه سيتظاهر بذلك كي لا يبدو متردداً.

أياً يكن الأمر، ذهبنا وتحدثت إلى الرقيب الأول والتون فليك الذي سألني: لماذا تريد أن تلتحق بمشاة البحرية؟ فأجبته: لأخدم بلدي، على الرغم من أن السبب الحقيقي هو الخروج من ستبنك هاوس، وتينييسي، وبدء حياة تكون أقل تعاسة. لقد غادر كل من غلين وروني؛ كان دوني على حق عندما قال لن يبقى في دار الطلاب الأبدي سوى الطلاب.

ثم، سألني الرقيب فليك إن كنت أظن نفسي قوياً بما يكفي لأكون جندياً في مشاة البحرية، فأجبته مؤكداً ذلك على الرغم من أنني لم أكن كذلك، ثم سألني إذا كنت أعتقد أنني أستطيع قتل رجل عندما

(1) هذا يعني أنه عندما يزداد الإرهاب، فإننا نبذل قصارى جهدنا لإيقافه، والمساعدة في الشفاء، ومنع المزيد من الإرهاب، ونحن نقف أقوى مما كنا نعلم أننا نستطيع ذلك.

أكون في مواجهة، فأجبت مؤكداً ذلك أيضاً.

قال السيد ستبنك: هل يمكنني التحدث إليك لمدة دقيقة؟ وسمح

له الرقيب الأول فليك بذلك.

خرجنا من المكتب، وجلس السيد ستبنك وبدأ يتحدث. كان بإمكانني إخبار الرقيب بما حدث مع خليل والدتي السيئ، لكنني اعتقدت أنه كان من الأفضل سماع ذلك من شخص بالغ مسؤول. مع كل ما مررت به، في ذلك الوقت ومنذ ذلك الحين، يجب أن أتساءل عما إذا كان هناك شخص بالغ مسؤول حقاً.

بعد فترة، استدعوني مجدداً، وكتبت ما حدث في المساحة المخصصة للمعلومات الشخصية، ثم وقعت في أربعة أماكن، كما طلب مني الرقيب. أخبرني عندما أنهيت أن أكون مستعداً وحاضراً يوم الاثنين، وقال إنه في بعض الأحيان ينتظر الشبان شهوراً حتى تتم معالجة معلوماتهم، لكنني أتيت في الوقت المناسب.

قال إنني سأجري يوم الاثنين اختبار القبول الخاص بي، وهو اختبار للكفاءات المهنية يساعد المشاة البحرية على معرفة مقدار ما يمكن القيام به ومدى الذكاء.

سألني إذا كان لدي أي وشوم فقلت: لا، وسألني إذا كنت أضع نظارة في بعض الأحيان فقلت: لا، وقال أموراً أخرى، مثل: أحضر بطاقة الضمان الاجتماعي الخاصة بك، وإذا كنت تضع قرطاً فانزعه، ثم أكد علي ارتداء السراويل الداخلية - ظننت أن هذا مضحك لكنني لم أضحك - فقلت: حسناً، وقال: إذا كان هناك أي خطب فيك لم تكتبه، فمن الأفضل أن تخبرني الآن وتنقذ نفسك، فقلت إنه لا يوجد أي خطب.

صافحني الرقيب فليك، وقال إن كان لدي أي شيء أحب القيام به، فمن الأفضل إنجازه في عطلة نهاية الأسبوع لأنه بحلول يوم الاثنين وإجراء هذا الاختبار، فلن يكون لدي متسع من الوقت للقيام بأي شيء. قلت: حسناً، فقال: لا تهتم، ثم قال: دعني أسمعك تقول نعم، فقلت

ذلك، وصافحني معبراً عن سروره بلقائي، ثم قال للسيد ستبنك: أنا مسرور بلقائك أيضاً.

بالعودة إلى الورا، قال السيد شبك: إنه يتحدث بقسوة، لكنني لا أعتقد أنه قتل أي شخص مثلك يا بينغي. في الحقيقة، لم يشعر أن الرقيب يمكنه أن يقتل.

بحلول ذلك الوقت، كان قد مضى على غياب روني أربعة أو خمسة أشهر، ولكن قبل أن تذهب، سمحت لي بالخروج معها إلى ديمو ديربي. كان ذلك رائعاً، لكن عندما أردت أن أتمادي أكثر من القبلة، ضحكت ودفعني بعيداً قائلة: أنت صغير جداً، ولكنني أردت أن أعطيك شيئاً لتتذكرني به. قلت: سأذكر، وأنا حقاً أتذكر. قالت لي: لا أعتقد أنك ستنسى أبداً الفتاة الأولى التي أعطتك قبلة حقيقية.

4

توقف بيلي، ونظر أعلى الحاسوب المحمول نحو النافذة. أخبرته روبن أنها عندما تستقر أخيراً في مكان ما، ستكتب لأصدقائها في دار الطلاب الأبدى كي يتمكنوا من الرد عليها، وطلبت منه أن يفعل الشيء نفسه عندما يغادر.

قالت ذلك اليوم بينما كانا يجلسان في سيارة المرسيدس المحطمة: «أظن أنه لن يمر وقت طويل قبل أن تمضي في طريقك». وسمحت له بفك أزرار قميصها؛ بالقدر الذي سمحت به. كانت تزرر قميصها مرة أخرى وهي تتحدث، مخبئة كل ذلك المجد، وتابعت: «لكن فكرتك حول تقديم نفسك لآلة الحرب... عليك إعادة التفكير في ذلك يا بيلي. أنت أصغر من أن تموت». قبلت أنفه، وتابعت: «وأجمل من أن تموت أيضاً».

عندما بدأ بيلي في كتابة هذا، متجاهلاً أنه كان يعاني من أصعب وأروع انتصاب في حياته خلال تلك الجلسة القصيرة جداً، أضاء هاتف ديفيد لوكريدج برسالة من كين هوف ذكر فيها:

لديّ شيء لك. ربّما حان الوقت لكي تأخذه.

ولأنه على الأرجح محقّ في ذلك، أرسل بيّلي رسالة كتب فيها: حسناً. أرسل له هوف: سأتي إلى منزلك.

لا ولا وألف لا، هوف في منزله؟ بجوار أكرمان الذي يلعب بيّلي مع ولديه المونوبولي في عطلات نهاية الأسبوع؟

سيُحضّر هوف البندقية ملفوفة في بطانية، بالطبع سيفعل، كما لو أنّ أيّ شخص لديه نصف دماغ وعين واحدة لن يعرف ما بداخلها.

أرسل له بيّلي: كلا، لتقابل الليلة في مرأب وول مارت عند الساعة 7:30 مساءً.

انتظر الرد مراقباً النقاط بينما كان يكتب هوف ردّه. سيتفاجأ إذا كان يعتقد أنّ مكان الاجتماع قابل للتفاوض، ولكن أتى الرد موجزاً: حسناً.

أغلق بيّلي حاسوبه المحمول من دون أن ينهي الجملة الأخيرة؛ لقد أنهى عمله لليوم. هو أذكى من أن يعتقد أنّ هوف سمّم البئر، فهوف هو هوف ولا يمكنه مساعدة نفسه، والسمّ الحقيقي هو السلاح.

5

ركن بيّلي سيارة ديفيد لوكريديج من طراز تويوتا عند الساعة 7:25، في المرأب العملاق لوول مارت، وتلقى الرسالة النصية بعد خمس دقائق، أي عند الساعة 7:30 تماماً.

لا أستطيع رؤيتك، هناك الكثير من السيارات، انزل ولوّح لي. خرج بيّلي ولوّح بيديه، بدا متفاجئاً بوجود صديقه هنا. سارت سيارة موستنغ كلاسيكية مكشوفة حمراء اللون في أحد الممرات، وتوقفت بجوار سيارة بيّلي الأكثر تواضعاً، ثمّ ترجل هوف منها. بدا أفضل حالاً من المرة الأخيرة التي رآه فيها، ولم يشمّ بيّلي رائحة كحول منبعثة من أنفاسه، وهو أمر جيد بالنظر إلى وضعه. كان يرتدي قميص بولو - عليه الشعار - وبنطالاً

قطنياً، ويتعل حذاء لوفر، وقد قص شعره قصة جديدة، ومع ذلك، لا يزال كين هوف الأساسي موجوداً كما ظن بيلى. كان يتعطر بعطر باهظ الثمن، لكن رائحة العطر عجزت عن إخفاء رائحة قلقه، مع أنه لا يقوم بشيء خطير، بل يجلب سلاحاً لقاتل مأجور خطر جداً.

لم تكن البندقية ملفوفة ببطانية، وكانت هذه نقطة في صالح هوف، فقد أخرج من صندوق سيارته حقيبة غولف تبرز منها رؤوس أربعة مضارب تلمع تحت ضوء النهار الباهت.

أخذ بيلى الحقيبة ووضعها في صندوق سيارته قائلاً: «هل من شيء آخر؟».

قال هوف: «ربما، نعم. هل يمكننا التحدث لدقيقة؟».

فتح بيلى باب سيارة التويوتا، وأشار إلى هوف كي يدخلها، لأنه قد يكون من الحكمة معرفة ما يدور في ذهنه.

جلس هوف في المقعد الأمامي وبيلى خلف المقود.

قال هوف: «أريد فقط أن أطلب منك أن تخبرنيك أن لا مشكلة بيننا.

هل تستطيع ذلك؟».

قال بيلى: «حسناً، لا مشكلة بشأن ماذا؟».

قال هوف: «بشأن كل شيء. هذه...»، ثم رفع إبهامه مشيراً إلى حقيبة

الغولف في الخلف، وتابع: «أريدك أن تتأكد من أنني رجل مخلص».

فكر بيلى في سره: لا بد أنه شاهد كثيراً من الأفلام.

قال هوف: «أخبره أن كل شيء على ما يرام. بعض الناس الذين أدين

لهم بالمال سعداء. بمجرد قيامك بعملك، سيكون الجميع سعداء. أخبره

أننا جميعاً أصدقاء وسنفترق، وسيمضي كلُّ منا في دربه. إذا سُئلت يوماً

عن شيء ما، فلن أقول شيئاً. أنت مجرد كاتب أجرته مكتباً في أحد مباني».

فكر بيلى في سره: لا، أنت لم تؤجره لي، بل لوكيلي، وجورج روسو

هو في الواقع جورجيو بيغليللي، المعروف أيضاً باسم جورجى بيغز، وهو

شريك معروف لينيكولاي ماغاريان. أنت الرابط، وأنت تعرف ذلك، ولهذا السبب نجري هذه المحادثة. ما زلت تعتقد أنه يمكنك الهروب على الأرجح بعد انتهاء الصفقة. أعتقد أن لديك الحق في التفكير في ذلك، لأن التهرب هو ملعبك. لكن المشكلة تكمن في أنني لا أعتقد أنه يمكنك التهرب بعد عشر ساعات في غرفة الاستجواب حيث يكون رجال الشرطة يستجوبونك، أعتقد أنك ستكسر كالبيضة.

حاول بيلى أن يبدو لطيفاً وقال: «أصغِ إليّ لدقيقة..»، أمل أن يكون الحديث بطريقة مباشرة؛ شخصان فقط في سيارة تويوتا يتحدثان من دون أن يكذب أحدهما على الآخر. هل كانت حقاً مهمة بيلى سامرز أن يخفف من انزعاج هذا الرجل؟

ألم يكن من المفترض أن يختفي هذا الشخص بشكل تلقائي بعد انتهاء الصفقة مثل هوديني؟ كان هذا هو الاتفاق من قبل، ولكن مقابل مليونين... في هذه اللحظة، كان هوف ينظر إليه بصبر نافذ باحثاً عن الطمأنينة؛ عن ذلك الشراب المهدئ. كان ينبغي أن يكون جورج هنا، فجورج جيد في هذه الأمور، لكن جورج ييغز ليس هنا.

تابع بيلى قائلاً: «أعلم أنك لست معتاداً على هذا».

قال هوف: «كلا، لست معتاداً».

قال بيلى: «وأنا أعلم أنك متوتر، لكن من نتحدث عنه ليس نجماً سينمائياً أو سياسياً أو بابا روما؛ إنه رجل سيء».

بدا على وجه هوف أنه يقول: «مثلك. ولم لا؟ لا يهم إن فاز بيلى بطائر الفلامنغو الوردي لفتاة صغيرة لطيفة تربط شعرها بالشرائط. ليس الأمر كما يسمونه بالظرف المخفف».

تحرك بيلى لينظر مباشرة إلى وجه هوف، وقال: «أريد أن أطرح عليك سؤالاً يا كين، ولا تأخذ الأمر على نحو شخصي».

قال هوف: «حسناً، بالتأكيد».

سأله بييلي: «أنت لا تحمل جهاز تنصت، أليس كذلك؟». كان تعبير هوف الصادم هو الجواب الذي احتاج إليه بييلي، واختصر هراء الرجل المرتبك.

قال بييلي: «حسناً، أنا أصدقك. كان عليّ أن أسأل فقط. استمع الآن، لن يشكّلوا فريق عمل بشأن عملية القتل هذه، ولن يكون هناك تحقيق كبير. سيطرحون عليك بعض الأسئلة، وسيبحثون عن وكيلي، وسيكتشفون أنه شبح زور بعض الأوراق بطريقة جيدة، وسيتهي الأمر. هل تعرف ماذا سيقولون؟ ليس للصحف أو التلفزيونات، ولكن في ما بينهم؟».

كان كين هوف يهزّ رأسه نفيّاً وعيناه كانتا مثبتتين على بييلي. قال بييلي: «سيقولون إنها كانت عملية قتل بين العصابات أو عملية انتقام، ومن فعل ذلك أنقذ المدينة من تكلفة المحاكمة. سيبحثون عني، ولن يجدوني، وستُغلق القضية على أنها ملفّ مفتوح لم يتمّ حلّه، وسيقولون بشئ مصير الحثالة. هل فهمت؟».

قال هوف: «حسناً، عندما تصيغها على هذا النحو...».

قال بييلي: «نعم، هذا ما سيحصل. والآن، عُدْ إلى المنزل ودعني حتى أعتني بالباقي».

فجأة، تحرّك كين هوف نحوه، وللحظة ظن بييلي أن الرجل سيضربه، لكن هوف عانقه بدلاً من ذلك. إنه يبدو أفضل حالاً الليلة، لكن أنفاسه تحكي قصة مختلفة؛ لم يشمّ بييلي رائحة نبيذ، لكنّه شمّ رائحة ننتة.

كان بييلي يعاني من العناق ورائحة الفم الكريهة وكلّ شيء، ولكنه عانقه قليلاً، ثم طلب منه أن يغادر. بالله عليك اذهب. ترجّل هوف من السيارة، فارتاح بييلي، لكن هوف انحنى إلى الداخل مرّة أخرى مبتسماً ابتسامة تبدو حقيقية هذه المرة، كما لو أنّها نابغة في القلب.

قال هوف: «أنا أعرف شيئاً عنك».

قال بييلي: «ما هو يا كين؟».

قال هوف: «النص الذي أرسلته إليّ. أنت لم تكتب مرأب السيارات بحروف صغيرة، بل بحروف كبيرة. أنت لست غيباً كما تريد أن تظهر، أليس كذلك؟».

قال بيلى: «أنا ذكي بما يكفي لأعلم أنك ستكون على ما يرام إذا حافظت على هدوءك. ليس لديك أيّ فكرة من أين حصلت على البندقية، ولا عما كنت أخطّط للقيام بها. هذا كلّ ما في الأمر».

قال هوف: «حسناً. الأمر الآخر، هل تعرف كودي؟».

بالأكيد يعرف بيلى المدينة التي ذهبوا فيها إلى هراء الكرنفال.

في البداية، ظنّ بيلى أن هوف سيخبره بأنهم عرفوا بوجوده هناك بسبب إطلاقه للنار؛ كانت فكرة تتعلّق بجنون الريبة.

قال بيلى: «نعم، ليست بعيدة عن المكان الذي أعيش فيه».

قال هوف: «نعم، في اليوم الذي ستقوم فيه بعملية القنص، سيكون هناك تمويه في كودي».

التمويه الوحيد الذي يعرفه بيلى هو القنبلتان الدخانيتان، إحداهما في الزقاق خلف مقهى صنسبوت، والآخر في مكان ما بالقرب من المحكمة. كودي على بعد أميال من المحكمة، ولم يكن نيك ليخبر هذا الأبله عن القنبلتين الدخانيتين على أي حال.

سأله بيلى: «أي نوع من التمويه؟».

أجاب هوف: «حريق، ربّما مستودع، فهناك الكثير من المستودعات في المنطقة. سيحدث ذلك قبل وصول رجلك... هدفك... إلى المحكمة. لا أعرف الوقت تماماً. اعتقدت فقط أنك تريد أن تعرف، في حال تلقيت بلاغاً على هاتفك أو حاسوبك أو أيّ شيء آخر».

قال بيلى: «حسناً، شكراً لك. والآن حان الوقت لك للتغلب على كلّ هذا».

رفع هوف إبهامه إلى الأعلى، وعاد إلى سيارته الفاخرة. انتظر بيلى

حتى رحل هوف، ثم عاد إلى شارع إيفرغرين. كان يقود سيارته بحذر، مدركاً أنه يحمل بندقية عالية الدقة في صندوق السيارة.

فكر بيلى في سره: حريق مستودع في كودي؟ أحقاً؟ هل يعرف نيك؟ لا يعتقد ذلك، كان نيك سيخبره عن أي شيء سيحدث. لكن هوف يعرف. السؤال هو ما إذا ما كان يتوجب على بيلى إخبار نيك أو جورجيو عن هذا الحدث غير المتوقع أم لا، ولكنه قرّر أن يحتفظ بهذه المعلومة لنفسه.

فكر في الأمر في قلبه كمريم العذراء وهي تفكر في ولادة الطفل يسوع. لقد طلب من هوف أن يبقى هادئاً، لكن ما مدى الهدوء الذي يمكنه الاحتفاظ به بعد ثلاث أو أربع ساعات في غرفة الاستجواب الصغيرة تلك؟ سيبدأ رجال الشرطة في سؤاله: كيف دفعت للدائنين الذين كانوا يطاردونك؟ وبحلول ذلك الوقت، سينادونه بكين بدلاً من السيد هوف، هذا ما يفعلونه عندما يشمون رائحة الدم. من أين أتى المال يا كين؟ هل ورثت عملاً غنياً يا كين؟ لا يزال هناك وقت للخروج من كل هذا، هل هناك شيء تود إخبارنا به يا كين؟ كين؟

وجد بيلى نفسه يتساءل عن حقيبة الغولف والمضارب الموجودة بداخلها جنباً إلى جنب مع البندقية. هل هي حقيبة هوف؟ وإذا كانت حقيته، فهل فكر في مسح بصمات أصابعه عن رؤوس المضارب؟ من الأفضل عدم التفكير في الأمر، فهوف سيتحمل العواقب.

لكن، ألا ينطبق هذا أيضاً على بيلى؟ واصل التفكير في خطة هروب نيك، كانت أفضل من أن تكون حقيقية، ولهذا قرر بيلى عدم إخبار نيك، لأنه إذا كان يريد التخلص من الرجل الذي توسّط في الصفقة ووفر السلاح، فلماذا لا يتخلص من الرجل الذي سيستخدم البندقية؟ لا يريد بيلى تصديق أن نيك قد يفعل ذلك، لكنه أدرك حقيقة واحدة لا جدال فيها: إن عدم الرغبة في تصديق الأشياء هو ما وضع كين هوف في موقف لن يخرج منه بالتأكيد. ولكن من اقترح إحراق مستودع في كودي يوم عملية القنص؟ إن لم

يكن نيك ولا هوف، فمن يكون؟
كلّ هذا مثير للقلق، ولكن بينما كان يسير، رأى شيئاً واحداً جيّداً:
كانت حديقته تبدو رائعة.

6

نام بيلي جيداً خلال معظم شهر آب؛ نام ولم يفكر في شيء سوى ما سيكتبه في اليوم التالي، ولم تراوده سوى القليل من الأحلام عن الفلوجة والمنازل حيث كانت أكياس القمامة الخضراء ترفرف على أشجار النخيل في ساحاتها - كيف وصلت إلى هناك؟ لماذا كانت هناك؟ - لم تعد قصته، بل كانت قصة بينغي الآن.

بدأ هذان الشيطان يتباعدان، ولم يمانع بيلي. لقد شاهد ذات مرة مقابلة مع الروائي تيم أوبراين على يوتيوب، تحدث فيها أوبراين عن كتاب عنوانه الأشياء التي حملوها، قال إنّ الخيال لا يعني الحقيقة، لكنّه الطريق إليها، ويمكن لبيلي الآن فهم ذلك، خاصّة عندما يتعلّق الأمر بالكتابة عن الحرب، ولم يكن هذا هو موضوع قصته في الغالب. التقبيل في تلك المرسيديس المحطمة مع روبن ماغوير، المعروفة أيضاً باسم روني جيفنز، كان مجرد هدنة. كان معظم الباقيين يقاتلون.

الليلة، مع انتهاء فصل الصيف وحلول فصل الخريف، كان يرقد مستيقظاً ومضطرباً، إذ كان يفكر في المهمة التي وافق على القيام بها بالبندقية. كقاعدة عامّة، هناك مبدآن أساسيان لا يتخطّاهما بيلي: إطلاق الرصاصة، والخروج بسرعة. الأمر مختلف هذه المرة، وليس فقط لأنّها المرّة الأخيرة التي يخطّط فيها لوضع حياته مقابل المال؛ الأمر مختلف لأنّ بيلي شمّ رائحة كريهة، كرائحة أنفاس هوف التي شمّها عند العناق الأخرق وغير المتوقع.

ظنّ أنّ شخصاً ما تواصل مع هوف، ثمّ أدرك أنّ الأمر ليس كذلك.

لم يتواصل أحد مع هوف، لأن هوف لا أحد. قد يظن أنه شخص ما، مع أعماله العقارية ودور السينما الخاصة به وسيارته المستنغ الحمراء المكشوفة، لكنه مجرد سمكة كبيرة في بركة صغيرة، وليست كبيرة حتى، وهذه مشكلة كبيرة، لأن الكثير من الناس يتم الدفع لهم.

لقد سُويّت بالفعل بعض ديون هوف، وهو يعتقد أنه سيتم تسويتها جميعاً بعد موت جويل ألين، ثم هناك نيك، والأشخاص الذين أشركهم في هذه العملية، فهم لا يتمتعون بقوة الفريق، ليس تقريباً؛ قد يكون هناك المزيد الذي لم يخبره عنه نيك.

لم يتواصل أحد مع هوف، لكن تواصل أحدهم مع نيك، وطلب منه إحضار هوف على متن الطائرة. تذكر بيلى ما فكر به في المرة الأولى التي التقى فيها هوف في مقهى صنسبوت، يومها فكر أن نيك وهوف تابعان، والآن هو على بعد خطوة واحدة من التأكد من أن ظنونه كانت صحيحة. أراد هوف الحصول على ترخيص كازينو، لكنه لم يحصل عليه، هل كان ذلك سيحدث إذا كان مقرباً من نيك الذي يعرف كيف يحلّ مثل هذه الأمور؟ كان الكازينو عبارة عن رخصة لطباعة النقود بعد كلّ شيء، وهوف يحتاج إلى المال.

هل الشخص الذي يقف وراء هذا هو الشخص نفسه الذي نبه هوف بشأن حريق المستودع المفترض في كودي؟ هذا احتمال وارد. لتأمل هنا جويل ألين، المسجون الآن في لوس أنجلوس، إنه رهن الاحتجاز الوقائي، مرتاح كحشرة على البلاط، ولديه محام يقا تل من أجله. لماذا والجميع يعرفون أن ألين سيعود إلى هنا في النهاية؟ ليس لأن الطعام أفضل في مقاطعة لوس أنجلوس. هل يشتري الوقت؟ هل يحاول عقد صفقة مع الشخص الذي وظّف كل هؤلاء لصالحه، وربما يستعين بمحاميه كوسيط؟

يجب أن يعرف الشخص أن ألين سيعود إلى هنا في النهاية، وعندما

يصل إلى هنا، سيصل إليه بيلي سامرز قبل أن يتمكن من البوح بما يعرفه. يجب أن يعلم الشخص أن ألين يملك بوليصة تأمين؛ صوراً وتسجيلات وربما اعترافاً مكتوباً بشيء ما لم يستطع بيلي تخيّل ما هو. يجب أن يشعر الشخص بضرورة المخاطرة، وأنها مقبولة. يمكن أن يكون الشخص على حق، وربما لا يأخذ الرجال مثل ألين بوالص التأمين، إذ يشعر الرجال مثل ألين بأنهم معرضون للخطر. قد يكون جيداً في المهام المدفوعة، لكن الجرائم التي أوصلته إلى الهراء الحالي كانت جرائم اندفاع.

إلى جانب ذلك، قد يشعر الشخص أن لا خيار لديه؛ مهما كان السرّ، فهو سيء. لا يمكن السماح لألين بأن يجد نفسه أمام محاكمة يُفترض بها أن تحكم عليه بالإعدام، ليس وهو بحوزته شيء خطير قابل للمقايضة. بدأ بيلي يستغرق في النوم قبل أن يغوص في تفكيره الأخير عن كيفية منع إفلاسه في المونوبولي، عن طريق بيع ممتلكاته الواحدة تلو الأخرى، فنادراً ما تنفع هذه الخطة.

7

في صباح اليوم التالي، وبينما كان يستقلّ سيارته، عبرت كورين أكرمان حديقته وحديقته حاملةً بيدها حقيبة بنية اللون تفوح رائحة شيء لذيذ منها. قالت: «لقد صنعت مافن التوت البرّي، سيحصل كلّ من ديريك وشان على غداء ساخن في المدرسة، لكنهما يحبان شيئاً إضافياً؛ لقد تركت لك قطعتين منها.

قال وهو يأخذ الحقيبة: «هذا رائع حقاً. هل أنت متأكدة أنك لا تريدين الاحتفاظ بواحدة منهما على الأقل من أجل جمال عندما يعود إلى المنزل؟». قالت: «لقد تركت واحدة من أجله، لكنني أريدك أن تأكلهما، هل تسمع؟».

قال بيلي مبتسماً: «أعتقد أنني أستطيع تناولهما».

قالت: «أنت تخسر الوزن. أنت بخير، أليس كذلك؟».

نظر بيلى إلى نفسه متفاجئاً. هل هو يخسر الوزن فعلاً؟ يبدو أنه يخسره، ولاحظ أنه استخدم الثقب الأخير في حزامه. نظر إليها مرّة أخرى وقال: «أنا بخير يا كورين».

قالت: «تبدو بصحة جيدة، لكن هذا ليس ما قصدته، أو ليس كل ما قصدته، هل تسير أمور كتابة الكتاب على ما يرام؟».

أجابها: «نعم، بشكل رائع».

قالت: «حسناً، ربما كل ما تحتاج إليه هو تناول المزيد من الطعام؛ الأشياء الصحية على سبيل المثال الخضروات الصفراء والخضراء، وليس مجرد بيتزا جاهزة أو تاكو بيل. يعتبر طعام العازب على المدى الطويل أسوأ من الخمر. تعال لتناول العشاء الليلة عند الساعة السادسة تماماً. سأصنع فطيرة الراعي، لديّ بازلاء وجزر».

قال بيلى: «هذا يبدو جيداً، طالما أنني لن أزعجك».

قالت: «لن أزعج، بل أريد أن أقول لك شكراً. لقد كنت جيداً جداً مع الطفلين، وازداد إعجاب شانيس بك عندما فُزت بالفلامنغو من أجلها»، ثم أخفضت صوتها، كما لو كانت تنقل سرّاً وتابعت: «لقد غيرت اسمه من فرانكي إلى ديف».

فكر بيلى وهو يقود سيارته نحو وسط المدينة في تغيير شان لاسم طائر الفلامنغو الخاص بها، وشعر بالسعادة لأنها فعلت ذلك، وبالعار لأن اسمه مجرد كذبة».

8

بعد ظهر ذلك اليوم، غادر برج جيرارد، وسار باتجاه شارع بيرسون. توقف لفترة وجيزة للنظر في زقاق ضيق حيث يوجد فيه زوجان من حاويات القمامة، ثم استدار، واتجه نحو مرأب السيارات.

في وقت لاحق، وفي طريق عودته إلى ميدوود توقف في وول مارت؛ كان دائماً يتوقف هنا منذ مجيئه إلى ميدوود. فكّر مرّة أخرى وهو يقف في طابور الخروج حاملاً سلة التسوّق الخاصة به، في التهرب من هذه المهمة والاختفاء، لكن نيك سيلاحقه، وليس فقط لاسترداد المبلغ الكبير الذي سبق له أن حوّله إلى حسابه. يبلي جيد في الاختفاء، لكن نيك لن يتوقف عن ملاحقته. سيبدأ باستجواب بوكي هانسون، وسيكون هذا الاستجواب صعباً، لأنّ نيك سيعرف أنّه إذا كان لدى أيّ شخص فكرة عن مكان تواجد يبلي سامرز، فسيكون وسيطه في نيويورك. قد ينتهي الأمر ببوكي بدون أظافر، أو ميتاً، وهو لا يستحقّ أيّاً من ذلك.

سيرسل نيك أيضاً شباباً إلى الحي، ربّما فرانكي إلفيس وبولي لوغان، كما سيتمّ استجواب آل فازيو وراغلاند، وكذلك جمال وكورين، وربّما جميع الأطفال؟ ولكن مجرد التفكير في هذين الشابين وهما يستجوبان شان وديريك، جعله يشعر بالغيثان.

وهناك سببان آخران، أولهما أنّه لم يسبق له أن تهزّب من مهمّة، وثانيهما هو أنّ جويل ألين يستحقّ الموت؛ إنّهُ شخص سيء.

قالت الفتاة التي على صندوق المحاسبة: «سيدي؟ أنت التالي».

قال يبلي: «أسف، كنت شارداً الذهن».

قالت: «لا تقلق، أنا أفعل ذلك طوال الوقت».

أفرغ سلته التي كانت تحوي على أغذية لرؤوس مضارب الغولف خضراء زاهية طُبع عليها كلمات مثل بو ووام، وعدة تنظيف مسدس، ومجموعة ملاعق مطبخ خشبية، وشريطة حمراء كبيرة كُتب عليها عيد ميلاد سعيداً، وسترة خفيفة عليها شعار رولينغ ستونز على الظهر، وصندوق غداء للأطفال. رفعت الفتاة صندوق الغداء لإلقاء نظرة أفضل وقالت: «سيلر مون، الفتيات الصغيرات سيحببنّ هذا».

اعتقد يبلي أنّ شان أكرمان ستحبه، لكنه لم يكن يشتريه من أجلها.

تلك الليلة، نزل إلى الغرفة السفلية الخاصة بمنزله بعد العشاء مع آل أكرمان - كانت فطيرة كورين لذيذة للغاية - وأخرج البندقية من طراز أم 24 من حقيبة الغولف؛ فككها، ووضع قطعها على طاولة البينغ بونغ، ونظف كل قطعة. وجد المنظار التلسكوبي في أحد جيبي حقيبة الغولف، وفي الجيب الآخر وجد مخزناً يحتوي على خمس طلقات ذخيرة: سييرا ماتشكينج هولو بوينت ذبول.
لن يحتاج إلا لطلقة واحدة.

10

في صباح اليوم التالي، عندما دخل ردهة برج جيرارد عند الساعة العاشرة والرابع، كان حزام حقيبة الغولف فوق كتفه اليسرى. لقد جاء متأخراً عن عمد بحيث يكون معظم رجال الأعمال يلاحقون أعمالهم.
نظر إيرف دين، رجل الأمن المسن، من فوق مجلته - موتور تريند - وابتسم له ثم قال: «هل أنت ذاهب في مغامرة غولف يا ديف؟ أوه، كي تعيش حياة الكاتب».

قال بيلي: «ليست لي. أعتقد أنها أكثر لعبة مملّة في الكون. هذه من أجل وكيلي»، ثم قرّب الحقيبة حتى يتمكن إيرف من رؤية الشريطة الكبيرة وما كُتب عليها بالأحرف البراقة.

قال إيرف: «حسناً، هذا لطيف جداً منك. هدية باهظة الثمن».

قال بيلي: «لقد فعل الكثير من أجلي».

قال إيرف: «آه، أسمع ذلك. لكن لا يبدو السيد روسو جاهزاً تماماً

لملعب الغولف»، ثم رفع يديه مشيراً إلى بطن جورجيو المنتفخ.

كان بيلي مستعداً لمثل هذا الحوار فقال: «نعم، من المحتمل أن يسقط

بنوبة قلبية عند الحفرة الثالثة إذا كان يسير، لكن لديه عربة غولف مخصصة. أخبرني أنه تعلم اللعبة في الكلية عندما كان أكثر نحافة. أتعرف ماذا؟ في المرة الأولى التي طلب فيها مني مرافقته إلى ملعب الغولف، سدّد كرة بمهارة لا تصدّق».

وقف إيرف وللحظة ظنّ بيّلي أنّ ردود الفعل الشرطيّة للرجل العجوز قد ظهرت مرّة أخيرة وأنّه سيقوم بتفتيش الحقيبة، الأمر الذي من شأنه أن ينقذ حياة جويل ألين وربما ينهي حياة بيّلي. لكن بدلاً من ذلك، استدار بشكل جانبي، وربّت بكلتا يديه على مؤخرته الكبيرة وقال: «هذا هو المكان الذي تأتي منه القوة. اسأل أي لاعب هجوم أو دفاع في دوري كرة القدم الأميركية. اسأل خوسيه ألتوف؛ يبلغ طوله 5.6 أقدام، لكن لديه مؤخرة كالطوب».

قال بيّلي: «يجب أن يكون الأمر كذلك. من المؤكد أن جورج لديه مؤخرة فريدة. أتمنى أن تحظى بيوم جيّد يا إيرف».

قال إيرف: «وأنت أيضاً. متى عيد ميلاده؟ سأحضر له بطاقة أو شيئاً من هذا القبيل».

قال بيّلي: «الأسبوع المقبل، لكنّه قد لا يكون هنا، إنّه في الخارج على الساحل الغربي».

قال إيرف وهو يجلس: «حيث أشجار النخيل والفتيات الجميلات بجوار حوض السباحة. هل ستبقى لوقت متأخر الليلة؟».

ردّ بيّلي: «لا أعرف. سأرى كيف ستسير الأمور».

قال إيرف وهو يعاود فتح مجلته: «يا لحياة الكاتب!».

أزال بيّلي أحد الأغطية الخضراء للمضارب في مكتبه - تلك التي طُبع عليها - والذي ثبته على الملعقة الخشبية مما جعلها تبدو كرأس

مضرب غولف بوجود غطاء المضرب الأخضر فوقها. أخرج بيلى المخزن، والفوهة، والمزلاج الـ 700، ثم دفع اثنين من العصي جانباً كي يتمكن من إخراج صندوق الغداء الذي لفه بستره كي لا يحدث أيّ قرعة حيث وضع بداخله القطع الأصغر؛ قابس البراغي، ودبوس الإطلاق، ودبوس القاذف، ومزلاج الصفيحة القاعية، وكلّ ما تبقى. وضع السلاح المفكك، بالإضافة إلى المخزن ذي الخمس طلاقات، ومنظار ليبولد، وقاطع الزجاج في الخزانة العلوية بين المكتب والمطبخ الصغير، ثمّ أفلها ووضع المفتاح في جيبه. لم يحاول الكتابة؛ سيكتب عندما ينتهي من هذا العرض القذر. وضع جهاز الماك بوك برو الذي يكتب قصته عليه جانباً، وفتح قصته الخاصة. كتب في خانة كلمة المرور مجرد مزيج من الأرقام والأحرف التي حفظها - لا توجد ملاحظة لاصقة مخبأة في مكان ما مع كلمة المرور مكتوبة عليها - وفتح ملفاً بعنوان الرجل المثلي، والمقصود به كولن وايت بالطبع. لاحظ بيلى أنّ هناك عشرة أزياء يرتديها كولن أثناء العمل.

ما من طريقة يمكن من خلالها توقع ما سيرتديه كولن في اليوم الذي سيتمّ فيه جلب جويل ألين إلى المحكمة، وبذلك لم يعر بيلى الأمر أهمية، ليس فقط لأنّ الناس يثقون بأعينهم حتّى عندما تكذب هذه الأعين، ولكن لأنّه يجب أن يكون مرتدياً إحدى السراويل الفضفاضة التي يرتديها كولن في بعض الأحيان مع قميص مطبّع بالأزهار، وأحياناً مع قميص مكتوب عليه الشواذ مناصرو ترائب، وأحياناً مع أحد قمصان فرقة العديدة، لا يهم لأنّ الأشخاص الذين سيرونه وهو يرتدي سترة على ظهرها شعار رولينغ ستونز سيظنونه كولن. لم يسبق له أن رأى كولن يرتدي سترة من أيّ نوع، ليس خلال الصيف الحار الماضي، ولكن مثل هذه الملابس موجودة بالتأكيد في خزانته، وإذا كان يوم القنص حاراً، حيث يميل الخريف هنا إلى أن يكون حاراً، فستظل السترة مناسبة، إذ ستكون كشكل من أشكال الموضة.

عندما يرى رجلا نيك في عربة دائرة الأشغال العامة المزيفة بيلى

وهو يركض من دون توقف، لن يعتقد أنه بيلى سامرز؛ سيلمحان السروال الفضفاض والشعر الأسود الطويل إلى الكتفين وسيقولان: «ها قد خرج المثلي ذو الملابس البراقة هارباً نحو التلال.
هذا ما يأمله بيلى.

تابع بيلى استخدام حاسوبه المحمول الخاص، وقرر أن يتسوق من أمازون، وحدد موعد التسليم في اليوم التالي.

مكتبة ياسمين

t.me/yasmeenbook

الفصل التاسع

1

مرّ أسبوع ظل بيّلي خلاله يتوقع أن يسمع من جور جيّو، لكنّه لم يسمع شيئاً.

مساء يوم الجمعة، دعا جيرانه لحضور حفل شواء في الفناء الخلفي، ولعب هو وجمال وبول راغلاند تمريرة ثلاثية⁽¹⁾ في فناءه الخلفي، بينما لعب الأطفال لعبة المطاردة، وتدافعوا تحت رميات بول وجمال. على الرغم من أنّ القفّاز الذي وجده جمال لبيّلي هو قفّاز صيد مبطن جيداً، إلا أنّه شعر بالألم في يده لاحقاً أثناء جلبه الأطباق، ثمّ رنّ هاتفه.

ذهب إلى هاتف ديفيد لوكريديج أولاً، لكنّه لم يكن الهاتف الذي يرنّ، ثمّ إلى هاتف بيّلي سامرز، لكنّه لم يكن الهاتف الذي يرنّ أيضاً، ممّا يعني أنّه هاتف دالتون الذي لم يتوقع رنينه على الإطلاق. لا بدّ أنّه بوكي من نيويورك، لأنّه الوحيد الذي لديه رقم دالتون سميث. لكن عندما التقط هاتفه من خزانة الملابس في غرفة المعيشة، أدرك أنّ المتصل لم يكن بوكي، لا بدّ أنّه ريختر، الوكيل العقاري، أو بيفرلي جنسن، جارته في الطابق العلوي. قال بيّلي: «مرحباً».

ردّ جاره: «أهلاً أيّها الجار. كيف حال ألاباما؟»، لم تكن بيفرلي، بل كان زوجها.

ليس لدى بيّلي أيّ فكرة عمّا يتحدّث عنه جنسن، لذا وقف متجمّداً للحظة.

قال الجار: «دالتون؟ هل ما زلت معي؟».

(1) يشير إلى تمرير كرة القدم الأميركية بين ثلاثة لاعبين.

تجمّد في مكانه؛ من المفترض أن يكون في هانتسفيل يعمل، قال بييلي:
«أنا معك، الألاباما حازة».

قال دون: «الطقس على ما يرام بخلاف ذلك؟».

لم يكن لدى بييلي أدنى فكرة عن حالة الطقس في هانتسفيل، ربّما يشبه إلى حدّ كبير الطقس هنا ولكن من يدري. لو كان يعرف أن دون جنس سيّصل به، لكان تحقّق من الطقس. ردّ بييلي: «لا شيء مميز. ما الذي يمكنني أن أفعله من أجلك؟».

تخيل بييلي أن دون سيقول له: حسناً، كنا نتساءل فقط من أنت بحقّ الجحيم. قد يخدع هذا البطن المزيف معظم الناس، لكن زوجتي رصدته منذ البداية.

قال دون: «ساعات حالة والدة بيف في الأمس، وتوفيت بعد ظهر اليوم».
قال بييلي: «أوه. يؤسفني سماع ذلك». صحيح أن بييلي لم يكن أسفاً جداً، لكنه كان على الأقلّ أسفاً نوعاً ما، صحيح أن بيفرلي لم تكن كورين أكرمان، لكنها جيّدة.

قال دون: «نعم، بيف منهارة، إنها في غرفة النوم تنوح، وتحزم أمتعتها. سنسافر إلى سانت لويس غداً، علينا استئجار سيارة في المطار والقيادة إلى هذه المدينة الصغيرة التي تسمّى ديغيز. لا يتعلق الأمر بالدفن فقط، فهناك مجموعة من الأمور علينا الاعتناء بها، وسنبقى هناك لفترة. أنا أكره الحساب، لكن أحد المحامين سيقراً الوصية يوم الثلاثاء، وأعتقد أنه قد يكون لنا بعض المال. هذا ما يبدو عليه الحال، لكنك تعرف المحامين».
قال بييلي: «توخّ الحذر».

قال دون: «نعم بالتأكيد. ومع ذلك، كانت أنيت روحاً منقّدة، وبيف هي ابنتها الوحيدة».
قال بييلي: «آه».

قال دون: «سنبقى هناك لفترة، وهذا هو سبب اتصالي. أرادت بييف معرفة ما إذا كان من المقبول أن أضع مفتاحاً لبيتنا تحت الدواسة أمام باب منزلك. عندما تعود من ألاباما، سيكون من الأفضل لو تتحقق من ثلاجتنا، والنباتات، وبوسي ليزي. بييف مغرمة بها، حتى إنها تطلق عليها الأسماء، هل تصدق ذلك؟ إذا كنت ستمضي أكثر من أسبوع، فهذا سيكون محيراً، فنحن لا نعرف الكثير من الناس هنا».

فكر بييلي، لا يقيم كثير من الناس هناك. هذا أمر جيد، إن الحظ يقف إلى جانبه، وسيكون المبنى في شارع بيرسون له بالكامل، إلا إذا عاد جنسن قبل أن يغادر جويل ألين كاليفورنيا.

قال دون: «إذا كنت لا تستطيع فعل ذلك...».

قاطع بييلي قائلاً: «أستطيع وبكل سرور. ما هي المدة التي تظن أنكما ستبقيان فيها هناك؟».

قال دون: «لا أعرف على وجه الدقة، ربما لأسبوع أو أسبوعين. حصلت على إجازة من العمل من دون راتب، ولكن سنحصل على المال هناك...».

قال بييلي: «صحيح، فهمت. لا مشكلة في الاعتناء بالنباتات. أتوقع أن أعود قريباً، ولفترة طويلة هذه المرة».

قال دون: «هذا رائع، طلبت مني بييف أن أقول لك إنه يمكنك الحصول على أي شيء من الثلاجة، وتقول إنه من الأفضل استخدام الأطعمة بدلاً من أن تفسد. بالطبع، ربما فسد الحليب على أي حال».

قال بييلي: «نعم، واجهت هذه المشكلة بنفسني. أتمنى لكما رحلة آمنة».

قال دون: «شكراً يا دالتون».

قال بييلي: «على الرحب والسعة».

تلك الليلة، استلقى بيلى على السرير واضعاً يديه تحت الوسادة ناظراً إلى الضباب المحيط بالضوء المصفر على السقف، المنعكس من ضوء الشارع أمام منزل آل فازيو. نسي من جديد أن يشتري الستائر، ربما سيتذكر الآن مع عدم وجود ما يفعله سوى الانتظار.

كان يأمل أن تكون فترة الانتظار قصيرة، ليس فقط لأن رحيل دون ويفرلي أمر مريح للغاية، ولكن لأن الساعات التي يمضيها في برج جيرارد ستمرّ ببطء ما لم يتابع كتابة قصة بينغي. بعد ذلك، فكّر في الفلوجة، يعلم بيلى بعض ما يريد ذكره عن بعض التفاصيل الرائعة التي يريد تدوينها؛ أراد أن يذكر أكياس القمامة الممزقة تلك العالقة على أشجار النخيل، تتحرك مع الريح الساخنة كالأعلام، وكيف ظهر المجاهدون في سيارات الأجرة لمحاربة مشاة البحرية، وكيف خرجوا من تلك السيارات كمهزّجي السيرك، إلا أن مهرجي السيرك لا يحملون البنادق، وكيف كان الأولاد الذين يرتدون قمصان فيفتي سينت وسنوب دوغ، ويتعلون أحذية رياضية من نايكي وتشوك تايلرز، يهربون من الرصاص، وكيف هرول كلب بثلاث قوائم وفي فمه نصف يد بشرية في حديقة جولان، وقد استطاع بيلى تذكّر منظر الغبار الأبيض على قوائم ذلك الكلب بوضوح.

كلّ القطع موجودة، لكن لا يمكنه تجميعها إلى أن ينتهي من هذه المهمة. وفقاً لويليام وردزورث، فإن أفضل الكتابات بشأن المشاعر القوية تكتب عندما يكون الكاتب هادئاً، ولقد فقد بيلى هدوءه.

أخيراً، استغرق في النوم، لكن الصوت الخفيف لوصول رسالة نصية أيقظه. اعتاد أن ينام ولا يشعر بمثل هذه الأصوات، ولكن الآن أصبح نومه خفيفاً، وتخلّله أحلام كثيرة.

كانت الهواتف الثلاثة مصفوفة والشاحن على المنضدة: بيلى، ديف،

ودالتون. أضواء الشاشة الخاصة به.

رسالة نصية من دي. بي. 1 دوم: اتصل بي. يلي ذلك رقم برمز منطقة لاس فيغاس.

دي. بي. 1 دوم هو فندق دوبل دومينو، كازينو نيك. في المنطقة الزمنية التي يعيش فيها بيلى تشير الساعة إلى الثالثة بعد منتصف الليل، أما في فيغاس، فمن المحتمل أن نيك يستعد للاتصال.

اتصل به بيلى وأجاب نيك سائلاً إياه عن أحواله، فقال بيلى إنه بخير باستثناء أنها الساعة الثالثة بعد منتصف الليل.

ضحك نيك بمرح وقال: «أفضل وقت للاتصال، حيث يكون الناس دائماً في المنزل. لقد تلقيت للتو كلمة مفادها أنه من المحتمل قدوم صديقنا يوم الأربعاء المقبل. كان من الممكن أن يكون يوم الاثنين، لكنه يعاني من تسمم غذائي بسيط، ربما يُعالج ذاتياً. سيذهب إلى فندقه، حيث سيقضي الليل، وأنت ستبعه، حسناً؟».

سيكون فندق ألين هو سجن المقاطعة.

تابع نيك: «في صباح اليوم التالي، ستكون في طريقك لإدانته. هل تفهم ما أعنيه؟».

قال بيلى: «نعم».

قال نيك: «هل جلب لك صديقنا الأصهب ما تريد؟».

قال بيلى: «نعم».

قال نيك: «سيرسل لك وكيلك رسالة نصية أخرى، كن مستعداً، وستغادر في إجازتك بعد ذلك. أفهمت كل شيء؟».

قال بيلى: «نعم».

قال نيك: «سيتوجب عليك دفع فاتورة هذا الهاتف وأي هاتف آخر كنت تستخدمه. أتفهمني؟».

قال بيلى: «نعم». الطريقة التي يسأله بها نيك عما إذا كان قد فهم كل

شيء مرهقة، لكنّها جيدة في الوقت نفسه. لا يزال نيك يعتقد أنّه يتحدث إلى زميل لا يستخدم دماغه مطلقاً. سيدمر بيلى هاتف بيلى سامرز، وهاتف ديفيد لوكريدج، وأيّ هواتف محمولة قد يكون قد التقطها على طول الطريق، والهاتف الوحيد الذي سيحتفظ به هو الهاتف الذي لا يعرف نيك بأمره. قال نيك: «سنبقى على تواصل، احتفظ بهاتفك لبعض الوقت، إن أردت ذلك، ولكن احذف الرسالة النصية التي أرسلتها إليك»، وأنهى المكالمة.

حذف بيلى الرسالة، وغطّ في النوم مجدداً في غضون أقل من دقيقة.

3

كانت عطلة نهاية أسبوع رائعة. أخيراً، يبدو أن الخريف قد حلّ، حيث رأى بيلى بداية تلون أوراق الأشجار في شارع إيفرغرين. هناك لعبة مونوبولي بعد ظهر يوم الأحد حيث سيلعب بيلى ضد ثلاثة أطفال بوجود ستة أطفال آخرين يشاهدون اللوح. عادة ما يكون الزهر صديقه، ولكن ليس اليوم. قام بتدويره ثلاث مرات وانتهى به المطاف سجيناً في ثلاث دورات متتالية، كانت نزوة إحصائية بالرغم من اختياره جميع أرقام ميغا مليونز⁽¹⁾ الستة.

صمد لفترة كافية حتى أفلس اثنان من خصومه، ثم خسر أمام ديريك أكرمان. عندما أخذ البنك آخر ممتلكاته المرهونة، قام جميع الأطفال بتقليد أصوات الغربان والخنازير، وبدؤوا يهتفون: الخاسر، الخاسر. أتت كورين إلى الطابق السفلي لترى ما سبب كل هذا الضجيج، وصرخت ضاحكة: «دعوا الرجل يتنفّس».

صرخ داني فازيو بابتهاج: «لقد هُزمت، هُزمت بشدة على يد طفل». قال بيلى وهو يضحك على نفسه: «صحيح، لو أنني حصلت على كلّ

(1) لعبة يانصيب أميركية

السكك الحديدية بدلاً من الذهاب إلى السجن...».

نفخ بيكي - صديق شان - التوت في وجهه⁽¹⁾، فضحك الجميع، ثم صعدوا إلى الطابق العلوي وتناولوا فطيرة في غرفة المعيشة، حيث شاهد جمال مباراة مهمة في البيسبول، وجلست شان بجانب بيكي على الأريكة واضعة الفلامنغو في حضنها. مع حلول الشوط السابع، نامت وأسندت رأسها على ذراع بيكي، فطلبت كورين منه البقاء لتناول العشاء، لكن بيكي رفض، وقال إنه خطط لمشاهدة فيلم ديدلي إكسبريس.

قال ديريك: «لقد شاهدت مقتطفات منه، يبدو مخيفاً».

قال بيكي: «سأتناول الكثير من الفشار، إنه يمنعني من الشعور بالخوف». لم يهّب بيكي لحضور الفيلم، بل استمع إلى البث الصوتي له وهو يقود سيارته عبر المدينة إلى مرأب السيارات حيث تنتظر سيارته الفورد فيوجن. قاد سيارة الفيوجن إلى شارع بيرسون 658، ووضع معدات دالتون سميث في الخزانة، ثم صعد إلى الطابق العلوي وروى نبات العنكبوت والبوسي ليزي من أجل بيبي. بدت نبتة العنكبوت بأحسن حال، لكن بوسي ليزي كانت ذابلة جداً.

قال بيكي: «تفضلي يا دافني»، وضعت بيبي لافطة صغيرة أمام كل نبتة، وكتبت عليها اسمها. سُميت نبتة العنكبوت - ومن يدري لماذا - والتر. أغلق بيكي باب المنزل، وغادره مرتدياً قبعة لتغطية شعره غير الأشقر. كان يضع نظارة شمسية أيضاً، على الرغم من أن الظلمة بدأت تسدل أجنحتها. أعاد سيارة الفيوجن، وقاد سيارة التويوتا إلى ميدوود، وشاهد التلفاز لبعض الوقت، ونام. نام على الفور تقريباً.

(1) تعني إصدار صوت من خلال إخراج اللسان والنفخ لإهانة شخص ما.

ظُهر يوم الاثنين، طرقت أحدهم بابه. فتح بيلى الباب متوقفاً كين هوف، لكن لم يكن هو، بل كانت فيليس ستانهوب.

كانت تبتسم، لكن عينيها كانتا حمراوين ومنتفختين.

سألتها: «هل يمكنك اصطحاب فتاة لتناول العشاء؟ لقد هجرني حبيبي، وأنا بحاجة إلى بعض البهجة»، سكتت لبرهة ثم أضافت: «لأتعافى».

قال بيلى: «لا حاجة إلى ذلك»، لديه فكرة إلى أين قد يؤدي ذلك، وربما قد لا تكون فكرة جيدة، لكنه لم يهتم. تابع بيلى: «سأكون سعيداً بدفع الحساب، وإذا لم يعجبك ذلك حقاً، فيمكننا تقاسم الفاتورة».

لكنهما لم يتقاسما الفاتورة، فقد دفعها بيلى. اعتقد أنها ربما قررت الاحتفال بانتهاء علاقتها الغرامية بمعاشرتة، وكؤوس الفودكا الثلاث التي شربتها - اثنتان قبل العشاء وواحدة خلاله - قد عززت تلك الفكرة. قدّم لها بيلى قائمة النبيذ لكنها لوّحت بها بعيداً، وقالت: «لا تخلط الشراب أبداً...».

قاطعها بيلى قائلاً: «من يخاف من فيرجينيا وولف؟»، فضحكت.

لم تأكل كثيراً، وقالت إن الانفصال كان سيئاً، الجزء الأول منه حدث وجهاً لوجه، والجزء الثاني عبر الهاتف، وقالت إنها لم تكن جائعة، بل كانت بحاجة إلى احتساء الشراب. صحيح أنهما لم يتقاسما الفاتورة، لكنها كانت بحاجة إلى تقاسم بعض الشجاعة لما سيأتي بعد ذلك، الذي لم يعد وارداً الآن بل أصبح حتمياً، وهذا ما أراده بيلى، إذ قد مرّ وقت طويل منذ أن كان مع امرأة. بينما دفع بيلى الفاتورة بإحدى بطاقاته الائتمانية المخصصة لديفيد لوكريديج، فكّر في الأطفال الذين أحاطوا به وهتفوا: الخاسر، الخاسر، وهنا، بعد يوم واحد فقط، هو خاسر في الفودكا والحب.

قالت: «دعنا نذهب إلى منزلك، لا أريد أن أذهب إلى منزلي ورؤية

عطر ما بعد الحلاقة الخاص به على رف حمامي».

فكر بيلى في سزّه: حسناً، يمكنك إلقاء نظرة على عطر ما بعد الحلاقة الخاص بي. يمكنك حتى استخدام فرشاة الأسنان الخاصة بي. عندما وصلا إلى المنزل الأصفر في شارع إيفرغرين، ألق نظرة متفحّصة في الأرجاء، وأثنت عليه وعلى ملصق دكتور جيفاغو الذي اشتراه من محل بيع الخردة في وسط المدينة، وسألته عما إذا كان لديه أي شيء يشربه.

كان لديه ست علب بييرة في الثلاجة، فسألها عما إذا كانت تريد كأساً، فقالت إنها ستشرب مباشرة من العلبة، فأحضر علبتين إلى غرفة المعيشة. قالت: «اعتقدت أنك توقفت عن شرب الكحول طوال هذه المدة». هزّ كتفيه وقال: «الناس يعدون بأمور يعرفون أنهم سينقضونها. علاوة على ذلك، أنا خارج الدوام».

بالكاد قاما بفتح العلبتين عندما قالت: «الجو حارّ هنا»، وبدأت بفكّ أزرار بلوزتها. فكر بيلى أن البييرة ستفقد مذاقها غداً صباحاً لأنها ستترك مفتوحة.

الجنس جيد، على الأقل بالنسبة إلى بيلى، وربما بالنسبة إليها أيضاً كما اعتقد، ولكن من الصعب معرفة ذلك مع النساء، ففي بعض الأحيان، يحبينك أن تتوقف عن المحاولة الجادة والتنحي حتى يتمكن من النوم، ولكن إن كانت تتظاهر، فكان أداؤها جيداً. وقبل أن يتمكن من التوقف، أصدر صوت أمممم، وحفرت أظافرها بقوة على كتفه كادت تجعل الدم يسيل.

ربتت على كتفه عندما استلقى على جانبه كما لو كانت تقول له ولد جيد، وقالت: «من فضلك لا تخبرني أنك أقمت معي علاقة من باب الشفقة». قال: «صدقيني لم يكن الأمر شفقة، ولن أسألك إن أقمت معي علاقة من باب الانتقام».

ضحكت وقالت: «من الأفضل ألا تسألني»، ثم أولته ظهرها، وبعد خمس دقائق، كان غطيها مسموعاً بوضوح.

بقي بيلي مستيقظاً لبعض الوقت، ليس بسبب غطيها - لأنه كان منخفضاً وهدائياً، كالخرخرة تقريباً - ولكن لأن عقله لم ينطفئ. فكّر بالطريقة التي جاءت بها إليه، ثم مرافقته مجدداً إلى منزله، ذكره ما حدث برواية زولا، حيث تم استخدام كل شخصية بشكل كامل ثم تظهر في مشهد واحد نهائي. كان يأمل ألا تنتهي قصته، لكنه يعتقد أن هذا الجزء منها قد انتهى تقريباً. إذا أنهى مهمته وأخذ ماله، فسيبدأ حياة جديدة - ربّما مثل دالتون سميث، وربّما كشخص آخر - أو ربّما حياة أفضل.

لقد أدرك منذ بعض الوقت، ربّما منذ أن بدأ كتابة قصة بينغي، أنه لم يعد بإمكانه أن يعيش هذه القصة من دون أن يختنق. فكرته - أو تخيله - أنه يقتل الأشرار فقط، ستمتدّ حتى الآن. هناك أناس طيبون ينامون في منازل هذا الشارع بالذات؛ لن يقتل أيّاً منهم، لكنه يفترض أنه سيقتل شيئاً بداخلهم عندما يكتشفون السبب الحقيقي لتواجده هنا.

هل يبدو الأمر في غاية الساعرية؟ لم يعتقد بيلي ذلك. جاء شخص غريب، وتحول إلى جار، ولكن اتضح أنه غريب طوال الوقت. قرابة الساعة الثالثة بعد منتصف الليل، استيقظ بيلي على صوت فيل وهي تتقيأ في الحمام.

ثم سمع صوت تدفق المرحاض، وجريان الماء، بعدها عادت إلى الفراش، وبكت قليلاً، لكن بيلي تظاهر بالنوم. توقفت عن البكاء، وعاودت الغطي. نام بيلي وحلم بأكياس القمامة ترفرف على أشجار النخيل.

5

استيقظ بعد الساعة السادسة بوقت قصير على رائحة القهوة. فيل في المطبخ، حافية القدمين، وترتدي أحد قمصانه المزودة بأزرار.

سألها بييلي: «هل نمت جيداً؟».

أجابت: «نعم، وأنت؟».

قال بييلي: «نمت بشكل رائع. ورائحة القهوة جيدة حقاً».

قالت: «لقد سرقت بعضاً من الأسبرين الخاص بك. أعتقد أنني شربت كثيراً الليلة الماضية».

ثم نظرت إليه نظرة مرحة وخجولة.

قال: «المهم أنك لم تسرقي عطر ما بعد الحلاقة خاصتي»، فضحكت.

العلاقات لليلة واحدة قد تؤدي إلى بعض الصباحات المروعة، لقد

سبق له أن عانى مرتين من الأمر، لكنه يعتقد أن الوضع سيكون على ما يرام، وهذا جيد، ففيل امرأة لطيفة.

عندما عرض عليها أن يقلبي بعض البيض، هزت رأسها رفضاً، وجعلها

تأكل بعض الخبز المحمص الخالي من الزبدة، وبعد ذلك، أدخلت لها غرفة النوم والحمام حتى تتمكن من الاستحمام وارتداء ملابسها بخصوصية.

عندما انتهت، بدت بخير. كانت بلوزتها مجعّدة بعض الشيء، لكن

بخلاف ذلك فهي على ما يرام. اعتقد بييلي أنه سيكون لديها قصة ترويها

لاحقاً، ليأتي مع القاتل - إذا اختارت أن تقول ذلك - لكنني لا أظن ذلك.

سألته: «هل ستوصلني إلى المنزل يا ديف؟ أريد أن أبدل ملابسي».

قال: «بكل سرور».

وقفت عند الباب، ووضعت يدها على ذراعه قائلة: «لم يكن جنساً

انتقامياً».

سألها: «حقاً؟».

قالت: «في بعض الأحيان، تريد الفتاة فقط أن تكون مرغوبة، وأنت

تريدني... أليس كذلك؟».

قال: «صحيح».

قالت: «وأنا أردتك. لكنني أعتقد أنها ستكون المرة الوحيدة. لا تقل لا أبداً، فهذا ما أشعر به».

علم بيلى أنها ستكون المرة الوحيدة، ولذلك أوماً برأسه. سألته فيل: «هل سنكون صديقين؟».

عانقها وقبلها على خدها، ثم أجابها: «إلى الأبد».

لا زال الوقت مبكراً، ولكن قاطني شارع إيفرغرين استيقظوا مبكراً. جلست ديان فازيو على كرسي هزاز على الشرفة الأمامية على الجانب الآخر من الشارع وكانت ترتدي معطفاً وردياً صوفياً، وتمسك بفنجان القهوة بيدها. فتح بيلى باب سيارته التويوتا لفيل، وبينما كان يسير إلى مقعد السائق، نظرت إليه ديان، ورفعت له إبهامها. كان على بيلى أن يتسم.

6

عندما وصلت عربة الغداء، تناول بيلى التاكو مع الكولا، ولوح له كل من جيم أولبرايت، وجون كولتون، وهاري ستون؛ المحامون الشباب الذين يبدوون كشخصيات من برنامج تلفزيوني أو رواية لجون غريشام، ودعوه للجلوس معهم، لكن بيلى رفض، وقال إنه يريد أن يأكل على طاولته، ويكمل العمل.

رفع جيم إبهامه، وقال: «لم يقل أي رجل على فراش الموت قط أتمنى لو قضيت وقتاً أطول في المكتب، إلا أوسكار وايلد قبل أن يموت».

ابتسم له بيلى.

الحقيقة هي أنه لا يريد قضاء الوقت مع هؤلاء الرجال الآن بعد أن أصبحت المهمة قريبة، ليس لأنه لا يحبهم بل لأنه يحبهم، ويبدو أن فيل قد أخذت إجازة. كان يأمل أن تأخذ إجازة يومي الأربعاء والخميس أيضاً، ولكن هذا لن يحصل غالباً.

مجدداً رنّ هاتف دالتون بمجرد دخوله إلى مكتبه؛ إنه دون جنسن.

سأله دون: «هل عدت؟».

أجابه بيلى: «نعم».

سأله دون: «كيف حالك؟ كيف حال دافي ووالتر؟».

قال بيلى: «نحن الثلاثة بخير. كيف حالك؟».

في الحقيقة، بدا صوته مبتهجاً على الرغم من أن الوقت قد تجاوز

الظهيرة بقليل.

قال دون: «يا رجل، أفضل من أي وقت مضى. قولي مرحباً يا بيلى».

كانت صوتها بعيداً، ولكنه سمعها تماماً لأنها كانت تصرخ - ليست

صرخة رثاء - قائلة: «مرحباً يا عزيزي»، كانت تضحك، وتشرب أيضاً.

قال دون: «بيلى تقول مرحباً».

قال بيلى: «نعم، لقد سمعتها».

قال دون: «دالتون... صديقي...»، ثم أخفض صوته وقال: «نحن

غنيان».

سأله بيلى: «هل أنت جاد؟».

قال دون: «قرأ المحامي الوصية هذا الصباح، لقد تركت والدة بيلى

كل شيء لها: الأسهم والحسابات المصرفية. ما يقارب مئتي ألفي دولار».

هتفت بيلى، وبيلى لا يسعه سوى الابتسام. قد تكون في حالة حداد

مزة أخرى عندما تبكي، ولكن الآن يحتفل هذان الساكنان في أحد الأحياء

غير المرغوب فيها في المدينة، ولا يستطيع بيلى إلقاء اللوم عليهما.

قال بيلى: «هذا رائع يا دون، حقاً رائع».

قال دون: «إلى متى ستبقى في المنزل هذه المرة؟ لهذا السبب أنا أتصل

بك يا دالتون».

قال بيلى: «ربما لفترة من الوقت. لقد حصلت على عقد جديد ل...».

قاطعته دون قائلاً: «جيد، هذا جيد. أنت تعنتني بوالتر ودافي أليس كذلك؟ لأنه... أتعلم ماذا؟».

سأله بييلي: «ماذا؟».

قال دون: «خمن».

قال بييلي: «لا أستطيع التخمين».

قال دون: «عليك أن تخمن».

قال بييلي: «ستذهب إلى ديزني لاند».

ضحك دون بصوت عالٍ لدرجة أن بييلي أجفل وأبعد الهاتف عن أذنه، لكنّه أيضاً لا يزال يبتسم. حدث شيء جيد لهذين الشخصين المحترمين، وبغض النظر عن حالته الخاصة، يجب أن يعجبه ذلك.

تساءل عما إذا كان زولا قد كتب تطوراً مشابهاً لهذا؛ على الأرجح لا.

قال دون: «لقد اقتربت يا دالتون. سنذهب في رحلة بحرية»، صاحت

بيفرلي، وتابع دون: «هل ستبقى في الجوار لمدة شهر؟ أو ربما لسته أسابيع؟ لأن...».

أخذت بيفرلي الهاتف، واضطر بييلي مرة أخرى إلى إبعاد هاتفه بضع بوصات عن طبله أذنه المرهقة، وقالت: «إذا لم تكن هناك، فقط دعهما تموتان. أستطيع تحمل تكاليف شراء نباتات جديدة، سأشتري مستنبتاً زجاجياً كاملاً».

ثم عاد دون وقال: «وعندما نعود، سننتقل. لا مزيد من إطلاقات ذلك الشارع الشاغر اللعين. لا أقصد إهانة شقتك يا دالتون، إنها الشقة التي لطالما أرادتها بيبي».

صرخت بيبي: «ليس بعد الآن».

قال بييلي: «سأقوم بريّ دافني ووالتر، لا تقلق بشأن ذلك».

قال دون: «سندفع لك مقابل ذلك أيها السيد المهووس بالحاسوب الذي يعتني بالنباتات. يمكننا أن نتحمل النفقات».

قال بيلى: «لا حاجة لذلك، فأنتما جاران طيبان».

قال دون: «أنت أيضاً يا دالتون. هل تعرف ماذا نشرب؟».

سأله بيلى: «ربما الشمبانيا؟».

توجّب على بيلى مرة أخرى أن يبعد الهاتف عن أذنه حين قال دون: «لقد أصبت المسمار الملعون على الرأس اللعين».

قال بيلى: «لا تبالغ في ذلك، واعتنِ بيفرلي، هل تسمع؟ آسف لخسارتها ولكنني سعيد لمكسبكما».

قال دون: «سأفعل بالتأكيد. مليون شكر يا صديقي»، سكت لبرهة، وعندما تكلم مرة أخرى بدا رصيناً ومرعوباً، تابع قوله: «مئتا ألف دولار. هل تصدق ذلك؟».

أجابه بيلى: «نعم». أنهى المكالمة، وجلس على كرسي مكتبه. سيحصل على أكثر بكثير من مئتي ألف دولار، لكنه يعتقد أن دون وبيفرلي جنسن بالفعل غنيان. نعم يا سيدي، غنيان حقاً. هذا عاطفي لكنه حقيقي.

7

في صباح اليوم التالي، رنّ هاتف ديفيد لوكريديج بينما كان يتجه إلى مرآب السيارات القريب من برج جيرارد؛ وصلته رسالة نصية؛ فانتظر حتى وقف في الطابق الرابع، ثم قرأها.

ج. روسو: الشيك في الطريق.

شكّ بيلى في ذلك، إنها الساعة السادسة والنصف فقط على الساحل الغربي، لكنه أدرك أن الشيك سيكون في الطريق قريباً. ألين قادم، على الأرجح على متن رحلة تجارية مكبل اليدين، إلى أحد محققي هذه المدينة

أو شرطيٌّ فدراليٌّ، وهذا جيد. لقد حان وقت العرض.

فتح الباب الخلفي لسيارته، وأخذ كيس البقالة الورقي عن المقعد. كان الكيس يحتوي على بنطال فضفاض، وسترة حريرية مع شعار رولينغ ستونز على الظهر. لم تكونا باللون الذهبي، على الرغم من أنه لون كولن وايت المفضل. بعد شيء من التفكير، قرّر بيلى أن الزي الذي طلبه من أمازون أفضل؛ أسود اللون مع بريق ذهبي؛ وهو متأكد من أن كولن كان سيعشقه.

لدى بيلى قصة جاهزة في حال - غير مرجحة ولكنها ممكنة دائماً - سأله إيرف عن سبب قدومه للعمل وهو يحمل أكياس بقالة، لكن كان إيرف يتحدث إلى العديد من السيدات الجميلات، فلوح له بيلى، واتجه نحو المصعد.

فتح الحقيبة في مكتبه، وفتش تحت الملابس، ثم أخرج لافتة اشتراها من ساتبلس كتب عليها «آسف المكان مغلق»، يحيط بالكتابة زوج من الوجوه الكرتونية الحزينة. هناك مساحة بيضاء لشرح موجز أدناه. استخدم بيلى قلماً ملوناً وكتب «لا يوجد ماء استخدم 4 أو 6». لوح باللافتة في الهواء عدة مرات، فهو يريد أن تتلطح، ثم وضعها مرة أخرى في الحقيبة. أضاف الشعر المستعار الأسود الطويل، ثم وضع الكيس في الخزانة.

نقل قصة بينغي إلى محرّك الأقراص، وبمجرد أن تمّ ذلك، استخدم برنامجاً لحذف كل شيء عن الماك بوك برو. بصماته منتشرة عليه في كل مكان، لا بدّ أنه قد فوّت بضعة مواقع بغض النظر عن مقدار مسحه، لكن لا بأس. بمجرد أن يطلق الطلقة، ويرى جويل ألين ممدداً ميتاً على درجات المحكمة، سينتهي وجود بيلى سامرز. أما بالنسبة إلى حاسوبه الشخصي... فيمكنه تركه أيضاً، واستخدام واحد جديد رخيص من أول تك في شارع بيرسون، لكنه لا يريد ذلك، وبدلاً من ذلك سيقيه معه طوال الرحلة.

بعد ساعة، سمع بيلى طرقاتاً على الباب الخارجي، ففتحه، كان يتوقع كين هوف خائفاً مرّة أخرى، لكنّه أخطأ هذه المرّة أيضاً؛ إنه دانا إديسون، أحد الرجلين من فريق نيك اللذين أتيا من فيغاس. لم يكن يرتدي ملابس دائرة الأشغال العامة الخاصة به في ذلك اليوم، بل كان يرتدي بنطالاً داكناً ومعطفاً رياضياً رمادياً. دانا رجل قصير القامة، يضع نظارة طبية، وللهولة الأولى تظنه أحد العاملين في مكتب محاسبة فيل. ألقى نظرة فاحصة وقد ترى شيئاً مختلفاً، خاصة إذا كنت من مشاة البحرية.

قال إديسون بصوت منخفض ومهذب: «مرحباً يا صديقي، أرادني نيك أن أتحدث إليك. حسناً، هل تمانع دخولي؟».

تنحى بيلى جانباً، وسار دانا إديسون عبر الردهة منتعلاً حذاءه البني الأنيق نحو غرفة الاجتماعات الصغيرة التي يستخدمها بيلى للكتابة. ناهيك عن النظرات الثاقبة على المكان، كان دانا يتحرك بثقة، وألقى نظرة سريعة على الطاولة حيث كان حاسوب بيلى المحمول نصف مفتوح وظهرت لعبة الكريغ على الشاشة، ثمّ نظر عبر النافذة لتتبع خط النار الذي سبق وتتبعه بيلى عدة مرات خلال الصيف.

من الجيد أن يمنحه إديسون القليل من الوقت، لأنّ بيلى اعتاد هنا على كونه رجلاً ذكياً جداً يُدعى ديفيد لوكريدج. لكن عندما عاد إديسون إليه، لاحظ بيلى وجهه الغبي - عينان واسعتان، وفم مفتوح جزئياً - الذي لا يكفي لجعله يبدو مثل أحرق القرية، لكن يكفي فقط ليظهره كرجل قد يعتقد أنّ زولا هو أحد أعداء سوبرمان اللدودين.

قال بيلى: «أنت دانا، أليس كذلك؟ التقيت بك عند نيك».

أوما برأسه وقال: «رأيتني أيضاً أتجول مع ريغي في عربة دائرة الأشغال

العامة الصغيرة، أليس كذلك؟».

أجابه بييلي: «نعم».

قال إديسون: «نيك يريد أن يعرف إذا كنت مستعداً تماماً للغد».

قال بييلي: «بالطبع».

سأله إديسون: «هل استلمت البندقية؟».

أجابه بييلي: «نعم».

ابتسم دانا مظهراً أسنانه الصغيرة والأنيقة مثله ثم قال: «لا تهتم. لكنّها

قريبة، أليس كذلك؟».

قال بييلي: «أتراهن؟».

قال إديسون: «هل لديك قاطع زجاج لهذه النافذة؟».

سؤال غبي، لكن لا بأس، من المفترض أن يكون رجلاً غيبياً.

قال بييلي: «بالطبع».

قال إديسون: «لا يتوجب عليك استخدامه اليوم. ستشرق الشمس على

هذا الجانب من المبنى طوال فترة بعد الظهر وقد يرى أحدهم الفتحة».

قال بييلي: «أعلم ذلك».

قال إديسون: «نعم، أفترض أنك تعرف ذلك. قال نيك إنك كنت قنصاً،

وإنك قتلت بعض المجاهدين في الفلوجة، أليس كذلك؟ كيف كان ذلك؟».

قال بييلي: «كان جيداً»، في الحقيقة، لم يكن جيداً شأنه شأن هذه

المحادثة. إنّ وجود إديسون في هذه الغرفة يشبه السماح بدخول سحابة

عاصفة صغيرة.

قال إديسون: «أرادني نيك أن أتأكد من أنك ستعمل وفقاً للخطة».

قال بييلي: «بالتأكيد».

قال إديسون: «أطلق الرصاص، وبعد خمس ثوانٍ، أو بعد عشر ثوانٍ

كحدّ أقصى، سيكون هناك انفجار كبير خلف هذا المقهى هناك».

قال بيلي: «قنبلة دخانية».

قال إديسون: «صحيح، هذه مسؤولية فرانكي، وبعد ذلك بخمس ثوانٍ، أو بعد عشر ثوانٍ كحدٍّ أقصى، سيحدث انفجار آخر خلف متجر بيع القرطاسية عند الزاوية، سيتولى بولي لوغان هذه المهمة. سيبدأ الناس بالهرب، وستنضم إليهم، سيريد موظف واحد فقط في المكتب إلقاء نظرة سريعة على ما حدث ثم سيهرب. أنت ابقِ عند الزاوية، ستكون هناك عربة دائرة الأشغال العامة بانتظارك، وسيفتح لك ريغي البابين الخلفيين، وسأكون أنا خلف المقود، ستدخل وتغيّر معطفك بأسرع ما يمكن. هل هذا واضح؟».

لم يكن بيلي بحاجة إلى برنامج تعليمي في اللحظة الأخيرة، لكنه قال: «نعم. شيء واحد فقط يا دانا».

سأل إديسون: «ماذا يمكن أن يكون؟».

قال بيلي: «لديّ أشياء لأفعلها للاستعداد، وبمجرد أن أبدأ القيام بها، لن يكون هناك عودة. هل أنت متأكد أنه سيكون غداً؟».

بدأ دانا الكلام، ليقول بالطبع، لكن بيلي هزّ رأسه.

قال بيلي: «فكّر قبل أن تقول أيّ شيء. فكّر ملياً، لأنه إذا تبدّل شيء ما، فإنّ هذه الصفقة ستنتهي، أنا سأذهب وسيبقى جويل ألين يستخدم رثتيه. إذا... هل أنت متأكد؟».

حدّق دانا إديسون إلى بيلي؛ ربما يعيد تقييمه؛ ثم ابتسم.

قال إديسون: «أنا متأكد من ذلك كتأكدي من أنّ الشمس تشرق من الشرق. هل من شيء آخر؟».

قال بيلي: «كلا».

قال إديسون: «حسناً»، ثم عاد إلى الردهة، ومشى بسرعة.

كان يبدو كمقبض الباب الأحمر الداكن. استدار عند الباب، ونظر إلى بيلي بعينه الزرقاوين المشرقتين والخاليتين من التعابير، وقال: «لا تفوّت الحدث»، ثم ذهب.

عاد بيلى إلى غرفة الكتابة الخاصة به ونظر إلى لعبة الكريغ المجمدة، وفكر في أن دانا إديسون لم يقل شيئاً عن حريق مستودع محتمل في كودي، ومن المؤكد أنه كان سيقول له لو كان لديه علم بذلك.

فكر أيضاً في إمكانية أنه إذا استمر بخطة نيك، فقد ينتهي به الأمر ميتاً إثر طلقة في جبهته ومتروكاً في خندق على طريق ريفي، وغالباً سيكون إديسون هو الفاعل. ومن سينتهي به المطاف مع خمسة ملايين؟ نيك بالطبع. يودّ بيلى أن يعتقد أن هذا مجرد شك، ولكن بعد زيارة إديسون بدا الأمر أكثر احتمالاً. من المؤكد أن الفكرة قد خطرت بذهن نيك على الأقل، على الرغم من ارتباطهما الطويل. تخلص من كين هوف، وبيلى سامرز، وستسير العملية من دون مشاكل.

أغلق بيلى حاسوبه الخاص. اللعنة، اليوم لا يستطيع حتى لعب الكريغ.

9

توقف عند آيس هاردوير في طريقه إلى المنزل، واشترى آخر شيء يحتاج إليه؛ اشترى قفلاً. عندما وصل إلى منزله - ليلته الأخيرة هنا - وجد قطعة من الورق على أعلى درجة من الشرفة مثبتة بحجر. أزاح حقيبة الحاسوب المحمول الخاصة به عن كتفه، والتقط الورقة، وجلس يتفحصها. إنه رسم بقلم تلوين، من الواضح أنه رسم طفل، لكنه يُظهر على الأقل شيئاً من الموهبة. طفلة فنانة تبلغ من العمر ثماني سنوات فقط.

في الأسفل وقّعت اسمها: شانيس أنيا أكرمان، وكتبت في الأعلى بأحرف كبيرة «لأجل ديف».

رسمت فتاة صغيرة ذات بشرة داكنة تبتسم، وتوجد شرائط حمراء زاهية تزيّن ذراعيها اللتين احتضنت بهما طائر الفلامنغو الوردي الذي تطفو على رأسه سلسلة من القلوب. نظر بيلى إليها لفترة طويلة ثم طواها ووضعها

في جيبه الخلفي. لقد وضع نفسه في مكان لم يحلم به أبداً. كان سيقدّم أيّ شيء، بما في ذلك المليون دولار، ليتمكن من إعادة حياته ثلاثة أشهر إلى الوراء، إلى ردهة الفندق حيث كان جالساً يقرأ الكتاب منتظراً رحلته. في ذلك الوقت الذي جاء فرانكي إيفيس وبول لوغان، كان سيطلب منهما أن يعتذرا لنيك بالنيابة عنه لأنه غير رأيه، ولكن الآن ما عاد الندم يُجدي نفعاً، فلا مجال للتراجع وكل ما عليه القيام به هو التقدم. فكّر في أنّ دانا إديسون ربّما سيأتي إلى هذا الحيّ لطرح الأسئلة، وربّما حتّى سيضع يديه الصغيرتين الأنيقتين على كتفي شانيس. ضغط بيّلي على شفّتيه بإحكام حتّى اختفتا. إنّهُ في هذا المكان الآن، ولا يسعه سوى إطلاق النار.

الفصل العاشر

1

استيقظ بيلى عند الساعة الخامسة من صباح يوم الخميس المنشود، وتناول الخبز المحمص مع كوب من الماء كي يتمكن من بلعه. لم يشرب القهوة، إذ لا يريد أي نوع من الكافيين حتى تنتهي المهمة، فهو يريد يديه ثابتتين تماماً عندما يضع البندقية على كتفه وينظر من خلال منظار ليبولد للتصويب.

وضع طبق الخبز المحمص وكوب الماء الفارغ في حوض الجلي، وصفت هواتفه المحمولة الأربعة على الطاولة. سحب شرائح الاتصال من ثلاثة منها - هاتف بيلى، وهاتف ديف، والهاتف المحروق - ووضعها في الميكروويف لمدة دقيقتين. استعمل قفاز الفرن، والتقط البقايا المتفحمة، ثم وضعها في مكب النفايات. وضع الهواتف الثلاثة التي لا تحتوي على شرائح اتصال في كيس ورقي، مع هاتف دالتون سميث، والقفل، والقبة الرمادية التي كان يعتمرها عندما يذهب إلى شارع بيرسون ووضع المعدات اللازمة لدالتون سميث وروى نباتات بيفرلي.

وقف للحظات عند المدخل وحقية الحاسوب المحمول متدلية فوق كتفه، ثم نظر حوله. هذا ليس منزله، فهو فعلياً لم يحظ بمكان يدعوه المنزل منذ أن أخذه الضابط أف. دبليو. أس. مالكين بعيداً عن سكاى لاين 19 درايف في متنزه هيل فيو تريلر بارك - لم يكن يشبه المتنزه كثيراً، خاصة بعد أن قتل بوب راينر أخته - لكنه اعتقد أن هذا المكان كان قريباً من وصف المنزل.

قال بيلى: «حسناً، حسناً»، وخرج. لم يكلف نفسه عناء قفل الباب، إذ

لا حاجة لأن يكسره رجال الشرطة، ولا بدّ أنهم سيدوسون على العشب الذي عمل بجهد على إعادة إنباته.

2

لم يقدّ يبلي سيارته إلى مرأب السيارات؛ لقد انتهى أمر مرأب السيارات. ركن سيارته بين الساعة الخامسة إلى السادسة في الشارع الرئيسي على بعد عدّة مبانٍ من برج جيرارد، إذ هناك الكثير من المساحات الخالية ليركن سيارته في هذه الساعة، فبدأ الرصيف مهجوراً. وضع حزام حقيبة حاسوبه المحمول فوق كتفه، وحمل الكيس الورقي بيده تاركاً المفاتيح في حامل أكواب التويوتا، لربّما يسرقها شخص ما، على الرغم من أنّ هذا ليس ضرورياً في الواقع، وبدأ بإسقاط الهواتف المحمولة الثلاثة في ثلاث شبكات صرف صحيّ مختلفة. كان يتفحص محيطه دائماً للتأكد من أنّ أحداً لا يراقبه، هذا ما أسموه في مشاة البحرية «مراقبة المنطقة». بعد أن أسقط الهاتف الثالث، تحقّق ليرى إن أحضر معه رسم الفلامينغو الذي أعطته إياه شان، وكان معه بالفعل. هذا جيّد، إذ سيكون حارسه.

اجتاز شارع جيرري، وابتعد مسافة مجمّع سكني واحد عن برج جيرارد متوجّهاً إلى الزقاق الذي اكتشفه. بعد التحقّق مرّة أخرى للتأكد من أنّ أحداً لا يراقبه - أيضاً لم يكن هناك سكارى نائمون - دخل يبلي الممر، وانحنى خلف حاوية النفايات الثانية.

كانت كلتا الحاويتين ممتلئتين بالقمامة وتفوح منهما الرائحة العفنة، لأنّ يوم جمع القمامة في هذه المدينة هو يوم الجمعة. وضع حاسوبه المحمول والقبعة الرمادية خلف حاوية القمامة، ثمّ بحث عن مجموعة من ورق التغليف وغطاهما.

لقد أقلقه هذا الأمر أكثر من إطلاق الرصاصة. هل تسمي هذا السخرية؟ لا يعرف، فما يعرفه هو أنه لا يريد أن يفقد حاسوبه المحمول ولا

يريد أن يفقد نسخة رواية تيريز راكوين التي كان يقرأها عندما جاء إلى هذه المدينة (الكتاب محفوظ بأمان في شارع بيرسون 658). كانا بمثابة تعويذة الحظ بالنسبة إليه، مثل حذاء الطفل الذي حمّله خلال معركتي الفلوجة الأولى والثانية.

كانت احتمالات نزول شخص ما إلى هذا الممر، والنظر خلف حاوية القمامة، ورفع ورق التغليف المليء بالقمامة، وسرقة حاسوبه المحمول ضئيلة، ولن يتمكن أحد أبداً من اختراق كلمة المرور. لا يستطيع إحضاره معه، لأنه لا يستطيع ترك برج جيرارد والحاسوب متدلّ من كتفه. لقد رأى كولين وايت مع هاتفه، وظهر مرتين وهو يتناول طعام الغداء واضعاً سماعة الرأس كما لو أنّها جزء منه، لكن لم يسبق له أن رآه مع حاسوب محمول. عند الساعة السادسة والعشرين دقيقة، وصل إلى برج جيرارد. المحكمة في نهاية هذا الشارع الذي سيكون خلية مليئة بالعمال في وقت لاحق، لكنّه الآن ساكن سكّون المقابر. الشخص الوحيد الذي رآه يبلي كان امرأة ناعسة تضع لافتة عروض وجبة الفطور الخاصة أمام مقهى صنسبوت. تساءل يبلي إذا كانت القبلة الدخانية موجودة بالفعل خلفه، ثم رفض الفكرة. القبلة الدخانية ليست مشكلته، ولا الحريق الذي أخبره عنه كين هوف في كودي. سيطلق يبلي الرصاصة مهما حدث، إنّها مهمّته، رغم احتراق جسوره الواحد تلو الآخر خلفه، فليس هناك خيار آخر.

لم يصل إيرف دين إلى المنصة الأمنية بعد، ولن يصل قبل الساعة السابعة أو السابعة والنصف، لكن يبلي شاهد أحد عمال النظافة بالمبنى يقوم بتلميع أرضية الردهة. ذهب يبلي إلى قارئ البطاقة لتسجيل دخوله، تماماً كما ينبغي أن يفعل الرجل الصالح.

قال يبلي متّجهاً إلى المصعد: «مرحباً يا تومي».

قال تومي: «ماذا تفعل هنا في وقت مبكر جداً يا ديف؟».

قال له يبلي: «لديّ موعد تسليم نهائي».

ضحك تومي، وقال: «أذهب ونل منهم أيها النمر».
قال بيلى: «هذا ما أنوي القيام به».

3

أخذ الكيس الورقي إلى دورة مياه الرجال في الطابق الخامس حيث خبأ زي تنكر كولن وايت الخاص به، من دون إهمال الشعر المستعار الأسود الطويل - ربما الجزء الأكثر أهمية - في سلة المهملات بجوار أحواض الغسيل، ثم غطّاهما بالمناديل الورقية. اللافتة والقفل على الباب، والمفتاح في جيبه، جنباً إلى جنب مع هاتف دالتون ومحرك أقراص بينغي كومبسون. في منتصف الطريق إلى مكتبه، خطرت له فكرة سيئة، لقد فقد تركيزه للحظات قليلة أثناء استعدادات هذا الصباح في طريقه إلى هنا، وركّز على رسم شان بدلاً من التركيز على المهمة. هل أسقط هاتف دالتون سميث في المجاري بدلاً من أحد الهواتف الأخرى؟

الفكرة مروّعة لدرجة أنه قرّر أن يكون إيجابياً في تلك اللحظة، وهذا ما فعله بالضبط، وعندما سيضع يده في جيبه فسيجد هاتف بيلى، أو هاتف ديف، أو ذلك المحروق عديم الفائدة. إذا كان الأمر كذلك، يمكنه استبداله، فكل بطاقات ائتمان دالتون سميث جيدة، ولكن ماذا لو اتصل دون أو بيفرلي في اليوم أو اليومين القادمين قبل أن تتمكن شركة فيديكس من توصيل الهاتف الجديد إلى شارع بيرسون 658؟ سيتساءلان لماذا لا يرّد عليهما. قد لا يهمهما الأمر، لكنّ الجيران الطيبين، الممتنين، قد يتصلون بالشرطة ويطلبون التحقق من شقته في الطابق السفلي للتأكد من أنّه بخير.

أمسك بالهاتف، وظلّ ممسكاً به للحظة، شعر وكأنّه لاعب روليت يخشى النظر إلى العجلة ومعرفة اللون الذي استقرت عليه الكرة الصغيرة. أسوأ شيء - أسوأ من الإزعاج، وأسوأ من الخطر المحتمل - هو معرفة أنّه كان مهملاً. ترك أفكاره تنزلق إلى الحياة التي خلفه الآن، وأخرج الهاتف من

جيبه وتنفس الصعداء؛ إنه هاتف دالتون. لقد أفلت من خطأ واحد محتمل، ولا يستطيع أن يرتكب خطأً آخر، فالقدر لا يرحم.

4

عند الساعة السابعة والربع، فتح بيلى تطبيق الصحيفة المحلية بواسطة هاتف دالتون سميث، واستخدم بطاقة ائتمان دالتون سميث من أجل نظام حظر المشتركين الذين لم يدفعوا. كان عنوان الصفحة الأولى يتعلق بانتخابات الولاية القادمة، ولكن بالقرب من الجزء السفلي من الصفحة، الذي يمثل الجزء السفلي المطوي للصحف الفعلية في الأيام القديمة، قرأ عنواناً رئيسياً: استدعاء ألين المتهم بقتل هوتون. تبدأ المقالة بـ: «بعد معركة مطوّلة لتسليم المجرمين، سيواجه جويل ألين أخيراً أوّل أيامه في المحكمة. يخطط المدّعون لاتهامه بارتكاب جريمة قتل من الدرجة الأولى في جريمة قتل جيمس هوتون، 43 عاماً، والاعتداء بقصد القتل في حادث إطلاق نار شبه مميت».

لم يهتم بيلى بالباقي، لكنّه ضبط هاتفه لتلقّي تنبيهات الأخبار من الصحيفة، ثمّ جلس إلى المكتب، وكتب ملاحظة على ورقة ممزقة من إحدى أوراق الملاحظة التي لم يتمّ استخدامها بخلاف ذلك.

تفيد الملاحظة بما يلي: العمل حسب المواعيد المحددة، من فضلكم عدم الإزعاج، ووضعها على الباب، وأقفله من الداخل.

أخذ قطع البندقية من الخزانة العلوية ووضعها على الطاولة حيث كان يكتب. رؤيتها هناك، كمخطط مفجّر في دليل أسلحة نارية، أعاد له ذكريات الفلوجة، لكنه دفع تلك الذكريات بعيداً.

قال مخاطباً نفسه: «لا مزيد من الأخطاء»، جمع أجزاء البندقية معاً، الفوهة، المزلاج، ودبوس القاذف، ومزلاج الصفيحة القاعية، وكلّ ما تبقى. كانت يدها تتحركان بسرعة وتقريباً من تلقاء نفسيهما. فكّر بإيجاز في

تلك القصيدة التي كتبها هنري ريد، تلك التي تبدأ ب: اليوم علينا تسمية الأجزاء، بالأمس، كان علينا التنظيف، لكنه دفع تلك الأفكار بعيداً أيضاً. لا مزيد من التفكير في صور الفتيات الصغيرات هذا الصباح ولا الشعر. ربما سيكتب في وقت لاحق، أما الآن فسيركز عقله على عمله وعينه على الجائزة، ولم يهتم الآن أنها لم تعد تعني له الكثير.

أخيراً، ركب المنظار واستخدم مرة أخرى تطبيق الرؤية للتأكد من أنه لا يزال يعمل. أدار المزلاج ثلاث مرات، وأضاف قطرة أو اثنتين من الزيت، ثم أعاد التشغيل مجدداً. لم يكن بحاجة لفعل هذا فقد كان ينوي إطلاق النار مرة واحدة فقط، ولكن هكذا تعلم. أخيراً، حمل المخزن وأدار المزلاج، ثم وضع السلاح بحذر - لكن بلا خشوع، ليس بعد الآن - على الطاولة. استخدم دبوساً، وخيطاً، وقلم تحديد لرسم دائرة قطرها بوصتان على النافذة، وحددها بشريط لاصق، ثم بقاطع الزجاج. رن هاتفه بهدوء بينما كان يعمل، لكن ببلي لم يتوقف. استغرقه الأمر بعض الوقت لأن الزجاج سميك، ولكن في النهاية قطع دائرة من الزجاج بدقّة الفلينة في قنينة النبيذ، فتسلل نسيم الصباح البارد من خلال الفتحة الدائرية.

تفقد هاتفه، ورأى أنه تلقى تنبيهاً نصياً من الصحيفة.

حريق المستودع في كودي، حريق بأربعة إنذارات. عندما نظر عبر النافذة، استطاع رؤية عمود من الدخان الأسود. لا يعرف من أين حصل كين هوف على هذه المعلومة، لكنها كانت معلومة دقيقة.

أصبحت الساعة السابعة والنصف، وهو جاهز قدر الإمكان، على الأقل يأمل أن يكون جاهزاً، جلس على الكرسي حيث اعتاد أن يكتب، وشبك يديه بإحكام في حجره، وانتظر. كما كان ينتظر في الفلوجة عالياً بجوار النهر عند مقهى الإنترنت الذي يديره العربي الذي يثرثر على مقاولي بلاك ووتر وأطلق عاصفة نارية. كما فعل على عشرات الأسطح، كان يستمع إلى أصوات إطلاق النار وأكياس القمامة التي ترفرف على أشجار

النخيل. نبضات قلبه بطيئة ومنتظمة؛ لا أعصاب. أخذ يشاهد حركة المرور في شارع المحكمة؛ فقريباً ستمتلئ جميع أماكن ركن السيارات؛ وشاهد الزبائن يدخلون مقهى صنسبوت وقد جلس عدد قليل منهم في الخارج، حيث جلس بيلى قبل شهر مع كين هوف. أتت عربة بثّ تلفزيوني وحيدة للقناة السادسة متناقلة في الشارع. فكّر بيلى إما أنّ حريق المستودع قد أدى إلى إبعاد الآخرين، أو أنّ جويل ألين ليس أولوية كبيرة بالنسبة إليهم، وربما كان الأمران معاً. انتظر، ومزّ الوقت كما يحدث دائماً.

5

بدأ أفراد طاقم بيزنس سوليوشنز بالوصول عند الساعة الثامنة وعشر دقائق، وكان بعضهم يحملون أكواب القهوة.

سيكون من الصعب عليهم عند الساعة الثامنة والرّبع أن يتعدوا عن الأشخاص الذين هم فوق رؤوسهم في الديون، حيث تسقط ظلال نصف شفافة على النوافذ الكبيرة لثيهم عن النظر بعيداً عن عملهم حتى لبضع ثوانٍ. يتوقف البعض في طريقهم إلى أبواب الردهة للتحديق في عمود الدخان الأسود المتصاعد فوق المحكمة من خارج طريق كودي، ومن بينهم كولين وايت، لكنه لم يكن يحمل كوب قهوة، بل كان يحمل بيده علبة ريد بول. ارتدى اليوم بنظراً عريضاً أسفل الساقين وسترة برتقالية اللون. لا شيء مثل الزي الذي يخفيه بيلى، لكن في حالة الارتباك لا ينبغي أن يكون الأمر مهماً.

وصل المزيد من الناس، معظمهم متوجهون إلى المحكمة. عند الساعة الثامنة والنصف، نزل جيم أولبرايت وجون كولتن إلى شارع المحكمة وعبرا الساحة حاملين حقائب كبيرة تشبه الصناديق، وخلفهما، فيليس ستانهوب. خرج معطف الخريف الخاص بها من سبات خزانة الملابس للمرة الأولى. إنه القرمزي، مما جعل بيلى يفكر في ليتل ريد رايدينغ هوود. تذكر بشكل

موجز عندما كان يضاجعها، وعندما كانت تحثه على الضغط أكثر، في الوقت الذي كان فيه يداعب حلمتي ثدييها.

هناك اثنا عشر شخصاً في الطابق الخامس، ما عدا بيلى - خمسة في مكتب المحامين وسبعة في مكتب المحاسبة. قد يسمع الأشخاص في مكتب المحامين الطلقة، لكن لا شك في أنهم سيسمعون دوي الانفجار الأول. سيكون هناك فترة قصيرة فاصلة بين الانفجارين وسينظرون إلى بعضهم بعضاً، ويسألون ما كان ذلك، ثم سيسرعون عبر القاعة إلى مكتب المحاسبة، لأنّ النوافذ هناك تواجه شارع المحكمة، وبحلول ذلك الوقت، سيكون الانفجار الثاني قد انتهى.

سوف يتجمعون معاً وينظرون في محاولة لفهم ما حدث وما يجب عليهم فعله. هل ننخفض أو نبقي واقفين؟ ستكون هناك آراء مختلفة. اعتقد بيلى أن الأمر سيستغرقهم خمس دقائق قبل أن يقزروا النزول، وسيستاءلون عن مصدر الصوت، إما من الشارع أو من المحكمة أو من متجر القرطاسية عند الزاوية.

لن يحتاج بيلى خمس دقائق، فثلاث دقائق ستكون كافية، ربّما اثنتان فقط.

رَنّ هاتفه مُنبئاً بدفعة أخبار أخرى. امتدّ حريق المستودع إلى منشأة تخزين قريبة، وطواقم الإطفاء من مناطق أخرى في طريقها إلى المكان. سيتم إغلاق الطريق 64 حتى الظهر على الأقل، وسيُنصح سائقو السيارات باستخدام طريق ستيت رود 47 أي. من الخامسة إلى التاسعة، وأعلنت دفعة أخرى أنه تمت السيطرة على الحريق.

وصله تنبيه آخر عند الساعة التاسعة والخمس دقائق يعلن أنه تمت السيطرة على الحريق، وحتى الآن لم يتم الإبلاغ عن وقوع إصابات أو وفيات.

جلس بيلى أمام النافذة واضعاً البندقية على ركبتيه. كانت السماء

صافيةً، ولم يهطل المطر الذي أثار قلق نيك، وكان النسيم منعشاً، وكان أفراد طاقم تصوير القناة السادسة جاهزين تماماً وجاهزين أيضاً لتسجيل أخبار الظهيرة، ولكن أين هو نجم العرض؟

توقع بيلى أن يتم تسليم ألين في سيارة شريف المقاطعة بدلاً من حافلة الجناة، وافترض أن يُرافق إلى غرفة الاحتجاز عند الساعة التاسعة تماماً حتى يكون القاضي جاهزاً، ولكن مضت حتى الآن خمس دقائق، وليس هناك ما يشير إلى وصول أي سيارة رسمية من سجن المقاطعة في شارع هولاند.

مضت عشر دقائق أخرى ولا شيء حتى الآن. تلاشى حشد الفطور في مقهى صنسبوت، وسرعان ما ستأخذ المرأة المسؤولة، التي لم تعد تشعر بالنعاس، لوحة الإعلانات مع عروض وجبة الفطور الخاصة وتستبدلها بأخرى خاصة بعروض وجبة الغداء.

عند الساعة التاسعة والرابع، بدأ الدخان المتصاعد فوق المحكمة يتضاءل، وتساءل بيلى عما إذا كان هناك خلل، وتأكد من ذلك بحلول الساعة التاسعة والعشرين دقيقة؛ ربما كان ألين مريضاً، أو يتظاهر بالمرض، وربما هاجمه شخص ما في المقاطعة، أو ربما يكون في المستوصف، أو ربما حتى كان ميتاً، وربما تظاهر بالجنون من أجل تأخير المحاكمة، أو أنه جنّ بالفعل.

عند الساعة التاسعة والنصف بدأ بيلى يفكر في الخروج، ففي البدء سيفكك البندقية، بغض النظر عن السبب، وفي هذا الوقت بالتحديد ركنت سيارة رباعية الدفع سوداء مع شريف المقاطعة على جانب شارع المحكمة بأضوائها الزرقاء الواضحة على السقف، ما جعل أفراد طاقم تصوير القناة السادسة الصغير، الذين كانوا يتسكعون في الأرجاء يتنبهون. خرجت امرأة من عربة التلفاز ترتدي فستاناً قصيراً أحمر اللون كلون معطف فيل. كانت تحمل ميكروفوناً في يد ومرآة صغيرة في الأخرى لتتحقق من مظهرها،

وقد عكست المرآة ضوء شمس الصباح الساطعة في وجه بيبي، فأدار رأسه لتجنبه.

خرج اثنان من رجال الشرطة من المحكمة يهرولان على الدرج الحجري في الوقت الذي توقفت السيارة رباعية الدفع عند الرصيف. فُتح باب الراكب الأمامي وخرج رجل سمين يرتدي بذلة بنية واعتمر قبعة كبيرة بيضاء تبعث على السخرية، وخرج شرطي يرتدي الزي الرسمي من جانب السائق، بينما كان طاقم التلفاز يصوّر. بدأت المراسلة في الاقتراب من الرجل البدين، الذي هو بالتأكيد شريف المقاطعة، إذ لن يجروا أي شخص آخر على اعتمار قبعة من هذا القبيل. تحرك رجلا شرطة المحكمة لمنع المراسلة، لكن الرجل البدين أبعدهما. سألت المذيعة سؤالاً ووضعت الميكروفون أمام فمه منتظرة الرد. يمكن لبيبي أن يخمن جوهر الحديث: نحن نعرف كيف نتعامل مع رجال خطرين مثل هؤلاء، وستحقق العدالة، صوتوا لي في تشرين الثاني المقبل.

تلقت المراسلة الجواب على سؤالها، وتراجعت خطوة إلى الوراء، ثم استدار الرجل البدين إلى السيارة رباعية الدفع. فُتح الباب الخلفي، وخرج شرطي ضخم بالزي الرسمي، وهنا رفع بيبي بندقيته مراقباً ومنتظراً. انضم السائق إلى الشرطي الضخم، والتفّأ حول الباب المفتوح ليظهر جويل ألين. كان يرتدي الزي البرتقالي من دوك لأنه مجرد اتهام وليس هناك هيئة محلفين لإثارة إعجابهم، وكانت يدها مقيدتين أمامه.

أرادت المراسلة أن تسأل ألين سؤالاً مثل: هل أنت حقاً من ارتكب الجريمة؟ لكن هذه المرة أبعدها الرجل البدين.

ابتسم ألين لها وقال شيئاً ما؛ لم يكن بيبي بحاجة إلى منظار لرؤية ذلك.

أمسك الشرطي الضخم ألين من مرفقه، وسار به إلى درجات المحكمة، وصعدا. أقحم بيبي فوهة البندقية عبر الفتحة الموجودة في الزجاج، وتأكد

من تموضعها في تجويف كتفه، ثم وضع مرفقيه على ركبتيه للحصول على كلّ الدعم الذي يحتاج إليه. نظر عبر المنظار حيث يمكنه رؤية التجاعيد في عنق الرجل البدين، وحلقة المفاتيح المهترئة على حزام الشرطي الضخم، وخصلة من شعر أَلين البنيّ الفاتح.

سيوجه بيّلي الرصاصة إلى تلك الخصلة، إلى داخل الدماغ؛ إلى السرّ الذي يحفظه أَلين، والذي يأمل أن يكون بطاقة خلاصه من السجن.

هذه المرة تذكّر بيّلي الأطفال الذين تجمعوا حوله عندما هزمه ديريك في لعبة المونوبولي الأخيرة، ولكنه أبعد تلك الذكرى بعيداً. ما من أحد الآن، سواء هو وأَلين، هما الوحيدان في العالم. حبس بيّلي نفسه، وأطلق الرصاصة.

6

حزرت قوة الرصاصة أَلين من قبضة الشرطي، فطار إلى الأمام، وانهار على الدرج. وصل الجزء الأمامي من جمجمته إلى هناك قبل بقية جسده، فركض الشريف البدين بحثاً عن غطاء، وفقد قبعة رعاة البقر السخيفة، كما هربت المراسلة أيضاً. جلس المصور بشكل لا إرادي، لكنه ظلّ ثابتاً في مكانه، وكذلك فعل الشرطي الضخم. كان رقيب مشاة البحرية سيحبّ كلا الرجلين، خاصةً ذا الجسم العريض الذي ألقى نظرة واحدة على أَلين ثم استدار وسحب مسدسه باحثاً عن مصدر الطلقة. تماسك ذلك الرجل بسرعة، لكن بيّلي سحب بندقيته. أسقطها على الأرض، وذهب إلى ردهة المكتب. نظر إلى الممر ولم يرَ أحداً. انفجرت القنبلة الدخانية الأولى، وكان صوتها عالياً جداً، وانطلق بيّلي، ركض بكل طاقته إلى حمام الرجال، وأخرج المفتاح من جيبه وهو يركض، ثم وضعه في قاعدة قفل بيل، وعندما انزلق داخل الحمام، سمع أصواتاً مرتفعة ومثيرة من أقصى نهاية القاعة. توجه المحامون الشباب، بالإضافة إلى مساعدهم القانوني وسكرتيرهم إلى مكتب المحاسبة في الموعد المحدد.

انحنى بيلى فوق سلة المهملات، ورمى المناديل الورقية جانباً، وأخذ مستلزمات تنكره. لبس السروال الفضفاض فوق بنطاله الجينز، وشدّ الرباط ليثبته، ثم ارتدى سترة رولينغ ستونز، وبعد ذلك نظر في مرآة المغسلة، ووضع الشعر المستعار. تساقط الشعر الأسود في منتصف مؤخرة رقبته، لكنّه أبعدّه عن جبهته وحاجبيه وجانبي وجهه.

فتح باب حمام الرجال ووجد الممر خالياً. لا يزال المحامون والمحاسبون - بمن فيهم فيل - ينظرون إلى الوضع أدناه.

سيقررون قريباً الخروج من المبنى، وسيستعمل بعضهم على الأقل الدرج لأن المصعد لن يتسع لهم جميعاً، لكنهم لم يخرجوا بعد.

خرج بيلى من الحمام، وشرع ينزل الدرج. يمكنه سماع ضجة في الأسفل، لكن الدرج بين الطابقين الرابع والثالث كان خالياً أيضاً. انشغل الناس في الطابقين بالتحديق من النوافذ، لكن ليس في الطابق الثاني، إذ لم يكن لديهم المنظر البانورامي الذي توفره النوافذ المواجهة للشارع في الأعلى. يمكنه سماعهم وهم يتهافتون على الدرج ويثرثرون وهم يتحركون. سيكون كولن وايت من بينهم، لكن لا ينبغي لأحد أن يلاحظ أنّ لديه الآن شبيهاً، لأنّ بيلى سيكون وراءهم ولن ينظر أحد إلى الورا هذا الصباح.

توقف بيلى قليلاً عند الطابق الثاني، خلف الحشد الهادر، ثم واصل نزوله إلى الطابق الأول خلف رجل يرتدي بنطالاً قصيراً كاكياً وامرأة ترتدي بنطالاً مطبوعاً. أُجبر للحظة على التوقف، ربّما بسبب وجود زحمة عند باب ممرّ الطابق الأول، ممّا جعله متوتراً، لأنّ الناس في الطوابق العليا سينزلون قريباً مستعملين هذا الدرج، وسيكون بعضهم من الطابق الخامس.

ثمّ تحرك الحشد مرة أخرى، وبعد خمس ثوانٍ - بينما لا يزال جيم وجون وهاري وفيل ينظرون من النافذة، هذا ما كان يأمله بيلى - كان في الردهة. تخلى إيرف دين عن مكانه، واستطاع بيلى رؤيته في الساحة، ومن السهل العثور عليه بسبب سترته الأمنية الزرقاء، ومن السهل أيضاً ملاحظة

كولن وايت بقميصه البرتقالي اللامع. رفع هاتفه، مسجلاً فيديو لما يحدث: رجال شرطة يركضون في الشارع باتجاه الدخان المتصاعد من بين مقهى صنسبوت ووكالة السفر المجاورة، ورجال الشرطة آخرون والمأمورون القضائيون يصرخون على الناس كي يعودوا إلى المحكمة، والناس يركضون من الدخان المتصاعد في الزاوية ويصرخون.

لم يكن كولن الوحيد الذي يصوّر الفيديو، بل هناك آخرون يشعرون على ما يبدو أنّ هواتفهم المرتفعة تجعلهم غير معرضين للخطر، ويفعلون الشيء نفسه، لكنهم يمثلون الأقلية، كما لاحظ بيلى وهو يخطو إلى الخارج؛ معظم الناس يريدون فقط الابتعاد.

سمع أحدهم يصرخ قائلاً: قناص نشط، وصرخ شخص آخر قائلاً: فجروا المحكمة، وصرخات أخرى: رجال مسلحون.

عبر بيلى الساحة إلى اليمين، إلى شارع كورت ستريت بليس، حيث سيسلك الطريق المختصر الذي تصطف الأشجار على جانبيه إلى شارع سيكوند ستريت الذي يمتدّ خلف مرآب السيارات. لم يكن بمفرده، فهناك أكثر من ثلاثين شخصاً أمامه وكثيرون خلفه، وكلهم يستخدمون هذا الطريق بعيداً عن الفوضى، لكنه الوحيد الذي تنتظره عربة دائرة الأشغال العامة عند الرصيف. سيكون دانا خلف المقود، وريغي واقفاً مرتدياً زيّ المدينة بجانب الباب الخلفي ويتفحص الحشد. تحدث معظم الفارين من شارع المحكمة عبر هواتفهم، وتمنى بيلى أن يتظاهر بفعل الشيء نفسه، لكن هاتف دالتون سميت موجود في بنطاله الجينز تحت البنطال الفضفاض؛ إنها فرصة ضائعة، لكن لا يمكن التفكير في كلّ شيء.

إنه أذكى من أن يمشي ويخفض رأسه، لأنّ دانا أو ريغي قد يلاحظان ذلك -على الأرجح دانا - لكنه مشى بجانب امرأة ممتلئة الجسم كانت تركض وتلهث ممسكةً حقيبتها بكلتا يديها كالدرع. أدار بيلى رأسه إليها عندما اقتربا من العربة، ورفع صوته ليشابه صوت كولن وايت المثلي وقال:

«ماذا حدث؟ يا إلهي ماذا حدث؟».

ردت المرأة: «أعتقد أنّ هناك نوعاً من الإرهاب. يا الله! لقد حصل انفجاران».

صرخ بيلي قائلاً: «أعلم، يا إلهي، لقد سمعت».

مراً بسلام، وجازف بيلي بإلقاء نظرة سريعة، إذ كان عليه أن يتأكد من أنهما لا ينظران إليه، وبالفعل لم يلحظاه.

استخدم عدد أكبر من الأشخاص شارع بليس للهروب، مما سبب ازدحاماً على الرصيف. ظلّ ريغي يراقب بحذر، وقد وقف على أطراف أصابعه محاولاً مشاهدة بيلي، وافترض أنّ دانا فعل المثل. أسرع بيلي تاركاً خلفه المرأة الممتلئة، وضاع بين الحشود، ثمّ استدار يساراً في شارع سيكوند ستريت، ثمّ يساراً مرة أخرى في شارع لوريل، ثمّ يميناً في شارع يانسي، حيث أصبح الجميع خلفه الآن، وفجأة، أمسك شاب في الشارع بكتف بيلي أراد أن يعرف ما يجري بحق الجحيم.

قال بيلي مرتجفاً: «لا أعرف»، ومشى تاركاً خلفه صفارات الإنذار.

7

اختفى حاسوبه المحمول؛ أبعث بيلي ورق التغليف الذي تناثرت عليه الآن بقايا طعام صيني من القمامة الفائضة، ولم يرَ شيئاً سوى الحصى. عادت به ذاكرته إلى الفلوجة وحذاء الطفل، وإلى تاكو وهو يقول له احتفظ بهذا الشيء يا صديقي. لقد أبقاه مربوطاً بحلقة حزامه بواسطة أربطة، وكان يرتطم بوركه مع بقية الأشياء التي كان يحملها، والتي كانوا جميعاً يحملونها أيضاً.

إنه لا يحتاج ذلك الحاسوب المحمول السخيف، لديه محرك أقراص يحوي على قصة بينغي، صحيح أنه لم يكتب عن تاكو والآخرين ولكنهم ينتظرون دورهم، حيث يمكنه الاستمرار بمجرد وصوله إلى شقة الطابق

السفلي. لا يوجد شيء على ذلك الحاسوب يربطه بحياته كدالتون سميث، حتى لو تمكن شخص ما، شخص مهووس خارق كأولئك الذين نشاهدهم في الأفلام، من اختراق كلمة المرور. إن الاتصال الوحيد بحياته كدالتون سميث إلى جانب آل جنسن هو بوكي هانسون، وقد تواصل مع بوكي عبر هاتف لم يعد موجوداً.

لذا دعه يذهب، فلا خيار لك في ذلك، ولا خسارة.

لكن بدا ذلك بالنسبة إليه مثل بداية حظ سيئ، يا له من نذير شؤم! أشبه بمرافعة نهائية لوظيفة قدرة، كان يجب أن يتولى ذلك بشكل أفضل. لَكُمْ جانب حاوية القمامة بقوة كافية، واستمع إلى صفارات الإنذار. لم يكن قلقاً بشأن رجال الشرطة، فجميعهم متجهون إلى المحكمة حيث تحدث الفوضى الكبيرة، لكن عليه أن يقلق بشأن ريغي ودانا اللذين بمجرد أن يتعبا من الانتظار، سيستنتجان إما أن يبلي حوصر في برج جيرارد أو أنه تجاوزهما. لا يمكنهما فعل أي شيء إذا كان في المبنى، ولكن إذا قرّر التخلي عن الخطة والعمل بمفرده، فيمكنهما البدء في التجول في الشوارع والبحث عنه.

فكر يبلي في نفسه: هذا ليس مثل حذاء طفل الفلوجة، والعين على ذلك الحذاء، فلم يكن سحرياً أيضاً، بل مجرد تفكير سحري. القرف الذي حدث لي بعد أن فقدته لا يعني شيئاً. إنها ثروات الحرب يا عزيزي، وهذا هو الحال الآن؛ شخص ما وجد الحاسوب وسرقه، لقد ذهب، وعليّ أن أختبئ قبل أن يجدني هذان الرجلان.

فكر في عيني دانا إديسون الصغيرتين الحادثتين وراء تلك النظارة غير المؤطرة. تجاوز يبلي هاتين العينين مرة واحدة ولا يريد المخاطرة بمنح الرجل فرصة ثانية، فكل ما عليه هو أن يصل إلى شقة الطابق السفلي في شارع بيرسون وبسرعة.

وقف يبلي، وأسرع إلى أول الزقاق حيث رأى بعض السيارات، ولكن

لم يرَ عربة. انعطف يمينا، ثم تجمّد مندهشاً ومشمئزاً من غبائه، وكأنّ الشخصية الغبية أصبحت هي نفسها الحقيقية. كان على وشك التوجه إلى شارع بيرسون وهو لا يزال يضع الشعر المستعار، ويرتدي سترة رولينغ ستونز والبنطال الفضفاض اللعين. ذلك أشبه بارتداء لافتة نيون كُتِبَ عليها: «انظروا إليّ».

ركض إلى أسفل الزقاق، ونزع الشعر المستعار والسترة أثناء ركضه. عاد إلى خلف حاوية القمامة مرة أخرى، وحزّر عقدة حزام الخصر التي تثبت البنطال الفضفاض الغبيّ، وخلعه. جثا لجمع الأشياء ودفعها أعمق ما استطاع تحت أكوام ورق التغليف المتناثرة... ولمس شيئاً ما. إنه صلب ورقيق؛ هل يمكن أن تكون حافة قبعته؟

كانت هي بالفعل. هل دفعها حقاً بعيداً وراء القمامة؟ قذفها جانباً وتعمّق أكثر، سانداً كتفه إلى جانب حاوية القمامة الصديء، فتغلغلت رائحة الطعام الصيني في أنفه. لمست أصابعه الممدودة شيئاً آخر، إنه يعرف ما هو، ولكنّه لا يستطيع تصديق ذلك، فمدّ يده أكثر حتى أصبح خده الآن ملامساً للجانب الصديء من حاوية القمامة وأمسك بمقبض حقيبة حاسوبه المحمول. سحبها، ونظر إليها غير مصدّقٍ ما يراه. يمكنه أن يُقسِم إنه لم يدفعها إلى هذا الحد، لكن يبدو أنه فعل ذلك. قال لنفسه إنّ هذا الموقف لا يشبه شكّه بأنّه تخلّص من الهاتف الخطأ، لا شيء من هذا القبيل على الإطلاق، لكنّه كان كذلك.

الموافقة على البقاء في هذه المدينة لفترة طويلة كان خطأ، ولعب المونوبولي خطأ، والشواء في الفناء الخلفي خطأ، وإطلاق النار على تلك الطيور في معرض الرماية خطأ. كان وجود وقت للتفكير والتصرف كإنسان عادي أكبر خطأ على الإطلاق، فهو ليس شخصاً عادياً، إنه قاتل ماجور، وإذا لم يفكر كما يفكر القتلى الماجورين، فلن يستطيع النجاة مطلقاً.

استخدم عيّنة نظيفة نسبياً من ورق التغليف لمسح القبة وحقيبة

الحاسوب المحمول ثم وضع الحزام على كتفه وسحب القبعة القذرة. ذهب إلى مدخل الزقاق وتفقد المكان مرة أخرى. كان هناك سيارة شرطة تتحرك عند الزاوية التالية، وتضيء وتصدر صوت صفارات الإنذار، فترجع إلى الخلف حتى مرّت، ثم خرج. مشى بخفة نحو شارع بيرسون والمبنى السكني المقابل لمحطة سكة الحديد المهدامة، وأثناء انتظاره مرور الدورية، عاود التفكير مجدداً في الفلوجة، في عمليات تمشيط الشوارع الضيقة وحذاء الطفل الذي يرتطم بوركه، ورغب في العودة إلى الأمان النسبي الذي يبعد ميلاً واحداً عن المدينة، حيث سيكون هناك طعام ساخن، وكرة قدم، وربما سيشاهد فيلماً تحت نجوم الصحراء.

قال في نفسه: إنه يبعد عن هنا مسافة تسعة مجتمعات، تسعة مجتمعات تفصلك عن العودة إلى المنزل بسلام. تسعة مجتمعات وهذه الدورية بالذات قد انتهت. لا مزيد من الأفلام تحت النجوم، كان ذلك يبلي سامرز، لكن دالتون سميت لديه كلٌّ من يوتيوب وأيتونز على أحد أجهزة الحاسوب الخاصة به من أول تك، حيث لا يوجد عنف ولا انفجارات، هناك فقط أناس يفعلون أموراً مضحكة، بالإضافة إلى التقبيل في النهاية.

تسعة مجتمعات فقط.

8

تجاوز سبعة مجتمعات، وأصبح الجزء الأكثر حداثة من المدينة خلفه، عندما رأى عربة تعبر التقاطع أمامه، ظنّ أنها يمكن أن تكون عربة دائرة الأشغال العامة، فكلمها تبدو متشابهة، لكنها كانت تتحرك ببطء، وكأنها ستوقف وسط ويست أفينيو، لكن هذا لم يحدث، بل عاودت التحرك من جديد.

عندما اختفت العربة، عاود يبلي المشي، لكنه ظلّ يتطلّع دائماً إلى الأمام بحثاً عن مخبأ في حال عودتها. إذا عادا ورأياه، فمن المحتمل أنه

سيموت، وأقرب سلاح متاح لديه الآن هو المفاتيح الموجودة في حلقة مفاتيحه، إلا إذا كان نيك صادقاً معه طوال هذا الوقت. في هذه الحالة، قد لا يحصل أكثر من بعض التلاسن. في الحالتين، يجب عليه الاستمرار في المشي إذا أراد الوصول إلى المبنى السكني.

توقف عند التقاطع، ونظر إلى الجهة التي سلكتها العربة.

لم يرَ سوى عدد قليل من السيارات وشاحنة توصيل، فهورل وعبرَ الشارع منخفض الرأس، ولم يسعه سوى التفكير في شارع 10 في الفلوجة، المعروف أيضاً باسم زقاق العبوات الناسفة.

استدار إلى شارع بيرسون، وركض نحو مبناه؛ كان عليه أن يعبر الشارع للوصول إليه. شعر بحكة جنونية على كتفه اليمني، كما لو أن شخصاً ما - دانا بالطبع - يصبوب مسدساً مزوداً بكاتم للصوت إليه. الرياح شبه المستمرة تهب فوق الأرض الخالية المليئة بالأطلال وتُطير ورقة جريدة لتصطدم بأحد كاحليه، فما كان من يبلي سوى أن أجفل.

أسرع على طول شارع بيرسون 658، ثم صعد الدرج. نظر من فوق كتفه بحثاً عن العربة، وكان متأكداً أنه سيراهما، لكنّ الشارع كان مهجوراً. ترك جميع صفارات الإنذار خلفه، وما تبقى من حياة ديفيد لوكريدج. لقد حاول فتح الباب بأول مفتاح وفشل، ثم حاول بالمفتاح الآخر وفشل أيضاً، ففكّر في الهاتف والحاسوب المحمول الذي كان من الممكن أن يفقدهما، وبالطريقة التي فقد بها حذاء الطفل.

ثم قال في نفسه: سهل، هذه مفاتيح إيفرغرين، ولم تقم بإزالتها من حلقة المفاتيح الخاصة بك، لذا هديّ أعصابك، فأنت على وشك أن تكون في المنزل.

جرب المفتاح الثالث ونجح، فُتح الباب، وخطا إلى الداخل، ثم أغلق الباب خلفه. نظر من خلال ستارة الدانتيل - ربما كانت من اختيار بيفرلي جنسن - ولم يرَ شيئاً سوى غرابٍ يحطّ على بعض الأنقاض في

الشارع، ثم شاهد الغراب يطير بعيداً. لم ير أيّ عربات، فقط رأى طفلاً على دراجة ثلاثية العجلات مع والدته التي كانت تمشي بصبر إلى جانبه، ثم رأى صحيفة أخرى تطير فوق الرصيف المرقّع، ثم لاحظ وجود عربة تسير ببطء. ظلّ بيّلي ساكناً تماماً، فهو يمكنه الرؤية من خلف الستارة، لكن ريغي في مقعد الراكب لا يستطيع الرؤية، إلا أنه قد يلاحظ حركة مفاجئة خلف ستارة الدانتيل.

تحركت العربة، وانتظر بيّلي أن تومض أضواء الفرامل، لكن لم يحدث ذلك، وبعد ذلك أصبحت العربة بعيدةً عن الأنظار. لم يكن متأكداً من أنه أصبح بأمان، لكنّه يعتقد ويأمل ذلك.

نزل إلى الطابق السفلي، وسمح لنفسه بالدخول إلى الشقة. لم يعتبره منزلاً، بل مجرد مكان للاختباء، وكان ذلك جيداً بما يكفي.

الفصل الحادي عشر

1

كانت نافذة الطابق السفلي هي النافذة الوحيدة المغطاة بستارة خمريّة اللّون. أزاحها بيّلي، وجلس قليلاً، ثم أخذ يفكر مجدداً في أنّ هذه الشقة تشبه الغواصة، وأن هذه النافذة كانت منظارها. بقي على الأريكة لخمس عشرة دقيقة مصالماً ذراعيه على صدره. كان ينتظر أن تعود عربة دانا؛ فلعله سيركنها ويترجل منها إن قدر أن المكان يستحق المعاينة. بالنظر إلى تعدّد أحياء المناطق المتداعية التي تحيط بالمدينة الأساسية، فمن غير المحتمل أن يقدم على ذلك، ولكن الأمر غير مُستبعد على نحو نهائي.

لقد تأكد بيّلي أكثر فأكثر أنهما سيقتلانه إن عثرا عليه.

لم يكن بيّلي يحمل مسدساً مع أنه كان بإمكانه أن يحصل على واحد بكل سهولة، وهو يعرف أن الأسلحة كانت تُباع بشكل يومي في تلك المنطقة. لم يعن هذا أنه كان سيدخل إلى المبنى الذي تُباع فيه هذه الأسلحة في الوقت الذي يمكنه فيه شراء مسدس من مرأب مقابل بعض المال من دون طرح الكثير من الأسئلة، وكان سيشتري نوعاً بسيطاً سهل الإخفاء مثل 0.32 أو 0.38. في الحقيقة، لم ينسَ أمر المسدس، ولكنه لم يتوقع أنه سيحتاج إليه.

فكر في نفسه: ومع هذا، إذا غيرت الخطة من دون أن تخبر نيك فكان عليك أن تتوقع شيئاً ما.

إذا عاداً، ما هي الخيارات المتاحة أمامه؟ ليست كثيرة، فهو لا يمتلك سوى سكين حادة في المطبخ.

كما كان هناك شوكة للحم كان بوسعه أن يستخدمها على أول شخص

يدخل المكان، وكان على ثقة أنه سيكون ريغي؛ وهو الخصم الأسهل؛
وعندها كان دانا سيقته.

عندما مرت خمس عشرة دقيقة من دون أن تظهر عربة دائرة الأشغال
العامة، اعتقد بيلي أنهما توجها إلى ناحية أخرى من المدينة كي يتحققا من
المنازل في إيفرغرين أو أنهما عادا إلى المنزل الكبير لينتظرا أوامر أخرى من
نيك. أسدل الستارة ليحجب الرؤية ونظر إلى ساعته. كانت الساعة العاشرة
والأربعين دقيقة. فكّر بيلي في نفسه: إن الوقت يمر بسرعة عندما تكون مستمتعاً.
كانت القناتان الثانية والرابعة تعرضان الهراء الصباحي المعتاد، ولكن
ظهرت بعض الأنباء بخصوص إطلاق النار والقنبلتين على الشريط الأحمر
أسفل الشاشة.

لكن التغطية الرئيسية كانت على القناة السادسة التي أوقفت برامجها
الصباحية لعرض البث المباشر من الموقع. لقد نجحوا في هذا لأن أحد
الموظفين في قسم الأخبار خصّص طاقماً ليذهب إلى المحكمة لتغطية
محاكمة ألين، ولم يرسله إلى كودي عندما اندلع الحريق في الريف. لعل
هذا كان إهمالاً أو تكاسلاً، ولكنك لن تتأسس هيئة التحرير الإخبارية في
محطة تلفاز في مدينة جنوبية حدودية مثل ريد بلاف إن كنت مثل والتر
كرونكايت، ولكن، أيأ يكن المسؤول عن هذا، فسيبدو حكيماً عند استعادة
الأحداث في وقت لاحق.

ورد على شريط الأخبار: سقوط قتيل، ولم يُبلغ عن جرحى في
كارثة المحكمة. كانت المراسلة التي ترتدي فستاناً أحمر تؤدي مهمتها،
ولكنها كانت تفعل ذلك من الشارع الرئيسي، لأن شارع المحكمة كان
مغلقاً. بدا ليبي أن كل قوات الشرطة قد اتجهت إلى هناك بالإضافة إلى
عربتي الأدلة الجنائية، وكانت إحدهما تابعة لشرطة الولاية.

قالت المراسلة: «بيبل»، لا بدّ أنها كانت تشير إلى المذيع في القناة،

«أنا متأكدة أنه سيعقد مؤتمر صحفي في وقت لاحق، ولكن حتى الآن، لا توجد أية معلومات مؤكدة، نحن نراقب الموقع في جميع الأحوال، وأريد أن أريك شيئاً رصده زميلي المصور الشجاع جورج ويلسون منذ قليل، هل يمكنك أن تعرض علينا تلك اللقطة يا جورج مجدداً؟».

رفع جورج الكاميرا، وركّزها على برج جيرارد، ثم قرّبها من الطابق الخامس، لم تتغير دقة الصورة على الرغم من التقريب الشديد، ولم يستطع بيلى إلا أن يحترم احترافية المصور. حافظ المصور جورج على ثباته رغم الزحام المحيط به، وحافظ على رصانته بينما كان الجميع من حوله يفقدون صوابهم. لقد حاز على لقطات ستنتشر بسرعة، وضاهت عيناه الثابتان رجال المباحث. فكّر بيلى في نفسه: لعله كان جندياً في الجيش في الخطوط الأمامية للقوات البحرية الأميركية، وهناك احتمال أنني مررت به في المكان الذي أطلقنا عليه اسم جسر بروكلين أو انبطحت بجانبه في مقبرة الجولان حين هبت الرياح ولم يتوقف السلاح.

عرضت القناة السادسة صورة للناس أمام المحكمة، وكان من بينهم بيلى، ثم ظهرت صورة أخرى على الشاشة وهي صورة نافذة عليها ثقب قنّاص؛ إن وهج الشمس على النافذة كان نافعاً مثلما قال دانا.

قالت المراسلة: «من المؤكد أن الطلقة أتت من هنا، وعلينا أن نتبين من كان يستخدم ذلك المكتب؛ لعل الشرطة تعرف».

حل المذيع بيل محلّ الصورة، وبدا في غاية الجدية.

«نريد أن نستعرض قصتك مجدداً يا أندريا كي يطلع عليها المشاهدون الذين انضموا إلى البثّ للتو. إنها رائعة حقاً».

عُرض الفيديو مجدداً، ورأى بيلى العربة وهي تتقدم بمصابيحها الزرقاء. فُتح الباب، وخرج الشريف، كانت أذناه كبيرتين وتشبهان أذني كلارك

غيبيل⁽¹⁾، وبدتا أنهما تسندان قبعته السخيفة. اقتربت منه أندريا وهي تمسك بالميكروفون، وشرع رجلا شرطة المحكمة بالتدخل، ولكن الشريف رفع يده ليوقفهما، وسمح لها بطرح سؤالها.

«سيدي، هل اعترف جويل ألين أنه قتل السيد هوتون؟».

ابتسم الشريف وقال بلكنته الجنوبية:

«لا نحتاج لاعتراف يا سيده بادوك، لدينا الأدلة الكافية لاتهامه، ثقي

أن العدالة ستأخذ مجراها».

تراجعت المراسلة أندريا بادوك ذات الفستان الأحمر، وركّز ويلسون الكاميرا على باب العربة المفتوح. خرج منها جويل ألين كنجم سينمائي يخرج من مقصورته، وعندما تقدّمت أندريا بادوك لتطرح سؤالاً آخر، رفع الشريف يديه، فتراجعت من دون نقاش.

فكر بيلى في نفسه: ليست هذه الطريقة المثلى لتحقيقي ما تريدينه يا

أندريا.

عليك أن تكوني لحوحة يا فتاة.

انحنى، وكانت هذه لحظة الحقيقة، وكان من المذهل أن يراها من زاوية ووجهة نظر أخرى. سمع الطلقة؛ كان صوتها يشبه صوت الدّوس على غصن رفيع يابس؛ ولم يشهد الضرر الذي سببته تلك الطلقة لأن محرّر القناة السادسة شوّش الصورة، ثم رأى جسد ألين وهو يطير ويهوي على الدرج. اهتزت الصورة قليلاً حين جثا المصور جورج على الأرض، ولكنه ثبتها مجدداً. بعد أن ركّز على الجثة لبعض الوقت، نقل الكاميرا إلى الشرطي ذي الجسم العريض الذي كان يبحث عن مصدر الطلقة.

بوم... سُمعت أصوات صراخ قادمة من أعلى الشارع خلف مقهى

سنسبوت، فحرّك ويلسون كاميرته في ذلك الاتجاه ليظهر المشاة الهاربين،

(1) ممثل أميركي.

وكانت أندريا بادوك من ضمنهم؛ لم يكن أحد سيخطئ في تمييز ذلك الفستان الأحمر. تصاعد الدخان من المكان الذي يفصل بين صنسبوت ووكالة السفريات المجاورة. بدأت أندريا تعود لرشدها - احترم بيلى ذلك فيها - وحينئذ انفجرت القبلة الدخانية الثانية، فما كان منها إلا أن أجفلت ونظرت في ذلك الاتجاه، وعابت الوضع، ثم عادت إلى وضعيتها الأولى. كان شعرها أشعث وخرج مكبر الصوت المثبت على ملابسها من مكانه، وكانت تلهث.

قالت: «دوى انفجاران، وأُطِلِّقَت رصاصةٌ على أحدهم»، ازدردت لعابها وتابعت قائلة: «أُطِلِّقَت الرصاصة على جويل ألين عند درج المحكمة حيث كان سيُحاكَمُ بتهمة قتله جيمس هوتون».

كان كل ما ستقوله بعد ذلك مضجراً، لذلك أوقف بيلى عمل التلفاز. بحلول المساء، سيكون هناك مقابلات في شارع إيفرغرين مع الأشخاص الذين يعرفون بيلى بصفته ديف لوكريدج، لكنه لم يُرد أن يرى أولئك الناس. لن يسمح جمال وكورين باقتراب الكاميرات من طفليهما، ولكن رؤية جمال وكورين بعد ذاتها كانت صعبة، بالإضافة لآل فازيو وآل بيترسون، وحتى الأرملة الثملة جين كيلوغ التي كانت تعيش في نهاية الشارع. إن غضبهم سيكون عارماً، ولكن تألمهم ودهشتهم سيكونان أصعب؛ سيقولون إنه بدا رجلاً صالحاً، ولطيفاً. هل سيشره هذا بالعار؟

خاطب نفسه: «بالطبع. هذا أفضل من ألا أشعر بشيء».

هل سيتحسن الأمر إذا عرف ديريك وشان أن من لعب معهما المونوبولي أطلق النار على شخص ستيء؟ كان هذا توقعاً لطيفاً، ولكن هناك حقيقة موجعة ألا وهي أن زميلهما في لعبة المونوبولي، أطلق النار على شخص ستيء وهو تحت ستار، وصوب على رأسه.

اتصل بوكي هانسون، فحوّل إلى البريد الصوتي، وهذا ما توقعه بيلى، لأن بوكي لا يجيب على الهاتف المحمول عندما يظهر على شاشته رقم مجهول - كان بوكي أذكى من أن يحفظ الرقم باسم دالتون سميث - حتى ولو كان قريباً من الهاتف المحمول، كان بوكي سيعتقد أن المتصل هو زبون من بلدة ريفية متخلفة حدودية جنوبية.

سجل بيلى في البريد الصوتي الخاص ببوكي: «عاود الاتصال بي بأسرع ما يمكن».

جاب شقته التي كانت تشبه الأستوديو وهو يحمل هاتفه المحمول. رنّ هاتفه المحمول في غضون دقيقة تقريباً. لا يضيع بوكي الوقت ولا يتعامل بالأسماء، كان يشبهه في ذلك، إذ إن هذا الحذر يسكنهما حتى وإن كان هاتف بوكي المحمول مؤمناً وكان بيلى نظيفاً.

«يريد أن يعرف مكانك وماذا حصل».

«لقد أدت مهمتي، هذا ما حصل. إن بوسعه أن يشاهد التلفاز كي يتأكد من ذلك». تحسّس بيلى أحد جيبي بنطاله الخلفيين، وتبيّن أن هنالك لائحة مشتريات تعود لديفيد لوكريدج؛ كان لديه عادة نسيانها بعد انتهائه من التسوّق في كروغير.

«يقول إنه كانت هناك خطة، وإن كلّ شيء كان مدبراً».

«أنا متأكد من أنه قد دبر شيئاً ما».

خيّم صمت بينما كان بوكي يستوعب الموضوع. لقد عمل وسيطاً لفترة طويلة، ولم يقبض على عمله أبداً، كما أنه ليس مغفلاً. أخيراً قال: «ما درجة تأكّدك؟».

«سأتأكد من الأمر إذا دفع الرجل المبلغ. هل فعل ذلك؟».

«امنحني بعض الوقت، لقد حدث الأمر منذ ساعتين فقط».

نظر بيلى إلى الساعة على جدار المطبخ وقال: «منذ ثلاث ساعات، وهل يستغرق تحويل المال وقتاً؟ إننا نعيش في عصر الحواسيب في حال نسيت هذا. تحقق من الأمر».

«انتظر دقيقة»، سمع بيلى صوت نقر على حاسوب، وكان هذا الحاسوب موجوداً على بعد اثني عشر ميلاً من شقته التي تقع في الطابق السفلي. عاد بوكي إلى المكالمة وقال: «لم يُحوّل شيءٌ. هل تريدني أن أتواصل معهم؟ على الأرجح، لدي البريد الإلكتروني الذي يعود لصديقه البدين».

فكر بيلى بكين هوف وهو كئيب وتفوح منه رائحة المشروبات الكحولية. كان كين حلقة مفقودة، وكان هو - بيلى سامرز - حلقة مفقودة أخرى.

سأله بوكي: «هل أنت معي؟».

«انتظر حتى الساعة الثالثة ثم تحقق مجدداً».

«أتريد مني أن أتواصل معهم عبر البريد الإلكتروني إن لم يبعثوا شيئاً بحلول ذلك الوقت؟».

لدى بوكي كلّ الحق في التساؤل، فبيلى مدين له بمئة وخمسين ألف دولار من مبلغ المليون والنصف الذي كان سيتقاضاه. كان مبلغاً جيداً ولا يخضع لحسم ضريبي، ولكن هناك شيئاً غير جيد؛ فالميت لا يستطيع إنفاق الأموال.

«هل لديك عائلة؟»، لم يطرح بيلى هذا السؤال من قبل على الرغم من أنه تعامل مع بوكي منذ سنين طويلة. يا إلهي، لقد مرت خمس سنوات على آخر لقاء جمعهما، إذ كانت علاقتهما مقيدة بالمصالح.

لم يبدو أن بوكي قد تفاجأ بتغيير الموضوع، وهذا لأنه يعرف أن الموضوع لم يتم تغييره حيث كان هو الرابط الوحيد بين بيلى سامرز

ودالتون سميث، فأجاب «سبق لي أن تزوجت مرتين، وليس لدي أطفال. لقد انفصلت عن زوجتي الثانية منذ اثنتي عشرة سنة، إنها ترسل إلي بعض البطاقات البريدية بين الفينة والأخرى».

«أتوقع أنه عليك مغادرة المدينة، كما أعتقد أنه عليك التوجه إلى مطار نيوارك حالما ننهي المكالمة».

«شكراً على النصيحة»، لم يبدو أن بوكي غاضب بل بدا مستسلماً، «ناهيك عن تدمير حياتي بشكل كامل».

«سأعوضك بالتأكيد، إن الرجل يدين لي بمليون ونصف، وسأحرص على أن تأخذ المليون».

عدّ بيلي الصمت هذه المرة دليلاً على ذهوله، بعد برهة من الوقت قال بوكي: «هل تعني هذا حقاً؟».

قال له: «بالطبع»، كان جاهزاً أن يعد بوكي بكامل المبلغ لأنه لم يعد يريد.

قال بوكي: «إذا كنت محقاً بخصوص الموقف فأنت تعدني على الأرجح بشيء لا يودّ مشغلك أن يعطيك إياه، ولعله لم ينو أن يعطيك إياه أساساً».

فكّر بيلي بكين هوف مجدداً الذي كان على وشك أن يشم كلمة أبله على جبهته. هل فكّر نيك بالطريقة نفسها في بيلي؟ أغضبته الفكرة للغاية، فاحتضن هذا الشعور؛ إنه يتفوق على شعور العار.

«سيعطيك المبلغ، وسأتحقق من الأمر بنفسي. في الوقت الحالي، عليك أن تذهب بعيداً إلى الهضاب وتسافر تحت اسم جديد».

ضحك بوكي: «لا تعلم جدك حرفته يا فتى، لدي مكان بالفعل».

قال بيلي: «غيرت رأيي. أود أن ترسل إليهم شيئاً عبر البريد الإلكتروني».

اكتب كلامي».

سكت بوكي لبرهة ثم قال: «قل لي».

«زبوني أدى المهمة واختفى. إن لديه عباءة إخفاء، ألا تتذكر هذا؟
حوّل لي المال بحلول منتصف الليل».

«أهذا كل شيء؟».

«أجل».

«سأتواصل معك حين أتبيّن الأمر، حسناً؟».

«حسناً».

3

إنه جائع؛ ولم لا يكون جائعاً؟ فهو لم يحظَ منذ وقت طويل بشيء سوى الخبز المحمص. كان هناك كيس من اللحم المفروم في الثلاجة، فتحه وشمّ رائحته، فبدا على ما يرام، لذا ألقى بنصف باوند تقريباً على المقلاة مع الزبدة، وبينما كان يقف أمام الفرن وهو يحرك اللحم على المقلاة، وقعت يده مجدداً على لائحة التسوّق. أخرجها وتبيّن أنها لم تكن لائحة تسوّق على الإطلاق، إنها الرسمة التي رسمتها شان لطائر الفلامنغو الذي كان اسمه فريدي في السابق وأصبح ديف، مع أن بيلي يتوقع أنه لن يستقر على اسم ديف مطوّلاً. كانت مطوية للغاية ولكنه، لا يزال يستطيع أن يرى أثر أقلام التلوين وهي ترسم قلوباً تتجه من رأس الفلامنغو إليها. أعاد الرسم إلى جيبه من دون أن يفتحه.

كان قد جهّز متطلبات إقامته كما كانت الخزانة قرب الفرن مليئة بالمؤن: حساء، وطون، ويخنة اللحم من ديتي مور ومرتديلا سبام، وسباغيتي. أخذ علبة صلصة مانويش، وأفرغها فوق اللحم، وعندما بدأت الفقاعات بالظهور، وضع شطيرتين في آلة التوست. خلال انتظاره الطعام، أخرج رسم شان من جيبه مجدداً، هذه المرة فتحه، وذكر نفسه أن يتخلص

منه ويمزقه ويلقي به في المرحاض، وبدلاً من أن يفعل ذلك، طواه وأعادته إلى جيبه.

جهزت الشطيرتان فوضع بعض الصلصة عليهما، ثم جلب زجاجة سودا، وجلس إلى الطاولة. أنهى ما وضعه في صحنه، ثم أضاف الباقي، وأنهى ذلك أيضاً، وشرب السوداء، وبينما كان ينظف المقلاة، تقلصت معدته، وبدأت تصدر أصواتاً غريبة، فأسرع الخطى إلى الحمام، وجثا بجوار المرحاض، وتقياً كل ما في معدته.

رحض المرحاض، ومسح فمه بالمناديل، ثم رحض المرحاض مجدداً. شرب بعض الماء، ثم توجه إلى نافذته، ونظر عبرها. كان الشارع والرصيف خاليين، وفكر في أن هذه هي الحال المعتادة في شارع بيرسون. لم يرَ شيئاً سوى الممر الفارغ مع لوحات عدة - ممنوع الاقتراب، أملاك المدينة، خطر الاقتراب - كانت متفرقة حول أطلال محطة القطار. اختفت عربة المشتريات المهجورة، ولكن السروالين الرجاليين الداخليين لا يزالان هناك، وقد تراكم عليهما كثير من الأعشاب البرية. مرت سيارة هوندا قديمة، وتلتها سيارة فورد بيتو، لم يصدق بيلى أنه سيرى يوماً هاتين السيارتين على الطريق، ثم مرت عربة، ولكنها لم تكن عربة إدارة الأشغال العامة.

أسدل بيلى الستارة، وجلس على الأريكة، وأغمض عينيه، وخلد إلى النوم، ولم تراوده أية أحلام على حدّ علمه.

4

أيقظه هاتفه؛ كانت هذه نغمة رنينه؛ لا بد أن بوكي حصل على أخبار مفضلة لا يمكن حصرها على الرسائل، ولكن المتصل لم يكن بوكي، إنها بيف جنسن، ولكنها لم تكن تضحك هذه المرة. لقد كانت... ماذا؟ لم تكن

تبكي تماماً، ولكنها كانت تصدر صوتاً يشبه صوت الطفل غير السعيد؛ لقد كانت تتباكي.

قالت: «آه مرحباً، كيف الحال؟ آمل ألا أكون...»، ازدردت لعابها بأسى ثم قالت: «قد أزعجتك».

قال بيلي وهو يُعدّل جلسته: «لم تزعجيني على الإطلاق. ما الخطب؟». عندها تحوّل بكاؤها إلى عويل: «لقد ماتت أمي يا دالتون». قال بيلي لنفسه: اللعنة، لقد عرفت هذا، كما أنه يعرف شيئاً آخر وهو أنها اتّصلت به وهي ثملة.

«أنا آسف للغاية على خسارتك»، لم يستطع أن يصيغ عبارة أفضل من هذه نظراً لحالته المشوشة.

«اتصلت بك كي لا تحسبني شخصاً سيئاً حين كنت أضحك وأتابع حياتي وأتكلم عن الذهاب في رحلة».

«ألن تذهبا؟»، كان هذا مؤسفاً لأنه كان يأمل أن يحظى بالمنزل لوحده. نظّفت أنفها وقالت: «أعتقد أننا سنذهب في الرحلة. إن دون يريد الذهاب، وأعتقد أنني أريد ذلك أيضاً. حظينا بشيءٍ شبيه بشهر العسل في كيب سان بلاس - إنها تقع على ما يسمونه بريفييرا ريدنيك - ومنذ ذلك الوقت لم نقم بأي رحلة معاً. أنا فقط... لم أرد أن تعتقد أنني كنت أرقص على قبر أمي أو شيئاً من هذا القبيل».

قال بيلي: «لم أعتقد هذا»، وكانت هذه حقيقة، «لقد حظيت بفرصة جيدة، وكنت متحمّسة لها. إن هذا الأمر طبيعيٌّ».

لقد أجهشت حينها بالبكاء، وشهقت، ونظّفت أنفها وبدأت أنها توشك على الغرق.

«شكراً لك يا دالتون»، صدر منها الاسم دولن مثل زوجها، «شكراً لتفهمك».

«على الرحب والسعة. ربما عليك أن تأخذي حبتين من الأسبرين

وتستلقي قليلاً».

«لعل هذه فكرة سديدة».

«بالطبع»، صدر صوت بينغ من هاتفه المحمول، لا بد أنه بوكي، فقال:

«سأقول لك وداعاً...».

«هل كل شيء على ما يرام عندك؟».

قال بيلي لنفسه: كلا، إن الأوضاع متردية على جميع الأصعدة يا بيف،

ثم أجابها: «شكراً لسؤالك، إن كل شيء على ما يرام».

«لم أكن أقصد ما قلته عن النبتتين أيضاً، إذ سأشعر باستياء كبير إذا

عدت ووجدت دافني ووالتر ذابلتين».

«سأعتني بهما».

«شكراً، شكراً جزيلاً جزيلاً».

«على الرحب والسعة يا بيف. عليّ أن أنهى المكالمة الآن».

«حسناً يا دولن، شكراً جزيلاً جزيلاً...».

قال لها: «سأتصل بك عما قريب»، ثم أنهى المكالمة.

جاءت الرسالة من أحد حسابات بوكي الوهمية الكثيرة؛ كانت قصيرة.

بيغباي 986: لم أتلّق أيّ حساب أو أيّ مبلغ مالي بعد. إنه يريد أن

يعرف أين أنت.

أجاب بيلي عليه من أحد حساباته الوهمية أيضاً.

ديزديز 77: لطالما أراد الناس في الجحيم كأساً من الماء المثلج.

5

خفق بعض البيض، وسخّن بعضاً من حساء الطماطم للعشاء - هذه

المرّة لم يتقياً طعامه - ثم شغل تلفازه لمشاهدة أخبار الساعة السادسة

على قناة أن. بي. سي. لأنه لم يرد أن يشاهد فيديو القناة السادسة مجدداً.

ظهر إعلان لشركة ليبرتي ميوتشول وتبعته صورته الشخصية حيث كان

في حديقة شارع إيفرغرين الخلفية وهو يتسم ويرتدي مريولاً كُتِبَ عليه: أنا لست أداة للجنس وحسب، فأنا أستطيع الطهي، وقد شُوِّسَتْ أوجه الأشخاص الذين كانوا في الخلفية، ولكنه تعرف إليهم جميعاً؛ كانوا جيرانه. أُخِذَت الصورة في حفلة الشواء التي أعدها للناس في الشارع، واعتقد أن ديان فازيو قد التقطتها لأنها كانت تحب التقاط الصور إما بهاتفها أو بكاميرا النيكون خاصتها. اعتقد أن عشبه - لا يزال يحسبه عشبه - بدا رائعاً. كُتِبَ تحت الصورة: من هو ديفيد لوكريدج؟ إنه متأكد أن الشرطة عرفت تماماً من هو.

إن التقصي عن البصمات عن طريق الحاسوب أصبح أمراً سهلاً للغاية، كما أن بصماته كانت على السجل من أيامه في البحرية الأميركية. قال أحد مذيعي الأخبار: «تعتقد الشرطة أن هذا الرجل هو المسؤول عن الاغتيال الجريء لجويل ألين على درج المحكمة»، كان هذا المذيع يشبه المحاسب.

تابعت المذيعة الأخرى التي كانت تشبه عارضات الأزياء اللواتي تظهر صورهن على أغلفة المجلات قائلة: «لا يزال الدافع إلى الاغتيال لغزاً حتى هذه اللحظة، كما أن طريقة هروبه كانت لغزاً بحد ذاتها. إن الشرطة متأكدة من شيء واحد: لقد حظي بمساعدة».

فكر بيلى في نفسه: لم أخطأ بمساعدة؛ لقد عرُضت عليّ ورفضتها. قال المذيع الذي يشبه المحاسب: «حدث انفجاران بعد ثوانٍ من إطلاق الرصاصة؛ حدث أحدهما مقابل موقع القنّاص في برج جيرارد، أما الآخر فحدث وراء المبنى الذي كان على زاوية شارعي ماين والمحكمة. وتبعاً لكلام رئيسة الشرطة لورين كونلي، لم تكن المواد التي استُخدمت في الانفجارين خطيرة بل كانت من النوع الذي يشبه الألعاب النارية الذي يُطلق في بعض حفلات الروك».

تابعت المذيعة التي تشبه عارضات الأزياء الكلام، وتساءل بيلى عن

سبب تبادلهما الكلام بهذا الشكل؛ كان هذا هو اللغز الحقيقي: «إن لاري ثومبسون يقف في موقع الحدث في الواقع، إنه يقف في أقرب موقع منه، لأن شارع المحكمة لا يزال مغلقاً. لاري، هل أنت معي؟».

قال لاري: «هذا صحيح يا نورا»، وكأنه يؤكد لها أنه لاري بالفعل. كان خلفه شريط الشرطة الأصفر، وكانت أنوار الطوارئ على سيارات الشرطة العديدة التي كانت تحيط بالمحكمة تتوهج، «تفترض الشرطة أن العملية مُخطَّط لها من قِبَل عصابة».

خاطب بيلى نفسه: «لقد أصبتم في هذا».

«كشفت رئيسة الشرطة كونلي في المؤتمر الصحفي أن المشتبه به ديفيد لوكريدج - ولا بدّ أن هذا الاسم كان مستعاراً - كان متواجداً في تلك المنطقة منذ بداية الصيف، وكان يتخفّى وراء قصة مختلفة فريدة من نوعها. إليك ما أخبرتنا به».

اختفت صورة لاري ثومبسون، وظهر مقطع فيديو من المؤتمر الصحفي للرئيسة.

لم يحضر الشريف فيكيري صاحب القبعة السخيفة المؤتمر الصحفي، وبدأت كونلي بالقصة وقالت إن القناص - لم تكثرث أن تناديه بالمشتبه به - تظاهر أنه يؤلف كتاباً، عندها أوقف بيلى عمل التلفاز. كان هناك شيء ينهشه من الداخل.

6

بعد مرور نصف ساعة، وعندما كان في شقة آل جنسن التي كانت في الطابق الثاني وهو يروي دافني ووالتر، توصل بيلى إلى قرار. في الواقع، لم يُخطَّط أن يغادر شقة الطابق السفلي يوم إطلاق النار، والآن قرر أن يمكث هناك لعدة أيام، وربما لأسبوع، ولكن الأمور قد تغيرت للأسوأ. كان

هناك شيء يجب أن يعرفه ولا يستطيع بوكي مساعدته فيه. لقد أذى بوكي مهمته، وإذا كان ذكياً بما فيه الكفاية فسيكون الآن على متن طائرة وبعيداً عن المنطقة. لم يتأكد بيلى من نظريته التي كانت حتى تلك اللحظة واهية كشبكة العنكبوت، ولكن كان عليه أن يتحقق من الأمر.

نزل إلى شقة الطابق السفلي، وتكرّر بهيئة دالتون سميث، ونفخ هذه المرة البطن المزيف إلى أقصى حدّ، ولم ينسَ أن يضع النظارة ذات العدستين النظيفتين التي كانت تنتظره على رف الكتب في غرفة المعيشة بجانب نسخته من تيريز راكون. لقد حل الغسق تماماً، وكان هذا لصالحه. كان متجر زونيز في الجوار وكان هذا لصالحه أيضاً، أما الأمر الذي لم يجرّ لصالحه هو أن رجال نيك كانوا يجوبون الشوارع. لا بد أن فرانكي إلفيس وبولي لوغان كانا في سيارة واحدة، أما ريغي ودانا، فكانا في سيارة أخرى، فهما لن يستقلا عربة إدارة الأشغال العامة هذا المساء.

ولكن بيلى شعر أن هذه فرصة تستحق المخاطرة، لأنهم كانوا متأكدين أنه يختبئ، وربما يظنون أنه غادر المدينة، وإن صادف أن مرّ بهم، فهو يتمنى أن يُشكل تنكره بشخصية دالتون سميث حاجباً له عن أعينهم.

قرّر أنه بحاجة إلى هاتف محمول لا يحفظ المعلومات، ولم يلم نفسه كثيراً لأنه رمى هاتفاً محمولاً جيداً هذا الصباح، فالله وحده يستطيع أن يُلمّ بكل شيء، ولم يكن هذا ضرباً من الغباء، كمغادرة ذلك الزقاق بملابس كولن وايت. في مجال عمل بيلى - أي مجال سفك الدماء - كان الشخص يضع خطته، ويأمل ألا تقوده الأحداث إلى ما لم يخطّط له أو ينتهي به المطاف في غرفة مستشفى مع سيروم في ذراعه.

فكّر في نفسه: لا يمكن لأحد أن يمسك بي، وإلا ستموت هاتان النبتتان.

كان كل شيء مغلقاً في ذلك المركز التجاري التعيس ما عدا البقالية، كما أن صالون هوت نيلس ما كان ليفتح مجدداً. كانت الواجهات مغلقة

وهناك إشعار بالإفلاس ملصق على الباب.

لم يكن هناك زبائن سوى شخصين إسبانيين يقفان عند براد البيرة. كان هناك صندوق من فاستفونز بين رفوف مشروبات الطاقة ورفوف تعرض خمسين نوعاً من قوالب الحلوى. أمسك بيلى بهاتف محمول، وأخذه إلى صندوق المحاسبة. لم تكن تلك المرأة واندا أو شيئاً من هذا القبيل خلف طاولة المحاسبة، بل كان هنالك رجل يبدو من الشرق الأوسط.

«أهذا كل شيء؟»

«أجل»، حاول أن يتكلم بنبرة أعلى وهو يتنكر بلوازم شخصية دالتون سميث.

إنها طريقة ليذكر نفسه بمن عليه أن يكون. أدخل الموظف معلومات الهاتف المحمول، وكان سعره أربعة وثمانين دولاراً، وكان رصيده مئة وعشرين دقيقة تقريباً. إن هذا الهاتف سيكون أرخص بحدود ثلاثين دولاراً إن اشتراه من وول مارت، بالإضافة إلى ذلك، كان عليه أن يقلق بشأن التعرف إلى الوجه في متجر وول مارت. إن نظام التعرف إلى الوجه أصبح في كل مكان الآن، وهذا المكان يحوي كاميرات، ولكنه متأكد أنهم لا يعيدون ضبطها إلا كل اثنتي عشرة ساعة أو أربع وعشرين ساعة. دفع نقداً، إذ عندما تكون فاراً وملاحقاً من عدة جهات - أو مختبئاً - فالدفع نقداً هو منقذك.

تمنى له الموظف ليلة سعيدة، وبدوره تمنى له بيلى ليلة سعيدة. حيم الظلام، وأنارت السيارات مصابيحها الأمامية، فلم يستطع بيلى التعرف إلى السائقين. كان لديه نزعة أن يخفض رأسه كلما اقتربت منه سيارة، ولكن هذا كان سيبدو مشبوهاً. لم يستطع أن ينزل طرفي القبعة لأنه لم يكن يعتمرها، أراد أن يفعل الشعر الأشقر المستعار سحره. لم يكن هو بيلى سامرز الذي تبحث عنه الشرطة ورجال نيك، بل هو مهووس

الحواسيب دالتون سميث الذي كان يعيش في الناحية الفقيرة من المدينة
وعليه أن يعدّل نظارته كي يرى بشكل أوضح. لقد كان سميناً لأنه يأكل
دوريتوز وليتل ديبيز أمام شاشة الحاسوب، وإذا زاد وزنه عشرين أو ثلاثين
باونداً فسيمشي بترنّح.

كان هذا تنكراً جيداً، ولم يبالغ فيه كثيراً، ولكنه تنفّس الصعداء، عندما
أغلق باب البهو لمبنى 658 خلفه. نزل إلى شقة الطابق السفلي، وأطفأ
مصباح الفلورسنت، وأزاح الستارة عن نافذته.

ما من أحد في الخارج؛ كان الشارع مهجوراً؛ وإن تم تعقبه - كان
يفكر في ريغي ودانا لا في فرانكي وبولي أو الشرطة - فعلى الأرجح كانا
سيستللان من الخلف، ولكن القلق من شيء لا يمكنه التحكم به لا يُجدي
نفعاً. كان هذا ضرباً من الجنون.

أسدل بيلي الستارة، وأثار الغرفة، وجلس على كرسي الغرفة المنفرد؛
كان الكرسيّ قبيحاً، ولكنه كان مريحاً كمعظم الأشياء القبيحة في الحياة.
وضع الهاتف المحمول على الطاولة، ونظر إليه، وتساءل إن كان يفكر
بشكل عقلاني أو كان يحتضن ذعره وحسب. كان الذعر خياراً أفضل على
جميع الأصعدة؛ حان وقت أن يكتشف الأمر. أخرج الهاتف من علبته،
ووضع البطارية فيه، وأوصله بالقابس ليشحنه، وعلى خلاف هاتفه السابق،
كان هذا هاتفاً قابلاً للطّي؛ إنه قديم الطراز نوعاً ما، ولكن بيلي أعجب به.
كان يمكنه أن يغلق الخط حرفياً في وجه شخص مزعج إذا أراد؛ لعل هذا
كان تفكيراً طفولياً، ولكنه أشعره بالرضا. لم يستغرق الشحن وقتاً طويلاً، إذ
كانت هذه الأجهزة تأتي نصف مشحونة بفضل ستيف جوبز الذي أغضبته
فكرة ألا يستطيع أن يستخدم الجوال لحظة إخراجه من العلبة.

ظهر على الهاتف طلب تحديد اللغة، فاختر بيلي اللغة الإنكليزية.
كما ظهر أيضاً إن كان يودّ الاتصال بشبكة لاسلكية، فلم يوافق. أدخل

الرصيد الذي اشتراه، وأجرى الاتصال بقاعدة فاستفونز كي ينهي عملية التحويل؛ كان رصيده صالحاً لمدة ثلاثة أشهر، وتأمل بيلى أن يكون في هذا الوقت على شاطئ ما، وأن الهاتف المحمول الوحيد الذي يكون بحوزته يكون مرتبطاً ببطاقة ائتمان دالتون سميث.

ما أجمل أن يسترخي وهو آمن ومنجز.

مرر الهاتف من يد إلى أخرى وهو يفكر في اليوم الذي أخذه فيه فرانك ماكتوش وبولي لوغان إلى المنزل في ميدوود. إنه يشعر الآن بالندم على تلك الرحلة. استقبله نيك، ولكن في الداخل، استذكر بيلى رحلته الأولى إلى المنزل الفخم المستأجر حيث استقبله نيك مجدداً بالأحضان، ولكن ليس في الخارج. استذكر بعدها الليلة التي أخبره فيها نيك عن القنبلتين الدخائيتين وعن خطة هروبه - استقلّ عربة إدارة الأشغال العامة وحسب يا بيلى ثم استرخٍ وخذ رحلة إلى ويسكنسن. كان هناك شامبانيا ومخبوزات ألأسكا. لقد أعدّ زوج من الخدم المأدبة لعلهما كانا من السكان المحليين وعلهما كانا زوجين. لقد رأيا نيك، ولكن على حدّ علمهما، كان رجل أعمال أتى إلى نيويورك ليعقد صفقة ما.

أعطى المرأة بعض المال وانطلقا في طريقهما.

مرّر بيلى الهاتف بين يديه مجدداً؛ من اليد اليمنى إلى اليسرى ومن اليسرى إلى اليمنى.

فكّر بيلى في نفسه: لقد سألت نيك إن كان هوف سيزرع قنبلتين دخائيتين، وماذا قال لي حينها؟ بمّ نعته؟ ألم يقل ابن الحرام بالإسبانية؟ لعله قال وغداً أو لعيناً؛ لقد نعته بإحدى تلك الصفات كما أن الترجمة الحرفية لم تكن مهمة. إن الشيء المهم هو ما قاله نيك بعدها: سأكون حزيناً إن كان هذا رأيك بي، وكان هذا لأن ذلك الوغد كان التعريف الصريح للأبله. كان هوف يملك المبنى الذي أطلقت منه الرصاصة، وكان هو الذي اشترى البندقية. البندقية الآن مع رجال الشرطة، ولا بدّ أنهم يحاولون معرفة

المكان الذي اشتريت منه، وإذا وصلوا إليه - أو حين يصلون إليه - فما الذي سيعثرون عليه؟ لعلهم سيعثرون على اسم مستعار إذا كان هوف واعياً، ولكن إذا أظهروا صورة هوف للبائع، فهنا تكمن المشكلة. كان سينتهي المطاف بهوف في غرفة تحقيق صغيرة وحارة وهو جاهز أو متعطش ليعقد صفقة لأنه يعتقد أن هذه هي موهبته.

لكن بيلي على ثقة من أن هوف لن يدخل الغرفة الصغيرة أبداً.

لن يخبر عن نيكولاي ماغاريان أبداً لأنه سيكون ميتاً.

أيقن بيلي هذا منذ أسابيع عدة، ولكن أخبار الساعة السادسة جعلته يستنتج أنه كان عليه اكتشاف هذا في وقت أبكر. لا شك في أنه كان بوسعه أن يتوصل إلى ذلك الاستنتاج سابقاً إن لم يمض وقتاً طويلاً وهو يلعب المونوبولي مع أطفال شارع إيفرغرين، ويعتني بعشبه، ويأكل حلوى كورين، ويثرثر مع جيرانه. إن ما يفكر به بدا مستحيلاً، ولكن لا يمكن تجاهل المنطق.

لم يكن كين هوف وديفيد لوكريدج الوحيدين في الواجهة.

أليس كذلك؟

7

راسل بيلي جورجيو بيغليللي المعروف باسم جورجيو بيغز أو الوكيل الأدبي المشهور جورج روسو. استخدم اسماً مستعاراً كان على ثقة أن جورجيو سيتعرف إليه.

تريلبي: ردّ عليّ.

انتظر قليلاً، لكن لم يكن هناك ردّ، وهذا كان غريباً لأن جورجيو كان يُقرب منه شيئاً دائماً: هاتفه المحمول وشيئاً ما يأكله.

حاول بيلي مجدداً.

تريلبي: عليّ أن أتكلم معك في الحال. فكّر بيّلي ملياً ثم أضاف: إن العقد حدّد الدفع يوم التنفيذ أليس كذلك؟
لم يكن هناك إشارة أن جورجيو كان يقرأ رسائله أو يكتب رداً؛ لا شيء.

تريلبي: راسلني.
لا شيء.

أغلق بيّلي هاتفه، ووضع على الطاولة. إن أسوأ شيء حيال عدم ردّ جورجيو هو أن بيّلي لم يكن متفاجئاً بهذا. إن شخصيته الغبية موجودة، وهذا ما لم يلاحظه قبل تنفيذ المهمة، وما فات الأوان على ملاحظته هو أن جورجيو كان في الواجهة مع كين هوف. كان جورجيو مع هوف حين دخلا إلى برج جيرارد لثريشدا بيّلي إلى أستوديو الكاتب في الطابق الخامس. لم تكن تلك المرة الأولى التي يزور فيها جورجيو المبنى أيضاً. قال هوف للحارس إيرف دين: إن هذا جورج روسو وقد قابلته الأسبوع الماضي. هل عاد جورجيو إلى نيفادا؟ وإذا فعل ذلك حقاً، هل كان يلتهم الطعام ويشرب مخفوق الحليب في فيغاس، أو كان مدفوناً في مكان ما من الصحراء المحيطة؟ لن يكون أول رجل يدفن هناك ولا آخر رجل؛ وحده الله من يعلم.

فكّر بيّلي في نفسه: سوف يتعقبون نيك من خلال جورجيو حتى وإن كان ميتاً. لقد شكلا فريقاً منذ الأزل، حيث كان نيك المسؤول وجورجيو بيغز المستشار. لم يكن بيّلي متأكداً من أن هذا اللقب المناسب لرجل كجورجيو أو أنه كان بدعة في الأفلام وحسب، ولكنه كان متأكداً من شيء واحد: لقد كان جورجيو اليد اليمنى لنيك. لم يعمل مع نيك منذ وقت طويل جداً، لأنه في المرة الأولى التي عمل فيها بيّلي لصالح نيك - وكانت تلك المرة الثالثة التي يقتل فيها شخصاً لقاء المال - كانت في العام 2008 ولم يكن جورجيو معه، حيث نستق نيك العملية بنفسه. أخبر بيّلي أن هناك رجلاً مغتصباً يقصد بعض النوادي الصغيرة والكازينوهات على حدود البلدة.

أحب المغتصب النساء الكبيرات، وأحبّ إيذاءهن، وخرج عن طوره مرة لدرجة أنه قتل امرأة. اكتشف نيك من كان، وأراد أن يتعامل رجل محترف مع الأمر، وأن يكون من خارج البلدة. قال لبيلي إنه يُرشحه بقوة، وعندما عاد بيلي إلى فيغاس مرة ثانية، لم يكن جورجيو هناك وحسب، بل كان هو الذي عقد الصفقة. جاء نيك بينما كانا يتكلمان، وعانق بيلي وربّت على ظهره، ثم جلس في الزاوية واحتسى مشروباً مصغياً إلى نهاية الحديث. عُرِضَت عليه المهمة الثانية بعد أقل من سنة من المهمة الأولى التي تعلقت بالمغتصب. قال جورجيو إن الهدف هذه المرة هو مخرج أفلام إباحية مستقل يدعى كارل تريلبي. عرض على بيلي صورة للرجل الذي كان يشبه أورال روبيرتس بشكل غريب. قال جورجيو: «إن كنية تريلبي تلفظ كنوع قبعة تريلبي»، وشرح الأمر عندما تظاهر بيلي أنه لم يفهم قصده.

قال له بيلي: «لن أطلق النار على رجل لمجرد أنه يخرج أفلاماً عن أناس يمارسون الجنس».

عندها قال نيك: «وماذا عن الرجال الذين يخرجون أفلاماً عن رجال ينكحون أطفالاً في سن السادسة؟».

نفذ بيلي العمل لأن كارل تريلبي كان شخصاً سيئاً. أدى بيلي ثلاث مهام أخرى لنيك، أي أنه قتل خمسة أشخاص لصالح نيك بالمجمل باستثناء ألين. كان هذا الرقم ثلث رصيده باستثناء قتله للعديد من المجاهدين في العراق. في بعض الأحيان، كان نيك يتواجد أثناء إبرام الصفقة وأحياناً لا، ولكن جورجيو كان يتواجد دائماً، لذا لم يتفاجأ بيلي من تواجده لبعض من الوقت في موقع المهمة. كان يجب أن ينتبه لهذا الأمر. كان هذا التصرف غريباً جداً.

يمكن لنيك أن ينكر كل شيء، إذ لطالما كان جورجيو صامتاً. يمكن لنيك أن يقول: أنا أعرف الرجل، ولكن ليس لي علاقة بأفعاله، فأنا لا أعرف

شيتاً بخصوص هذا الأمر.

حتى إن قال الطباخ وزوجته أنه كان موجوداً على العشاء مع جورجيو وبيلي - وهذا ما لم يكن مرجحاً - فيمكن لنيك أن يرفع كتفيه ويقول إنه كان موجوداً ليتناقش مع جورجيو في أمور الكازينو حيث إن موعد تجديد رخصة دوبل دومينو قد اقترب. وماذا عن الرجل الآخر؟ على حد علم نيك، كان صديقاً لجورجيو أو حارساً شخصياً. كان رجلاً صامتاً وقال إن اسمه لوكريدج، ولكنه لم يقل الكثير بعد ذلك.

عندما يسأل رجال الشرطة عن مكان تواجد نيك أثناء اغتيال ألين، سيقول نيك إنه كان في فيغاس، ويمكنه جمع العديد من الشهود ليدعموا حجة غيابه، بالإضافة لمقاطع كاميرا الكازينو التي لا يتم ضبطها إلا كل اثنتي عشرة ساعة أو أربع وعشرين ساعة، ويحتفظ بمعلوماتها لمدة سنة على الأقل.

كان كل هذا في حال ظلّ جورجيو صامتاً. لكن هل كان سيفي بعهد أميرتا إذا كان هو الشخص الذي سيتضرّر؟ أو إذا كان هو الشخص الذي سيتعرض للحقنة المميّنة التي تستخدم في حالات جرائم القتل من الدرجة الأولى؟

فكر ببيلي في نفسه: لن يستطيع جورجيو التفوه بأي شيء إذا كان مطموراً تحت خمس أقدام من رمل الصحراء. كانت هذه قاعدة عظيمة عندما تصل الأمور إلى هنا.

توقف عن تحريك الهاتف من يد إلى أخرى، وراسل جورجيو مجدداً، ولكنه لم يجبه. كان بوسعه أن يرسل أو يتصل بنيك ولكن هل كان سيصدق كلامه؟ كلا. إن الضمان الوحيد لبيلي كان تحويل مبلغ المليون والنصف لحسابه الحرّ، ثم إعادة تحويله بأساليب تقنية ملتوية لحساب يمكن لدالتون سميث الولوج إليه. كان بوكي سيفعل هذا القسم عندما يصل إلى مكانه السري، وهذا في حال كان المبلغ موجوداً بالفعل.

لم يستطع بيلى فعل أي شيء في تلك الليلة، لذا ذهب إلى سريره. لم تكن الساعة قد بلغت التاسعة، ولكن يومه كان طويلاً.

8

استلقى على السرير، ووضع يديه تحت الوسادة، وفكر أن الوضع لم يكن مقبولاً ولا بأي شكل.

يمكنه أن يصدق نظريته حول كين هوف، هناك صنف من الرجال المحتملين في المدن الصغيرة يعتقدون أن هناك قشة ستقذهم مهما غاصوا في مستنقع الاحتيال؛ إنهم أولئك النصابون ذوو الابتسامات العريضة والقبضات القوية الذين يرتدون سترات بولو ويتعلون أحذية بالي. لا بد أن طابع: «المتفائلون الأنانيون» قد ألصق على شهادة ولادتهم، ولكن جورجيو بيغليلي كان مختلفاً؛ كان يأكل بنهم، ويلقي بنفسه إلى التهلكة بالطبع، لكن على حد علم بيلى، كان جورجيو شخصاً واقعياً، ولكنه تجاوز هذا الأمر الآن. ما السبب؟

كف بيلى عن التفكير بالموضوع وخلد إلى النوم وحلم بالصحراء، لم يحلم بالصحراء العراقية التي كانت تفوح منها رائحة الرصاص، والماعز، والبترو، بل حلم بصحراء أستراليا التي كان فيها صخرة كبيرة أطلق عليها اسم صخرة آيرز، ولكن اسمها الحقيقي كان أولورو. كان اسماً غريباً، وكان يشبه صوت صفير الرياح وهي تداعب سقوف المنازل، وكانت مكاناً مقدساً للسكان الأصليين الذين رأوها أولاً. لقد رأوها وعبدوها، ولكنهم لم يعتقدوا يوماً أنهم كانوا يمتلكونها، لقد استوعبوا شيئاً واحداً ألا وهو: إن كان هناك إله فإن هذه صخرة هي الإله. لم يزرها بيلى يوماً، ولكنه رأى صوراً لها في أفلام مثل آكراي إن ذا دارك ومجلات مثل ناشيونال جيوغرافيك وترافيل. رغب بيلى في الذهاب إلى هناك، وتخيل نفسه وهو يعيش في بلدة أليس سبرينغز التي تبعد أربع ساعات عن أولورو حيث كانت الصخرة

تنتصب بشموخ، وتخيل نفسه يعيش هناك بهدوء. لعله كان سيمتهن الكتابة في غرفة تصلها أشعة الشمس مع حديقة صغيرة خارجية. كان هاتفه المحمولان على طاولة صغيرة قرب السرير، وكانا مغلقين. وبعد أن استيقظ في تمام الساعة الثالثة بعد منتصف الليل ليأتي نداء الطبيعة، أعاد فتحهما ليتحقق إن وصله شيء. لم يصله شيء من جورجيو على الهاتف القابل للطبي وهذا ما كان متوقِعاً. لم يتوقع أن يسمع خبراً عن الرجل السمين مجدداً، ولكنه اعتقد أن كل شيء وارد في بلد كان رئيسها رجلاً يدعى ترامب. وصلته رسالة على هاتفه التابع لشخصية دالتون سميث؛ كان إشعاراً عن خبر كتب في الجريدة المحلية: انتحار رجل أعمال لامع.

دخل بيلى الحمام، ثم جلس على السرير، وقرأ الخبر الذي كان موجزاً. بالطبع، كان رجل الأعمال اللامع كينيث بي. هوف، كان أحد جيرانه في غرين هيلز يهرول في الحي، وسمع صوت إطلاق نار صادر من مرأب هوف على الأرجح. كان هذا في تمام الساعة السابعة مساءً. اتصل الجار بالإسعاف، وعندما وصل رجال الشرطة، وجدوا هوف ميتاً وراء مقود سيارته التي كان محركها قيد العمل. كان هناك ثقب رصاصة في رأسه ومسدس في حوضه. ستنشر التفاصيل في مقال مساء اليوم أو في صباح الغد حيث كانت ستغطي حياة هوف العملية. كالعادة، سيتم ذكر أقوال أصدقائه المصعوقين وزملائه في العمل، كما سيتم التطرق إلى مشاكله المالية الحالية، ولكن من دون الإسهاب فيها لأن أصحاب النفوذ المحليين الأحياء لن يهتموا بهذا. لعل زوجاته السابقات كنّ سيقلن كلاماً لطف من الكلام الذي أخبرن محامي الطلاق به، وسيحضرن الجنازة بفساتين سوداء ومعهنّ مناديل ليمسحن دموعهنّ، ولكن بحذر، كي يحافظن على مسكرة الرموش. لم يكن بيلى متأكداً من أن الجريدة كانت ستعلن عن نوع سيارته، ولكنه كان متأكداً من أن السيارة التي عثر عليه فيها كانت موستنغ حمراء، كما سيعلن أن سبب انتحار هوف له علاقة بتورط هوف بجريمة قتل ألين.

لن يعلن في المقال الصحفي عن نتيجة الطب الشرعي التي كانت ستكشف أن الرجل الكئيب حاول أن يقتل نفسه باستنشاق غاز أحادي الكربون، ولكنه ضاق ذرعاً، وصوّب المسدس على رأسه. كان بيلى على ثقة من أن الأمور لم تحدث بهذا الشكل. إن الحلقة المفقودة كانت أن بيلى لم يعرف أيّاً من رجال نيك قتل هوف. لعله كان فرانك أو بولي أو ريغي أو شخص آخر لم يقابله وربما كان قادماً من فلوريدا أو أتلنتا، ولكن بيلى لم يستطع أن يتخيّل أحداً سوى دانا إديسون ذي العينين الزرقاوين الثابتين والشعر الأصهب المربوط على شكل كعكة.

هل أجبر هوف أن يدخل المرأب وهو يوجه المسدس إليه؟ لعله لم يحتج إلى ذلك، ولعله قال لهوف إنهما سيتناقشان في ما سيفعلانه لتدارك المأزق وجعله لصالح هوف، ولا بد أن الشخص الأناني المتفائل والأبله كان سيصدق هذا. جلس هوف خلف المقود، وجلس دانا إلى جانبه. لعل كين سأله: ما الخطة؟ ولعل دانا أجابه: ها هي، ثم أطلق عليه النار، وشغل المحرك، ثم غادر من الباب الخلفي، وركب عربة الغولف، وانطلق في طريقه بهدوء. هذه هي غرين هيلز: ملاعب غولف وشقق.

لعل الأمر لم يجرِ على هذا المنوال، ولعل القاتل لم يكن إديسون، ولكن بيلى متأكد أنه توصل إلى الخطوط العريضة للحادثة، ولم يبق سوى جورجيو الذي كان القطعة الأخيرة في الأحجية غير المكتملة. ففكر بيلى في نفسه: كلا، هناك أنا أيضاً.

استلقى مجدداً، ولكن النوم هجره هذه المرة، وقد ساهم في ذلك صوت صرير نوافذ المبنى القديم ذي الطوابق الثلاثة. اشتدت الرياح، وبما أن محطة القطار لم تعد موجودة لتكبحها، هبت الرياح فوق الأراضي الفارغة، وشقت طريقها إلى شارع بيرسون. وفي كل مرة حاول فيها بيلى الاستغراق في النوم، هبت الرياح، وأصدرت صوت: أولورو، أولورو. لقد

كان هناك صوت صرير آخر يشبه خطوات على لوح خشبي غير ثابت في مكانه.

قال بيلي لنفسه إن القليل من الأرق لن يضره حيث يمكنه أن ينام طوال اليوم غداً، إذا أراد ذلك، فهو لن يتحرك في هذه الفترة، ولكن ساعات النهار كانت طويلة للغاية، كان هناك الكثير ليتخيله، ولم يكن هناك أي تخيل جيد. فكّر أن ينهض ويقرأ. لم يكن لديه كتب سوى تيريز راكون، ولكن كان بوسعه أن يحتمل كتاباً على حاسوبه المحمول، ويقراه في السرير إلى أن يغالبه النعاس.

عندها، خطرت في باله فكرة؛ لعلها لم تكن فكرة سديدة، ولكنها كانت ستساعده على النوم، كان متأكداً من هذا. نهض، وأخرج رسم شان من جيبه الخلفي، ثم فرده ونظر إلى الفتاة الصغيرة التي كانت تلف شعرها بشرائط حمراء. نظر إلى القلوب التي تطوف فوق رأس الفلامنغو وتذكر كيف نامت شان قربه في الجولة السابعة من تلك اللعبة واضعاً رأسها على ذراعه. وضع بيلي الرسم على الطاولة قرب السرير، وخلد إلى النوم بسرعة.

مكتبة ياسمين

t.me/yasmeenbook

الفصل الثاني عشر

1

استيقظ بيلى مشوّشاً، وكانت الغرفة مظلمة، ولم يتسلّل بصيص ضوء حتى من ستارة النافذة التي تواجه حديقته الخلفية.

استلقى للحظات في الظلمة، وهو شبه نائم، ثم تذكر أنه لم يكن هناك نافذة في هذه الغرفة، والنافذة الوحيدة كانت في غرفة المعيشة، تلك التي يدعوها بالمنظار. لم تكن هذه غرفة نومه الكبيرة التي تقع في الطابق الثاني في شارع إيفرغرين، ولكنها كانت غرفة النوم في شقة الطابق السفلي في شارع بيرسون، كما تذكر أنه كان هارباً.

تناول عصير البرتقال من الثلاجة، وشرب رشفةً أو رشفتين ليشعر بطعمه، ثم استحمّ كي يزيل العرق المتراكم من ليلة البارحة. ارتدى ملابسه، ثم سكب الحليب على رقائق الذرة من نوع ألفا - بيتس، وشاهد أخبار الساعة السادسة صباحاً.

كان أول شيء يراه هو جورجيو بيغليلي. لم تكن صورة فوتوغرافية لجورجيو بل كان رسماً مطابقاً يمكن اعتباره صورة لأنه كان في غاية الاحترافية. عرف بيلى حالاً من تعاون مع الشرطة. كان حارس برج جيرارد الأمني إيرف دين شرطياً سابقاً، وبدا أن قدراته على قراءة الأشخاص لا تزال جيدة، وعلى الأقل عندما لا يكون يقرأ موتور تريند أو يتفحص الأثداء والمؤخرات في إصدارات ثياب السباحة من عدد سبورتس أليس تريند. لم يُذكر شيء عن مقتل هوف في تقرير الشاهد. إذا كانت الشرطة قد ربطت علاقته مع حادثة إطلاق النار على ألين، فلم تذكر هذا أمام الصحفيين، على الأقل حتى الآن. كانت مذيعة الأرصاد الجوية شقراء ومشرقة، وأعطت

لمحة موجزة عن طقس هذا اليوم، وقالت إن الجو سيكون بارداً على غير العادة في هذا الوقت من السنة، ووعدت أنها ستعطي تفاصيل أكثر في وقت لاحق، ثم ظهرت مراسلة حركة المرور الشقراء المشرقة على الشاشة وحذرت المواطنين الذاهبين إلى أعمالهم من أن حركة المرور بطيئة بسبب الانتشار الكثيف للشرطة.

هذا يعني أن الشرطة تقيم الحواجز. كان رجال الشرطة يعتقدون أن القنّاص لا يزال في المدينة، وكان اعتقادهم صحيحاً، وهم يعتقدون أن الرجل السمين الذي يطلق على نفسه اسم جورج روسو لا يزال في المدينة أيضاً، لكن بيلي واثق من أن ذلك غير صحيح. كان وكيله الأدبي السابق في نيفادا، ولعله كان تحت التراب، وقد بدأ جسده الضخم بالتحلل فعلاً. بعد ظهور إعلان لشاحنات شيفي، ظهر مذيعة الأخبار، ومعهما محقق متقاعد، فطلباً منه أن يعطي الأسباب المحتملة لمقتل جويل ألين. قال المحقق المتقاعد: «لا أستطيع التفكير سوى في سبب واحد، أراد أحد أن يخرسه قبل أن يقايض المعلومات مقابل تخفيف عقوبته».

سألته المذيعة المشرقة ذات الشعر البني: «ما هي العقوبة المخففة التي كان يتوقعها؟»، كيف لها أن تكون بهذا الإشراق في الصباح؟ هل كانت تتعاطى المخدرات؟

أجاب المحقق المتقاعد على الفور: «السجن المؤبد بدلاً من الحقنة المميّنة».

كان بيلي متأكداً أن هذا صحيح، ولكن السؤال ما هي المعلومات التي كانت بحوزته والسبب وراء عملية قتله العلنية؟ هل كانت هذه العملية بمثابة تحذير لمن شاركوا ألين معرفته؟ في الظروف العادية ما كان بيلي ليكثرث، في العادة كان ينفذ عملية القتل بشكل آلي، ولكن لم يكن هناك شيء عادي في الظروف التي وجد نفسه فيها.

انتقل المذيعان إلى مراسل كان يقابل جون كولتن أحد المحامين

اليافعين ولم يرد ببلي أن يسمع ما الذي يقوله. لقد كان يتبارى بقطعة نقدية مع جوني وجيم أولبرايت منذ أسبوع فقط ليروا من كان سيدفع ثمن التاكو. كانوا في الساحة، وكانوا يضحكون ويستمتعون بوقتهم.

بدا جون مذهولاً ومصعوقاً، فقال: «لقد اعتقدنا جميعنا أنه كان رجلاً جيداً...»، عندها أوقف ببلي التلفاز عن العمل.

غسل وعاء الفطور، وتحقق من هاتف دالتون سميث. كان هناك رسالة من بوكي، وكانت عبارة عن ثلاث كلمات: لم يتم التحويل. كان هذا متوقعاً، ولكن هذا بالإضافة لتعايير وجه جوني كولتن لم تكن بادئة خير ليومه الأول في - كان سيسمي الأمور بما هي عليه - الأسر.

إن لم تتم عملية التحويل فعلى الأرجح أنها لن تتم. دفع له خمسمئة ألف دولار مقدماً، وكان هذا مبلغاً طائلاً، ولكنه لم يكن المبلغ المتفق عليه. حتى هذا الصباح، كان ببلي منشغلاً جداً لدرجة أنه لم يغضب بما فيه الكفاية من فكرة أن شخصاً وثق به قد نصب عليه، ولكنه الآن، لم يكن مشغولاً، بل كان يستشيط غضباً. لقد أدى مهمته، وهو لم يؤدّها بالأمس فقط، بل شرع في تأديتها منذ ثلاثة أشهر، وهذا ما تطلب منه تضحية شخصية لم يكن يحلم بها. لقد وعد وتمّ النكث بالوعد.

قال ببلي: «الأشخاص السيئون».

فتح الجريدة المحلية على شاشة جهازه الآيفون. كان العنوان كبيراً - اغتيال في المحكمة! - ولا بد أنه يبدو أكبر من ذلك في النسخة المطبوعة. لم يضيف المقال شيئاً إلى معلوماته، ولكن الصورة المرفقة أكدت أن الشريف فيكيري لم يحضر المؤتمر الصحفي لرئيسة الشرطة كونلي. أظهرت الصورة قبعة الستينسون السخيفة، وهي ملقاة على الدرج، ولم يكن هناك الشريف ليعتمرها؛ هرب فيكيري، لقد فر الشريف فيكيري.

خاطب ببلي نفسه: «حظاً موفقاً في إعادة انتخابك بعد هذه الصورة».

صعد إلى الطابق العلوي ليروي دافني ووالتر ثم توقف ومعه علبة البخاخ وتساءل إن كان مجنوناً. كان عليه أن يرويهما لا أن يغرقهما. تحقق من ثلاثة آل جنسن، ولم يجد شيئاً يعجبه، ولكن كان هناك علبة من المافن الإنكليزي فيها قطعة واحدة، فسَخَّنْها وقال لنفسه إنها ستتعضن إن لم يأكلها. كان هناك نوافذ طبيعية هنا، وجلس مستمتعاً بأشعة الشمس وهو يأكل المافن ويفكر بما يتجاهله.

لقد كان يتجاهل قصة بينغي بالطبع، فهذه هي المهمة الوحيدة التي عليه إنجازها بعد ما آلت إليه الأمور.

لكن هذا يعني أنه عليه الكتابة عن البحرية الأميركية، ولكن كان هناك الكثير من الأحداث بدءاً من الحافلة إلى بارس آيلند... هناك الكثير من المعلومات.

غسل بيبي الصحن الذي استخدمه وجففه، ثم أعاده إلى الخزانة ونزل إلى الطابق السفلي. نظر عبر نافذته، وكالعادة لم ير شيئاً يلفت انتباهه. كان البنطال الذي ارتداه البارحة على أرضية غرفة النوم. تناوله وتحسس جيوبه، وكان يتأمل أنه قد أضاع محرك الأقراص في مكان ما على الطريق، ولكنه وجده قرب مفاتيحه. كان من بين تلك المفاتيح مفتاح سيارة دالتون سميث الفورد فيوجن المركونة في الجهة الأخرى من المدينة. كانت تنتظره حتى يشعر بالأمان ليغادر، أي حين يذوب الثلج ويظهر المرح كما يقولون في الأفلام لوصف المهمة الأخيرة التي تتعرّ دائماً.

شعر أن محرك الأقراص قد أصبح أثقل وزناً. نظر إلى محرك الاقراص الرائع هذا الذي كان خيالياً علمياً منذ ثلاثين سنة، ووجد أنه لا يستطيع تصديق أمرين: الأول هو عدد الكلمات التي خزنتها عليه، والثاني احتمال أن يكتب المزيد من الكلمات؛ ربما ضعفها أو ضعفها أو حتى خمسة

أضعاف منها وعشرة أضعاف حتّى. فتح الحاسوب المحمول الذي اعتقد أنه أضعافه، ثم شغلّه. لقد كان هذا تميمة حظّ أئمن من حذاء طفل رثّ وملوّث بالطين، ولكنهما كانا يخدمان الفكرة ذاتها. أدخل كلمة السر، وأوصل محرك الأقراص، ونقر على الملف الوحيد المحفوظ على سطح المكتب. نظر إلى السطر الأول - عاد الرجل الذي عاشت أمي معه إلى المنزل بذراع مكسورة - واعتراه أسى عارمٌ. انتابه شعور أكيد أن هذا عمل جيد، ولكن سرعان ما تحوّلت الانطلاقة العادية إلى عبء ثقيل، لأن عليه مسؤولية أن يتابع بالسوية الجيدة نفسها، ولم يعتقد أنه يستطيع ذلك.

ذهب إلى النافذة المعهودة، ونظر إلى اللاشيء، وتساءل إن كان قد اكتشف عجز الكتاب المبتدئين عن إكمال ما بدؤوا به. فكّر في كتاب ذا ثينغز ذي كاريد والذي كان من أعظم كتب الحروب التي قرأها على الأرجح إن لم يكن أعظمها، واعتقد أن الكتابة هي نوع من الحروب التي تخوضها مع نفسك.

كانت القصة بمثابة حمل، وكلما كتبت فيها كلما زاد ثقلها. هناك كتب غير منتهية في جميع أرجاء العالم - مذكرات، وأشعار، وروايات، ومخطوطات إما مكررة وستفشل وإما كانت ستغني صاحبها - في أدراج المكاتب لأن العمل أصبح ثقيلاً على كاهلهم فأزاحوه عنهم، وقالوا إنهم سيكملونه في وقت لاحق، ولعلمهم كانوا سيكملونه عندما يكبر الأطفال أو عندما يتقاعدون.

هل هذا كل شيء؟ هل سيزيد الحمل عليه، إذا حاول أن يكتب عن رحلة الحافلة، وقصّة الشعر، والمرّة الأولى التي سأله فيها الرقيب أينغتون: هل تريد أن تعلق... يا سامرز؟ هل تريد؟ لأنك تبدو كذلك بالنسبة إليّ.

فكّر: يا للمصيبة! لم يكن من النوع الذي يسأل، إلا إذا كان سؤالاً مجازياً. صرخ في وجهي، وكان أنفه قريباً من أنفي للغاية، وتناثر رذاذ بصاقه على شفتيّ. قلت له: احترامي يا سيدي. كلا يا سيدي لا أريد أن أعلق...

فأجابني: ألا يعجبك... أيها الجندي اللعين الفاشل سامرز؟

كيف استعاد كل تلك الأمور، وهل يمكنه أن يكتب هذا كله تحت اسم بينغي كومبسون؟

قرر بيلي أنه لا يستطيع فعل ذلك. أسدل الستارة، وعاد إلى الحاسوب، ونوى أن يغلقه، ويمضي يومه في متابعة التلفاز، وهو يشاهد برنامج إيلين ديجينيرز وهوت بينش وكيللي ورايان وذا برايس إز رايت قبل الغداء. بعدها، كان سيأخذ قيلولة صغيرة ويستأنف مشاهدة المسلسلات بعد الظهر. كان بوسعه أن يختم يومه بجون لو الذي كان يضرب مطرقته مثل كوليو في مقاطع الفيديو الغنائية القديمة وكان حازماً في محكمته. خطرت له فكرة من غامض علم الله وهو يمسك بجهاز التحكم، وكأن أحداً قد همس في أذنه؛ أنت حر، ويمكنك فعل ما تشاء.

لم يكن حراً من الناحية الجسدية، لأنه كان محتجزاً في شقته على الأقل حتى ترفع الشرطة الحواجز، وكان عليه حينها أن ينتظر بضعة أيام إضافية ليتحقق من الأمر، ولكن في ما يخص قصته، كان حراً في أن يكتب ما يريد وبالطريقة التي يريدها. لم يكن هناك أحد يراقبه عن كثب، ولم يعد عليه أن يتظاهر بكونه شخصاً غيباً يكتب عن شخص غيب. كان بوسعه أن يكتب كشخص ذكي يتكلم عن شاب يافع - هذا عمر بينغي في القصة إذا تابع بيلي كتابتها - كان ساذجاً ومستوى تعليمه متدنياً، ولكنه كان أبعد ما يكون عن الغباء.

فكر بيلي في نفسه: يمكنني أن أتخلى عن أسلوب فوكنر، وأكتب كنا بدلاً من كنت أنا وهو، وأضع الهمزات وعلامات الترقيم إذا أردت.

إذا كان يكتب لنفسه فقط، فكان بوسعه أن يحتفظ بالأمور المهمة، ويتخلى عن الأمور غير المهمة. ما كان عليه أن يكتب عن قصة شعر الجنود مع أنه يستطيع ذلك، وما كان عليه أن يكتب عن صراخ أبنغتون في وجهه مع أنه كان سيذكر هذا على الأرجح، كما لم يكن عليه أن يكتب عن الفتى

- هاغيرتي أو هافيرتي، لم يستطع بيلى أن يتذكر أياً منهما كان اسمه - الذي أصيب بذبحة قلبية وهو يركض وتم إسعافه إلى عيادة القاعدة وقال الرقيب أبينغتون أنه كان على ما يرام؛ لعله كان كذلك ولعله مات.

وجد بيلى أن الأسى قد نجم عنه تعطشٌ عنيدٌ، ولعله كان ضرباً من الغرور، وحتى لو كان هكذا، كان بوسعه أن يكتب ما يريد، وكان سيفعل ذلك.

بدأ في النقر على أمر البحث والاستبدال وغير اسم بينغي إلى بيلى وكومبسون إلى سامرز.

3

لقد بدأت تدريبي الأساسي في بارس آيلند، وكان يفترض بنا البقاء هناك لثلاثة أشهر، ولكنني لم أبق سوى لثمانية أسابيع. حدث الصراخ والهراء الاعتياديان، وغادر بعض المتدربين، وأنهك بعضهم، ولكنني لم أكن من هذه الفئة.

لعل المخادرين والهنهكين كان لديهم مكان ليعودوا إليه، ولكنه لم يكن لديه شيء.

كان الأسبوع الثالث هو أسبوع العشب، وتعلمنا فيه كيف نفكك أسلحتنا ونعيد تركيبها. أعجبني هذا وكنت ماهراً فيه. عندما أجبرنا الرقيب أبينغتون على خوض سباق تسلح كنت احتل المرتبة الأولى دائماً. كان يأتي بعدي رودى بال المعروف باسم تالو. لم يسبقني يوماً، ولكنه كان منافسي. دائماً ما حل جورج دينيرشتاين في المرتبة الأخيرة، واضطر لأن يؤدي خمساً وعشرين مرة من تهرين الضغط أمام الرقيب البغيض أبينغتون، كان يضع أب اللعين قدمه على مؤخرة جورج. لكن جورج كان يستطيع إطلاق النار، لم يكن بكفاءة، ولكنه كان يصيب ثلاثة أهداف من أصل أربعة على بعد ثلاثمائة ياردة، أما أنا فكانت أصيب أربعة أهداف على بعد سبعمائة ياردة.

لم يكن هناك إطلاق نار في أسبوع العشب، بل كان أسبوع العشب مخصصاً لتفكيك أسلحتنا وإعادة تركيبها، ونحن نرّد انشودة جنود الرماية: إن هذا سلاحي ومع أن هناك الكثير منه ولكنه خاصتي. إن سلاحي هو صديقي المقرب وحياتي، وهكذا دواليك، أما القسم الذي أتذكره تماماً كان: إن سلاحي عديم الفائدة من دوني وأنا عديم الفائدة من دونه.

كان الشيء، الآخر الذي فعله في أسبوع العشب هو أن نجلس على العشب، وكنا نمكث أحياناً لسنت ساعات في وضعية تمهّد.

توقّف بيلى لوهلة، وابتسم قليلاً وهو يتذكر بيتي دونك كاشمان. خلد دونك للنوم بين ثايا عشب ساوث كارولاينا الطويل، وجثا الرقيب الرهيب قربه، وصرخ في وجهه كي يوقظه. هل هذا مملٌ بالنسبة إليك أيها الجندي؟

نهض دونك على قدميه بسرعة هائلة لدرجة أنه تعثر وصرخ: احترامي يا سيدي، كلا يا سيدي، قبل أن يستيقظ تماماً. كان صديق جورج دينيرشتاين وأطلق عليه اسم دونك لأنه كان عنده عادة أن يمسك ب... ويصرخ هونك ماي دونك. ولكنه لم يقل للرقيب الرهيب أن يلحق... يوماً.

لقد زخر عقل بيلى بالذكريات كما توقّع - أو تأكد - ولكنه لم يرد أن يكتب عن أسبوع العشب. لم يكن يريد أن يكتب عن دونك الآن حتى مع أنه يمكن أن يكتب عنه في وقت لاحق، لقد أراد أن يكتب عن الأسبوع السابع وكل ما جرى بعده.

شرع بيلى بالكتابة، وقد مرت الساعات من دون أن يشعر بها. كان هناك سحر في هذه الغرفة، فاستنشقه وزفره.

4

بعد أسبوع العشب، أتى أسبوع إطلاق النار. استخدمنا سلاح أم - 40، وكان هذا النسخة العسكرية من سلاح ريمينغتون 700. كان يأتي

ومعه مخزن فيه خمس طلقات، وقاعدة ثلاثية وخراطيش من نوع ناتو. ردّد علينا أب عبارة: «يُفْتَرَضُ بك أن ترى هدفك، ولكن لا يُفْتَرَضُ بهدفك أن يراك، وعلى عكس ما تشاهدونه في الأفلام، إن القناصة لا يعملون بمزردهم».

مع أننا لم نكن في مدرسة لتعليم القنص، ولكن أب قسّمنا إلى ثنائيات؛ أحدهما يرصد الهدف والآخر يُطلق عليه. اشتركت مع تاكو، واشترك جورج مع دونك. لقد ذكرتهم لأننا اجتمعنا في الفلوجة في معركة العزم اليقظ في نيسان عام 2004 وشبح الغضب في تشرين الثاني من ذلك العام. تاكو وأنا...

توقف بيلى عن الكتابة، وأشاح بوجهه، وذكر نفسه أن شخصيته الغبية كانت في الماضي، فمحا ما كتبه، وبدأ مجدداً. تناوبنا أنا وتاكو في أسبوع إطلاق النار. كنتُ أرصد الهدف وهو يطلق النار تارة، وتارة أخرى كان هو من يرصد وأنا من يُطلق. بدأ جورج ودونك على هذه الوتيرة، ولكن أب منعهما من هذا قائلًا: «أطلق النار يا دينير وينير وأنت يا كاش ارصد الهدف وحسب». صرخ دونك: «أريد أن أطلق النار يا سيدي»، كان عليك أن تصرخ عندما تتكلم مع الرقيب الرهيب، فتلك كانت قواعد القوات البحرية الأميركية.

أجابه أب: «وأنا أريد أن...»، ومنذ ذلك الحين، كان جورج يطلق النار ودونك يرصد الهدف، وظلّ الأمر على حاله في صفّ القنص وفي العراق.

عندما كان أسبوع إطلاق النار على وشك أن ينتهي، استدعاني الرقيب أبينغتون أنا وتاكو إلى مكتبه الذي لم يكن أكبر من خزانة. قال لنا: «أنتما حثالتان، ولكنكما تستطيعان إطلاق النار، لعلكما ستتعلمان ركوب الأمواج». عرفنا حينها أننا سنُنقَلُ إلى مخيم بينديلتون، وأنها أنهينا تدريبنا الأساسي الذي اقتصر على إطلاق النار؛ لقد دُرِّبنا لنصبح قنّاصين. ذهبنا إلى كاليفورنيا على متن طائرة نيويورك إيرلينز، وكانت

تلك المرة الأولى التي استقلّ فيها طائرة.

توقف بيلى قليلاً عن الكتابة. هل أراد أن يكتب عن بينديلتون؟ كلا. لم يتعلم ركوب الأمواج، فكيف له أن يفعل ذلك وهو لم يتعلم السباحة يوماً؟ لقد اشترى لنفسه سترة كُتِبَ عليها: إن تشارلي لا يسبح، وارتداها حتى أصبحت رثة. كان يرتديها عندما عثر على حذاء الطفل وعلقه بحزامه. هل كان يريد أن يكتب عن حرب العراق؟ كلا. كانت الحرب قد انتهت بحلول الوقت الذي وصل فيه إلى بغداد. قال السيد بوش هذا بنفسه على متن باخرة يو.أس. أس. أبرهام لينكولن. قال إن المهمة قد أُنجِزَت، وهذا ما جعل من بيلى وزملائه قوات حفظ سلام. لقد شعر بالانتماء والحب في بغداد. رمت النسوة والأطفال الزهور وصرخ الرجال: نحن نحب أميركا. فكّر بيلى في نفسه: لم يستمرّ هذا، لذا لا تبالوا ببغداد، هيا اكتب مباشرة عن الهاوية، وعندها استأنف بيلى كتابته.

بحلول خريف عام 2003، كنت متمركزاً في الرمادي بين قوات حفظ السلام ومتحمساً لعملي. في ذلك الوقت، حدث بعض إطلاق للنار، وبدأ الملائي يضيفون عبارات «الموت لأميركا» لخطاباتهم التي كانت تذاع من المساجد وأحياناً من المتاجر. كنت أتبع للكتيبة الثالثة أو ما يسمونها بالورقة الرابعة؛ كنت في وحدة الإيكو. لقد اعتدنا أن نطلق الأسماء على الكثير من الأهداف في أيام التدريب. كان جورج ودونك في مكان آخر، ولكنني لا زلت أشكّل فريقاً مع تاكو.

لم أكن أعرف أن ملازماً كان يراقبنا ونحن نصوّب. كنت أستخدم بندقية أم - 40 وأصوّب على هرم من علب البيرة على بعد ثمانمئة ياردة، وكنت أسقطها الواحدة تلو الأخرى من الأعلى إلى الأسفل. كان عليك أن تصوّب عليها من أسفلها لتقلبها وإلا كان الهرم سينهار بأكمله. أخبرني الملازم الذي كان اسمه جيميسون أنا وتاكو أن نأتي معه. جعلنا نركب سيارة جيب مكشوفة إلى هضبة تطلّ على مسجد الدولة. كان مسجداً جميلاً، ولكن الخطبة التي كانت تصدر من مكبرات الصوت لم تكن جميلة. لقد ردّد الهراء المعهود حول أن الأميركيين سيجعلون

اليهود يستوطنون العراق، وسيحظر دين الإسلام، وأن اليهود سيتولون السلطة، وأن الأميركيين سيسيطرون على البترول. لم نفهم اللغة، ولكن عبارة الموت لأميركا كانت تُقال بالإنكليزية دوماً، وكنا نرى منشورات مترجمة ربما كتبها رجال الدين المترسسين. لقد وزعها المتمردون الناشئون بالحزم. كانوا يسألون: هل ستموتون لصالح بلادكم؟ هل ستموتون مية مشرفة فداء لبلادكم؟

سأل جيميسون وهو يشير إلى قبة المسجد: «كم تبعد؟».

قال تاكو: «ألف ياردة»، أما أنا فقلت له: «حوالي تسعمئة ياردة»، ثم أضفت وتنبهت لأخاطب الملازم باحترام أننا يجب ألا نستهدف المواقع الدينية. إذا كان هذا ما يفكر به الملازم.

قال جيميسون: «امسح الفكرة. لن أطلب أبداً من جندي تحت إمرتي أن يستهدف أحد المواقع الدينية، ولكن الأقاويل التي تصدر عن تلك المكبرات سياسية وليست دينية. حسناً، من منكما سيحاول أن يُسكت أحد المكبرات من دون أن يصيب القبة؟ إذا اخطأ سينتهي بنا المطاف في جحيم المجاهدين».

سلمني تاكو البندقية في الحال. لم يكن معي قاعدة ثلاثية لذا ثبتها على مقدمة الجيب، وأطلقت النار. كان جيميسون يستخدم منظراً، ولكنني لم أحتجه لأرى أحد مكبرات الصوت يتهاوى إلى الأرض وسله ينقطع. لم تخترق الرصاصة القبة، وانخفض صوت الخطبة المحتدة من هذا الاتجاه بشكل ملحوظ.

صرخ تاكو: «خذوا هذه... خذوا هذه الضربة اللعينة».

قال جيميسون: «علينا أن نتحرك من هنا قبل أن يبدأ أحد ما بإطلاق النار علينا»، وهذا ما فعلناه.

بالعودة إلى تلك الأحداث، اكتشفتُ حينها أن ذلك اليوم سبب احتدام الأحوال في العراق، ولماذا تحوّلت عبارة «نحن نحب أميركا» إلى «الموت لأميركا». تعب الملازم من سماع ذلك الهراء المستمر، لذا جعلنا نُسكت مكبر صوت، وهذا كان عملاً غيبياً وغير هادف لأنه كان مكبراً من أصل

سنة مكبرات كانت معلقة في اتجاهات مختلفة.

رأيت رجالاً ونسوة عند عتبات الأبواب وعلى النوافذ ينظرون إلينا حين عدنا إلى القاعدة؛ لم تكن وجوههم تدل على أنهم يحبون أميركا. لم يطلق أحد النار علينا - في ذلك اليوم - ولكن اليوم الموعود كان سيأتي لا محالة. لقد فهموا أننا كنا نصوب على المسجد وليس على مكبرات الصوت. لعل القبة لم تُحترق، ولكننا كنا نوجه أسلحتنا على جوهر إيمانهم.

بدأت جولات استطلاعنا في الرمادي تزداد خطورة، وبدأت الشرطة المحلية والأمن الوطني العراقي يفقدان السيطرة على المتمردين، ولكن لم يُسمح للقوات الأميركية أن يأخذوا مكانهم لأن السياسات في واشنطن وبغداد كانت تنص على الحكم الذاتي. كنا نجلس في مخيمنا في أغلب الأحيان، ونتمنى ألا نكلف بتغطية فرقة وهي تصلح خطاً ماء أساسياً معطل - أو تم تعطيله عنوة - أو بعض التقنيين الأميركيين والعراقيين وهم يحاولون تصليح مولد كهرباء معطل؛ أو مخرب. إن حماية تلك الفرق كانت تعني طلب الموت، ولقد قُتل العديد من الجنود الأميركيين على رأس عملهم وجرح آخرون بنهاية عام 2003. لقد كان هناك الكثير من القناصين المجاهدين، ولكن متفجراتهم أربعتنا.

لقد تداعى بيت القصيد في آخر يوم من شهر آذار عام 2004. فكّر بيلي في نفسه: حسناً، إن القصة تبدأ من هنا كما أنني وصلت إلى هنا بأقل نسبة من الهراء كما كان أب يقول.

بحلول ذلك الوقت، انتقلنا من الرمادي إلى مخيم البحرية الذي عُرف بأرض الأحلام. كان يقع في الريف على بعد ميلين خارج الفلوجة وغرب الفرات حيث اعتاد أولاد صدام الاصطياف هناك كما سمعنا. انضم جورج دينيرشتاين ودونك كاشمان إلينا في وحدة الإيكو.

كنا نلعب البوكر نحن الأربعة عندما سمعنا إطلاق نار قادماً من الجانب الآخر ممّا كنا نسميه بجسر بروكلين. لم تكن طلقات متفرقة بل كانت وابلاً من الرصاص.

عند منتصف الليل، عرفنا ما حصل، أو الخطوط العريضة على

الأقل. قرّر أربعة حراس من شركة بلاكووتر كانوا يوصلون الطعام - وكانوا جزءاً من الفوضى في أرض الأحلام - أن يسلكوا طريقاً مختصراً من الفلوجة بدلاً من أن يلتفوا حولها، وكان الالتفاف بروتوكولاً مفروضاً، وتم الإيقاع بهم قرب الجسر فوق نهر الفرات. أعتقد أنهم كانوا يرتدون دروعهم الواقية، ولكن لم يكن شيء سينقذهم من وابل الرصاص الذي انهدم على سيارة الميتسوبيشي التي كانوا يستقلونها.

قال تاكو: «ما الذي جعلهم يعتقدون أنه بإمكانهم المرور بوسط المدينة وكأنهم كانوا في أوماها؟ يا للغباء!».

واقفه جورج الرأي، ولكنه قال إن علينا الردّ حتى وإن كان تصرف موظفي بلاكووتر غيبياً، ووافقناه الرأي. كان القتل سيئاً، ولكن العصابة لم تكتف بالقتل. لقد سحلوا القتلى، وصبّوا عليهم البنزين، وأضرموا النيران. لقد شوّيَ اثنان منهم كالدجاج، أما الاثنان الآخران فقد عُلقا من جسر بروكلين كدمى تشبه غاي فوكس.

أتى الملازم جيميسون بينما كنا نتحضّر كي نقوم بدوريتنا، وأمرني وتاكو أن ننزل من سيارة الهامر التي كنا فيها ونرافقه لأن هناك رجالاً يودّ أن يرانا.

كان الرجل يجلس على كدسة من الدواليب في مرأب فارغ تفوح منه رائحة البنزين. كان الجو حاراً للغاية، لأن الأبواب كانت مغلقة، ولم يكن هناك أجهزة تكييف، وعندما وصلنا وقف ليتفحصنا. كان يرتدي سترة جلدية، وكان هذا غريباً في غرفة قدرة تبلغ درجة الحرارة فيها خمساً وثمانين درجة فهرنهايت على الأرجح. كُتبَ على صدر تلك السترة شعار كتيبة الداركهورس: المحترفون الكاملون في الأعلى واحذروا قوتنا في الأسفل، ولكن السترة لم يكن لها علاقة بعمله. عرفت هذا حالاً، وفي وقت لاحق، قال لي تاكو إنه كان يعرف ذلك أيضاً. كان عليك أن تنظر إليه لفترة وجيزة وحسب لتعرف أنه كان رجلاً يعمل لصالح وكالة الاستخبارات المركزية. سأل من منا سامرز فأجبتّه: «أنا»، ثم قال إن اسمه هوف.

توقف بيلى عن الكتابة وهو يشعر بشيء من الارتباك؛ لقد ربط لتوه بين

حياته الحالية وحياته في الهاوية. هل كان روبرت ستون الذي قال إن العقل يشبه القرد؟ بالتأكيد، لقد ظهرت في دوغ سولدجرز. لقد كتب روبرت في هذه الراوية أن الرجال الذين يطلقون النار على الفيلة بالرشاش من حوامات هوي سيحتاجون أن يتعاطوا المخدرات بالتأكيد، أما في العراق فقد كان الهدف هو الجمال والجنود ذوي الرتب المنخفضة وأحياناً جنود القوات البحرية الأميركية. ولكن أجل، بينما كانوا يتعاطون المخدرات.

حذف السطر الأخير، واستشار القرد الذي كان يعيش خلف أذنيه ووراء جبهته. بعد دقائق من التفكير، استذكر الاسم وأقنع نفسه أن خطأه كان يغتفر، إذ لقد كان اسم هوف قريباً من اسم الرجل.

كان اسمه فوس. لم يمدّ يده لنصافحه، بل ظلّ جالساً على الدواليب التي كانت ستلوّث بنطاله لا محالة. قال لي: «لقد سمعت أنك أفضل قنّاص».

لقد وقفت صامتاً لأن هذا لم يكن سؤالاً.

«هل يمكنك أن تصيب هدفاً على بعد ألف ومئتي ياردة على الضفة الثانية من النهر من طرفنا؟»

رمقت تاكو بنظرة خاطفة، ورأيت أنه سمع الشيء ذاته، وأدرك معناه. كانت عبارة من طرفنا تعني كل شيء خارج البلدة، وإن كان هناك طرفان فهذا يعني أنه سيحدث تدخّل.

«هل تقصد أنه عليّ أن أقتل هدفاً بشرياً يا سيدي؟»

«أجل. هل اعتقدت أنني كنت أتحدّث عن لعبة بيرة؟»

كان سؤالاً قصد به الاستهزاء، لذا لم أجب، وبدلاً من ذلك قلت:

«أجل يا سيدي، يمكنني إصابة ذلك الهدف».

«هل هذه إجابة البحرية الأميركية أو إجابتك يا سامرز؟»

قطّب الملازم جيميسون حاجبيه عند هذا السؤال، وكأنه لم يكن هناك كلام سوى كلام البحرية الأميركية، ولكنه لم يقل شيئاً.

«الاثنتان معاً يا سيدي. إن الرياح عامل مثبط ولكننا...»، أشرت إلى تاكو بإبهامي، «نستطيع أن نتحكم بالرياح، ولكن الرمل المتناثر

شيء آخر».

قال فوس: «تفيد النشرة الجوية أن سرعة الرياح غداً هي من صفر إلى عشرة. هل سيشكل هذا عائقاً؟».

قلت له: «كلا يا سيدي». عندها طرحت السؤال الذي لم يكن لي علاقة به، ولكن كان يجب أن أعرف: «هل نتحدث عن مجاهد سيئ يا سيدي؟».

قال الملازم إنني تجاوزت حدودي، وكان سيقول المزيد، ولكن فوس لَوَّحَ بيده فأغلق جيميسون فمه.

«هل سبق لك يا سامرز أن صوّبت على رجل؟».

قلت له: «كلا»، وكان هذا صحيحاً. كان يقصد إن كنت قد قنصت شخصاً من قبل، وأنا أطلقت النار على بوب راينز عن قرب. «إذاً، اعتبر هذه الفرصة بداية جيدة لمهنتك لأن هذا مجاهد سيئ للغاية. أعتقد أنكما تعرفان ما حصل البارحة».

قال تاكو: «أجل يا سيدي».

إن الموظفين مروا بمركز الفلوجة لأن مصدراً موثقاً قال لهم إن الطريق كانت سالكة وآمنة. قيل لهم إن هناك نوايا حسنة تجاه أميركا، ورافتهم مرافق من الشرطة العراقية، ولكن هذا المرافق كان إما متمرداً يرتدي زياً مسروقاً أو رجل شرطة مرتدّاً أو رجل شرطة حقيقياً فقد أعصابه عندما رأى الذعر الذي كان يُحدق بهم. لم تكن الشرطة هي المسؤولة في كل الأحوال. إن القتلة كانوا أربعة وثمانين رجلاً سيئاً يحملون الكلاشينكوف... ما رأيكما يا صاحبي؟ هل ظهرُوا في الموقع فجأة؟

رفعت كتفي، وكأنني أقول لا أعرف، وتركت تاكو يجيب عن السؤال:

«لا أرجح أنها صدفة يا سيدي».

«بالطبع لا. كان أولئك المجاهدون يأخذون مواقع محددة وينتظرون.

كان هناك شاحنتان تقطعان الطريق الرئيسي. لقد خطط أحد لهذا الكمين، وعرفنا من هو لأننا تعقبنا جواله. هل تتابعان معي؟».

قال تاكو: «أجل»، ورفعت كتفي مجدداً.

«إن هذا الشخص هو رجل ملثم ومخادع اسمه عمّار جاسم وهو في العقد السادس أو السابع من عمره؛ لم يستطع أحد التأكد من عمره، وعلى الأرجح أنه هو الآخر لا يعرف عمره بالضبط. إنه يملك متجر حواسيب وكاميرات يُستخدَم كمقهى إنترنت وفيه صالة ألعاب للشبان المحليين ليلعبوا بياك - مان وفروغير عندما لا يكونون منهمكين في صناعة المتفجرات وزراعة القنابل على الطرقات».

قال تاكو: «أعرف ذلك المكان؛ بروننتو بروننتو فوتو فوتو. لقد رأيته عندما كنت في دورية».

رأيته، يا للهول! لقد ذهبنا إلى هناك كي نلعب دونكي كونغ ومادين فوتبول، وعندما دخلنا إلى هناك انفضّ من حولنا الشبان المحليون، وقالوا إنهم تذكروا موعداً مهماً، وانتعلوا أحذيتهم وغادروا، ولم نصدّق أنا وتاكو هذا.

«جاسم بعثي مخضرم، انضم الآن إلى الجماعات العراقية المسلحة، وأصبح قائداً، ونحن نريده بشدة، ولا يمكننا استخدام قنبلة موجهة بالليزر لأننا سنخاطر بحياة بعض الشبان الذين يلعبون بألعاب الفيديو، وهذا سيعرضنا لحملة إعلانية سلبية على قناة الجزيرة. لا يمكننا أن نحتمل هذا كما أننا لا يمكننا الانتظار لأن بوش سيعطي الضوء الأخضر لعملية تنظيف في غضون أيام، وإذا قتلنا هذا لأي أحد فسأقتلكما».

قال جيميسون: «لن تتسنّى لك الفرصة لأنني سأقتلها قبلك»، تجاهله فوس وتابع: «وعندما يختلط الحابل بالنابل، سيذهب جاسم مع أصدقائه حاملين السلاح إلى الشوارع الخلفية. علينا أن نصل إليه قبل أن يفعل ذلك، ونجعل من هذا الذي يشبه نعجة يهوذا عبرة».

سأل تاكو ما كانت نعجة يهوذا؛ كان بوسعي أن أخبره، ولكنني صممتُ وتركت الشرف لفوس. نظر إليّ، وسألني مجدداً إن كان بوسعي فعلها، فأجبتّه مؤكداً ذلك. سألت عن مكان الإطلاق وأخبرني؛ لقد ذهبنا إلى هناك من قبل لننقل المؤن من الحوامات؛ ثمّ سألت إن كان بوسعي أن أستبدل المنظار على بندقيتي بمنظار ليبولد الجديد أو كان عليّ أن أكتفي بما لديّ. نظر فوس إلى جيميسون الذي قال: «سنؤمن

لك ما تريد..

عدنا إلى مقرنا - وغادر جنود دوريتنا من دوننا - وسألني تاكو عن مدى ثقتي بقدرتي على إصابة هذا الهدف فقلت له: «إذا فشلت فسألقي باللوم على المنظار».

لكمني على كتفي وقال لي: «أيها اللعين. لماذا تتظاهر بأنك أبله على الدوام؟».

«لم أفهم قصدك».

«عدنا».

«إن هذه الطريقة أكثر أماناً. ما لا يعرفونه عنك لا يمكنه أن يؤذيك أو يعود لمطاردتك».

فكر في هذا قليلاً ثم قال: «حسناً، أنت بوسعك أن تصيب الهدف، ولكن لم يكن هذا قصدي. إن الهدف هو رجل حي. هل أنت واثق أنك قادر على فعل هذا؟ أن تفجّر دماغه وتودي بحياته؟».

قلت لتاكو إنني متأكد، ولم أخبره أنني لم أكن مبتدئاً في سلب حياة إنسان لأنه سبق لي أن فعلت ذلك، لقد أطلقت النار على بوب راينز في صدره. إن مدرسة القنص هي من علمتني أن أطلق على الرأس.

5

حفظ بيلي ما كتبه، ونهض ثم ترنح قليلاً، لأنه شعر بالخدر في قدميه. كم مضى عليه من وقت وهو جالس؟ نظر إلى ساعته، ودُهِش لأنه مضت عليه خمس ساعات وهو يكتب، ف شعر وكأنه رجل يخرج من أحلام اليقظة. وضع يديه على أسفل ظهره، وتمدّد قليلاً، وشعر بالتقلص في ساقيه. مشى من غرفة المعيشة إلى المطبخ ثم إلى غرفة النوم وعاد إلى غرفة المعيشة؛ كزّر هذا ثلاث مرات. لقد شعر أن حجم الشقة كان مناسباً عندما رآها للمرة الأولى، وكأنها كانت المكان المثالي للتخفي إلى أن تتزن الأحوال، ويصبح في وسعه أن يقود سيارته المرخصة شمالاً؛ أو غرباً على الأرجح. لقد بدت الآن صغيرة جداً، وكأنها ثياب قد ضاقت على صاحبها. أراد أن

يخرج ويمشي أو يهرول، ولكن هذه الفكرة لم تكن سديدة حتى لو خرج في زي دالتون سميث، لذا جاب الشقة عدة مرات، وعندما لم يكتفِ، نزل على أرض غرفة المعيشة ومارس تمارين الضغط.

فكّر في الرقيب الرهيب آب وهو يقول: انبطح وأعطني خمسة وعشرين تمرينَ ضغط، ولا تبالِ بقدمي على مؤخرتك أيها اللعين.

ابتسم بيلى لهذا؛ لقد استذكر الكثير من الأشياء. إذا كتب كل تلك الذكريات فستكون القصة ألف صفحة. إن تمارين الضغط تشعره بالهدوء. فكّر أن يُشغَل التلفاز كي يرى ما توصلوا إليه في التحقيقات أو أن يتحقّق من هاتفه المحمول كي يرى ما الجديد في الصحف، لكنه قرّر ألا يفعل الأمرين. لم يكن مستعداً بعد لأن يستوعب الحاضر، وفكّر في أن يُعدّ شيئاً ليأكله، ولكنه لم يكن جائعاً. كان يجب أن يكون جائعاً، ولكنه لم يكن كذلك. حضّر كوباً من القهوة، وشربه وهو يقف في المطبخ، وعاد بعدها إلى الحاسوب وتابع من حيث توقّف.

6

في صباح اليوم التالي، اصطحبنا الملازم جيميسون بنفسه إلى تقاطع الشارع العاشر والشارع الشمالي - الجنوبي الذي أطلق عليه الجنود اسم «الطريق السريع إلى الجحيم» مثل أغنية إي. سي. دي. سي. استقللنا سيارة الملازم الإيغيل التي كانت عزيزة عليه. كان على مؤخرة السيارة ملصق لحصان أسود محمّر العينين. لم يعجبني هذا لأنني تصورت العراقيين الراصدين وهم يلاحظونه ويأخذون صوراً له على الأرجح.

لم يكن هناك أثر لفوس؛ لقد عاد إلى المقر الذي يعود إليه أمثاله بالعادة بعد أن يضعوا خططهم قيد التنفيذ.

عند منعطف ترابيّ في أعلى الهضبة، رُكنت شاحنتان عراقيتان للطاقة والكهرباء أو مهما كتب على جانبيهما. كانت هاتان الشاحنتان

تبدوان مثل شاحنات الخدمة الأميركية، ولكنهما أصغر حجماً، ومطليتان باللون الأخضر بدلاً من الأصفر. كان الطلاء أكثر كثافةً على الجانبين، ومع ذلك لم يساهم في إخفاء ابتسامة وجه صدام حسين، وكأنها كانت شبحاً يأبى أن يختفي. كان هناك أيضاً رافعة من نوع جيني وكان على منصتها مقصورة.

كان هناك عمودا كهرباء على تقاطع الشوارع بالإضافة إلى محولات ضخمة لتمديد الكهرباء في الأحياء السكنية في الفلوجة والضواحي المجاورة. تحرك رجال يعتمرون الكوفيات بالإضافة لبعض الرجال الذين اعتمروا قبعات الصلاة. كانوا يرتدون جميعهم سترات العمل البرتقالية، ولكنهم لم يعتمروا الخوذات الواقية مع أنني اعتقدت أن إدارة السلامة والصحة المهنية لم تصل إلى محافظة الأنبار. لا بد أن منظر الرجال على الضفة الأخرى من النهر أوحى أنهم جوقة عمل حكومية، ولكنك إذا اقتربت أكثر من ستين ياردة فستبين أنهم كانوا رجالنا.

أتى إليّ ألبى ستارك من وحدتنا وهو يلعب بقبعته ويدندن الأغنية التي تفيد بأنه لا يمكنك الوقوف على وشاح سوبرمان، عندها رأى الملازم وحيّاه.

قال له جيميسون: «اذهب إلى مكان ما وابدُ منهمكاً. وبحق المسيح لا تغنّ مجدداً». نظر إليّ وإلى تاكو، ولكنه وجّه كلامه إلى تاكو لأنه قرر أنه كان الأذكى بيننا: «راجع المعلومات مجدداً يا لانس كوربورال بيل». «يخرج جاسم كل يوم بحدود الساعة العاشرة ليُدخن، ويتكلم مع مؤيديه المخلصين، ولعلمهم كانوا الرجال الذين شنوا الهجوم على موظفينا. سيكون هو الرجل الذي يرتدي اللثام الأزرق. عندما يطلق بيلي النار عليه ستنتهي القصة».

نظر إليّ جيميسون: «إذا نجحت في التصويب فسأرقيك، وإذا أخفقت أو أصبت بعض المرافقين، وهذا سيكون أصعب، فسألقي باللائمة عليك، وأدعك تعيش في الجحيم، هل تظنني أيها الجندي؟».

«أعتقد ذلك يا سيدي»، ولكنني كنت أفكر أن الرقيب أبينغتون كان سيصيغ ترهيبه بنبرة أقوى وأكثر إقناعاً، ولكنني لن أضلم محاولة

الملازم. لقد خسر بعد هذه الحادثة بأشهر معظم وجهه وبصره إثر انفجار قنبلة على الطريق.

أشار جيميسون إلى جو كليشيفسكي؛ كان عضواً آخر من فرقتنا التي كنا نسميها «اللامعون التسعة». كان معظم رجال الخدمة من فرقتنا تلك، وقد تطوعوا إلى هذا العمل. كان عليهم فعل ذلك لأن تاكو قال لهم أن يفعلوا هذا.

«هل تفهم ما سيحدث حالما يطلق سامرز الرصاصة أيها الرقيب؟». ابتسم كلو الضخم فظهر الشق بين أسنانه قائلاً: «علي أن أجعلهم ينبطحون أرضاً بالسرعة القصوى لننسحب نحن الأوغاد يا سيدي». على الرغم من أنني لاحظت أن جيميسون كان متوتراً — ولا بد أننا كنا كذلك جميعاً — ولكنه ابتسم لكلو.

استطاع كلو أن يرسم ابتسامة على شفتي أكثر شخص بروداً في العالم أحياناً، وقال: «أعتقد أن هذا يغطي الخطة». «ماذا لو لم يظهر يا سيدي؟».

«دائماً، هناك يوم غد، إلا في حال شنّ الهجوم غداً. أيها الجنود، ابدؤوا مهامكم، ولا تفعلوا تلك الحركات التي تتضمن أوورا من فضلكم». أشار بإبهامه إلى نهر الفرات والمدينة التي تشبه مصيدة الدببة على الضفة المقابلة وأضاف: «وكما يقولون إن الهواء ينشر الأصوات». حاول ألبى ستارك وكلو الضخم أن يصعدا إلى المقصورة. كان من المفترض أن تتسع لاثنين، ولكن ليس إذا كان أحدهما بحجم كليشيفسكي. كان ألبى على وشك أن يسقط من المقصورة، فضحك الجميع إلا جيميسون. كانا يشبهان أبوت وكوستيلو.

قال الملازم لكلو: «اخرج من هنا أيها الأخرق. يا إلهي!»، وأشار إلى دونك الذي ظهر حذاؤه البني من تحت بنطاله. كان هذا منظرًا فكاهياً أيضاً لأنه بدا كالطفل الذي يجوب الأرجاء بحذاء والده، ثم خاطبه قائلاً: «أنت، تعال إلى هنا أيها النكرة. ما اسمك؟».

«اسمي بيك بيتر كاشمان يا سيدي وأنا...».

«لا تحيئي أيها الأحمق، وخصوصاً في منطقة العمل، هل أسقطتك

أملك على رأسك عندما أنجبتك؟».

«لا، على حد علمي يا سيدي...».

«اصعد إلى المقصورة مع ذلك اللعين، وعندما تصلان إلى هناك...».

نظر حوله ثم صرخ قائلاً: «أين الغطاء اللعين بحق الرب؟».

كان الغطاء هو التوصيف الحرفي المناسب للحالة، ولكنه كان تشبيهاً خاطئاً في الوقت ذاته. رأيت كلو وهو يرسم الصليب على صدره. نظر أوبي الذي كان في المقصورة تحته وقال: «أعتقد أنني أقف على الغطاء يا سيدي».

مسح جيميسون جبهته وقال: «حسناً، تذكر أحدكم على الأقل أن يجلبه».

وكنت أنا ذلك الشخص.

«اصعد يا كاشمان واعملا معاً على نصبه بالسرعة القصوى، إن الوقت يداهمنا».

ارتفعت المنصة بالقوى الهيدروليكية وسمع هدير تلك القوى. توقفت على ارتفاع خمس وثلاثين أو أربعين قدماً بجانب أحد المحوّلات. أسرع أوبي ودونك وحاولا سحب الغطاء من تحت قدميهما، واستطاعا نصبه بعد العديد من الشتائم بما فيها الشتائم التي تعلموها من الأطفال العراقيين المشردين. كانت النتيجة هي نصب أسطوانة قماشية حول المقصورة والمحوّل. ثبتاها من الأعلى بواسطة العلاقات التي كانت على عمود الكهرباء وأسدل القماش على الجانبين كسحاب سرّوال جينز من نوع 501.

كان السطح الخارجي مغطى بالشناكل ذات اللون الأصفر. لم أهتم بالجملة التي ثبتتها تلك الشناكل ما دامت لم تكن: فريق القنص يعمل الآن.

نزلت المقصورة مجدداً، وتركا الغطاء الذي على شكل أسطوانة في الأعلى. لقد بدت مثل الكفن حقاً عندما أزيحت عن جانبيها سكة المقصورة. كانت يدا دونك تنزفان وكان هناك خدش على وجه أوبي، ولكن على الأقل لم يسقط أحد منهما عن المنصة لأنهما أوشكا على

ذلك عدة مرات.

أذى تاكو رقبته وهو ينظر إلى الأعلى قائلاً: «ما المفروض أن يكون هذا الشيء يا سيدي؟».

قال جيميسون: «إنه واق من الرمال»، ثم أضاف: «هذا ما أظنه». قال تاكو: «إنه يثير الشبهات قليلاً». كان ينظر الآن إلى الضفة المقابلة ليعاين المنازل، والمتاجر، والمخازن، والمساجد على الضفة الأخرى. أطلقنا على ذلك القسم الجنوبي غربي من البلدة اسم كوينز. خرجت العديد من جثث الجنود من هناك كما أن المئات منهم خرجوا بأجسام مبتورة الأعضاء.

قال الملازم المسنُّ ذو الوجه الحسن: «عندما أريد رأيك سأطلبه. احزما العدة، واصعدا إلى هناك حالاً، وليرتد كل واحد منكما السترة البرتقالية قبل أن تصعدا إلى المقصورة كي يلاحظها الجميع وأنتم تصعدان، وأنتم، جوبوا المكان، وادعوا أنكم تعملون. إن آخر شيء نريده هو أن يرى أحد ما تلك البندقية. أبق ظهرك للنهر يا سامرز إلى أن تصبح تحت...»، عندها، سكت لبرهة لأنه لم يود أن يقول تحت الغطاء الذي يشبه الكفن، ولم أود أن أسمعها، «تحت الغطاء».

قلت: «حاضر يا سيدي»، وصعدت وأنا أحمل بندقيتي أم - 40، وأدرت ظهري إلى المدينة ووضع تاكو حقيبة الرصد بين ساقيه. إن القناصة هم بمثابة آلات، ولكنهم كانوا يصنعون أفلاماً عنهم، ويكتبون روايات عنهم كستيفين هانتر، ولكن البارح الحقيقي كان راصد الهدف. لم أعلم ما رائحة الكفن الحقيقي، ولكن رائحة هذا الغطاء أسطواني الشكل كانت نتنة للغاية. فتحت ثلاثة أزرار كي أفسح مجالاً لفتحة البندقية، ولكن في المكان الخاطئ، إلا إذا كنت سأطلق النار على نعجة تجوب أنحاء الرمادي. استطاع كلانا أن يعاين المكان، ولكن بصعوبة وذلك بعد أن أطلقنا الكثير من الشتائم، وحاولنا ألا نوقع الغطاء، ونحن نحدد المكان المناسب. لقد لطم القماش وجهينا، وفاحت رائحة العفن. لقد أوشكت على أن أسقط عن المنصة هذه المرة. أمسك تاكو بسترتي البرتقالية بيد، وأمسك باليد الأخرى حزام بندقيتي. قال جيميسون:

«ماذا تفعلان هناك؟»، وكل ما كان يراه هو أقدامنا وهي تتحرك بشكل أخرق كأطفال يتعلمون رقصة الفالس.

أجابه تاكو: «واجبات منزلية يا سيدي».

«إذاً، أقترح أن تكفّ عن هذا وتجهزاً. لقد أوشكت الساعة على أن تصبح العاشرة».

تمتم تاكو مخاطباً إياي: «ليس خطأنا أن الرجلين قد وضعا القماش في الجهة الخاطئة».

عاينت الفتحة وبنديقتي - كان هناك الكثير منها ولكن هذه كانت لي - واستخدمت خرقة من الشاموا لأنظف كل شيء. إن الرمال كانت تتسلل إلى كل شيء في الهاوية. أعطيت بنديقتي لتاكو ليُجري التحقّق الاعتيادي. أعادها إليّ، ثم لعق إصبعه، وأخرجه من فتحة الإطلاق ثم قال: «إن سرعة الرياح شبه معدومة يا بيلي. أتمنى أن يظهر ذلك الوغد لأنه ليس هناك يوم أفضل».

لم يكن لدينا أداة كبيرة بالإضافة إلى بنديقتي سوى سلاح الأم - 151 الذي كان يطلق عليه «صديق الراصد».

توقف بيلي عن الكتابة واستيقظ من حلمه، ثم ذهب إلى المطبخ، وغسل وجهه بالماء. لقد وصل إلى منعطف على الطريق المستقيم الذي كان يمشي عليه. لعل الطريق الذي سيأخذه بعد هذا المنعطف لم يكن له قيمة ولعله كان كذلك.

إن كل القوة تكمن في سلاح الأم - 151. كان عليه عدسة تحسب المسافة من الفوهة إلى الهدف بدقة مريبة؛ هكذا كان يعتبرها بيلي على الأقل. كانت المسافة أساس تحديد الزاوية، ولم يحتج بيلي إلى كل هذا كي يطلق الرصاصة التي أودت بحياة جويل ألين، ولكن مسافة الإطلاق التي كان مسؤولاً عنها في ذلك اليوم من عام 2004 - وهو يترقب خروج عمّار جاسم من واجهة محله كي يطلقها - كانت أبعد بكثير.

هل عليه أن يشرح كل هذا أم لا؟

إذا فعل ذلك، فهذا يعني أنه يتوقع أو يأمل أن أحداً ما سيقراً قصته

ذات يوم، وإذا لم يشرح ذلك فهذا يعني أنه استغنى عن هذا التوقع، أو هذا الأمل، فماذا سيختار؟

تذكر وهو يقف بجانب المغسلة مقابلة سمعها عبر الراديو بعد أن خرج من الرمال بقليل؛ لا بد أنها كانت على أحد برامج الراديو الوطنية حيث كان الجميع يبدون أذكىاء. كانت المقابلة مع كاتب كلاسيكي لامع في تلك الأيام التي اشتهر فيها الكتاب البيض والرجال الذين كانوا مدمني مخدرات. لم يتذكر بيلى مطلقاً اسم ذلك الكاتب، ولكنه لم يكن غور فيدال - لم يكن حدقاً بما فيه الكفاية - ولم يكن ترومان كابوتي - لم يكن نزقاً بما فيه الكفاية - ولكن الشيء الذي استطاع بيلى تذكره بحذافيره هو إجابة الكاتب عندما سئل عن تقدمه: «أنا أضع شخصين في عقلي وأنا أكتب: أنا والغريب».

وهذا أعاد بيلى لفكرة الأم - 151. كان بوسعه أن يشرح آلية عمله وهدفه ولماذا كانت الزاوية أهم من المسافة على الرغم من تداخل آلية عملهما ببعضها. كان بوسعه أن يكتب كل تلك الأمور، ولكن كان سيضطر إلى هذا إذا كان يكتب لغريب ولنفسه. هل هو مضطر لهذا؟

قال بيلى في نفسه: كن منطقياً يا بيلى، إن الغريب الوحيد هنا هو أنت. لا بأس، يمكنه فعل ذلك لنفسه إذا اضطر. إنه لا يحتاج...

ماذا يطلق على هذا الأمر؟

تمتم لنفسه: «إلى أن يتحقق من فاعليته»، وعاد إلى حاسوبه وتابع مجدداً من حيث توقّف.

7

لم يكن لدينا أداة كبيرة بالإضافة إلى بندقيتي سوى سلاح الأم - 151 الذي كان يطلق عليه «صديق الراصد». نصب تاكو القاعدة الثلاثية، وحاولت أن أبتعد عن طريقه قدر الإمكان. اهتزت المنصة قليلاً، وقال

لي تاكو أن أهدأ، إلا إذا كنت أريد أن أطلق الرصاصة على لافتة المتجر لا على رأس جاسم. حاولت أن أقف بسكون قدر المستطاع، بينما كان تاكو ينجز مهمته، ويجري الحسابات، ويتمتم لنفسه.

لقد قدر الملائم المسافة على أنها ألف ومئتا ياردة؛ وضع تاكو نقطة علامة، وكانت عبارة عن طفل يلعب أمام بروننتو بروننتو فوتو فوتو وقال إنها ألف وثلاثمئة وأربعون ياردة. كان هدفاً بعيداً، ولكن نسبة النجاح عالية في يوم في أوائل شهر أيار لا تهب فيه الرياح مثل هذا. لقد صوّبت على مسافة أبعد من ذلك، وسمعنا جميعنا بقناصة عالميين أصابوا هدفاً يقع على بعد ضعفي هذه المسافة. بالتأكيد لم أستطع أن أعتد على جاسم ليكون ثابتاً كالرأس على الهدف الورقي، وهذا ما أقلقني، ولكن فكرة كونه هدفاً بشرياً لديه قلب نابض وعقل صاح لم تقلقني. كان عبارة عن نعجة يهودا حيث استدرج أربعة رجال إلى كمين، وكان ذنبهم الوحيد هو أنهم كانوا يوصلون الطعام. كان رجلاً سيئاً، وكان يجب وضع حد له.

خرج جاسم من متجره عند الساعة التاسعة والربع، وكان يرتدي سترة زرقاء طويلة تشبه زياً إفريقيّاً وبنطالاً أبيض فضفاضاً. إنه يعتمر اليوم قبعة حمراء مطرزة وليس الكوفية الزرقاء؛ كانت هذه نقطة علامة ممتازة. بدأت في معاينة الهدف، ولكن جاسم أبعد الكرة التي كان يلعب بها الطفل، وضربه على مؤخرته، وعاد إلى متجره.

قال تاكو: «أليس هذا مؤسفاً؟».

انتظرنا، وراقبنا فتياناً يدخلون إلى بروننتو بروننتو فوتو فوتو ويخرجون منه. كانوا يضحكون ويتضاربون وينكزون بعضهم كالفتيان في جميع أصقاع العالم من كابول إلى كنساس سيتي. لا بد أن بعضهم كانوا متورطين في عملية إطلاق النار بالكلاشينكوف منذ يومين. لا بد أن بعضهم سيطلقون النار علينا في غضون الشهور السبعة القادمة ونحن نلاحقهم من حي إلى حي، وعلى حد علمي، كان بعضهم يسيطرون على ما نطلق عليه اسم «بيت الرعب» حيث يمكن لأي شيء أن يسوء وقد ساء فعلاً.

أصبحت الساعة العاشرة ثم العاشرة والرابع، قال تاكو: «لعله أخذ استراحة التدخين في الخلف هذه المرة».

فُتِحَ بابُ متجر بروننتو بروننتو فوتو فوتو عند الساعة العاشرة والنصف، وخرج جاسم برفقة اثنين من رجاله. رصدتهم وراقبتهم وهم يتكلمون ويضحكون. رَبَّتْ جاسم بيده على ظهر أحد الرجلين، ثُمَّ ابتعدا وهما يضعان ذراعيهما على كتفي بعضهما. أخرج جاسم علبة سجائر من جيبه. كنت وراء العدسة، وتمكنت من رؤية شعار مالبورو والأسدين المعهودين. كان كُلُّ شيء واضحاً: حاجباه الكثيفان وشفثاه الحمراءوان وكأنه كان يضع حمرة شفاه ولحيته السوداء التي كانت تتخللها بعض خصل الشيب.

كان تاكو يرصد بواسطة الأم - 151 حين قال: «إن هذا اللعين تجسيدٌ لعبارة أنا سمين».

«أخرس يا تاك».

لقد راقبت القبعة الحمراء، وانتظرت جاسم لِيُشعلَ سيجارته. أردت أن أسمح له بنفس واحد قبل أن أطفئ نور حياته. وضع السيجارة في فمه، وأعاد علبة السجائر إلى جيبه الخلفي، وأخرج ولاعةً، لم تكن من نوع بيك الرخيص التي تُرْمَى عندما ينفد مخزونها من الغاز، بل كانت من نوع زييو؛ لعله اشتراها من المتجر أو من السوق الحرة. أزال الغطاء عنها وظهرت الشعلة التي تشبه الشمس. رأيت هذا ورأيت كل شيء.

كان الرقيب ديفغو فاسكيز في مخيم بينديلتون يقول إن الجندي يعيش لهدف مثالي، وكان هذا هدفاً مثالياً، كما قال: «إن هذا يشبه الجنس يا صغاري العذارى. لن تنسوا هدفكم الأول».

تنفّست بعمق لخمس ثوان، ثم حبست نفسي، وضغطت على الزناد. لقد ارتدّت البندقية وأصابت أسفل كتفي، وطارت قبعة جاسم المطرزة. اعتقدت أولاً أنني أخطأت الهدف بإثس واحد فقط، ولكن كان الإنش بمثابة ميل بالنسبة إلى القناصة. وقف هناك وكانت السيجارة بين شفثيه، ثم سقطت الولاعة من يده والسيجارة من فمه على الرصيف المغبر. كان الشخص الذي يتلقى الرصاصة يطير إلى الخلف في الأفلام،

وهذا نادراً ما يحصل في الحياة الواقعية. في الواقع، لقد تقدم جاسم خطوتين إلى الأمام، وبحلول هذا الوقت، لاحظت أن القبعة قد طارت، ومعها قسمٌ من رأسه.

سقط على ركبتيه، ثم على وجهه، وبعد ذلك هرع الناس إليه.

قال تاكو: «يا للذة الانتقام!»، وربّت على كتفي.

أدّرت وجهي وصرخت: «أنزلونا».

بدأت المنصة في النزول، لكنني شعرت أنها نزلت ببطء لأن إطلاق النار بدأ من الجهة المقابلة؛ كان يشبه صوت المفترقات النارية. انبطحت وتاكو وتركنا واقية الرمال خلفنا، ليس لأن الانبطاح جعلنا آمنين، بل لأنه كان غريزة فينا. ركّزت لأسمع الرصاصات المتطايرة واستعددت لأن أصاب، ولكنني لم أسمع أي شيء أو أشعر بأي شيء.

صرخ جيميسون: «اخرجوا من هنا. اخرجوا. اقضوا. حان الوقت لنخلي المكان»، ولكنه كان يضحك ويشعر بالنصر، بل كانوا جميعاً كذلك. لقد ضربوني على كتفي بشدة لدرجة أنني وقعت وأنا في طريقي إلى سيارة الميتسوبيشي المتسخة التي أقلنا فيها الملازم.

ركض ألبى ودونك وكلو إلى شاحنات الكهرباء، وكانت هذه حيلة لن نستطيع استخدامها مجدداً. استطعنا أن نسمع صراخاً قادماً من الطرف المقابل للنهر والمزيد من إطلاق النار.

صرخ كلو الضخم قائلاً: «خذوا هذا أيها الأوغاد. لقد قتلنا زعيمكم أيها الملاعين».

ركنت سيارة الملازم وراء شاحنات الكهرباء العراقية على المنعطف، ففتحت الصندوق لأضع بندقيتي وعدة تاكو.

قال جيميسون: «هيا أسرع، إننا نحجب الطريق عن هؤلاء الرجال».

فكرت في نفسي: أنت الذي ركنت السيارة هنا، ولكنني لم أقل له

هذا، ورميت بأغراضنا في الصندوق.

رأيت شيئاً يتخفى بين الرمال عندما أغلقت غطاء الصندوق. كان

هناك حذاء طفل صغير ولا بد أنه كان لفتاة صغيرة حيث كان لونه وردياً. انحنيت لأخذه وفي الوقت نفسه، أصابت طلقة طائشة زجاج

السيارة المضاد للرصاص. لو لم أُنحِ لكانت ستصيني الرصاص في رقبتي أو أسفل رأسي.

كان جيميسون يصرخ: «ادخل، ادخل». أصابت رصاص طائشة أخرى الدرع الجانبي لسيارة الإيغيل؛ لعلها لم تكن رصاص طائشة، فلا بد أن المسلحين قد تقدموا نحونا.

أمسكت بالحذاء، وركبت سيارة الميتسوبيشي، وانطلق جيميسون من هنا مخلّفاً وراءه غمامة من الغبار اضطرت الشاحنات اختراقها بصعوبة. لم يكن الملازم يفكر في هذا حيث ركز على النجاة بنفسه.

قال تاكو: «لقد انهالوا بالرصاص على تلك الرافعة»، كان يضحك وهو يقول هذا حيث لا يزال منتشياً بسبب الإصابة الموفقة، «ماذا لديك هنا؟».

أريته الحذاء، وقلت له إنني أعتقد أنه أنقذ حياتي. قال تاكو: «حافظ على هذا الحذاء يا صاحبي وأبقه معك دائماً». فعلت هذا إلى أن حلّ ذلك اليوم في «بيت الرعب» في شهر تشرين الثاني. بحثت عنه حين بدأنا تنظيف الأرجاء في القطاع الصناعي ولكنه اختفى.

8

أغلق بيلي حاسوبه، ووقف بجانب النافذة المعهودة في غواصته غير البحرية، وراقب المرج الصغير والشارع ثم الباحة المفتوحة حيث كان القطار موجوداً.

لم يعرف كم مضى من الوقت وهو يتأمل المحيط؛ لعله بقي طويلاً. شعر أن عقله كان ينبض، وكأنه قد أجرى أصعب وأطول امتحان في العالم. كم كلمة كتب اليوم؟ يمكنه أن يتحقق من عدّاد الكلمات على ملفه - الذي أسماه قصة بيلي لا قصة بينغي - ولكنه لم يكن مصاباً بالوسواس القهري. لقد كتب الكثير ولا يزال أمامه الكثير. كان هناك الاعتداء في شهر نيسان الذي حصل بعد أقل من أسبوع من قتله لجاسم، وتبعه انسحاب

السياسيين عندما فقدوا الأمل، وبعدها كان سيكتب عن الكابوس الذي كان عبارة عن عملية الفجر. لقد كانت ستة وأربعين يوماً من الجحيم. لن يصفها كذلك - إذا وصل إلى هناك - لأنه كان تعبيراً مبتدلاً، ولكنه صحيح.

كانت الذروة بهذه الحالة ستمحور حول أحداث «بيت الرعب» التي بدت أنها تلخص كل ما قبلها. كان من الممكن أن يختصر بعض الأحداث إلا أحداث «بيت الرعب» لأنه كان بيت القصيد في الفلوجة. ولم هذا؟ لأنه لم يكن هناك فائدة. كان ذلك البيت مجرد بيت آخر كان عليهم أن ينظفوه، ولكنهم دفعوا الثمن غالياً.

مشى بعض الأشخاص في شارع بيرسون، ومرت بعض السيارات ومن بينها سيارة شرطة. لم يكثر ببلي للأمر لأنها كانت تتحرك بأريحية ومن غير وجهة طارئة. لا يزال مصعوقاً من فكرة أن هذا القسم من المدينة الذي كان قريباً من مركزها كان مهجوراً بهذا الشكل. إن ساعة الذروة في شارع بيرسون كانت عبارة عن ساعة الخلوة. اعتقد أن معظم العاملين في مركز المدينة كانوا يتجهون إلى الضواحي عندما ينتهي عملهم؛ أي إلى أماكن أجمل كبيتون في وشيروود هايتس وبلاتو وميدوود وحتى كودي حيث ربح لطفلة دمية صغيرة. إن الحي الذي كان يعيش فيه الآن لم يكن له اسم محدد حتى.

كان عليه أن يتابع الأحداث، لذا شغل ببلي التلفاز، واختار القناة الثامنة التابعة للأن. بي. سي. لأنه أراد أن يتعد عن القناة السادسة التي لا تزال تعرض مقطع إطلاق النار على جويل ألين. ظهر شريط خبر عاجل على القناة الثامنة وموسيقى آلات كمان وطبول. شك ببلي أن هناك خبراً مهماً بينما كان القاتل المأجور متخفياً. أمضى القاتل يومه وهو يكتب قصة تكاد تصبح كتاباً، وقد تبين أنه كان هناك مستجدات، ولكن ببلي كان قد توقعها، ولم تكن مبرراً لتلك الموسيقى الشنيعة. قالت المذيعة إن كينيث هوف كان متورطاً في مؤامرة الاغتيال المتشعبة، أما المذيعة الأخرى فقالت إن انتحار

كينيث هوف كان جريمة قتل على الأرجح، وقال بيلي في نفسه ساخرًا: لقد فاجأني تحليلك يا هولمز.

انتقلت المذيعتان إلى المراسلة التي كانت تقف في الشارع المقابل لمنزل هوف وكان المنزل باهظ الثمن ولكنه أقل بدرجات من قصر نيك الفخم المستأجر من ناحية المساحة والقيمة. كانت المراسلة شقراء ويافعة، وبدأت أنها قد تخرجت من كلية الإعلام قبل أسبوع فقط. شرحت أن كينيث هوف كان متورطاً بالتأكيد في عملية تأمين بندقية ريمينغتون 700 التي استُخدمت في قتل جويل ألين، وكان هذا بالإضافة إلى صلاته مع القاتل المشتبه به الذي تم التأكد منه وتعريفه على أنه جندي القوات البحرية الأميركية العريق في العراق وويليام سامرز والذي فاز بعدة ميداليات.

قال بيلي في نفسه: النجمة البرونزية والفضية والقلب البنفسجي، الذي يشير إلى أنه أصيب مرتين في الحرب. لقد تفهم عدم رغبتهم في ذكر هذه التفاصيل.

كان هو الشرير في القصة، فلماذا عليهم أن يذكروا تاريخه البطولي؟ إن رَبطَ الأمور ببعضها كان يحدث في الروايات وليس في الأخبار.

كان هناك صورتان بجانب بعضهما: كانت الصورة الأولى هي الصورة التي التقطها إيرف دين له في قسم برج جيرارد الأمني في اليوم الأول له بصفته كاتباً مقيماً في المبنى، أما الصورة الثانية فكانت في بداية انضمامه للجيش حيث بدا فيها رصيناً وأحرق في الوقت ذاته وذلك بسبب قصة شعره. لقد التَّقَطَ له في اليوم المخصَّص لالتقاط الصور في الجيش. بدا أصغر من المراسلة في تلك الصورة، ولعله كان كذلك حقاً. لعلهم جلبوها من أرشيف البحرية الأميركية لأن بيلي لم يكن لديه عائلة ليعطيها نسخة في يوم الالتقاء بالعائلات.

كانت المراسلة تقول إن الشرطة المحلية تعتقد أن سامرز قد هرب من المدينة، وبما أنه هرب من الولاية فالقضية أصبحت من صلاحية الأف. بي.

آي. أنهت المراسلة تقريرها وانتقلت الشاشة إلى المذيعتين حيث ظهر على الشاشة صورة لجورجيو بيغليلي، وقد تم ربطه بعدة جرائم في لاس فيغاس ورينو ولوس أنجلوس وسان دييغو، ولكن لم يُقبض عليه بعد. ظهر إعلان على الشاشة وكان: إذا رأيتم رجلاً إيطالياً في العقد الخامس من عمره كان قد اختفى كالمطائرة الماليزية 370؛ لعله كان يتعل حذاء من جلد التمساح ويشرب مخفوق الحليب؛ فتواصلوا مع شرطتك المحلية.

قال بيلي في نفسه: إذاً، لقد مات كين هوف، وعلى الأرجح جورجيو، وحصل نيك بهذا على حجة غياب قوية، وكنت أنا القطعة الأخيرة في اللغز أو آخر قطعة شوكولاته في الصندوق. اختاروا التعبير الذي تريدونه.

بعد إعلان عن حبة سحرية تسبب العشرات من الأعراض الجانبية على الأرجح وكان بعضها مميتاً، عرضوا المزيد من المقابلات مع جيرانه في شارع إيفرغرين. نهض بيلي كي يوقف عمل التلفاز، ولكنه جلس مجدداً. لقد جرح هؤلاء الأشخاص وخدعهم، ولعله استحق أن يشاهد هذه المقابلات، ويتحمل الأذى والذهول اللذين عبروا عنهما. لم تُبدِ جين كيلوغ أي تعبير عن تفاجئها وهي كانت الثملة في الحي.

قالت: «لقد عرفت أن هناك خطباً ما به في المرة الأولى التي رأيت فيها. كانت عيناه ترتعشان».

قال بيلي في نفسه: هذا هراء.

عبرت ديان فازيو التي كانت أم داني عن ذعرها عندما اكتشفت أنها سمحت لطفلها أن يلعب مع شخص يقتل بدم بارد، وعبر بول راغلاند عن مدى تلقائيته وعفويته قائلاً: «لقد اعتقدت أن ديف كان حقيقياً. لقد بدا شخصاً لطيفاً للغاية وهذا يثبت لنا أنه لا يجب أن نثق بأحد».

قالت كورين أكرمان الشيء الذي تجاهله الجميع: «كان هذا فظيماً بالطبع، ولكن الشخص الذي أطلق ديف النار عليه لم يكن يُحاكم لأنه سرق متجراً، أليس كذلك؟ سمعت أنه كان قاتلاً بدم بارد بدوره. وإن سألتني،

فسأقول لك إن ديف وفر على البلاد تكاليف المحاكمة».

قال بيلي في نفسه: البركة فيك يا كورين، ولاحظ أن عينيه قد اغرورقتا بالدمع، وكأنه أنهى مشاهدة فيلم تتحقّق العدالة في نهايته. لطالما كانت العدالة تتخلّلها جرعة من الرغبة في تحقيقها بيدك... ولم يمانع بيلي هذا في حالة جويل ألين.

قبل الانتقال إلى حركة المرور - التي لا تزال بطيئة بسبب حواجز الشرطة، آسف أيها الناس - والطقس - الذي كان يزداد برودة - كان هناك عنصر أخير في قصة الاغتيال تلك. إن السبب الذي أُبعد لأجله الشريف فيكيري عن التحقيق لم يكن هروبه حين أطلق النار على السجين - حيث نسي قبعته السخيفة - أو ليس بسبب ذلك وحسب، بل كان السبب هو أنه جلب السجين من الباب الأمامي بدلاً من باب الموظفين البعيد. كان هناك شكٌّ من البداية في تورطه في تلك المؤامرة. لقد أقنعهم حينها واعترف أنه كان يودّ أن ينخرط في التغطية الإعلامية. قال بيلي في نفسه: كان يمكنني أن أصيب الهدف في جميع الأحوال وحتى في المطر الشديد إلا إذا حصل الطوفان الذي ذُكر في الكتب السماوية.

أوقف عمل التلفاز، ودخل المطبخ ليتفقد ما بقي من طعام مثلج، وكان يفكر في ما سيكتبه غداً.

الفصل الثالث عشر

1

مرت ثلاثة أيام على حلم الفلوجة.

كتب بيلى عن التسعة اللامعين، وأمضى صباح أحد الأيام يكتب عن الطريقة التي اهتمّ فيها جوني كابس بشكل أو بآخر بمجموعة من الأطفال العراقيين الذين جاؤوا سعيّاً وراء الحلوى والسجائر وبقوا ليلعبوا البيسبول، فعلمهم جوني اللعبة. طفل واحد، زامير، ربما كان في التاسعة أو العاشرة، اعتاد أن يهتف: «لقد كان آمناً يا ابن الوضيعة»، ويبدو أنها العبارة الإنكليزية الوحيدة التي كان يعرفها. بخلاف «ضربة موفقة»، سيندفع شخص ما لتنفيذ رمية قصيرة، وكان زامير جالساً على مقاعد البدلاء مرتدياً سرواله الأحمر وقميص سنوب دوغ ويعتمر قبعة بلو جاز، فصرخ، «لقد كان آمناً، يا ابن الوضيعة». كتب بيلى أيضاً عن كيفية قيام كلاي بريغز - المجدد المختص بتقديم الإسعافات الأولية الذي أطلقوا عليه اسم «مدرج حبة الدواء» - بالاحتفاظ بمحادثات حية وإباحية مع خمس فتيات من مدينة سيوكس. قال تاك: «أنا لا أفهم كيف حصل مثل هذا الرجل القبيح على الكثير من الفتيات»، وقال دونك: «إنها كانت متعة خيالية»، وقال ألبي ستارك: «لقد كان آمناً يا ابن الوضيعة»؛ العبارة التي لا علاقة لها بقضية محادثات بيل المثيرة والإباحية، ولكنها كانت تتخللها في كل مرة.

كان بيلى يقوم بالتمارين الرياضية على فترات خلال استخدامه الحاسوب المحمول، مثل: تمارين الضغط، ورفع الساق، والقرفصاء. في اليومين الأولين، مارس الهرولة في مكانه، وتمارين ضمّ وفتح اليدين، وجعل ركبتيه تلامسان راحتي يديه وهو يقفز، أوه... وفي اليوم الثالث تذكر

فجأة أنه بمفرده في المبنى، وبدلاً من أن يهرول في مكانه قزراً صعود الدرج ونزوله إلى الطابق الثالث حتى تنفد أنفاسه ويتسارع نبضه مئة وخمسين في المئة.

لن يفقد صوابه قبل مضي أسبوع عليه وهو في الأسر، لكنه لم يكن معتاداً على الجلوس لفترات طويلة من أجل الكتابة، لقد كانت هذه التمارين البسيطة هي ما تحول بينه وبين فقدان صوابه.

كان التمرين يساعده على التفكير، وقد خطرت فكرة على باله وهو يصعد الدرج وينزله؛ كيف لم تخطر له من قبل؟ استخدم بيلى مفتاح آل جنسن ليدخل إلى شقتهم، ويلقي نظرة على دافني ووالتر - كلتاهما على ما يرام - ثم ذهب إلى غرفة النوم. دون من الرجال الذين يحبون كرة القدم وسباقات الناسكار، ويحب الدجاج والأضلع المشوية، كما يحب شرب بعض البيرة ليلة الجمعة مع الأصدقاء، ومن شبه المؤكد أن رجلاً مثله يقتني سلاحاً أو سلاحين.

وجد بيلى سلاحاً في درج المنضدة التي بجانب سرير دون؛ إنه مسدس من نوع روجر جي. بي. 6، مذكّر بالكامل، وبجانبه صندوق من طلقات سنتر فاير 38. لم يجد بيلى سبباً لأخذ المسدس إلى الطابق السفلي، لأنه إذا داهم رجال الشرطة المكان، فمن المؤكد أنه لن يطلق النار عليهم. لكنك لا تعرف أبداً متى قد يكون السلاح مفيداً، ومن الجيد أن تعرف من أين تحصل على واحد إذا دعت الحاجة إلى ذلك. قد تحتاج إلى السلاح عندما لا تتوقع ذلك، فالحياة تحمل كثيراً من المفاجآت.

روى نبتي بييف، ثم عاد مهرولاً إلى الطابق السفلي حيث كان بإمكانه سماع صوت الرياح في الخارج وهي تهب عبر أرض محطة القطار السابقة في الجهة المقابلة من الشارع. لقد أفادت مذيعة الأحوال الجوية أن درجات الحرارة سوف تنخفض، وستهطل الأمطار. هل تصدقون أن ذلك قد يترافق مع تساقط حبات البرد؟ لا أعتقد أن الطبيعة تستطيع قراءة التقويم.

لا فرق لدى بيلى إن أمطرت أو أثلجت أو إن تزينت السماء بالموز، فهو سيكون في هذه الشقة في الطابق السفلي بغض النظر عن حال الطقس. لقد استحوذت القصة التي يكتبها على حياته، لأنها في الوقت الحالي هي الحياة الوحيدة التي يمتلكها، وهذا أمر جيد.

أرسل رسالتين قصيرتين إلى بوكي هانسون. الليلة الماضية أرسل رسالة نصية سأله فيها: «هل أنت بخير؟»، والتي ردّ عليها بوكي: «نعم»، ثم أرسل رسالة نصية أخرى سأله فيها: «هل تم دفع المال؟»، فردّ بوكي: «لا»؛ كما توقع بيلى. لا يمكنه الاتصال بجورجيو حتى مع الهاتف المؤقت الخاص به، لأن رجال الشرطة ربما يتنصتون عليه. ماذا سيحصل إذا خاطر؟ يكاد يكون متأكداً أن مجيباً ألياً بصوت أنثى سيخبره أن هذا الرقم لم يعد في الخدمة؛ لأن جورجيو لم يعد في الخدمة أساساً، وقد كان بيلى واثقاً من ذلك.

في العالم البديل لقصته، وصل بيلى إلى عملية الفجر في تشرين الثاني من العام 2004، ويعتقد أن هذا الجزء قد يستغرق عشرة أيام، وربما أسبوعين. عندما ينتهي الأمر، وعندما يضع خاتمة لقصة «بيت الرعب»، سوف يحزم قذارته ويغادر المدينة، وبحلول ذلك الوقت، ستكون الحواجز قد أزيلت وربما تكون قد اختفت بالفعل.

جلس أمام حاسوبه المحمول، ينظر إلى المكان الذي توقف عنده. قبل يومين من بدء الهجوم، أمر جيميسون جوني وبابلو بإخراج الأولاد من قاعدة اليبسبول، وفهموا جميعاً ما يعنيه ذلك: هذه المرة الأخيرة التي يأتون فيها إلى هنا، وهذه المرة سيقون في المنزل حتى انتهاء المهمة. بيلى يتذكر زامير وهو ينظر وراءه إلى البوابة ويصرخ قائلاً: «كان آمناً يا ابن الوضيعة»، ثم ذهبوا إلى الأبد. بعد كل هذه السنوات ربما أصبحوا رجالاً ناضجين؛ إذا كانوا لا يزالون على قيد الحياة.

بدأ بالكتابة عن اليوم الذي أرسل فيه الأولاد إلى المنزل، لكن الأفكار

لم تكن موجودة، فبئر الأفكار جافة في الوقت الحالي. حفظ ما كتبه، وأغلق الحاسوب، ثم انتقل إلى الحواسيب المحمولة الرخيصة الأخرى وشغّلها على التوالي، كل شيء على ما يرام في عالمه الصغير. لديه خطة: سينهي الجزء العراقي من قصته، وسيكون «بيت الرعب» بمثابة الرعشة الطبيعية. عندما يتم ذلك، سيحزم أمتعته، ويخرج من مدينة الحظ السيئ هذه، وسيقود سيارته غرباً، وليس شمالاً، وفي مرحلة ما، في المستقبل غير البعيد، سيزور نيك ماغاريان.

2

ظل بيلى يشاهد التلفاز حتى الساعة الثانية عشرة إلا ربعاً قبل منتصف الليل؛ كان يشاهد بعض أفلام التشويق بملابسه الداخلية، وعلى الرغم من أن الحبكة بسيطة - شيء عن رجل يسعى للانتقام من الرجال الذين قتلوا كلبه - إلا أن بيلى فقد اهتمامه، وقزّر التوقف عن العمل اليوم. أغلق الحاسوب، وتوجّه إلى غرفة النوم، عندها سمع صوت إطارات وفرامل في الخارج، واستعد لسماع صوت الاصطدام، ذلك الانفجار الأجوف الذي يضرب الباب الكبير بينما تذهب السيارة وجهاً لوجه صوب عمود كهرباء، لكن بدلاً من ذلك سمع موسيقى خافتة وضحكات صاخبة؛ ضحكات شخص ثمل.

توجه إلى نافذته، وأزاح الستارة. كان مصباح الشارع يلقي ما يكفي من الضوء ليرى عربة ذات جوانب صدئة. كانت اثنتان من عجلاتها تسيران بمحاذاة رصيف محطة القطار السابقة في الجهة المقابلة. إنها تمطر الآن، وبغزارة لدرجة أن المصابيح الأمامية للعربة بدت وكأن ضوءها يخترق ستارة من الشاش. فُتح الباب الذي بجانب المقعد المجاور للسائق، فأثير المصباح الداخلي، لكن بيلى لم يستطع أن يرى من خلال المطر سوى الأشكال. ثلاثة أشخاص على الأقل يتحركون؛ لا، إنهم أربعة.

انهار الرابع، ونكس رأسه إلى الأسفل. حمله اثنان منهم من تحت إبطيه، وتدلت ذراعه من المرفقين، وكأنهما جناحان مكسوران، وسمع المزيد من الضحك والكلام. سحب رجلان الرجل المنهار من العربة، بينما وقف الثالث خلفهم، وقد بدا وكأنه يشرف عليهما. كان الرجل المنهار ذا شعر طويل، ربما هو امرأة وليس رجلاً، سحبها الرجلان إلى مكان خلف العربة، وألقيا بها أرضاً، فبدت في وضعية الجنين مطوية على نفسها، نصفها العلوي على الرصيف ونصفها السفلي عند مصرف المياه. دخل الرجلان إلى السيارة، وأغلقا الباب. للحظة بقيت العربة مكانها وقد أوقف محركها عن العمل، وضوء مصباحها الأماميين يخترق المطر الغزير، ثم انطلقت بعدما أصدرت إطاراتها صوت انزلاق، وأصدر عادمها صوت فرقعة. هناك ملصق كبير على الجهة الخلفية من العربة، لكن يبلي لم يستطع قراءة ما كُتب عليه. كان المصباح فوق لوحة الترخيص يومض.

من المؤكد أنها فتاة، وهي تتعل حذاءً رياضياً، وترتدي تنورة قصيرة بما يكفي لإظهار كامل الساق المنحنية تقريباً، وسترة جلدية. الساق المكشوفة نصف مغمورة بالمياه التي تتدفق إلى المصرف، وقد بدت بيضاء جداً. هل هي ميتة؟ هل كان هؤلاء الرجال ليضحكوا إن كانت كذلك؟ بعد بعض الأمور التي رآها في الصحراء - والتي لا يمكن أن تُنسى - يعرف يبلي أن ذلك ممكن. عليه أن يصل إليها، ليس لأنها قد تموت إذا لم يفعل، فهذا الجزء من المدينة هادئ حتى عند الظهر في أيام الأسبوع، ولكن في النهاية سيأتي شخص ما ويكتشفها. قد لا يتوقفون - السامريون الصالحون دائماً بيدهم حيلة - لكنهم بالتأكيد سيتصلون بالطوارئ. حمداً لله أن الوقت متأخر وحمداً لله أنه لم يذهب إلى الفراش قبل خمس دقائق.

فربما طرق بابه رجال الشرطة وهم يجرون مسحاً للمنازل على هذا الجانب من شارع بيرسون لمعرفة ما إذا كان أي شخص قد رأى الفتاة ملقاة، وإن طرقت بابه عند الساعة الواحدة أو الثانية بعد منتصف الليل، فلن يكون

لديه أي فرصة حتى لوضع شعر دالتون سميث المستعار، ناهيك عن بطن الحامل. مهلاً، قد يقول أحد رجال الشرطة: «تبدو مألوفاً يا صديقي، أعتقد أنه عليك أن ترافقنا».

لم يكلف بيلى نفسه عناء ارتداء بنطاله وانتعال حذائه، بل ركض وهو لا يرتدي سوى سرواله الداخلي. عبّر الممر والدرجات السفلية الأمامية تاركاً الباب مفتوحاً. جرح أصبعه، وكان الجرح مؤلماً، ولكنه أكثر إدراكاً لمدى برودة الطقس. لم يكن بارداً بما فيه الكفاية حتى يتحوّل المطر إلى بَرَدٍ، على الأقل ليس بعد، ولكن سيصبح كذلك عما قريب. اقسعرت ذراعه، وآلمه الجزء المجروح من أصبع قدمه الكبير. إذا كانت الفتاة لا تزال على قيد الحياة، فقد لا تبقى على هذا النحو لفترة طويلة.

جثا بيلى على إحدى ركبتيه وحملها، ولأنّ مستوى الأدرينالين لديه مرتفع جداً فلم يدرك إن كانت ثقيلة أو خفيفة. نظر حوله في الوقت الذي جلد فيه المطر وجهه وصدره العاري، لقد تبلل سرواله وكاد ينزلق عن وركيه. حمداً لله، لم يره أحد وهو عائد إلى شقته في الجهة المقابلة من الشارع. عندما كان يحملها في الممر، حرّكت رأسها، وأصدرت أمعاؤها صوتاً وتقيأت، فسال خيط رفيع من القيء على جذعه وإحدى ساقيه؛ إنه دافئ بشكل صادم.

حسناً، إنه يعتقد أنها على قيد الحياة وعلى ما يرام.

شعر بالألم مجدداً، لكنه لم يعد في الشارع. لا يمكنه ترك الباب الخارجي مفتوحاً، لذلك وضعها أرضاً، وأغلق الباب. عندما عاد إليها، رأى أن عينيها شبه مفتوحتين، ورأى كدمة كبيرة على خدها وأخرى بجانب أنفها. لا يمكن أن تكون بسبب ارتطامها بالرصيف لأنها لم تقع على وجهها، وإلى جانب ذلك، فإن الكدمتين كبيرتان جداً.

سألته الفتاة: «من أنت؟ أين...؟»، ثم تقيأت مجدداً، لكن هذه المرة عاد القيء إلى حلقها، وبدأت تختنق.

انحنى بيلى خلفها، ووضع ذراعاً حول وسط جذعها، واستخدم ثديها كدعامة لذراعه وسحبها أمامه. بعد أن تبلّل سرواله الداخلي بالمطر بدأ ينزلق، وضع إصبعين في فمها، وهو يأمل ألا تعضه؛ فأن يصاب بإنتان هو آخر شيء يريده؛ إنها تكاد أن تتقيأ أحشاءها، فأحكم إمساكها من الجزء الأوسط من جذعها، وبدت له وكأنها بطلة في قذف القيء الذي بلغ الجدار. مرت سيارة أخرى في الشارع؛ إن مرت قبل ثلاث دقائق كانت ستدهسه؛ لقد رأى ضوء مصباحيها الأماميين وهو يُنير قطرات المطر المتناثرة على زجاج الباب الأمامي. جثا على إحدى ركبتيه، وهو لا يزال يحمل الفتاة. أصبح سرواله الآن عند ركبتيه، ورأسها ينحني إلى الأمام، والأصوات التي يسمعها الآن هي شخير، وليست اختناقاً. لقد فقدت الوعي مرةً أخرى.

وقف بيلى مجدداً، ووضع ذراعاً تحت ركبتيها، والأخرى حول كتفيها، ودفع رأسها إلى الوراء. هز ساقيه، وأسقط سرواله الداخلي إلى كاحليه، فخلعه وركله جانباً. إنها ليلة أشبه بمسرحية هزلية.

كان شعرها الداكن يقطر ماء، وتأرجح جيئةً وذهاباً وهو ينزل على الدرج، وحاول ألا يفقد توازنه ويسقط. بدا وجهها شاحباً، وهناك كدمة أخرى على جبهتها فوق عينها اليسرى.

يا الله، إنه يشعر بالألم في قدميه، ناهيك عن إصبع قدمه؛ تلك الشظايا الملعونة! وصل إلى أسفل الدرج من دون أن يسقط، وفتح باب شقته بمؤخرته. بدأت تفلت من قبضته، وبدا جسدها يتقوس، ورفع إحدى ساقيه من أسفل ظهرها، ودفعها إلى الخلف، ودخل مترنحاً، وعاودت الانزلاق مجدداً.

متجاهلاً الشظايا التي تحفر في قدميه المحمرتين، ركض بيلى صوب الأريكة، وبلغها في الوقت المناسب، وألقى بالفتاة عليها، فأصدرت صوتاً عندما ارتطمت بالأريكة، وعاودت الشخير.

انحنى بيلى واضعاً يديه على ركبتيه ليريح ظهره، ورائحة القيء التي

تفوح منها كانت قوية لدرجة أنه ظن أنها تفوح منه، كذلك شمّ رائحة كحول، ولكنها كانت خفيفة.

حسناً، استنتج أنها أفرغت كلّ ما في معدتها، ولكن إذا كانت قد شربت بالفعل، كان يستطيع أن يشمّ رائحة الكحول في أنفاسها، كما كان يُفترض به أن يشمّ رائحة الكحول في الممر.

رفع ساقه، وشمّ رائحة القيء السائل في الغالب على جلده، ولكن رائحة الكحول كانت خفيفة.

تأملها من الأعلى إلى الأسفل؛ إنها ترتدي تنورة قصيرة من الجينز، مهترئة الحاشية، وقصر التنورة كان يتيح له رؤية سروالها الداخلي، لكنها لم تكن ترتدي سروالاً، لكنه رأى شيئاً آخر، لقد كانت الجهة الخارجية من فخذها بيضاء، ولكن الجهة الداخلية كانت مرقطة بالدم الجاف.

3

تقيأت الفتاة مجدداً، ولكن بشكل خفيف، ولم يخرج شيء باستثناء قطرات من اللعاب التي سألت من جانب فمها، ثم شرعت ترتجف؛ بالطبع سترتجف، فهي مبتلّة من رأسها إلى أخمص قدميها. نزع بيلي حذاءها الرياضي، فخرج معه الجورب القصير، ثم ساعدها على الجلوس متمتماً: «هيا، ساعديني قليلاً»، مع أنه يعلم أنها لن تستطيع مساعدته. حركت جفنيها، وحاولت أن تتكلم. ظنّ أنها ستتحدث، وتطرح كل الأسئلة التي سيطرحها شخص في مثل هذا الموقف، ولكن الكلمتين الوحيدتين اللتين فهمهما هما «من أنت؟»، أما سائر الكلمات فلم تعد عن كونها أنيئاً.

قال بيلي: «أنت بخير، سيكون كل شيء على ما يرام، لا تموتي هنا». في الوقت الذي كان يتعامل فيه مع هذا الوضع السيئ، أدرك أنها إن ماتت فستسهل عليه الأمر، صحيح أنها فكرة سيئة، ولكن هذا لا يجعل منها فكرة غير صحيحة.

نظر إلى السترة الرقيقة والرخيصة المصنوعة من بديل الجلد، ورأى أنها ترتدي أسفلها بلوزة كتب عليها عبارة «بلاك كيز». حاول أن ينزعها، ولكنها علقت عند ذقنها، وفهم من بين أئينها كلمتين: «لا تخفني».

بدأت تنزلق عن الأريكة، وتمكّن من نزع البلوزة في الوقت المناسب، ثم أمسك بها للحيلولة دون سقوطها على الأرض. كانت ترتدي صدرية قطنية غطت أحد ثدييها، أما ثديها الآخر فكان مكشوفاً لأن الحزام الأيسر كان مقطوعاً، فدفعت الصدرية إلى الأسفل وقلبها، وتمكّن من فكّها.

بمجرد أن جرّد نصفها العلوي من الملابس، مددها على ظهرها، ونزع التنورة المبللة ورمى بها أرضاً إلى جانب سائر ملابسها.

إنها عارية الآن بالكامل، باستثناء قرط في أحد أذنيها، أما الآخر فوحده الله يعلم أين هو، لقد كانت ترتجف من البرد والصدمة في آن. سبق له أن رأى مثل هذا الارتجاج عندما كان في الفلوجة، ويتذكر أن الارتجاج تحوّل إلى تشنجات. بالطبع إنها لا تعاني من جروح في ساقها بسبب الرصاص، كما كانت حال جوني كابس، ولكن هناك دم على فخذيها، وها هو يرى كدمة إضافية على ثديها الصغير، إذ يبدو أن أحدهم أمسك بثديها وضغط عليه بشدة، وهناك كدمتان على شكل إصبعين على الجانب الأيسر من رقبته، فتذكر عندما قالت لا تخفني.

عندما تذكر أنها قد تتقيأ مجدداً، قلبها إلى جانبها ثم دفعها أولاً إلى الجزء الخلفي من الأريكة متأملاً ألا تسقط. إنها تشخر مرة أخرى، الصوت أجش لكنه منتظم، وأسنانها تصطك. إنها فتاة أميركية بحالة مزرية.

أسرع إلى الحمام، وجلب إحدى مناشفه، ثم جثا أمام الأريكة، وفرك ظهرها ومؤخرتها وفخذيها وساقها. إنه يفعل ذلك بروية مرتاحاً لرؤية لون خافت يبرز قليلاً في بشرتها الشاحبة. أمسك بإحدى كتفيها - رأى كدمة، لكنها أصغر - وقلبها على ظهرها، وبدأ مجدداً: القدمان، والساقان، والمعدة، والثديان والكتفان، وعندما لمس وجهها رفعت يديها في محاولة

دفاعية ضعيفة، ثم أسقطتهما من شدة الوهن. بذل قصارى جهده لتجفيف شعرها، لكنه لم يستطع لأنه كان مبتلاً جداً، لقد أغرقها المياه من رأسها حتى أخمص قدميها.

اعتقد بيلي أنه قُضي عليه، فبغض النظر عن كيفية سير الأمر، لقد قُضي عليه. رمى المنشفة وأمسك بالفتاة، وخطط لوضعها على جانبها حتى لا تختنق إذا تقيأت مجدداً. لكن بعد قليل من التفكير، أمسك ساقها اليمنى وأخفضها حتى أصبح كعنها على الأرض ونظر إلى فرجها؛ الشفران متوذمان وأحمران ومتشققان في عدة أماكن، ولا يزال أحد التشققات ينزف دماً. اللحم بين فرجها ومستقيمها - يعرف الكلمة في هذا الجزء ولكن لا يمكنه التفكير في الأمر في هذه اللحظة الحرجة - ممزق وأسوأ من الشفرين، والله يعلم مقدار الضرر في الداخل، رأى العديد من البقع الجافة من السائل المنوي أيضاً، معظمها أسفل بطنها وعند شعر العانة.

لقد ولجها الرجل، كما يعتقد بيلي، ثم تذكر أنه كان هناك ثلاثة أشخاص في العربة، وانطلاقاً من صوت ضحكهم، فجميعهم ذكور؛ واحد منهم فعل ذلك على أي حال.

هذا التفكير جعله على دراية بوضعه الخاص. بالنظر إلى ما حدث للفتاة على أريكته، لا يخلو الأمر من السخرية: فهي باردة مع ساقها مفتوحتين وكلاهما عاريان كما ولدتهما أمهما. ماذا سيفكر جيرانه في شارع إيفرغرين إذا رأوا هذه الحالة؟ حتى كورين أكرمان، وعلى الرغم من طيبة قلبها، فلن تستمر في الدفاع عنه. يمكنه رؤية العنوان الرئيسي في جريدة ريد بلاف: القتال أمام المحكمة، اغتصب أيضاً مراهقة؛ لقد قُضي عليه حتماً.

أراد أن ينقلها إلى سريره، لكن لديه شيئاً آخر ليحضره أولاً. الآن، وبعد أن استقرت الأمور، أدرك أن قدميه تؤلمانه.

هناك الكثير من الأشياء التي لم يشتريها عندما جهّز هذا المكان، وهذا يشمل الملاقط الصغيرة، ولكن هناك بعض الضمادات وبعض بقايا

بيروكسيد الهيدروجين في الحمام تعود للمستأجر السابق، ومن المحتمل أن يكون المطهر قد تجاوز تاريخ الصلاحية، لكن الشحادين لا يمكنهم الاختيار.

مشى بيلى على أخصيه بأفضل ما يستطيع، وجلب سكين تقشير من المطبخ، ثم أحضر بعض الأشياء من الحمام. جلس على الأرض بجانب الفتاة التي تشخر وترتعش واستخدم السكين لرفع الشظايا بدرجة كافية حتى يتمكن من إخراجها. لقد كانت خمسة، بما في ذلك اثنتان كبيرتان، ثم غمر الجروح النازفة بالبيروكسيد. إن شعر بالألم فستكون الأمور بخير، هذا ما ظنه، غطى أكبر جرحين بضمادتين ربما لن تلتصقا لفترة طويلة، وخبّن أن الضمادات قديمة، ربما تركها المستأجر الذي قبله وربما الذي قبله.

وقف وهز كتفيه ليخفف من تشنجهما، ثم حمل الفتاة. من دون دق الأدرينالين، خبّن أن وزنها حوالى مئة وخمسين باونداً، أو ربما مئة وعشرين. وزن لا يعني شيئاً أمام ثلاثة رجال. هل اغتصبوها جميعاً؟ برأى بيلى إن كانوا معاً عندما اغتصبها أحدهم، فقد اغتصبوها جميعاً، سيسألها عندما تستيقظ، إنه يشك أنها ستتذكر، وكل ما ستريد معرفته لماذا لم يتصل بالشرطة أو يأخذها إلى أقرب مستشفى لإسعافها.

انحنى جسدها مجدداً، فما كان منه إلا أن ألقى بها على السرير بدلاً من أن يضعها عليه بلطف، عندها فتحت عينيها ثم أعادت إغماضهما، واستأنفت الشخير. إنه لا يريد أن يشغل باله بها بعد الآن، كما أنه لا يريد أن تتمدّد عارية على سريره؛ ستكون خائفة بما فيه الكفاية عندما تستيقظ. جلب قميصاً وجلس إلى جانبها، ورفعها من ذراعها اليسرى، ومزّر القميص عبر رأسها وعندما تجاوز وجهها وكتفيها عاودت الشخير مجدداً.

«ساعديني الآن»، رفع إحدى ذراعيها وبعد إخفاقين تمكن من دفعها عبر الكمين القصيرين، «حسناً، ساعديني قليلاً».

لا بدّ أنها سمعته، لأنها رفعت ذراعها الأخرى، وأدخلتها عبر الكمّ

وهي ترتجف. مدّدها مجدداً على السرير، وتنفس الصعداء، ومسح بذراع العرق عن جبهته. لقد أصبح القميص الآن عند ثدييها، سحبها إلى الأعلى، وأنزل القميص، وعاودت الارتعاش والأنين. وضع بيلى ذراعه تحت ظهرها، ورفعها، وسحب حاشية القميص نزولاً لتغطي أعلى رديها. قال بيلى: «يا إلهي، وكأنك تلبس رضيعاً».

تمنى ألا تتبول على السرير - لقد غسل الملاءات للتو، وأقرب مصبغة على بعد ثلاثة مجتمعات - لكنه يعلم أن هناك احتمالاً كبيراً لذلك. على الأقل توقف معظم النزيف. افترض أنه يمكن أن يكون الأمر أسوأ، إذ كان بإمكانهم تمزيقها، وحتى قتلها، وربما هذا ما قصدوا فعله نظراً للطريقة التي تخلصوا فيها منها، لكن بيلى شكّ في ذلك. يظن أنهم كانوا ثملين، أو تعاطوا شيئاً، مثل الكريستال. الأغبياء على الأرجح اعتقدوا أنها ستصحو وتعود إلى المنزل أكثر حزناً ولكن أكثر حكمة.

وقف ومسح جبينه مجدداً، وحاول أن يغطيها، لكنها أمسكت بالبطانية فوراً وسحبها حتى غطت ذقنها، واستلقت على جانبها؛ هذا جيد لأنها قد تعاود التقيؤ. ولكن، هل لديها شيء لتتقيأه بالنظر إلى كل ما تقيأته في الممر؟ لكن لا توجد طريقة لمعرفة ذلك. حتى مع البطانية، ظلت ترتجف. فكر بيلى في نفسه: ماذا يفترض بي أن أفعل معك؟ اللعنة، ما المفترض أن أفعله بك؟ أخبريني. إنه سؤال لا يستطيع الإجابة عنه، وكل ما يعرفه هو أنه في فوضى عارمة.

4

جلب سروالاً جديداً من الخزانة، ولم يبقَ لديه سوى واحد. خرج إلى غرفة المعيشة، واستلقى على الأريكة، وشكّ في أنه سينام، لكن إذا فعل ذلك فسيكون نومه خفيفاً، وسيسمعها إذا نهضت وحاولت مغادرة الشقة. وعندها، ماذا سيفعل؟ سيوقفها بالطبع، فقط لأنها تمطر ولأن هناك عاصفة

لعينة على وشك القدوم. عندما تستيقظ في الصباح، ثملةً ومرتبكةً وفي شقة شخص غريب من دون ملابس، سترى ملابسها مكوّمةً على الأرض ومتسخة.

نهض بيلى عن الأريكة وأخذ الملابس إلى الحمام. في الطريق، توقف للنظر إلى ضيفته غير المدعوة؛ لقد توقفت عن الشخير، لكنها ما زالت ترتجف، وهناك خصلة شعر على أحد خديها، فانحنى وأبعدها. قالت: «من فضلك، لا أريد ذلك».

تسمر بيلى في مكانه، ثم مضى في طريقه إلى الحمام. هناك خطّاف على الباب، علق السترة الرخيصة، وألقى قميصها وتنورتها في حوض استحمام من النوع الموجود في الموتيلات الرخيصة، ثم علقهما على قضيب ستارة الاستحمام ليجفا.

احتوت السترة على ثلاثة جيوب بسحاب، واحد صغير فوق الثدي الأيسر واثنان أكبر مائلان على الجانبين. لا يوجد شيء في جيب الثدي، ولكن هناك محفظة رجالية في أحد الجيبين الجانبيين وهاتف في الآخر. أزال بطاقة الاتصال من الهاتف وأعادها إلى الجيب، ثم فتح المحفظة، فوجد فيها رخصة قيادتها. اسمها أليس ماكسويل وهي من كينغستون، جزيرة هود. إنها في العشرين من عمرها... لا، تحقّق من ذلك، ووجد أنها بلغت الواحدة والعشرين للتو.

في العادة، تكون الصور في المستندات الرسمية مروّعة، وتشعرك بالخرج حتى أمام الشرطي الذي يوقفك بسبب السرعة، لكن صورة هذه الفتاة جيدة جداً، وربما هذا ما يعتقد بيلى لأنه رآها تبدو أسوأ بكثير من أي صورة.

عيناها واسعتان وزرقاوان، وهناك ابتسامة صغيرة مرتسمة على شفيتها. الرخصة الأولى، كما يعتقد، لم يتمّ تجديدها حتى الآن لأنها لا تزال تحتوي على قيود القيادة الخاصة بالمراهقين.

هناك بطاقة ائتمان واحدة موقعة من أليس ريغان ماكسويل بوضوح شديد، وبطاقة من كلية كلاريندون لإدارة الأعمال هنا في المدينة، وبطاقة هدايا «أي. أم. سي.»، وبطاقة تأمين دوتت فيها فصيلة دمها (O)، وبعض الصور لأليس ماكسويل الأصغر سناً مع أصدقائها في المدرسة الثانوية، وكلبها، وامرأة ربما تكون والدتها. هناك أيضاً صورة لصبيٍّ مراهق مبتسم لا يرتدي قميصاً، ربما حبيبها من أيام المدرسة الثانوية.

وجد في المحفظة ورقتين نقديتين من فئة العشرة دولارات وورقتين من فئة الدولار الواحد وقصاصة صحيفة. إنها نعوة لهنري ماكسويل الذي يخدم في كنيسة المسيح المعمدانية في كينغستون، بدلاً من الزهور أرسلوا مساهمات إلى جمعية السرطان الأميركية. تُظهر الصورة رجلاً في منتصف إلى أواخر منتصف العمر، وقد بدت وجنتاه بارزتين وشعره خفيفاً. يبدو كأبي شخص تمر به في الشارع من دون أن تلاحظه، لكن يبلي يمكنه رؤية التشابه العائلي حتى في هذه الصورة غير الواضحة، لقد أحبته أليس ريغان ماكسويل بما يكفي لحمل محفظته، مع ورقة نعيه بداخلها؛ على يبلي أن يحبها لذلك. إذا كانت ترتاد الكلية هنا، ودفن والدها هناك، فمن شبه المؤكد أن والدتها في كينغستون، لذا لن تفتقدها، على الأقل ليس على الفور. أعاد يبلي المحفظة إلى سترتها، لكنه أخذ الهاتف، ووضعها في الدرج العلوي من خزانة الدروج، تحت مجموعته الخاصة من القمصان، وتساءل عما إذا كان يجب عليه تنظيف قيئها في البهو قبل أن يجف، وقرّر ألا يفعل ذلك. إذا استيقظت معتقدةً أنه السبب في التهاب أعضائها التناسلية، فسيرغب في الحصول على بعض الدلائل التي تؤكد أنه أحضرها من الخارج. بالطبع هذا لن يقنعها بأنه لم يساعد نفسه في وقت لاحق، بمجرد أن كان متأكداً بشكل معقول من أنها لن تتقيأ عليه أو تستيقظ وتقاتله بينما كان يعاشرها. لا تزال ترتجف. يجب أن تكون هذه صدمة، أليس كذلك؟ أو ربما ردة فعل على كل ما وضعه هؤلاء الرجال في مشروبها. لقد سمع يبلي

عن الحبوب المخدرة من نوع روفيز، ولكن ليس لديه أي فكرة عن آثارها الجانبية. هم بالخروج، لكن الفتاة - أليس - أنت؛ إنها تبدو كثيفة، وبائسة. حسناً، ففكر بيلى أن ينام إلى جانبها في السرير، ربما لم يكن هناك فكرة أسوأ منها على الإطلاق، بحيث توليه ظهرها، ويضع ذراعاً حولها ويجذبها إليه. حضنٌ دافئ، يا صغيرتي. أنت بحالٍ جيدة. تدفأى بحق الجحيم، وتوقفي عن الارتجاف. ستشعرين بتحسّنٍ في الصباح. سنقوم باكتشاف ذلك صباحاً.

فكر مجدداً: لقد قضى علي. ربما تكون الراحة هي ما تحتاجه، أو الحرارة الزائدة من جسده، وربما يتوقف كل هذا الارتعاش من تلقاء ذاته، بيلى لا يعرف ولا يهتم. شعر بالسعادة عندما أصبح الارتعاش متقطعاً، ثم توقف أخيراً، وكذلك الشخير. الآن يمكنه سماع المطر الذي يرتطم بالمبنى. إنه هيكل قديم، وعندما تهب الرياح، تصير مفاصله؛ الصوت مريح بشكل غريب. قال في نفسه: سأنهض في غضون دقيقة أو دقيقتين، بمجرد أن أكون متأكداً من أنها لن تستيقظ وتبدأ في الصراخ بأنني قاتلٌ لعين. في دقيقة أو دقيقتين فقط.

بدلاً من ذلك، نام وحلم أن هناك دخاناً في المطبخ، وشم رائحة البسكويت المحترق. يجب أن يحذر كاثي، ويخبرها أنه يجب إخراج البسكويت من الفرن قبل أن يعود خليل والدتهما إلى المنزل، لكنه لا يستطيع التحدث. هذا هو الماضي وهو مجرد متفرج.

5

بعد مرور بعض الوقت، استيقظ بيلى في الظلام مقتنعاً بأنه أفرط في نومه، وفوت موعده مع جويل ألين، وأفسد المهمة التي أمضى شهوراً في انتظارها، ثم سمع الفتاة تتنفس بجانبه؛ إنه تنفس، وليس شخيراً؛ وتذكر أين هو. مؤخرتها ملاصقة لمقدمته، ولاحظ أنه مثار، وهو أمر غير لائق في ظل

هذه الظروف. في الواقع، الحقيقة البشعة، هي أنه في كثير من الأحيان لا يهتمّ الجسم بالظروف؛ إنه يريد فقط ما يريد.

نهض من السرير في الظلام، وتحسّس طريقه إلى الحمام، وغطى يده الجزء الأمامي من سرواله القصير، ولا يريد أن يرتطم... بخزانة الدروج وتكتمل هذه الحفلة. في تلك الأثناء، لم تكن الفتاة تتحرّك، وقد أشار بنفسها البطيء إلى أنها نائمة بعمق، وهذا أمر جيد.

بمجرد أن وصل إلى الحمام وأغلق الباب، لم يعد يشعر بالإثارة، وأصبح بإمكانه أن يتبول. المرحاض صاخب ولديه ميل إلى الاستمرار في التسريب ما لم تحرك المقبض عدة مرات، لذلك اكتفى بخفض الغطاء، وإطفاء نور المصباح، وتحسّس طريقه عبر العودة مرة أخرى. أغلق باب غرفة النوم، وشقّ طريقه عبر غرفة المعيشة بثقة أكبر قليلاً لأن الستارة عبر نافذة المنظار لا تزال مدفوعة إلى الورااء وضوء الشارع القريب يلقي شعاعاً كافياً للرؤية.

نظر إلى الخارج حيث لم يكن هناك أحد في الشارع، والمطر يهطل، ولكن الرياح هدأت قليلاً. أسدل الستارة ونظر إلى ساعة يده، إنها الرابعة والربع فجراً، ارتدى السروال القصير، واستلقى على الأريكة، وحاول التفكير بما يجب أن يفعله معها عندما تستيقظ، لكن جُلّ ما شغل تفكيره شيء سخيف ولكنه واقعي، هو أن ظهورها المفاجئ في حياته ربما وضع حداً لكتاباتة، وذلك بعدما أصبح يكتب بسهولة ويسر.

عليه أن يتتسم، فالأمر يشبه القلق حيال ما إذا كان هناك ما يكفي من ورق المرحاض عندما تسمع صفارة إنذار الإعصار في المدينة. الجسم يريد ما يريد، وكذلك العقل، هذا ما يعتقدده، ثمّ أغمض عينيه. أراد أن يأخذ سِنَّةً من النوم، ولكنه نام بعمق مجدداً، وعندما استيقظ رأى الفتاة تقف أمامه مرتديّةً القميص الذي ألبسها إياه عندما وضعها في السرير، وتمسك سكيناً بيدها.

الفصل الرابع عشر

1

«أين أنا؟ من أنت؟ هل اغتصبتي؟ لقد فعلت، أليس كذلك؟»
كانت عيناها حمراوين، وشعرها منفوشاً. يمكن وضع صورتها بجوار
مفردة الثمل في القاموس، كما أنها بدت خائفة حتى الموت، وما كان يبلي
ليلومها على ذلك.

«لقد تعرّضت للاغتصاب، لكن لست أنا من اغتصبك».
كانت تحمل السكين الصغير الذي استخدمه لانتزاع الشظايا من
قدميه، وتركه على طاولة القهوة، فمدّ يده وأخذه منها؛ فعل ذلك بلطف
ولم تقاومه بدورها.

سألته أليس: «من أنت؟ ما اسمك؟».

«دالتون سميث».

«أين ملابسي؟».

«معلقة في الحمام. لقد جردتك من ملابسك و...».

«جردتني من ملابسي؟»، ثم نظرت إلى القميص.

«وجففتك. كنت مبللة وترتجفين. كيف حال رأسك؟».

«أشعر أنني شربت طوال الليل، لكن لم أشرب سوى علبة بيرة
واحدة... أين نحن؟».

همّ يبلي بالوقوف، فتراجعت مبتعدة واضعةً يديها في وضعية دفاعية.

سألها: «هل تريدين كوباً من القهوة؟».

فكرت في الأمر لبرهة، وأخففت يديها، ثم قالت: «أجل، هل لديك أسبرين؟».

2

أعدّ القهوة، وابتلعت حبتين من الأسبرين وهي تنتظره، ثم ذهبت ببطء إلى الحمام. سمع قفل الباب، لكن هذا لا يعنيه. يمكن لطفل يبلغ من العمر خمس سنوات أن يكسر هذا القفل، ومن المحتمل أن يقوم طفل يبلغ من العمر عشر سنوات بكسر الباب من المفصلات.

عادت إلى المطبخ وقالت: «أنت لم ترحض المرحاض. أوووف.»
«لم أرد أن أوقظك.»

«أين هاتفني؟ كان في جيب سترتي.»

«لا أعرف، هل تريدين بعض الخبز المحمص؟».

عبست قائلةً: «لا. وجدت محفظتي، ولكنني لم أجد هاتفني. هل أخذته؟».

«لا.»

«هل تكذب؟».

«لا.»

«أتظني سأصدقك؟»، قالت ذلك بازدراء ثم جلست وشدت القميص على الرغم من أنه طويل ويغطي كل ما يجب تغطيته.

سألته بنبرة اتهامية: «أين ملابسك الداخلية؟».

«صدريتك تحت طاولة القهوة، أحد حزاميها مقطوع. ربما أستطيع

عقده من أجلك. وبالنسبة للسروال الداخلي، لم تكوني مرتدية إياه.»

«أنت تكذب. هل تعتقد أنني عاهرة؟».

«لا.»

برأيه إنها فتاة صغيرة وهي المرة الأولى التي تبتعد فيها عن المنزل،

فذهبت إلى مكان خاطئ حيث كان هناك أشخاص سيتئون. لقد خدّرها هؤلاء الأشخاص بشيء ما واستغلّوها.
«حسناً، أنا لست كذلك»، وشرعت تبكي، ثم تابعت قائلةً: «أنا عذراء. كنت كذلك على الأقل قبل هذه فوضى. أسوأ فوضى مررت بها على الإطلاق».

قال بيلى بصدق مطلق: «أوافقك الرأي».

«لماذا لم تتصل بالشرطة؟ أو تأخذني إلى المستشفى؟».

«كنت في حالٍ يرثى لها، وعلى وشك الموت. أعني بذلك...».

«أنا أعرف ما يعنيه ذلك».

«اعتقدت أنني سأنتظر حتى تستيقظي، وأدعك تقررین ما تريدين القيام به، ربما سيساعدك كوب من القهوة على معرفة ذلك. لا يمكن أن يضرّ. بالمناسبة، ما اسمك؟»، من الأفضل أن تخبره هي بذلك، حتى لا يخطئ ويقوله بنفسه.

3

سكب القهوة، وكان مستعداً للابتعاد إذا حاولت رميها على وجهه ثم الركض نحو الباب. إنه لا يعتقد أنها ستفعل ذلك، فهي تستقرّ شيئاً فشيئاً، لكن احتمال أن يسوء الوضع لا يزال قائماً. حسناً مهلاً، إنه سيء بالفعل، لكنه قد يزداد سوءاً. لم ترشق القهوة عليه، بل ارتشفت بعضاً منها، وابتسمت، ثم ضغطت شفيتها بإحكام معاً واستطاع رؤية العضلات في حلقها تتحرك حتى بعد أن ابتلعت القهوة.

«إذا كنت ستقيني مجدداً، فافعلي ذلك في المرحاض».

«لن... ماذا تقصد مرة أخرى؟ كيف وصلت إلى هنا؟ هل أنت متأكد

من أنك لم تغتصبي؟».

هذا ليس مضحكاً، ولكن بيلى لم يستطع التوقف عن الابتسام، ثم

أجابها: «إذا فعلت ذلك، كنت سأعرف».

«كيف وصلت إلى هنا؟ ماذا حدث؟».

ارتشف من قهوته ثم قال: «سيكون هذا هو منتصف القصة. لنبدأ من البداية. أخبريني بما حدث لك».

«لا أتذكر. الليلة الماضية كالثقب الأسود. كل ما أعرفه هو أنني استيقظت هنا ثملة، وأشعر وكأن شخصاً ما... أنت تعلم». ارتشفت من قهوتها، وكان الأمر أسهل هذه المرة.
«ماذا حدث قبل ذلك؟».

نظرت إليه بعينين زرقاوين نجلاوين، وحزكت فمها، ثم أخفضت رأسها قائلة: «هل كان تريب؟ هل وضع شيئاً في البيرة الخاصة بي؟ أم في مشروب الجن والتونيك؟ أم في كليهما؟ هل هذا ما تحاول قوله لي؟».

كبح بيلى نفسه كي لا يمدّ يديه عبر الطاولة ويحتض يدها، لقد أحرز القليل من التقدم، ولكن إذا لمسها، فمن شبه المؤكد أنه سيفسد الأمر. إنها ليست مستعدة للمسها من قِبَل رجل، خاصة من قِبَل شخص لا يرتدي أي شيء سوى شورت التمرين الممزق.

«لا أعرف. لم أكن هناك. أنت كنت. أخبريني بما حدث يا أليس حتى اللحظة التي لا تتذكرين عندها شيئاً».

بدأت بالحديث، وخلال ذلك، أمكنه أن يرى السؤال في عينيها: إذا لم تغتصبي، فلماذا استيقظت في سريرك بدلاً من سرير المستشفى؟

4

إنها ليست قصة طويلة، حتى مع إضافة بعض المعلومات. اعتقد بيلى أنه يستطيع أن يرويها بنفسه بمجرد أن تبدأ، لأنها قصة قديمة. في منتصف الحديث سكتت، وجمحت عيناها، وتسارعت أنفاسها، وقبضت يدها على حلقها بينما صدر صوت كالنعيق كلما شهقت الهواء وزفرته.

«نوبة ربو؟».

لم يجد جهاز استنشاق، لكن ربما كان في حقيبتها، وإذا كانت تحمل واحدة فقد اختفت الآن. هزت رأسها قائلة: «نوبة...»، توجه بيلى إلى الحمام، وبّلّ منشفة بمجرد أن أصبحت مياه الصنبور دافئة، ثمّ عصرها قليلاً وأعطاهما لأليس قائلاً: «ارفعي رأسك وضعيها على وجهك».

اعتقد أنه من المستحيل على عينيها أن تجحظا أكثر، ولكن بطريقة ما جحظتا بينما كانت تقول: «سوف...»، شهيق، «أختنق».

«لا، ستساعدك المنشفة المبلّلة على التنفس».

وجّه رأسها إلى الوراء بنفسه - بلطف - ولفّت المنشفة على عينيها وأنفها وفمها، ثم انتظر. بعد حوالي الخمس عشرة ثانية، بدأ تنفسها بالتباطؤ. أزاحت المنشفة عن وجهها قائلة: «لقد أفادتني».

قال بيلى: «إن البخار هو ما جعلها تفيدك».

قد يكون ذلك صحيحاً، ولكن ربما ليس كلياً، إذ إن استنشاق البخار يفيد. لقد رأى كلاي بريغز - المختص بعلاجات الطوارئ - يستخدم هذه الطريقة عدة مرات على الوافدين - مثل بيغفوت لوبيز - بعد أن عادوا من العملية المسماة عملية الفجر. في بعض الأحيان كانت هناك خدعة أخرى استخدمها إذا لم تنجح المنشفة المبلّلة.

استمع بيلى بعناية عندما شرح له كلاي كلتا هاتين الحيلتين لتهدئة الشخص المهتاج. دائماً ما كان مستمعاً جيداً، إنه يخزن المعلومات مثل السنجاب الذي يخزّن المكسرات.

«هل يمكنك إنهاء كوب القهوة؟».

سألته بخجل: «هل يمكنني تناول بعض الخبز المحمص؟ وهل هناك عصير؟».

«لا يوجد عصير، ولكن لدي بعض الزنجبيل. هل تريد ذلك؟».

«نعم، من فضلك».

عملت نادلة في مسقط رأسها لمدة عام بعدما أنهت دراستها الثانوية موفراً المال لكلية إدارة الأعمال. كان بإمكانها الذهاب إلى كينغستون، وكان هناك كليتان كان من المفترض أنهما جيدتان، لكنها أرادت أن ترى المزيد من العالم، والابتعاد عن أمها. ربما بدأ يفهم لماذا لا تطالبه بالاتصال بالشرطة على الفور. لكن إذا أرادت رؤية المزيد من العالم فلماذا أتت إلى هذه المدينة التي لا توصف؟... ليس لديه أي فكرة حيال ذلك.

إنها تعمل بدوام جزئي كنادلة في مقهى في إيمري بلازا، على بعد ثلاثة مجمعات من وكر بيلي للكتابة في برج جيرارد، وكان هذا هو المكان الذي التقت فيه تريب دونوفان. أجرى عدة محادثات معها على مدى أسبوع أو أسبوعين، وبدا مسلياً وساحراً. لذلك بالطبع عندما دعاها للخروج لتناول الطعام بعد العمل في يوم من الأيام، قبلت. تلا ذلك موعد غرامي إلى السينما، ثم سألها عما إذا كانت ترغب في الذهاب للرقص في مكان يعرفه على جانب الطريق 13. أخبرته أنها لم تكن راقصة جيدة، وبالطبع أخبرها أنه بدوره لا يجيد الرقص، وقال لها إنه لا يفترض بهما أن يرقصا، يمكنهما فقط شراء البيرة والاسترخاء أثناء استماعهما إلى الموسيقى. أخبرها أن فرقة فوغات تعزف هناك، وسألها إن كانت تحب هذه الفرقة، فأجابته أنه لم يسبق لها أن سمعت بها، لكنها قامت بتنزيل بعض موسيقاها في تلك الليلة بالذات. كانت موسيقى جيدة، كثيفة بعض الشيء، ولكن في الغالب كانت من نمط الروك أند رول.

اعتقد بيلي أن تريب دونوفان لديه ميل لنوع معين من الفتيات. إنهن فتيات خجولات يصنعن صداقات ببطء لأنهن لسن جيدات جداً في اتخاذ الخطوة الأولى. إنهن فتيات جميلات بشكل معتدل بسبب رؤيتهن للجماليات على شاشة التلفاز، وفي الأفلام، وعلى صفحات الإنترنت، وفي مجلات المشاهير بحيث لا يرين أنفسهن جميلات بل عاديات، أو حتى

قبيحات. إنهن يرين ملامهن السيئة - الفم العريض جداً، والعيون القريبة جداً - ويتجاهلن الملامح الجميلة. هؤلاء فتيات أخبرتتهن جماعة الموضة في محلات التجميل، وغالباً أمهاتهن، أنهن بحاجة إلى فقدان عشرين باونداً. إنهن يائسات من حجم أثدائهن ومؤخراتهن وأقدامهن، وسيكون أمراً غريباً إذا طلب أحد منهن الخروج، ولكن بعد ذلك هناك عذاب يجب تحمّله. يمكن لهذا النوع المعين من الفتيات الاتصال بالصديقات لمناقشة ذلك، ولكن فقط إن كان لديهن صديقات. أليس جديدة في المدينة، وليس لديها أية صديقة، لكن في موعدها الغرامي في السينما، لم يبدُ أن لتريب مشكلة بشأن ملابسها أو فمها الواسع. تريب مسلّ، وساحر، ومجامل، وهو رجل نبيل ومثالي أيضاً. قبلها بعد موعد الفيلم، لكنها قبلت مطلوبة، ومرغوبة، لم يفسدها بإدخال لسانه في فمها أو الإمساك بثدييها.

تريب طالبٌ في إحدى الكليات المحلية. سأل بيلى عن عمره، معتقداً أنها ربما لن تعرف، لكن بفضل عجائب فيسبوك، تعرف ذلك، فتريب دونوفان في الرابعة والعشرين من عمره.

«كبير في السن ولا يزال يذهب إلى الكلية؟».

«أعتقد أنه طالب متخرّج. إنه يقوم بدراسات متقدمة».

فكر بيلى في نفسه: الدراسات المتقدمة؟ فعلاً.

بالطبع اقترح تريب على أليس أن تأتي إلى مخدعه لتناول مشروب قبل التوجّه إلى باكيت، وبالطبع وافقت. كان منزله المذكور في إحدى شقق شيروود هايتس بالقرب من الطريق السريع، واستقلت أليس الحافلة لأنها لا تملك سيارة. كان تريب ينتظرها في الخارج، وتصرف بشكل مثالي، قبلها على خدها، ثم رافقها في المصعد إلى الطابق الثالث؛ كانت شقة كبيرة. قال تريب إنه لا يستطيع تحمّل تكاليفها إلا أنه وزميله تقاسموا الإيجار؛ كان رفيقا السكن هما هانك وجاك، وأليس لا تعرف اسمي عائلتيهما. أخبرت بيلى أنهما بدوا لطيفين تماماً، وخرجا إلى غرفة المعيشة لمقابلتها، ثم عادا

إلى إحدى غرف النوم حيث كان يُعرض أحد البرامج الرياضية على التلفاز أو ربما كانت لعبة فيديو، ليست متأكدة أياً منها.

«إذاً، هذا هو المكان الذي تبدأ فيه ذاكرتك في التلاشي؟».

«لا، لقد أغلقنا الباب فقط عندما عادنا إلى الداخل»، استخدمت أليس

المنشفة لتمسح خديها وجبهتها.

سألها تريب إن كانت تريد بيرة، وأخبرت أليس ببلي أنها لا تحب البيرة، ولكنها أخذت واحدة لتكون مهذبة، ثم عندما رأى تريب أن البيرة بدأت تأخذ مفعولها أو أياً ما كان وضعه بداخلها، سألها إن كانت تريد الجن والتونيك، حينئذٍ فتح باب غرفة جاك وصدح صوت التلفاز. قال جاك: «هل سمعت شخصاً يذكر الجن والتونيك؟».

لذا شربوا جميعاً الجن والتونيك، عندها قالت أليس أن الأمور بدأت تتعثر. اعتقدت أن ما يحصل داخل رأسها بسبب عدم اعتيادها على الكحول، واقترح تريب أن تأخذ كأساً أخرى، لأنه، كما قال، الشراب الثاني سيلغي تأثير الأول، وقال إنها حقيقة معروفة. شغل أحد الشابين بعض الموسيقى في الغرفة، وتذكرت أنها رقصت في غرفة المعيشة مع تريب، وهذا هو المكان الذي تفقد فيه ذاكرتها إلى حدٍ كبير. التقطت المنشفة وتنفست من خلالها مرة أخرى لبعض الوقت.

لا تزال صدريتها تحت طاولة القهوة، وقد بدت كأنها حيوان صغير ميت.

قالت: «حان دورك الآن».

أخبرها ببلي بما رآه وفعله، بدءاً من صوت الفرامل والإطارات وانتهاءً بوضعها في السرير. فكرت ثم قالت، «تريب لا يمتلك عربية، بل لديه موستنغ. لقد أقلني بها عندما ذهبنا إلى السينما».

فكر ببلي في كين هوف، الذي كان لديه موستنغ أيضاً، ومات بداخلها. قال: «سيارة جميلة، هل كانت زميلتك في الغرفة تشعر بالغيرة؟».

«أنا أعيش بمفردتي. إنه مجرد مكان صغير». بمجرد تلفظها بتلك الكلمات، تمكّن بيلي من رؤية أنها تعتقد أنها ارتكبت خطأ عندما أخبرته أنها بمفردها. يمكنه أن يشير إلى أن تريب دونوفان ربما كان يعرف ذلك أيضاً، ولكنه لم يفعل ذلك. وضعت المنشقة على وجهها مجدداً وتنفّست، لكن هذه المرة دخلت في نوبة هلع أخرى.

قال بيلي: «أعطيني إياها»، هذه المرة بلّلتها تحت صنوبر المطبخ، وراقبها أثناء قيامه بذلك. لكنه لا يعتقد أنها ستكسر الباب وهي لا ترتدي سوى قميص رقيق. عاد إليها قائلاً: «جربي مرة أخرى، ولكن بأنفاس عميقة وبطيئة».

عندما هدأ تنفسها قال: «تعالني معي. أريد أن أريك شيئاً».

أخذها خارج الشقة إلى الممر وأشار إلى مكان جفاف القيء على الحائط، ثم قال: «لقد تقيأت وأنا أدخلك».

«لمن هذا السروال الداخلي؟ أليس لك؟».

«بلى، كنتُ أستعد للذهاب إلى السرير، وكان الظلام مخيماً بينما كنتُ أحاول منعك من الاختناق»، قالها بطريقة مضحكة لكنها لم تبتسم، فقط كررت أن تريب لا يقود عربة. «أتخيل أنها تخصص أحد زميليه في السكن».

سالت الدموع على خديها وقالت: «يا إلهي، يا إلهي. يجب ألا تعرف أمي بما جرى، فهي لم تردني أن آتي إلى هنا منذ البداية».

اعتقد بيلي أنه كان يعرف ذلك بالفعل، فقال: «دعينا نعد إلى الطابق السفلي. سأحضر لك بعض الفطور الحقيقي. البيض مع اللحم المقدّد».

«لا للحم المقدّد»، قالت ذلك، وهي تبكي، لكنها لم تقل لا للبيض.

المحمص. بينما كانت تأكل، ذهب إلى غرفة النوم وأغلق الباب؛ إذا هربت، فسيدها. لقد استحوذت عليه الجبرية التي شعر بها خلال عملية الفجر، حيث قام بتطهير المدينة من المتمردين من شارع إلى شارع وكتلة تلو الأخرى، وتحقق من وجود حذاء الطفل على حلقة الحزام قبل الذهاب إلى كل منزل. كل يوم لم يُجرح به أو يُقتل زاد من احتمالات أن يحصل ذلك في اليوم التالي. يمكنك فقط رمي النرد والحصول على السبعات وتجميع الكثير من النقاط في القمار. أصبحت تلك القدرية نوعاً ما صديقةً. اللعنة، ما الذي اعتادوا أن يقولوه؟ اللعنة، لنحصل على القليل؛ البعض الآن، اللعنة. وضع الشعر الأشقر والشارب والنظارة، ثم جلس على السرير وتحقق من بعض الأمور على هاتفه. بمجرد حصوله على المعلومات التي يحتاج إليها، ذهب إلى الحمام، ونثر بودرة الأطفال على بطنه.

لقد وجد أنه يخفف الحكّة، ثم أخذ بطن الحامل إلى المطبخ. نظرت إليه باستغراب، وأوقعت آخر لقمة من البيض على الصحن. حمل بيلى بطن الحامل مقابل لوازمه التنكرية الأخرى واستدار قائلاً: «هل تشدين الحزام لي؟ إنها مهمة صعبة لأقوم بها بنفسي».

انتظر قليلاً؛ فقد ترفض، حتى إنها قد تطعنه بالسكين الذي أعطاها إياه لدهن الزبدة على الخبز المحمص. إنه ليس سلاحاً فتاكاً بالضبط، فقد كان بإمكانها أن تُلحق المزيد من الضرر بسكين التقطيع إذا قررت استخدامه عليه أثناء نومه، ولكن يمكنها أن تؤذيه حتى بسكين زبدة إذا دفعت بكل قوتها وأصابته في المكان الصحيح.

لم تطعنه، بل سحبت الحزام بإحكام بدلاً من ذلك، بل أكثر إحكاماً من أي مرة قام بها بنفسه.

سألته هامسةً: «متى عرفت أنني على علم بذلك؟».

«بينما كنت تخبريني بقصتك، كنتِ تنظرين إليّ مباشرةً، وعندها تعرفتِ إليّ، وأصابتك نوبة الهلع».

«أنت الرجل الذي ... قتل».

«نعم».

«وهذا... مخبأك؟».

«نعم».

«الشعر المستعار والشارب هما تمويهك؟».

«نعم، وبطن الحامل».

فتحت فمها، ثم أغلقتة. يبدو أن الأسئلة التي تريد طرحها قد نفذت، لكنها لم تهلع، وهذا ما ظنه يبلي خطوة أخرى في الاتجاه الصحيح. ثم فكّر: من الذي أخدعه؟ لا يوجد اتجاه صحيح. سألها: «هل نظرت... إلى فرجك؟».

«نعم»، أجابت بصوتٍ خفيف، «تماماً قبل أن أنهض لأرى أين أنا. هناك دماء، كما أنني أشعر بالألم. كنت أعرف أنك... أو أن شخصاً ما...». «إنه ليس مجرد دم. سترين عندما تنظفين نفسك أن أحدهم على الأقل لم يستخدم الواقعي، وربما جميعهم لم يفعلوا ذلك». وضعت الشوكة وتوقفت عن الأكل.

«أنا ذاهب، هناك صيدلية تفتح على مدار الساعة على بعد نصف ميل من هنا باتجاه المدينة. سأضطر إلى المشي لأنني لا أملك سيارة. يمكن تناول حبوب منع الحمل في الصباح التالي من دون وصفة طبية في هذه الولاية، لقد تحققت من هاتفي للتو وتأكدت. ما لم يكن لديك اعتراضات دينية أو أخلاقية على أخذها».

«يا إلهي، لا»، بكت مجدداً بنفس الصوت الهامس، وتابعت: «إذا حملت...»، واكتفت بهزّ رأسها.

«تبيع بعض الصيدليات أيضاً الملابس الداخلية للسيدات. إذا كانوا يبيعون منها في هذه الصيدلية، فسأشتري لك بعضاً منها».

«يمكنني أن أدفع لك. أنا أمتلك المال»، هذا مخجل ويبدو أنها تعرف

ذلك لأنها نظرت بعيداً، واحمرّت وجنتاها.

«ملابسك معلقة في الحمام. بمجرد رحيلي يمكنك ارتداؤها والخروج من هنا، فأنا لا يمكنني منعك. لكن اسمعي يا أليس...».

مدّ يده، وأمال رأسها ناحيته، ومع أن كتيها كانتا متيسيتين، إلا أنها نظرت إليه. تابع قائلاً: «لقد أنقذت حياتك الليلة الماضية. كان الجو بارداً، وكانت السماء تُمطر، وكنت فاقدةً للوعي، ومخدرةً بالكامل، وإن لم تموتي من تأثير المخدر كنتِ ستموتينِ اختناقاً بقيئك. الآن سأضع حياتي بين يديك. هل تفهميني؟».

«هل تُقسِم إن هؤلاء الرجال هم الذين اغتصبوني؟».

«لا أستطيع أن أقسم على ذلك في المحكمة لأنني لم أرَ وجوههم، لكن ثلاثة رجال أنزلوك من تلك العربة، وكنت مع ثلاثة رجال في تلك الشقة عندما تشوّشت ذاكرتك».

وضعت أليس يديها على وجهها قائلةً: «أنا أشعر بالعار».

بيلي محتار بصراحة، فقال لها: «لماذا؟ لقد وثقت بهم وخذعوك، انتهت القصة».

«رأيت صورتك في الأخبار، لقد أطلقت النار على ذلك الرجل».

«لقد فعلت. كان جويل ألين رجلاً سيئاً، وقاتلاً مأجوراً»، فكر بيلي في نفسه: مثلي، لكن هناك فرقاً واحداً على الأقل.

«لقد انتظر خارج لعبة البوكر، وأطلق النار على رجلين لأنه خسر الكثير، وأراد استعادة أمواله، ومات أحدهما. أريد أن أذهب الآن بينما لا يزال الوقت مبكراً ولا يوجد الكثير من الناس في الشوارع».

«هل لديك قميص سميك؟».

«نعم، لماذا؟».

«ارتديه فوق ذلك»، أشارت إلى بطن الحامل، «سيبدو أنك تحاول إخفاء بطنك، فهذا ما يفعله البدينون».

توقف المطر، لكن الجو ما زال بارداً، وقد ناسبه ارتداء القميص السميك. مرت سيارة، ورشقته بالماء عن الطريق، ثم عبّر الشارع إلى الجانب الشاغر حيث رأى الآثار التي تركتها إطارات العربة؛ لم تكن طويلة وغميقة لأن الطريق لم تكن جافة. ركع على إحدى ركبتيه، ولم يتوقع أن يعثر عما يبحث عنه، ولكنه عثر عليه، فوضعه في جيبه، وتابع طريقه بعد أن نزل عن الرصيف الذي تضرّر عندما جلبت دائرة أشغال المدينة الآلات لهدم محطة القطار. كان ذلك قبل عام وربما أكثر، ولم يكلف أحدهم نفسه عناء إصلاح الخرسانة.

لمس قرطها المفقود وهو يمشي. عندما تقبض عليه الشرطة، فسيذهب إلى مغلف الأدلة، كما ستفعل بقية ممتلكاته، وربما لن تستعيده أبداً، فيبلي متأكد من أنها ستشي به.

سواء أكانت تعتقد أنه أنقذ حياتها أم لا، فهي تعلم أنه قاتل مطلوب، وقد تعتقد أيضاً أنه يمكن اتهامها بالمساعدة والتحريض على عدم تسليمه بمجرد حصولها على فرصة.

لكن بيلي يعتقد أنها فتاة خجولة، وخائفة، ومرتبكة، لكنها ليست غبية. يمكنها الادعاء بأنه اختطفها وسيصدقونها. لن يعمل هاتفها حتى لو فتّشت ووجدته، لكن متجر زوني الصغير قريب، ويمكنها الاتصال بالشرطة من هناك. من المحتمل أنها هناك بالفعل وسيقبضون عليه أثناء عودته من الصيدلية. تومض أضواء سيارات الشرطة البائسة، أحدها يرتدّ فوق الرصيف أمامه، والأبواب تُفتح حتى قبل توقّف السيارة، ورجال الشرطة يخرجون بمسدساتهم المذخّرة: ارفع يديك، واجثُ على ركبتيك ووجهك للأسفل.

إذاً، لماذا فعلها؟

ربما شيء ما عن الحلم الذي راوده الليلة الماضية، ورائحة البسكويت

المحترق، أو ربما شيء عن شان أكرمان، والفلامنغو الذي رسمته له، أو ربما يكون الأمر متعلقاً بفيل ستانهوب التي ستخبر الشرطة أنها خرجت معه، لأنه بدا رجلاً لطيفاً، وهو كاتب ربما يكون له مستقبل، ونجم يمكن لفتاة عاملة أن ترتبط به. هل ستخبرهم أنها عاشرتة؟ إذا تركت هذا الجزء، فلن تفعل ديان فازيو. رأتهما ديان وهما يغادران المنزل، حتى إنها أعطت بيلى إشارة تدلّ على إعجابها.

ربما يتعلق الأمر بكل هذه الأشياء، لكن ربما يعود الأمر إلى حقيقة بسيطة أنه لا يستطيع قتلها. من المستحيل أن يفعل لأن هذا يجعله سيئاً مثل جويل ألين، أو مغتصب لاس فيغاس، أو كارل تريلبي الذي أخرج أفلاماً إباحية لرجال يمارسون الجنس مع الأطفال. لذلك وضع شعراً مستعاراً مزيفاً وبطناً مزيفاً ونظارة، وها هو يمشي إلى الصيدلية تحت المطر. أليس ماكسويل لا تعرف فقط أنه ويليام سامرز، بل تعرف عن دالتون سميث؛ الهوية النظيفة التي قضى سنوات في بنائها.

اعتقد بيلى أن هؤلاء الحمقى كان بإمكانهم التخلص منها في شارع آخر، لكنهم لم يفعلوا ذلك. كان بإمكانهم إنزالها في شارع بيرسون، لكنهم لم يفعلوا ذلك أيضاً. يمكنه إلقاء اللوم على القدر، إلا أنه لا يؤمن بالقدر. يمكنه أن يخبر نفسه أن كل شيء يحدث لسبب ما، لكن هذا هراء أحرق يلجأ إليه الأشخاص الذين لا يستطيعون مواجهة حقيقة واضحة غير مبهرجة. الصدفة هي ما كانت عليه، وكل شيء تلا ذلك. منذ اللحظة التي ألقوا فيها الفتاة، أصبح عاجزاً، وليس لديه ما يفعله، لكن هذا ما هو عليه، كما اعتادوا أن يقولوا أيضاً في الصحراء: ما هذا بحق الجحيم؟

هناك بصيص أمل صغير: أخبرته أن يرتدي القميص السميك؛ ربما لا يعني هذا شيئاً، بل هو مجرد شيء قالته لتجعله يشعر أنها إلى جانبه، وربما لا.

تبيع الصيدلية أيضاً منتجات العناية بالصحة والتجميل، وجد بيلى حبوب منع الحمل في الممر المخصص للنساء؛ ثمنها خمسون دولاراً، وهذا ما يجعل منها رخيصة مقارنة بالبدائل. إنها في الرف السفلي، وعندما جلبها واستقام في وقفته مجدداً رأى شعراً أصهب متموجاً على بعد صفين. تسارعت ضربات قلبه وانحنى مرة أخرى، ثم استقام مرة أخرى ببطء، وحدث إلى فاجيليز ومونيستات.

إنه ليس دانا إديسون، إنه ليس رجلاً حتى؛ إنها امرأة ذات شعر أحمر مربوط على شكل ذيل حصان.

قال في نفسه: تروء، ولا تتورط في أي شيء. حسناً، ربما عاد دانا والآخرون منذ فترة طويلة إلى فيغاس.

الملابس الداخلية النسائية على الحائط الخلفي، ومعظمها مخصصة للدورة الشهرية عند السيدات، ولكن هناك بعض الأنواع الأخرى أيضاً. فُكر في البكيني، لكنه قرر أن ذلك سيكون إيحائياً بعض الشيء. إنه مضحك بطريقة ما؛ لا يزال يعمل على افتراض أنها ستكون هناك عندما يعود. لكن هل لديه فرضية أخرى؟ سيعود، لأنه ليس لديه مكان آخر يذهب إليه.

جلب ثلاث قطع من السراويل القطنية من ماركة هانز، وتوجه بها إلى صندوق المحاسبة باحثاً عن سيارات الشرطة في الخارج، لكنه لم يرَ أيّاً منها. بالطبع لن يركنوا في المقدمة، أيّاً يكن الأمر، حتى لا يباغتهم ويحتجز بعض الرهائن. كانت المرأة التي تجلس عند صندوق المحاسبة في العقد الخامس من عمرها، أخذت منه النقود من دون أي تعليق، لكن بيلى جيد في قراءة الوجوه ويعرف أنها تعتقد أنه شخص قضى ليلة جامحة. دفع ببطاقة ائتمان دالتون سميث، وعاد إلى الشارع. لقد أصبح المطر رذاذاً، ولا يوجد أحد هناك سوى ثلاث نساء يتحدثن معاً بشكل ودي لم ينظرن إليه

وهن يدخلن الصيدلية.

عاد بيلى إلى شارع بيرسون 658، لكنه لم يجد رجال شرطة يندفعون إلى المبنى ذي الطوابق الثلاثة، ولم يجد أحداً في الشقة سوى الفتاة التي كانت تتابع الأخبار على التلفاز.

نظرت إليه أليس، وحصل شيء بينهما، أعطها حقيبة الصيدلية، ومدّ يده إلى جيبه الأيمن، وأخرج شيئاً.
«لقد وجدت قرطك المفقود».
فتح يده، وأراها إياه.

8

ذهبت أليس إلى الحمام لارتداء الملابس الداخلية الجديدة، لكنها ظلت مرتدية القميص الطويل لأن تنورتها لا تزال رطبة. قالت: «يستغرق قماش الجينز وقتاً طويلاً ليجف».

ابتلعت حبوب منع الحمل، وشربت الماء من صنوبر المطبخ، وأخبرها بيلى أن الآثار الجانبية قد تشمل القيء والدوار.
«يمكنني قراءة الإرشادات. من يعيش في هذا المبنى سواك؟ إنه هادئ... هادئ جداً».

أخبرها عن الزوجين جنسن، وكيف ذهبا في رحلة بحرية، ثم رافقها إلى الطابق العلوي - تأتي عن طيب خاطر بما فيه الكفاية - وعزفها إلى دافني ووالتر.

«أنت ترويهما كثيراً. هل تريد أن تغرقهما؟».

«لا».

«امنحهما يومي إجازة»، سكتت لبرهة ثم سألته: «هل ستبقى هنا لبضعة أيام؟».

«نعم. من الأمن الانتظار».

جالت بعينها في أرجاء مطبخ الزوجين جنسن وغرفة المعيشة بالطريقة التي تفعل بها النساء، ثم أذهلته بسؤالها عما إذا كان بإمكانها البقاء معه، ربما البقاء في شقة الطابق السفلي بعد أن يغادر.

قالت: «لا أريد الخروج حتى تتحسن الكدمات، أبدو وكأنني تعرضت لحادثة سيارة. ماذا لو جاء تريب يبحث عني؟ فهو يعرف الكلية التي أرتادها، ويعرف أين أعيش».

ظن يبلي أن تريب وصديقيه لن يرغبوا في أي شيء يربطهم بها الآن بعد أن قضوا وطهرهم منها.

أوه، قد يفتشون في شارع بيرسون للتأكد من أن المكان الذي تركوها فيه ليس مسرحاً للجريمة، وعندما يستيقظون - أو يستفيقون من تأثير المخدر- سيتحققون بالتأكد من الأخبار المحلية للتأكد من أنها ليست جزءاً منها، لكنهم لن يقرأوا شيئاً عنها، فبقاؤها يحلّ الكثير من المشاكل. عادت إلى الطابق السفلي، وقالت إنها متعبة، وسألته إن كانت تستطيع النوم في سريره، فأخبرها أن سريره يرحّب بها، ما لم تكن تشعر بالدوار أو الغثيان، فإذا كانت كذلك، فسيكون من الأفضل لها أن تبقى مستيقظة لبعض الوقت.

قالت إنها بخير، وتوجهت إلى غرفة النوم. بدت جيدة عندما تظاهرت أنها ليست خائفة منه، لكن يبلي متأكد من أنها لا تزال كذلك؛ ستكون مجنونة إذا لم تكن خائفة منه. لكنها في حالة صدمة، ولا تزال تشعر بالخجل بسبب ما حدث لها. أخبرها أنه ليس عليها أن تكون كذلك، وفي وقت لاحق ستقرر أن طلب البقاء معه كان خياراً سيئاً، سيئاً حقاً. لكن الآن كل ما تريده هو النوم.

سمع يبلي صوت صرير الفراش، وانتظر لخمس دقائق؛ بدت أنها نامت أو أنها كانت تمثّل باحترافية عالية.

حمل حاسوبه المحمول وابتعد، وقد ظنّ أنه لن يستطيع الكتابة اليوم،

خصوصاً بعد كل ما حدث، ومع وجود فتاة تنام في الغرفة الأخرى، والتي قد تستيقظ وتقرّر أنها تريد الابتعاد عن المكان، وعنه.

لم يفكر سوى في علاج المنشفة الرطبة الذي تعلمه من بيل لنوبات الهلع، وكيف نجح مع أليس؛ إنه أشبه بالمعجزة حقاً. لكن هذا لم يكن العلاج المعجزة الوحيد لكلاي بريغز، أليس كذلك؟ ابتسم، وشرع في الكتابة. بدا النثر سطحياً في البداية، ومبعثراً، لكنه بعد ذلك بدأ يستعيد إيقاعه في الكتابة، وسرعان ما توقف عن التفكير بأليس.

9

كلاي بريغز - بيل - كان مجند إسعاف من الدرجة الأولى. لقد عالج كل من احتاج إلى علاج، لكنه كان قاسياً بالفحص من أعلى الرأس إلى أخمص القدمين. كان صغيراً وذكياً، وكان شعره خفيفاً، وأنفه مستديراً، وكان دائماً ما يلمع عدستي نظارته عديمة الإطار. كانت نوبات الهلع شائعة مع استمرار عملية الفجر، وكان من المفترض أن يكون مشاة البحرية محصنين من أشياء من هذا القبيل، ولكن بالطبع لم يكونوا كذلك. كان الرجال يلهثون من أجل التنفس، ويتلوّون، وأحياناً ينهارون. معظم الجنود الأميركيين الجيدين لم يعترفوا بأنهم خائفون، لذلك قالوا إنه تأثير الدخان والغبار، لأن الدخان والغبار كانا جزءاً من يومياتنا. ووافقهم بيل - فقط الغبار، فقط الدخان - وبلل منشفة لوضعها على وجوههم. كان يقول: «تنفس من خلالها وستتمكن من التنفس بشكل جيد».

كان لديه علاجات لأشياء أخرى أيضاً، بعضها كان محض هراء والبعض الآخر لم يكن كذلك، لكن الجميع علموا على الأقل أن ضرب الكيسة الدهنية والتورمات بحافة الكتاب يجعلها تختفي - أطلق عليه اسم علاج الكتاب المقدس - وكان يضغط أنفك ويطلب منك أن تقول آآآه لمعالجة الفواق ونوبات السعال، واستنشاق بخار بعض النباتات لإيقاف الرعاف، وكان يفرك الجفن بدولار فضي لعلاج التهاب الجلجل.

أخبرني ذات مرة قائلاً: «معظم هذا الهراء هو طَبُّ شعبيّ تعلّمته من جدتي في ولاية التلال، حيث أستخدم ما يُفْلح، لكنه يُفْلح في الغالب لأنني أقول لهم إنه يُفْلح»، ثم سألتني كيف أصبح ألمِ ضرسي، لأن لدي واحداً في الخلف كان يسبّب لي المتاعب، فقلت إنه يؤلمني جداً.

قال لي: «حسناً، يمكنني الاعتناء بذلك يا أخي، لدي خشخيشة أفعى جرسية في جعبتي. اشتريتها من موقع إي. بي. خذها وضعها بين خدك ولثتك هناك، ومصّها لفترة من الوقت، وسيهدأ الألم على الفور». أخبرته أنني لا أريد ذلك العلاج، فقال إنه لا بأس في ذلك، لأن الخشخيشة كانت في أسفل حقيبته، وكان عليه أن يُخرج كل مقتنياته منها للحصول عليها، وبعد مرور كل هذه السنوات ما زلت أتساءل عما إذا كانت ستفْلح. في نهاية المطاف قلعت ذلك الضرس. العلاج الأكثر إثارة للدهشة لدى بيل - الذي رأيتُه على أي حال - كان في الرابع من آب، وهي الفترة الفاصلة بين عملية «العزم اليقظ» في نيسان و«العزم اليقظ»، وهي العملية الكبيرة، في نوفمبر.

خلال تلك الأشهر، كان لدى السياسيين الأميركيين نوبة هلع خاصة بهم، وبدلاً من السماح لنا بالذهاب بكامل عتادنا، قرروا إعطاء رجال الشرطة وعناصر الجيش العراقيين فرصة أخرى للقضاء على المجاهدين بأنفسهم واستعادة النظام، وقال السياسيون العراقيون الكبار إن ذلك سينجح، لكنهم جميعاً في بغداد، بينما في الفلوجة، كان الكثير من أفراد الشرطة وعناصر الجيش من المجاهدين.

خلال تلك الفترة، بقينا خارج المدينة أغلب الوقت. لمدة ستة أسابيع في حزيران/ تموز لم نكن هناك حتى، بل كنا في الرمادي التي كانت هادئة نسبياً. كانت مهمتنا، عندما ذهبنا إلى الفلوجة، هي كسب «القلوب والعقول»، وهذا يعني أن مترجمينا تصرفوا بلطف نيابةً عنا مع الملالي وقادة المجتمع بدلاً من الثرثرة حيث قالوا: «أخرجوا أيها اللصوص الخنازير، من خلال مكبرات الصوت بينما كنا نقود بسرعة في الشوارع، ونتوقّع دائماً أن يتم إطلاق النار علينا أو تفجيرنا بقذائف

صاروخية. وزَعنا الحلوى والألعاب وكتب سوبرمان المصورة على الأطفال، إلى جانب منشورات ليأخذوها إلى منازلهم، وتحدثنا عن جميع الخدمات التي يمكن للحكومة تقديمها ولم يستطع المتمردون أن يقدموها. أكل الأطفال الحلوى، وتبادلوا القصص المصورة، وألقوا المنشورات.

خلال «عملية الفجر» بقينا في ما أصبح يعرف باسم لالافلوجة (بعد لالابالوزة) لعدة أيام دفعةً واحدة، ننام عندما تسنح لنا الفرصة على أسطح المنازل ونراقب الجهات الأربع متربصين للمجاهدين الزاحفين على أسطح المنازل الأخرى، على استعداد لإلحاق الضرر وتلقي الأذى. كان الأمر كما لو كان الموت ألف قطعة. أطلقوا علينا مئات القذائف الصاروخية، وبدا أن ذخائر المجاهدين لن تنفذ أبداً.

خلال ذلك الصيف، وعلى الرغم من ذلك، كانت دورياتنا روتينية وتشبه دوام الموظفين. في الأيام التي ذهبنا فيها للفوز «بالقلوب والعقول»، كنا ننتقل عندما تشرق الشمس ونعود إلى القاعدة قبل أن يحلّ الظلام. حتى مع هدوء القتال، ما كان أحد يريد أن يكون في لالافلوجة بعد حلول الظلام.

في أحد الأيام عندما كنا عائدين، رأينا عربية ميتسوبيشي إيغل ستيشن مقلوبة على جانب الطريق، ولا يزال الدخان يتصاعد منها؛ لقد تم تفجير الواجهة الأمامية، وكان باب السائق مفتوحاً، وكان هناك دم على ما تبقى من الزجاج الأمامي.

قال كيو: «تباً لي، هذه هي سيارة الملازم».

في القاعدة، شُيّد مستشفى ميداني في خيمة، وفي ذلك اليوم كانت الحرارة قد تجاوزت المئة درجة فهرنهايت، وكالعادة كنا نسمع صراخ جيميسون.

أتى بيل راكضاً، وأنزل حقيبته عن ظهره وهو يركض، وتبعناه. كان هناك جريحان آخران في الخيمة؛ من الواضح أنهما بحالة يرثى لها، ولكن ليس كحال جيميسون، لأنهما كانا واقفين على أقدامهما. كانت يد أحدهما ملفوفةً بوشاح، وكان رأس الآخر مغطى بضمادات.

كان جيميسون مستلقياً على سريرٍ نَقالٍ وقد وصلت به عدة أشياء،

أعتقد أنهم يسمونها محلول رينغر لاكتات، والمكان الذي كان في ما مضى يخص قدمه اليسرى تغطيه الآن ضمادة ضاغطة، لكن القدم اختفت وكان الدم يرشح من الضمادة. تمزق خده الأيسر وكانت عينه تنزف وكلها ملتوية في تجويضها، وكان جنديان يمسكان به بينما حاول أحد المسعفين حمله على ابتلاع بعض أقراص المورفين، لكن الملازم أبى أخذ أي منها واستمر بتحريك رأسه من جانب إلى آخر.

صرخ من الألم، ولم يعد هناك شيء من المتسلط القديم - ولكن في بعض الأحيان المضحك - لقد حلّ الألم محل كل ذلك. صرخ من الألم قائلاً: «يا إلهي».

قال أحد المسعفين: «دوستوف في الطريق، خذ الأمور بروية. ابتلع هذه الأقراص، فستشعر بتحسّن...».

رفع جيميسون يده المضربة بالدماء، وضرب الأقراص بعيداً، لكن جوني كابس التقطها.

«أشعر بألم شديد».

جنا بيل على ركبتيه بجانب السرير النقال وقال: «استمع إليّ يا سيدي. لديّ علاج للألم، أفضل من المورفين».

نظر إليه جيميسون بعينه السليمة، لكنني لم أعتقد أنها كانت ترى أي شيء.

«بريفز؟ هل هذا أنت؟».

«أجل يا سيدي، المسعف بريفز. يجب أن تساعدني».

«أشعر بألم شديد».

«هذا العلاج يزيل الألم».

قال تاكو: «هذا صحيح يا سيدي»، ثم رمقني بنظرة مفادها: ما هذا بحق الجحيم؟

قال بيل: «ها نحن ذا»، بدأ يغني وكان صوته جميلاً: «إذا نزلت إلى الغابة اليوم... الآن دورك».

«مؤلم».

أمسكه بيل من كتفه اليمنى. كان قميص جيميسون ممزقاً من

الجهة الأخرى وكان الدم ينزف. قال بيل: «غَنَّا وستشعر بتحسّن، أضمن لك ذلك، سأكررها لك مجدداً، إذا نزلت إلى الغابة اليوم...».

«إذا نزلت إلى الغابة اليوم...»، توقف الملازم عن الغناء ثم تابع: «نزهة تيدي بيرز».

«لا بد أنك تمزح...».

«لا، غَنَّا»، نظر بيل حوله وقال: «هلاً ساعدني أحدكم؟ من يعرف الأغنية اللعينة؟».

كنت أعرفها، لأن والدتي كانت تغنيها لأختي عندما كانت طفلة، مراراً وتكراراً حتى تخلد كاثي للنوم.

لم أكن قادراً على الغناء لحظتها، لكنني فعلت: «إذا نزلت إلى الغابة اليوم، فستحصل على مفاجأة كبيرة. إذا نزلت إلى الغابة اليوم...».

أكمل جيميسون: «من الأفضل أن تذهب متخفياً، وما زال يصدر أنيناً من حنجرته».

قال بيل: «اللعنة، أنت على حق»، وغنى: «من المؤكد أن كل الدبية التي كانت هناك ستجتمع...».

انضم الرجل الذي يضع الضمادة حول رأسه إلينا وغنى: كان صوته جهورياً.

«لأن اليوم هو اليوم الذي تتمتع فيه التيدي بيرز برحلة».

قال بيل وهو لا يزال راكعاً بجانبه: «غَنَّا لي أيها الملازم، لأن اليوم هو اليوم...».

«الذي تتمتع فيه التيدي بيرز برحلة»، قال جيميسون معظمها لكنه غنى المقطع الأول للرحلة بالطريقة التي غناها بها الرجل مضمد الرأس، وعندما فتح فمه، ألقى جوني كابس أقراص المورفين في فمه وابتعد.

أدار بيل رأسه، ونظر إلى باقي أعضاء المجموعة التسعة وقد بدا كأن مثل قائد الفرقة الموسيقية الفاسد الذي يشجع على مشاركة الجمهور وقال: «إذا نزلت إلى الغابة اليوم... هيا، جميعاً».

لذلك غنى أعضاء المجموعة التسعة المقطع الأول من رحلة

التيدي بيرز للملازم جيميسون، ومعظمهم كانوا يرتجلون حتى المرة الثالثة تقريباً، وبحلول ذلك الوقت كانوا قد تمكنوا من الكلمات. انضم الجريحان، والممرض في التكرار الرابع، وغناها جيميسون مباشرة والعرق يتصفد من وجهه. كان الناس يركضون نحو الخيمة ليروا ما يجري.

شهق جيميسون قائلاً: «لقد خفّ الألم».

قال ألبى ستارك: «بدأ مفعول المورفين».

قال جيميسون: «لم يبدأ، كرروها».

قال بيل: «كرروها بإحساس، رحلة نزهة، وليست جنازة لعينة».

لذلك غنينا: «إذا نزلت إلى الغابة اليوم، فأنت متأكد من وجود

مفاجأة كبيرة».

انضم أيضاً الجنود الذين جاؤوا لرؤية ما كان يحدث، وبحلول الوقت الذي أغمي فيه على جيميسون، لا بد أنه كان هناك أربعة عشر منا نغني تلك الأغنية الحمقاء اللعينة بملء حناجرنا، ولم نسمع المروحية وهي تحطّ لتتنقل الملازم جيميسون. لن أنسى ذلك مطلقاً.

10

«ماذا تفعل؟»

نظر بيلي حوله مذهولاً من هذا الحلم، ورأى أليس ماكسويل تقف عند باب غرفة النوم وكدماتها صارخة على جلدها الأبيض.

عينها اليسرى المنتفخة نصف مغلقة، وهذا ما جعله يُفكر في الملازم وهو مستلقٍ في تلك الخيمة الحارة حيث كانت المراوح ترسل هواء لاهباً رغم أنها كانت تعمل بأقصى سرعة. كان شعرها كله مجعداً.

«لا شيء. أَلعب لعبة فيديو». حفظ ما كتبه، وأوقف عمل حاسوبه

المحمول، ثمّ أغلقه.

«كان ذلك كثيراً من الضغط على الأزرار بالنسبة للعبة فيديو».

«هل تريد أن تأكلي شيئاً؟»

فكرت في الأمر وقالت: «هل لديك حساء؟ أنا جائعة، لكنني لا أريد أن أكل أي شيء يحتاج إلى مضغ. أعتقد أنني عضضت باطن خدي. يمكن أن يكون قد حصل ذلك عندما كنت فاقدةً للوعي، لأنني لا أتذكر أنه حصل معي شيء مماثل».

«نودلز الدجاج أو الطماطم؟».

«نودلز الدجاج من فضلك».

خيارٌ جيد، لأن لديه علبتين من نودلز الدجاج في الخزانة وواحدة فقط من نودلز الطماطم. سخّن الحساء، وغسل وعاءً لكلٍ منهما. طلبت أن يسكب لها المزيد، وربما قطعة من الخبز بالزبدة، غمستها في مرق الدجاج. وعندما رآته ينظر إليها من فوق وعائه الفارغ، ابتسمت وقالت: «أنا خنزير عندما أكون جائعةً. كانت والدتي تقول ذلك دائماً».

«إنها ليست هنا».

«الحمد لله. كانت لتصفني بالمجنونة؛ ربما أنا مجنونة. أخبرني أنني سأقع في مشكلة ما وكانت محقة، أولاً أو أواعد مغتصباً، والآن أنا في شقة مع...».

«هيا، يمكنك قولها».

لكنها لم تفعل، وبدلاً من ذلك قالت: «أرادت مني البقاء في كينغستون والذهاب إلى مدرسة تصفيف الشعر مثل أختي. جيرري تجني أموالاً وفيرة، وقالت إنني أستطيع أن أكون مثلها».

«لماذا أردت ارتياد كلية إدارة الأعمال هنا؟ أنا لا أفهم ذلك».

«لأنها الأرخص ومستواها جيد، هل أنهيت طعامك؟».

«نعم».

أخذت الوعاءين والملعقتين إلى حوض غسل الأطباق، وسحبت القميص بوعي ذاتي بعيداً عن مؤخرتها بمجرد أن تحررت يداها. من خلال الطريقة التي تمشي بها، عرف أنها لا تزال تعاني من قدر لا بأس به من الألم. يعتقد أنه يجب أن يجعلها تغني مطلع أغنية رحلة تيدي بيرز، أو يمكنهما

أن يغنيهاها معاً كثنائي.

«لماذا تبتسم؟».

«لا شيء».

«إنه مذهري، أليس كذلك؟ أبدو كما لو أنني خرجت من حلبة

مصارعة».

«لا، مجرد شيء تذكرته من أيام خدمتي العسكرية. لا بد أن ملابسك

قد جفت».

«ربما»، لكنها جلست مجدداً وهي لا ترتدي سوى القميص والسروال

الداخلي، وأضافت: «هل دفع لك أحدهم لإطلاق النار على ذلك الرجل؟

لقد فعلوا، أليس كذلك؟».

فكر بيلى أن النصف مليون آمن في مصرف خارجي، ثم فكر في مبلغ

المليون والنصف الذي لم يتم دفعه، وأجاب: «الأمر معقد».

ابتسمت له أليس ابتسامة رقيقة وقالت: «هل هناك شيء غير معقد؟».

11

تنقلت عبر قنوات الكيبل، وتوقفت قليلاً عند قناة «تي. أم. سي. حيث

يرقص فريد أستير مع غينغر روجرز، ثم غيرتها. شاهدت إعلاناً ترويجياً

لمنتجات التجميل لبعض الوقت، ثم أوقفت عمل التلفاز.

سألته: «ماذا تفعل؟».

فكر بيلى أنه لا يفعل شيئاً، بل ينتظر، إذ لا يمكنه العمل على قصته

وهي معه في الغرفة نفسها. كان يشعر بالوعي الذاتي، وإلى جانب ذلك،

كانت تريد أن تعرف ما الذي يكتبه، إنه يعتقد أنه من بين كل الأحداث

الغريبة في حياته - وهي ليست قليلة - فما يحدث في شارع بيرسون هو

الأكثر غرابة.

«ماذا يوجد في الجهة الخلفية؟».

«ساحة صغيرة، ثم حفرة تصريف مع بعض الأشجار التي تنمو حولها، ثم بعض المباني التي كانت حظائر تخزين، ربما تعود للفترة التي كانت فيها محطة القطار قيد العمل»، وأشار إلى النافذة التي أسدل الستارة عليها. المطر يهطل بشدة ولا يمكن رؤية شيء هناك، ثم تابع قائلاً: «الحظائر مهجورة الآن على ما أعتقد».

تنهدت قائلة: «يجب أن يكون هذا الحي هو الأكثر دموية في المدينة بأكملها».

فكر بييلي في أن يقول لها إن كلمة الموت - مثل كلمة استثنائي - هي كلمة لا يمكن بطبيعتها أن تُعدل، لكنه لم يفعل، إذ إنها كانت محقّة. نظرت إلى التلفاز وقالت: «لا أفترض أن لديك اشتراكاً في نيتفليكس؟». في الواقع، لديه اشتراك على أحد حواسيبه المحمولة الرخيصة، لكنه يدرك بعد ذلك أن هناك شيئاً أفضل.

«آل جنسن لديهما؛ الزوجان في الطابق العلوي. وهناك فشار، إلا إذا أكلاه كله؛ لقد اشتريته بنفسى».

«دعني أر إن كانت تنورتي قد جفّت».

توجّهت إلى الحمام وأغلقت الباب خلفها، وسمع صوت القفل الذي يثبت لبيلي أنه لا يزال تحت الاختبار. عندما خرجت كانت ترتدي تنورة الجينز وقميص البلاك كيز. صعدا إلى الطابق العلوي، وفي الوقت الذي حاول فيه اكتشاف كيفية إيجاد النتفليكس على تلفاز الزوجين جنسن، والذي هو أكبر بأربعة أضعاف من تلفازه في الطابق السفلي، نظرت أليس عبر نافذة غرفة نومهما إلى الفناء الخلفي وقالت:

«هناك مشواة مكشوفة ومتواجدة في بركة وحل. الفناء الخلفي كله عبارة عن بركة وحل».

أعطاهها بييلي جهاز التحكم، وأمضت دقائق في الاختيار، ثم سألت بييلي عما إذا كان يحب مسلسل بلاكليست.

«لم يسبق لي أن شاهدته».

«حسناً، سنبدأ من الحلقة الأولى».

الفكرة الأساسية للمسلسل سخيفة، لكن بيلى انسجم فيه لأن الشخصية الرئيسية، ريد ريدنغتون، مسلية وواسعة الحيلة، ودائماً ما يتقدم بخطوة، وهذا ما يحبه بيلى. شاهدا ثلاث حلقات بينما هطل المطر في الخارج. حضر بيلى الفشار بالمايكروويف وتقاسمه مع أليس. غسلت أليس الوعاء ووضعت في المجفف.

قالت: «لا يمكنني مشاهدة المزيد، وإلا سأصاب بالصداع، إذا أردت يمكنك المتابعة، أظن أنني سأعود إلى الطابق السفلي».

أغلق باب شقة الزوجين جنسن، وعادا إلى شقة بيلى. بعد الفشار، لم يشعر براغبة في العشاء. تابعا الأخبار، وأكلا البودينغ بدلاً من ذلك. قالت أليس: «الوجبات السريعة...، أمي تق...».

قال لها بيلى: «لا تبدأي».

لم يعد اغتيال جويل ألين الخبر الرئيسي. كان هناك انفجار غازي في سيناتوبيا، عبر الحدود في ولاية ميسيسيبي حيث ذهب ضحيته ثلاثة قتلى وأصيب اثنان بجروح بليغة، كما تم إغلاق الطريق السريع الرئيسي غرب ريد بلاف مؤقتاً بسبب الفيضانات.

سألته أليس: «إلى متى ستبقى هنا؟».

كان بيلى يفكر في الأمر مسبقاً، إذا اعتقد الأشخاص الذين يبحثون عنه - رجال الشرطة المحليون، والأف. بي. آي، ورجال نيك أيضاً - أنه ذهب ليختفي في المدينة، فقد يعتقدون أنه سيبقى مختبئاً لمدة خمسة أو ستة أيام، أو ربما لأسبوع. يحتاج إلى البقاء في شارع بيرسون لفترة كافية لجعلهم يعتقدون أنه اختفى مباشرةً بعد إطلاقه النار، وإذا لم تعقد أليس أمور الهروب، فستكون الأمور على ما يرام.

«لأربعة أيام، وربما لخمسة، هل يمكنك فعل ذلك يا أليس؟»، هل هي

المرّة الأولى التي يستخدم فيها اسمها؟ لا يستطيع أن يتذكر.
قالت: «رأيت ثمن حبوب منع الحمل هذه، إذا بقيت، فهل يمكننا أن
نعتبره تعادلاً؟».

ربما كانت تتلاعب به، لكنه لا يعتقد ذلك. لديها جروح لتلعقها، وقد
قررت أن يبلي ليس شخصاً خطيراً؛ على الأقل ليس خطيراً بالنسبة إليها، على
الرغم من أنها أغلقت باب الحمام عندما كانت ترتدي ملابسها، لذلك لا تزال
هناك مشكلة في الثقة. لو حاول إقناع نفسه بعكس ذلك فهو يخدع نفسه.
أجابها يبلي: «نعم، يمكننا اعتباره تعادلاً».

12

عند الساعة العاشرة والنصف من تلك الليلة، حصل الشجار الأول
بينهما بشأن من سينام على السرير ومن سينام على الأريكة، وقد أصرّ يبلي
على أن تنام هي على السرير، وقال إنه سيكون بخير على الأريكة.
«هذا تحيّزٌ جنسي».

«النوم على الأريكة تحيّزٌ جنسي؟ هل تمزحين؟»
«أن تكون رجولياً هو تحيّزٌ جنسي. أنت طويل جداً حتى تنام على
الأريكة، فسوف تتدلى قدماك على الأرض».
«سأضعهما هنا»، وربّت على على ذراع الأريكة.
«ثم تنقطع التروية عنهما وتموتان».

«لقد...»، تردّد، وبحث عن الكلمة الصحيحة ثم تابع: «... تمت
مهاجمتك. عليك أن ترتاحي، فأنت تحتاجين إلى النوم».
«تريد الأريكة لأنك تعتقد أنه إذا ما بقيتُ هنا في غرفة المعيشة،
فسأتمكن من الهروب، وهو ما لن أفعله. لقد أبرمنا اتفاقاً».

بالطبع يبلي يفكر في ذلك، وإذا ما أصرّت على ذلك، فنحن بحاجة
إلى التحدث عن كيفية تعاملها مع الأسئلة عند غيابي. تساءل عمّا إذا كانت

أليس تعرف ما هي متلازمة ستوكهولم، وإذا كانت لا تعرف، فسيتعين عليه شرح ذلك.

«سنقلب عملة معدنية»، ثم أخرج ربع دولار من جيبه.
أمسكت أليس بربع الدولار وقالت: «أنا من سيقوم بقلبها، أنا لا أثق بك، فأنت مجرم».

أضحكه ما قالته؛ إنها لا تضحك، لكنها على الأقل تبتسم قليلاً.
سلمها الربع وطلبت منه أن يختار بينما كان الربع ينقلب في الهواء، ثم أمسكت بالربع، اختار النقش - دائماً ما يختار النقش، فقد تعلم ذلك من تاكو - وربع.

قال بيلي: «ستنامين على السرير». لم تجادله في ذلك وقد بدت مرتاحة للنتيجة؛ إنها لا تزال تمشي بحذرٍ شديد.

أغلقت باب غرفة النوم، واختفى نور المصباح الذي تسرب من تحت الباب. خلع بيلي حذاءه وبنطاله وقميصه واستلقى على الأريكة، ثم مد يده وأوقف عمل المصباح.

قالت بهدوء من الغرفة الأخرى: «ليلة سعيدة».
بدوره قال: ليلة سعيدة يا أليس».

مكتبة ياسمين

t.me/yasmeenbook

الفصل الخامس عشر

1

عاد بيلى إلى الفلوجة واختفى حذاء الطفلة.

وقف وبيل وتاكو وأبى ستارك خلف سيارة أُجرة مقلوبة، أما باقى أعضاء الفريق التسعة فكانوا خلف شاحنة مخبوزات محترقة. كان أبى يموت بين يدي تاكو بينما كان بيل يحاول أن يداويه، ولم يكن هذا صحيحاً لأن كل الأطباء في مايو كلينك ما كانوا يستطيعون مداواته، حيث تحول حُسن تاكو إلى بركة من الدماء.

قال أبى حين أوقع به المجاهدون: لم يحدث شيء. لقد خدشوني وحسب، ثم جثا الأربعة بعدها وراء سيارة كورولا منقلبة. كانت يده تضغط جانب رقبته، وكان يتسم في الوقت نفسه، وفاض الدم بعدها من بين أصابعه وبدأ يشهق.

انهال عليهم وابل من الرصاص من منزل في نهاية الشارع. كان المجاهدون في النوافذ العلوية وعلى السطح وكانت الطلقات ترتطم بقاعدة السيارة وتصدر صوت بونك بونك بونك. اتصل تاكو وطلب المساعدة الجوية وصرخ للآخرين الذين كانوا يختبئون وراء شاحنة المخبوزات قائلاً: ستصل مروحية قريباً، وسيخرس صاروخا هيلفاير هؤلاء الأوغاد في غضون دقيقتين أو أربع. جثا بيل على ركبتيه، وكان بنطاله قد اتسخ بالغبار، وكان يضغط بيديه على رقبة أبى، ولكن الدم كان يسيل مع كل ضربة من ضربات قلب أبى ورأى بيلى الحقيقة في عيني تاكو الواسعتين.

ردّ جورج ودونك وجوني وبيغفوت وكلو على إطلاق النار لأنهم استطاعوا أن يروا أن المجاهدين على السطوح كانوا يصوبون على زاوية

بيلي وباقي الرفاق وراء سيارة الأجرة؛ كانت هذه طريقة مميتة وعشبية. ربما كان عليهم الانتظار إلى أن تصل الكوبرا مع صاروخي الهيلفاير وربما لا. بحث بيلي عن حذاء الطفلة، واعتقد أنه قد أضاعه منذ دقائق، ولا بد أن يكون قريباً، واعتقد أنه لو عثر عليه فسيغدو كل شيء على ما يرام. كان الأمر أشبه بغناء أغنية «رحلة تيدي بيرز»، ولكن الحذاء لم يكن قريباً، وكان متأكداً من ذلك، ولكن البحث عنه كان سيعفيه من رؤية ألبى الذي كان يلفظ أنفاسه الأخيرة، ويرى العالم للمرة الأخيرة قبل أن يموت. تساءل بيلي عما يراه ألبى: هل كان يرى بوابات نفيسة وشواطئ ذهبية أو سواداً حالكياً؟ في هذه الأثناء، صرخ جوني كابس وقال لنا: اتركوه، اتركوه وتعالوا إلى هنا. ولكنهم لم يتركوه حيث كانت قاعدة الرقيب الرهيب آينغتون: لا تتركوا أحداً وراءكم. لم يكن الحذاء هنا ولا في أي مكان. لقد أضاعه واختفى حظهم معه، وكان ألبى يودع هذه الحياة ويلفظ أنفاسه الأخيرة، ولاحظ بيلي أن هناك ثقباً في حذائه وكان ينزف. لقد أصيب في قد...

2

نهض بيلي بسرعة فائقة، وكاد يهوي عن الأريكة. كان في شارع بيرسون، وليس في الفلوجة، ولم يكن ألبى ستارك يلفظ أنفاسه الأخيرة. ركض باتجاه الحمام، ووجد أليس تجلس على السرير وتضع يدها على عنقها. كانت تشبه ألبى إلى حدٍ فظيع عندما اعتقد أن الرصاصة خدشته وحسب، وكانت عيناها جاحظتين وتفيضان ذعراً.

«رطب... ووب... خرقة... ووب...».

ذهب إلى الحمام، وتناول خرقة، ورطبها قبل أن ينتظر الماء ليسخن، عاد بسرعة، ووضع الخرقة على جبهتها، وسرَّ لأنها غطت تلك العينين الواسعتين المخيفتين. شهقت مجدداً.

غَنَى لها السطر الأول من «رحلة تيدي بيرز».

كانت الإجابة: «ووب... ووب...».

«هيا، غَنَى معي يا أليس، سيساعدك الغناء كي تعودني إلى وعيك، إذا نزلت إلى الغابة اليوم...».

«إذا نزلت إلى الغابة اليوم...»، وكانت تشهق مع كل كلمتين أو ثلاث. «فهنالك مفاجأة كبيرة».

أشاحت أليس بوجهها تحت الخرقه، وأمسك بكتفها المصابة، وأدرك أنه يؤلمها، ولكنه لم يرتدع عن فعل ذلك. كان سيفعل أي شيء ليعيدها إلى وعيها.

«هيا غَنَى بِنَفْسٍ واحد: فهناك مفاجأة كبيرة».

«فهنالك مفاجأة... كبيرة... ووب».

«إنك لا تغنين بشكل مثالي، ولكنك تغنين بشكل أفضل من السابق. غَنَى لي السطرين معاً، وضعي إحساسك في الأغنية. إذا نزلت إلى الغابة اليوم فهناك مفاجأة كبيرة. هيا، غني معي المقطع الثانية».

غنت معه، وكانت الخرقه قد حجبت صوتها، وكانت شفتها تشكلان هلالاً حين تستنشق الهواء.

جلس إلى جانبها بينما كانت تلتقط أنفاسها، ثم وضع ذراعاً حول كتفها وقال: «أنت بخير. أنت على ما يرام».

أزاحت الخرقه عن وجهها بينما كانت هناك خصل من الشعر داكن اللون تزين جبهتها، وسألته: «ما هذه الأغنية؟».

«رحلة تيدي بيرز».

«هل تنجح دائماً؟».

«أجل»، ما لم تفقدي نصف رقبتك.

«عليّ أن أسجلها على هاتفني المحمول»، تذكرت عندها وقالت:

«اللعنة، لقد اختفى هاتفني».

قال بيلي وهو يشير إلى غرفة المعيشة: «سأضعها على أحد الحواسيب المحمولة».

«لماذا لديك الكثير منها؟ ما حاجتك إليها؟».

«هذا يدعى بقانون الاحتمالات. وهذا يعني...».

«أعرف قصدك. إن هذا جزء من تنكرك كالشعر المستعار وبطن الحمل»،
أبعدت شعرها عن جبهتها وتابعت: «حلمت أن تريب كان يخنقني. اعتقدت
أنه كان سيخنقني حتى أموت. كان يقول لي: أنزلي سروالك الداخلي،
بصوته الأجنس الغريب وليس بصوته الحقيقي، واستيقظت حينها...».

«...ولم تستطعي التنفس».

أومأت برأسها.

«هل شاهدت يوماً فيلم ديليفرنس؟ إنه عن رجال ذهبوا في رحلة عبر
الزوارق».

نظرت إليه وكأنه مختلّ قائلةً: «كلا. ما علاقة هذا بما قلتها؟».

«إن جملة أنزلي سروالك الداخلي من ذلك الفيلم»، ولمس الكدمات
على رقبته برقة متناهية.

«إن حلمك عبارة عن ذكرى مستعادة. لا بد أن هذا هو آخر شيء
سمعته قبل أن تفقدي الوعي، وليس لأنه قد وضع لك شيئاً في شرباك
بل لأنه خنقك، ولكنه لم يتمكن من قتلك، لا بد أن هذا لم يكن متعمداً،
ولكنك كنت ستموتين لا محالة».

«إذا ذهبت إلى العابة اليوم فهناك مفاجأة كبيرة. ما هي تمة الأغنية؟».

«لا أتذكر الأغنية بأكملها، ولكن المقطع الأول كان هكذا: إذا ذهبت
إلى العابة اليوم فهناك مفاجأة كبيرة. إذا ذهبت إلى العابة اليوم فعليك أن
تنكر بثياب مثيرة. ألم يسبق لأمك أن غنتها لك؟».

«لم تكن أُمي تغني لي قط، مع أن صوتها جميل».

جلسا سوياً لبرهة، وانتظم تنفسها مجدداً، ولاحظ بيلي بعد انقضاء

تلك الأزمة أنها لم تكن ترتدي سوى سترة بلاك كيز - لقد تفادت أن تتقيأ عليها بطريقة أو بأخرى - ولم يكن هو يرتدي سوى سرواله الداخلي. نهض حينها وقال: «ستكونين على ما يرام الآن».

«لا تذهب».

جلس مجدداً، واقتربت منه، استلقى بيلى إلى جانبها، وكان متوتراً، ووضع ذراعه تحت رأسه وكأنها وسادة.

«أخبرني لماذا قتلت ذلك الرجل»، سكتت لبرهة ثم قالت: «من فضلك».

«لديك مفهوم خاطئ عن حكايات ما قبل النوم».

«أريد أن أسمعك، وأفهمك لأنك لا تبدو رجلاً سيئاً».

فكر بيلى: لم أعتبر نفسي يوماً رجلاً سيئاً، ولكن الأحداث الجديدة وضعت هذه المسألة تحت الاختبار. شعر بالعار عندما نظر إلى رسم طائر الفلامنغو المسمى ديف على الطاولة بجانب السرير.

ابتسمت له بتردد وقالت: «ما تقوله هنا سيظل هنا».

كانت حكاية غريبة ليقصها عليها قبل النوم، ولكنه أخبرها بها بدءاً من اليوم الذي أقله فيه فرانك ماكتوش وبول لوغان من الفندق. في البداية، فكر أن يغيّر الأسماء - كما فعل في بداية قصته التي كان يكتبها - ثم وجد أن الأمر لم يكن مجدداً. كانت تعرف كين هوف من الأخبار وجورجيو أيضاً. لقد استثنى شخصاً واحداً وحسب: لقد حوّل اسم نيك ماغاريان إلى بينغي كومبسون. كان على دراية تامة بأن معرفة اسمه سيعرضها للخطر في المستقبل.

اعتقد أن رواية كل شيء بصوت عالٍ سيساعده على ترتيب أفكاره. لم يحدث هذا، ولكن أنفاسها أصبحت أكثر انتظاماً، وكانت هادئة. لقد أفادت هذه القصة في هذا الأمر على الأقل. سألته بعد أن استوعبت مجريات القصة: «إن هذا الرجل بينغي كومبسون كلفك بهذه المهمة، ولكن من كلفه؟».

«لا أدري».

«ولماذا ورّط ذلك الرجل الآخر هوف؟ ألم يكن بمقدور أحد أعضاء العصابة أن يؤمّن لك سلاحاً من دون أن يمسك به؟».

أعتقد أنه استعان بهوف لأنه يملك المبنى. ذلك المبنى الذي أطلقت النار منه. لقد كان يملكه؛ ذلك المبنى الذي كان عليك أن تنتظر فيه لوقت طويل وأنت متخفّ».

أجل، مثل المراسلين الذين كانوا يروحون جيئةً وذهاباً في العراق وهم يرتدون دروعاً ويعتمرون خوذاً واقية ثم ينزعونها عندما ينهون مقالهم وتسرح لهم الفرصة للعودة إلى ديارهم.

«لم تكن فترة طويلة جداً»، ولكنها كانت كذلك فعلاً.
«ورغم ذلك، إن الأمر يبدو معقداً للغاية».

اعتقد بيلى ذلك أيضاً.

«أظن أنني أستطيع الخلود إلى النوم مجدداً»، ثم أضافت وهي لا تنظر إليه: «يمكنك البقاء إن أردت ذلك».

قال بيلى الذي كان خائفاً أن يخونه... مجدداً إنه يجدر به العودة إلى الأريكة.

لعل أليس تفهّمت هذه النقطة، لأنها رمقته بنظرة غريبة، ثم أومأت برأسها، واستلقت على جانبها، وأغمضت عينيها.

3

في الصباح، أخبرته أليس أن الحليب قد نفذ، وأن رقائق الذرة لا تنفع وهي جافة. فكّر بيلى في نفسه: وكأنني لا أعرف ذلك. اقترح عليها البيض، ولكنها قالت: «لم تتبقّ سوى واحدة فقط. لا أفهم لماذا اشتريت ستّ بيضات وحسب».

فكّر في نفسه: لأنني لم أكن أتوقع أن يرافقني أحد.

قالت له: «أعلم أنك لم تتوقع أن تطعم اثنين».

«سأذهب إلى متجر زونيز فليدهم الحليب والبيض».

«إذا ذهبت إلى هاريس في باين بلازا فسيمكنك أن تحضر أضلاعاً أو ما شابه. يمكننا أن نشويها في الخلف عندما يتوقف المطر، وأحضر من تلك السلطة المعلّبة. إن المكان ليس بعيداً عن هنا».

فكر بيلى لوهلة أنها تحاول التخلص منه كي تهرب، ثم تفحص الكدمات الصفراء على وجنتيها وجبهتها وأنفها المتورم، ودحض تلك الفكرة في الحال.

إنها تحاول الاستقرار هنا في الوقت الحالي.

كانت ستموت ما لم ينقذها، كما أنه لم تظهر عليه بوادر أنه يريد اغتصابها، بل على العكس تماماً، لقد ذهب وجلب لها حبوب منع حمل من الصيدلية في حال حملها من أحد أولئك الأوغاد. كما كان عليه التفكير في أمر سيارة الفورد فيوجين المرخصة؛ إنها تنتظره في الجهة المقابلة من المدينة وحين الوقت ليحضرها إلى هنا كي يستطيع الفرار إلى نيفادا حين يشعر بالأمان.

بالإضافة إلى ذلك، لقد أحب أليس واحترم طريقة تعافيتها من مصابها. لقد انتابتها عدة نوبات هلع، ولكن هذا الأمر كان بديهاً عندما تُخدر وتُغتصب من قبل عصابة. لم تتحدث عما ستفعله بخصوص الجامعة، ولم تذكر أيّ أصدقاء أو معارف ولم تتوتر كي تتكلم مع أمها - أو أختها، مصففة الشعر - واعتقد أن أليس في إجازة من الحياة. لقد أوقفت مسار حياتها لبعض الوقت كي تفكر بالمستقبل القريب. لم يكن بيلى معالجاً نفسياً، ولكن كانت لديه طريقة صحية على الأرجح.

فكر بيلى: لم تكن هذه المرة الأولى لأولئك الأوغاد. لقد كانوا أوغاداً،

واغتصبوا فتاة فاقدة للوعي. من يُقدّم على مثل هذا الأمر؟

«حسناً، سأذهب لأحضر المشتريات. ستبقين هنا أليس كذلك؟».

«أجل»، وكان الأمر تحصيل حاصل، «سأتناول بعض رقائق الذرة مع ما تبقى من الحليب، ويمكنك أن تحظى بالبيضة»، ثم نظرت إليه بتردد متابعَةً: «إذا كان الأمر مناسباً لك، فيمكننا أن نعكس الأدوار. إنها أغراضك في النهاية».

«لا بأس. هل ستساعديني في معاجة آلام معدتي بعد الفطور؟»
لقد أضحكها، وكانت هذه المرة الأولى التي يراها فيها تضحك.

4

سألها وهما يأكلان ما إن كانت تعلم بمتلازمة ستوكهولم فأجابته بعدم معرفتها إياها، لذا شرح لها قائلاً: «إذا قبضت الشرطة عليّ فستأتي إلي هنا، فقط عليك أن تقولي لهم إنك كنت خائفة من المغادرة».

قالت أليس: «إنني خائفة بالفعل، ولكن ليس منك، لا أريد أن يراني الناس على هذه الحال، لا أريدهم أن يروني على الإطلاق لفترة، ولن يُقبض عليك لأنك تبدو مختلفاً جداً في هذا الزي».

ثم رفعت إصبعاً محذراً، وقالت: «ولكن...»
«لكن ماذا؟».

«إنك تحتاج إلى مظلة لأن الشعر المستعار سيبدو مستعاراً بشكل جلي تحت المطر، إذ إن قطرات الماء تعلق عليه بينما الشعر الحقيقي يترطب ويهبط قليلاً».

«ليس لدي مظلة».

«هناك واحدة في خزانة الزوجين جنسن. إنها قرب الباب عند المدخل».
«متى فتشت خزانتهما؟».

«عندما كنتُ تُعدّ الفطور. تحب النساء أن يَريْنَ ممتلكات الأشخاص»، نظرت إليه من الجهة المقابلة من الطاولة، وكانت تأكل رقائق الذرة وهو يأكل البيضة، وأضافت: «ألم تكن تعرف هذا حقاً؟».

إن المظلة تساعد في عدة أشياء، فبالإضافة إلى أنها حمت شعره الأشقر المستعار، فقد حجبت وجهه، وقلّلت من شعوره بأنه مراقب عندما غادر المنزل واتجه إلى أقرب موقف حافلات. لقد تفهّم شعور أليس تماماً لأنه مائل شعوره الآن.

إن الذهاب إلى الصيدلية كان مرهقاً للأعصاب، ولكن هذا كان أسوأ لأن المكان كان أبعد. كان بوسعه أن يمشي إلى باين بلازا، فالمسافة كانت قريبة إلى حدّ ما، كما أن المطر قد خفت قليلاً، ولكن لا يمكنه أن يمشي إلى المدينة. وهناك شيء آخر، أنه كلما اقترب من مغادرة المدينة كلما ازداد احتمال أن تقبض عليه الشرطة قبل أن يفعل ذلك.

بغض النظر عن الشرطة ورجال نيك، ماذا كان سيفعل إذا قابل أحداً من حياته كديفيد لو كريدج؟ إنه يتخيل نفسه وهو ينعطف على زاوية هاريس ومعه كيس مشترياته ثم يقابل بول راغلاند أو بيت فازيو. ربما لن يلاحظاه ولكن النساء سيتعرّفن إليه. كانت فيل وكورين أكرمان ستتعرفان إليه بغض النظر عما قالته أليس بخصوص أنه يبدو مختلفاً في هذا التنكر مع الشعر المستعار والبطن المستعار، ولعل جين كيلوغ المترنحة ستتعرف إليه أيضاً حتى ولو كانت في أقصى درجات الثمالة؛ إنه متأكد من هذا. لم يرجح احتمال حصول هذا الأمر، ولكن أموراً كهذه كانت تحدث دائماً؛ دائماً ما تنتهي الرحلات بلقاء الأحبة وكل عاقل على وجه هذه الأرض يعلم ذلك. عاين جدول رحلات الحافلات قبل أن يغادر، وانتظر الحافلة رقم 3 على شارع رامبارت، ووقف تحت مظلة الموقف مع ثلاثة أشخاص آخرين وأغلق المظلة لأنها ستثير الشبهات لو أبقاها مفتوحة. لم ينظر إليه أحد؛ كانوا جميعاً ينظرون إلى هواتفهم الذكية.

لقد صادفه سوء الحظّ في المرأب عندما لم تتحرّك سيارة الفوردي ثم

تذكر أن عليه وضع رجله على الكابح. قال في نفسه: هذا أمر بديهي يا رجل.

اتجه إلى باين بلازا، واستمتع بشعور أنه يقود مجدداً، ولكنه شعر في الوقت ذاته بالخوف من أن يصطدم بسيارة أخرى، وتطلب الشرطة أوراقه الثبوتية أو أن يلفت أنظار الشرطة بشكل آخر (لقد مرت بجانبه دوريتان في رحلته التي كانت عبارة عن ثلاثة أميال وحسب). اشترى من هاريس لحمًا وحليياً وبيضاً وخبزاً وسلطة معلبة وصلصات وبعض المون المعلبة، ولم يقابل أحداً يعرفه. وهل يمكن أن يقابل أحداً؟ إن شارع إيفرغرين في ميدوود كما أن الأشخاص الذين يعيشون في ميدوود يتسوقون من متجر سيف مارت.

دفع ثمن مشترياته ببطاقة ائتمان دالتون سميث، وعاد إلى شارع بيرسون. ركن السيارة في الممر قرب المنزل، وترجل حاملاً مشترياته. كانت الشقة فارغة ولم يكن هناك أثر لأليس.

6

اشترى كيسي قماش ليضع مشترياته فيها - طُبع عليهما: هاريس وهومتاون فريش - وكانا سيقعان على الأرض وهو يتفحص غرفة المعيشة والمطبخ الخاليين. كان باب غرفة النوم مفتوحاً ولاحظ أنها خالية أيضاً، ولكنه نادى اسمها في كل الأحوال، لأنه ظنها في الحمام.

ولكن باب الحمام كان مفتوحاً أيضاً؛ كانت ستغلقه إن كانت في الداخل حتى لو كانت بمفردها في الشقة، إنه على دراية تامة بهذا. لم يكن خائفاً تماماً، ولكن انتابه شعور مثل... ماذا؟ هل تأذت؟ هل خاب أُملي؟

فكر بيلي في نفسه: أعتقد أنني قد شعرت بخيبة الأمل. هذا غباء مني، ولكن هذه هي الحال. لقد أعادت النظر في قراراتها وحسب. كنت على

دراية تامة بأن هذا الاحتمال كان وارداً؛ أو كان عليه أن يتوقعه.

دخل المطبخ، ووضع المشتريات على غسالة الأطباق، ورأى صحنينهما على المجفف، وجلس ليفكر بما سيفعله الآن، ثم رأى ورقة قد ثبتت على وعاء السكر، كتبت عليها: أنا في الخلف.

فكر بيلى وهو يتنفس بعمق: لا عليك. إنها في الخلف وحسب.

وضع بيلى المشتريات التي تحتاج إلى تبريد في الثلاجة، ثم خرج من الباب الأمامي، وقام بجولة حول المنزل، واستخدم المظلة مجدداً. أزاحت أليس المشواة عن الوحل، وكانت تنظفها وقد أولته ظهرها. لا بد أنها سطت على خزانة الزوجين جنسن مجدداً، لأن المعطف الأخضر الوافي من المطر الذي كانت ترتديه وكان يصل لأسفل ساقها يعود لدون.

«أليس؟»

صرخت وقفزت وكادت توقع المشواة، فاقترب منها ليساعدها.

قالت وهي تلتقط أنفاسها: «لِمَ عليك أن تخيف الناس؟»

«أنا آسف. لم أقصد أن أتسلل.»

«ولكنك...»، ووب، «فعلت ذلك.»

قال لها وهو يمازحها: «غني لي أول سطر من أغنية رحلة تيدي بيرز.»

«لا...»، ووب، «أتذكره.»

رفع يديه وتراقص قليلاً وغنى: «إذا ذهبت إلى الغابة اليوم...»

«إذا ذهبت إلى الغابة اليوم، فهناك مفاجأة كبيرة. هل أحضرت

الأغراض؟»

«أجل.»

«والأضلاع؟»

«أجل. اعتقدت أنك غادرت عندما دخلت إلى المنزل.»

«لم أغادر. لا أعتقد أنك جلبت ليفة للتنظيف أليس كذلك؟ إن هذه

الليفة الأخيرة في الطابق العلوي كما أنها مستهلكة للغاية.»

«لم تكن الليفة على لائحة المشتريات، كما أنني لم أكن أتوقع أنك ستجربين حملة تنظيف في المطر».

أغلقت غطاء المشواة، ونظرت إليه بتأمل قائلة: «أتريد مشاهدة المزيد من حلقات بلاكليست؟».

قال لها: «أجل»، وهذا ما فعلاه. شاهدا ثلاث حلقات إضافية، وبين الحلقتين الثانية والثالثة ذهبت إلى النافذة وقالت: «إن المطر يشارف على التوقف وستشرق الشمس. أظن أننا سنستطيع الشوي اليوم. هل تذكرت أن تحضر السلطة؟».

فكر بييلي في نفسه: سينجح الأمر مع أنه غير منطقي، ولكن الأمور ستأخذ مجراها.

7

بعد الظهر، أشرقت الشمس، ولكن ببطء، وكأنها لم ترد ذلك. شوت أليس الأضلاع، والتهم بييلي حصته بأكملها مع أنها كانت شبه محروقة من الخارج وقليلة النضج من الداخل - لست طاهية ممتازة، أنا آسفة - كانت الأضلاع لا بأس بها، ولكن السلطة كانت لذيذة. لم يلحظ مدى اشتياقه للورق الأخضر إلا حين بدأ بالتهاهماها.

صعدا إلى الطابق العلوي، وشاهدا المزيد من حلقات بلاكليست ولكنها كانت متوترة وتنقلت من أريكة إلى أخرى، ثم إلى كرسي بدا وكأنه عرش دون جنسن عندما يكون في المنزل. ذكر بييلي نفسه بأنها قد شاهدت كل هذه الحلقات سابقاً مع أمها وأختها على الأرجح. لقد سئم منه هو الآخر عندما اكتشف أسلوب ريد ريدنغتون.

قالت عندما أوقفت عمل التلفاز واستعدا للنزول إلى الطابق الأرضي: «يجب أن تترك بعض المال لاشترك نيتفليكس».

قال لها بييلي إنه سيفعل ذلك مع أنه يتوقع أن دون ويبف لا يحتاجان

أن يفكراً بالمشاكل المالية نظراً لكسبهما المفاجئ.

قالت له إن دوره قد حان لينام على السرير ولم يجادلها في هذه النقطة بعد أن نام ليلة على الأريكة. خلد للنوم حالاً ولا بد أن دماغه قد درّب جزءاً منه على أن يسمع نوبات هلعها لأنه استيقظ حالاً عندما سمعها تحاول التقاط أنفاسها عند الساعة الثانية والرابع.

ترك بابه مفتوحاً قليلاً في حال حدوث هذا. وصل إليه ووضع يده على المقبض ثم سمعها تغني بصوت خافت.

«إذا ذهبت إلى الغابة اليوم...».

أعدت المقطع الأول مرتين، فانتظم تنفّسها إلى حدّ ما، وعاد يبلي إلى السرير.

8

لم يعرفا - ولم يعرف أحد - أن هناك فيروساً معدياً سيغلق أميركا بالكامل ومعظم العالم في غضون نصف سنة. بحلول اليوم الرابع، بدأ يبلي وأليس يفكران كيف سيتعسكران في مكان ما. في صباح اليوم الرابع أي قبل يوم من قرار يبلي الذهاب إلى الغرب الذهبي، كان يؤدي بعض تمارينه العسكرية، ونظفت أليس الشقة مع أنها لم تحتجّ لذلك لأنهما لم يكونا فوضويين. أنهت عملها، وجلست على الأريكة، وحين كانت تشاهد برنامج طبخ على التلفاز، أتى يبلي وهو يلهث.

قال لها: «دجاج مشوي على السيخ؟ يبدو لذيذاً».

«لِمَ عليك أن تشويه في المنزل في حين يمكنك شراؤه من المتجر وباللذة نفسها؟»، أوقفت أليس عمل التلفاز وتابعت: «أتمنى لو كان لدي شيء لأقرأه. هل يمكنك أن تحمّل كتاباً لي؟ كقصة تحقيق مثلاً؟ حمّله على أحد حواسيبك الرخيصة وليس حاسوبك الخاص الثمين».

لم يجبها يبلي، إذ خطرت في باله فكرة جريئة ومتهورة.

أخطأت في تفسير تعابيره وقالت: «لم أبحث في أغراضك. أنا أعلم أنها رخيصة لأن عليها بعض الخدوش بينما حاسوبك يبدو جديداً».

لم يكن يبلي يفكر في أنها قد فتشت في حواسيبه، فهي لن تتجاوز كلمة السر في كل الأحوال. كان يفكر في راصد أم - 151 ولماذا لم يفسر الغرض منه وكان السبب هو أنه كان يكتب لنفسه. لن يقرأ أحد ما ألفه، ولكن كان هناك شخص الآن يمكنه قراءته، وما الضرر في ذلك باعتبار أنها تعرف حقيقته؟

ولكنه كان سيتأذى إن لم تعجبها القصة أو قالت إنها مملة وطلبت شيئاً أكثر إمتاعاً.

قالت له: «ماذا يجري؟ تبدو غريباً».

«لا شيء، أقصد... كنت أعمل على تأليف شيء ما. إنها تشبه قصة حياتي. لا أعتقد أنك ستودين أن...».

«بلى».

9

لم يحتمل فكرة أن يجلس معها وهي تقرأ الكلمات التي كتبها هنا وفي برج جيرارد، لذا ذهب إلى طابق الزوجين جنسن ليروي دافني ووالتر. وضع عشرين دولاراً على طاولة المطبخ مع ملاحظة كتب عليها من أجل نيتفليكس وتجول في المكان، ولكنه راح جيئةً وذهاباً مثل أبٍ مترقّب في برامج الكرتون. عاين المسدس في درج دون وحمله، ثم أعاده وأغلق الدرج.

من السخافة أن يشعر بالتوتر، لقد كانت طالبة في إدارة الأعمال وليست ناقدة أدبية. لا بد أنها نامت خلال حصص اللغة الإنكليزية في المدرسة، وكانت سعيدة بالعلامات المتوسطة وبمعرفتها أن اسم شكسبير على قافية الفطير. تفهّم يبلي نقطة أنه كان يقلّل من ذكائها ليحمي غروره

كما تفهّم أنه غبي لأن رأيها يجب ألا يكون مهماً وأن القصة بحدّ ذاتها لم تكن مهمة لأن لديه أموراً أهم ليفكر فيها، ولكنه اهتم برأيها وبالقصة كثيراً. أخيراً، نزل إلى الطابق السفلي، ووجد أنها لا تزال تقرأ، ولكنه ارتعب عندما أشاحت بوجهها عن الشاشة، لأن عينيها كانتا متفتختين وحمراوين. «ما الخطب؟».

مسحت أنفها بباطن يدها كالأطفال وقالت: «هل حدث هذا حقاً لأختك؟ هل داس ذلك الرجل عليها إلى أن ماتت؟ أنت لم تختلق هذا القسم؟».

«كلا. لقد حدث هذا حقاً». شعر فجأة أنه يريد البكاء مع أنه لم يبكِ وهو يكتب هذا القسم.

«هل كان هذا سبب إنقاذك لي؟ بسبب ما حصل لها؟».
قال في نفسه: أنقذتك لأنني لو تركتك في الشارع لكانت الشرطة ستأتي إلى المنطقة، مع أن هذه لم تكن الحقيقة الكاملة. هل نستطيع أن نخبر أنفسنا بالحقيقة الكاملة؟
«لا أعلم».

انهمرت الدموع من عيني أليس وقالت: «أنا آسفة جداً لما حصل. اعتقدت أن ما حصل لي كان سيئاً، ولكن...».
«ما حصل لك كان سيئاً بالفعل».
«... ولكن ما حصل لها كان أسوأ. هل أطلقت النار عليه فعلاً؟».
«أجل».

«ممتاز، ممتاز. وهل وضعت في الدار حقاً؟».
«أجل، يمكنك أن تتوقفي عن القراءة إذا كان الأمر يزعجك»، ولكنه لا يريد منها أن تتوقف ولم يكن آسفاً على إزعاجها، بل كان مسروراً واقتراب منها.

تمسكت بالحاسوب، وكأنها خائفة من أنه سيسحبه وقالت: «أريد أن

أقرأ التتمة»، ثم قالت له بنبرة تأنيب: «لِمَ لم تكن تعمل على هذه القصة بدلاً من مشاهدة برامج غبية على التلفاز؟».

«ليس لدي ثقة بنفسى في هذا المجال».

«حسناً، أتفهم شعورك. أنا كذلك أيضاً. لذا كفت عن النظر إليّ ودعني أكمل القراءة». أراد أن يشكرها على دموعها، ولكن بدا له الأمر غريباً، وسألها عن مقاسها.

«مقاسى؟ لماذا؟».

«هناك متجر بالة قرب هاريس حيث يمكننى أن أشتري لك بعض البناطيل والسترات وربما حذاء كذلك. لا تريدين منى أن أراقبك وأنت تقرئين ولا أود هذا أيضاً، ولا بد أنك سئمت من هذه التنورة». ابتسمت له بمكر، وهذا ما جعلها تبدو أجمل رغم الكدمات، ثم قالت: «ألست خائفاً من الخروج من دون المظلة؟».

«سأستقل السيارة. تذكرى وحسب أن تقولى للشرطة إذا أتت إلى هنا أنك كنت خائفة من المغادرة وأنى قلت لك إننى سأعثر عليك وسأؤذيك». قالت أليس وهى تدون له مقاساتها: «ستعود».

أخذ وقته فى المتجر، لأنه أراد أن يعطيها مساحة خاصة. لم يَرِ أحداً يعرفه، ولم يبال به أحد. عندما عاد إلى المنزل، كانت قد أنهت قراءة الكلمات التي استغرقت كتابتها شهراً فى غضون أقل من ساعتين. كان لديها العديد من الأسئلة، ولكن ليس عن الراصد. كانت أسئلتها حول الأشخاص وخصوصاً روني وغلين والفتاة المسكينة ذات العين الواحدة فى بيت الطلاب الدائم. قالت إنها أحببت كيف كتب بأسلوب طفل صغير عندما كتب عن ذلك الوقت وكيف تغير مع الزمن، وأخبرته أن عليه متابعة الكتابة. كما قالت إنها ستصعد إلى الطابق العلوى، وتشاهد التلفاز فى الوقت الذي سيكتب فيه، ثم ستأخذ قيلولة. «أنا أشعر بالتعب فى معظم الأحيان».

«إنه ليس كذلك. إن جسدك يحاول التأقلم بعد ما فعله أولئك الأوغاد

وقفت أليس عند عتبة الباب وقالت: «دالتون؟»، كانت تناديه بهذا الاسم رغم أنها تعرف اسمه الحقيقي، «هل مات صديقك تاكو؟». «مات الكثير من الناس قبل أن تنتهي تلك الفترة». قالت: «أنا آسفة»، ثم أغلقت الباب خلفها.

10

كتب باندفاع لأن رد فعلها شجعه، لم يكتب الكثير عن الفترة بين نيسان وتشرين الثاني من العام 2004 حين كان من المفروض أن يربحوا القلوب والعقول، ولكنهم لم يربحوا شيئاً. كتب عنها بضع فقرات، ثم انتقل إلى الفترة التي لا تزال تؤلمه.

لقد قالوا لهم أن ينسحبوا بعد أن مات ألبى بيومين لأن هناك شائعة عن وقف إطلاق النار، وعندما وصل فريق اللامعين التسعة - الذي أصبح فريق اللامعين الثمانية ولكنهم كتبوا ألبى أس. على خوداتهم - إلى القاعدة، وبحث ببلي عن حذاء الطفلة في كل مكان حيث ظن أنه قد نسيه هنا، وساعده الآخرون في البحث، ولكن لم يجدوا له أثراً.

عادوا مجدداً ليمارسوا أعمال مسح المنازل. كانت المنازل الثلاثة الأولى على ما يرام؛ كان اثنان منها فارغين أما الأخير فكان يسكنه فتى صغير في الثانية عشرة أو الرابعة عشرة من عمره ورفع يديه صارخاً: «لا داعي للسلاح أيها الأميركيون. أحب نيويورك. لا تطلقوا النار أيها اليانكيز». كان المنزل الرابع هو بيت الرعب المعهود.

توقف ببلي هنا ليتمرن قليلاً.

كان يفكر في احتمال أن يظل هو وأليس في شارع بيرسون لفترة أطول، ربما لثلاثة أيام إضافية، ولعله كان سينتهي من فقرة بيت الرعب بحلول هذا الوقت. أراد أن يكتب بشأن موضوع فقدان حذاء الطفلة، وأنه لم يؤثر على

مجرى الأحداث بأي شكل من الأشكال، كما أراد أن يؤكد أن قلبه لم يكن يصدق هذا الأمر بعد.

تمدد قليلاً، ثم ركض على الدرج لأنه لم يكن بوسعها أن يرتاد عيادة طبيب إذا ألمه ظهره. لم يسمع أي صوت للتلفاز من طابق الزوجين جنسن ولا بد أن أليس قد خلدت إلى النوم، كان يأمل أنها كانت تسير على درب الشفاء، مع أنه لم يعتقد أن هناك امرأة في العالم تعافت من فكرة اغتصابها. كان الاغتصاب يترك ندبة عميقة، وكانت تؤلم في بعض الأحيان. اعتقد أن ألمها لن يزول حتى بعد مرور عشر سنوات أو عشرين أو ثلاثين سنة. لعل الألم يشبه هذا الوصف ولعله يشبه شيئاً آخر، ولعل الرجل الوحيد الذي يمكنه أن يتفهّم هذا الشعور هو رجل اغتصب.

وهو يركض على الدرج، فكّر في الرجال الذين اغتصبوها، لقد كانوا رجالاً بالفعل فتريب دونوفان كان في سن الرابعة والعشرين ورجح بيلى أن زميليه في السكن جاك وهانك كانا في السن ذاتها، لقد كانوا رجالاً وليسوا شباناً؛ كانوا رجالاً سيئين.

عاد إلى الطابق السفلي مقطوع الأنفاس، ولكنه شعر بالانتعاش والدفء والاستعداد التام ليعاود الكتابة لساعة أو ساعتين. ولكن وصلته رسالة على حاسوبه قبل أن يفتح الملف. كانت الرسالة من بوكي هانسون الذي احتفى في حصنه العظيم أو ما شابه. لم يتم تحويل أي مبلغ ولا أعتقد أنهم سيقومون بتحويله. ماذا ستفعل؟
كتب له بيلى: سأحصل على حقي.

تلك الليلة، جلس قرب أليس على الأريكة. بدت جميلة بينظالها الأسود وسترتها المرقطة، ولكنها ذُعرت عندما أوقف عمل التلفاز وقال لها إنه يود أن يتكلم معها.

«هل هناك خطب ما؟».

رفع بيلي كتفيه، فقالت: «أخبرني في الحال».

سمعتة بحذر، وجحظت عيناها من الترقب، ثم قالت عندما أنهى كلامه: «هل ستفعل هذا حقاً؟».

«أجل، إنهم يستحقون عقاباً وخيمة لما فعلوه بك، ولكن هذا ليس السبب الوحيد، إن أولئك الرجال لن يكتفوا بهذه المرة، ولعلك لم تكوني الأولى ولن تكوني الأخيرة».

«إن هذه تُعدُّ مخاطرة كبيرة».

فكّر بالمسدس في درج دون جنسن وقال لها: «ليس إلى هذا الحد».

«لا يمكنك أن تقتلهم، لا أريدك أن تقتلهم، عدني أنك لن تقتلهم».

لم يُفكر بيلي بالأمر مسبقاً، كان عليهم أن يدفعوا ثمن أخطائهم وفي الوقت ذاته، كان عليهم أن يتعلموا منها، ولكن الموتى لا يتعلمون من أخطائهم. قال لها: «كلا، لن أقتلهم».

«ولا أكثر حقاً بجاك وهانك لأنهما لم يتظاهرا أنهما معجبان بي ثم قاداني إلى شقتهما».

لم يقل بيلي شيئاً، ولكنه كان يهتم لأمرهما. لقد شارك كلاهما في هذه الجنحة الفظيعة على الأرجح استناداً للحالة التي رآها فيها.

وضعت يدها على ذراعه وقالت: «ولكنني أريد معاينة تريب؛ إذا أذيتة فسأسرّ كثيراً، أعتقد أن هذا يجعلني شخصاً سيئاً».

قال بيلي: «إن هذا يجعلك من البشر، فعلى الأشخاص السيئين دفع الثمن، وعلى هذا الثمن أن يكون باهظاً».

الفصل السادس عشر

1

استطعنا سماع إطلاق نار ومتفجرات في مناطق متفرقة من المدينة، ولكن منطقتنا كانت هادئة قبل أن يختلط الحابل بالنابل. مسحنا أول ثلاثة منازل في قسمنا الذي يدعى بلوك ليما من دون أي مشاكل. كان أول منزلين فارغين أما الثالث فسكنه فتى يافع لم يكن مسلحاً أو يرتدي حزاماً ناسفاً، لقد جعلناه ينزع سترته كي نتحقق من الأمر، وأرسلناه إلى قسم الشرطة مع جنديين كانا يتجهان إلى هناك مع سجنائهم. تأكدنا أن ذلك الفتى سيعود إلى الشارع بحلول الليل لأن ذلك القسم لم يقدم ولم يؤخر. كان محظوظاً لأننا تركناه على قيد الحياة مع أننا كنا غاضبين على فقدان ألبى ستارك. لقد رفع دين سلاحه بالفعل، ولكن كلو الضخم أبعد السلاح وقال له أن يدع الفتى وشأنه.

قال جورج: «سيحمل كلاشينكوف في المرة القادمة التي سنراه فيها. يا لهم من أوغاد!».

كان المنزل الرابع هو الأكبر في هذه المنطقة حيث كان عقاراً منفرداً. كان ذا قبة وفناء مع أشجار نخيل؛ لا بد أنه موئل أحد الأثرياء البعثيين. كان المنزل محاطاً بجدار إسمنتي عالٍ رُسم عليه أطفالٌ يلعبون بالكرة وآخرون يلعبون بالحجلة ويركضون ونساء يراقبنهم، لعلهن كنّ ينظرن باستحسان، ولكن من الصعب جزم ذلك بسبب النقاب. كان هناك رجل يقف على الجانب، وأخبرنا مترجمنا فريد أنه كان من المتطوعين. كانت النساء يراقبن الأطفال أما المتطوعون فكانوا يراقبون النساء ليحرصوا على ألا يفعلن شيئاً يثير الشهوات. لقد أمتعنا فريد لأن لكتته كانت تشبه لكتة سكان ميشيغان.

كانت لكنته معظم المترجمين تشبه سكان ميشيغان لسبب لا يعلمه سوى الله. «كانت تلك الصورة تعني أنه مسموح للأطفال أن يأتوا ويلعبوا هنا». قال دونك: «إنه أشبه بيت المرح».

قال فريد: «لا يسمح لهم باللعب سوى في الحديقة وليس داخل البيت».

قلب دونك عينيه، وضحك باستهزاء، ولكن لم يضحك أحد له في الحال. كنا نُفكّر جميعاً في ألبى وفي احتمال أن نلحق به. قال تاكو: «ها يا أصحاب، دعونا نتحقق من الأمر». أعطى فريد البوق الذي كتب عليه صباح الخير فينتام بخطّ مائل وقال له...

2

انفصل بيلى عن عالم الفلوجة عندما سمع أليس وهي تركض على الدرج مقتحمة شقة الطابق السفلي وشعرها يتطاير خلفها قائلة: «لقد أتى شخص ما. كنت أروي النبتين حين رأيت سيارة تسير على ممر السيارات»، لقد وفرت نظرتيه بينما كانت تتكلم الوقت على بيلى بأن يسألها ما إن كانت متأكدة، فنهض واتجه إلى نافذته المعهودة.

«هل تعتقد أن الزوجين جنسن قد عادا باكراً؟ لقد أوقفت عمل التلفاز، ولكنني كنت أشرب القهوة ورائحتها فوّاحة، كما أن هناك صحناً على غسالة الأطباق، وفيه فتات، سيرفان أن هناك أحداً...».

أبعد بيلى الستارة بضعة إنشات. لم يستطع أن يتبين ما إن استطاعت السيارة الجديدة أن تصعد على الممر حيث كانت الزاوية خطأ ولكن كان باستطاعته تدبير الأمر بسبب سيارة الفيوجين المرخصة. كانت عربة زرقاء مخدوشة على أحد جانبيها. لم يعرف للوهلة الأولى أين رأى هذه السيارة، ولكنه تذكرها قبل أن يرى السائق. لقد كان هذا الوكيل العقاري الحقيقي ريختر الذي أجره الشقة.

رفع بيلى رأسه إلى الأعلى وقال: «هل أقفلتِ الباب؟».

أشاحت أليس بوجهها واتسعت حدقتها؛ وكانت خائفة، ولكن لا بأس. كان الأمن مستتباً حتى لو حاول ريختر أن يفتح الباب ويتفقد. عندما طرق على الباب لم يجب أحد. لقد طلب منه الزوجان جنسن أن يروي النبتتين، ولكن لعله سينزل إلى هنا، ولم يكن بيلى يضع الشعر المستعار أو بطن الحامل، بل كان يرتدي سترة عادية وبنطالاً قصيراً للتمرين.

فتح الباب الأمامي، وسمعا ريختر يدخل المنزل. لقد نظف القيء، ولكن هل كان سيشم آثار الرائحة؟

فهما لم يفتحا الباب لتهوية البهو.

أراد بيلى أن ينتظر ليرى إن كان ريختر سيصعد إلى طابق الزوجين جنسن، ولكن الوقت كان يداهمه. «شغلي الحواسيب».

أشار بيده إلى عدته الإلكترونية... ويا إلهي، إن ريختر لم يصعد إلى الطابق العلوي بل كان في طريقه إلى الطابق السفلي. «أنت قريتي».

لم يستطع التفكير في غير ذلك. أغلق حاسوب الماك بوك برو، وركض باتجاه غرفة النوم وأغلق الباب. بينما أمسك بالبطن المستعار الذي كان يتدلى في الحمام، سمع ريختر وهو يطرق الباب. كان عليها أن تفتح الباب لأنه عرف من السيارة أن هناك أحداً في الداخل. عندما تفتح الباب، سيرى امرأة يافعة أصغر من بيلى بكثير، وسيرى الكدمات، كما أن وجهها كان أحمر من الركض على الدرج. لكن ريختر لن يفكر أن احمرار وجهها كان من الركض على الدرج، وكان هذا موقفاً سيئاً.

حاول بيلى أن يثبت البطن على ظهره، ولكنه وقع على الأرض. انتشله ثم حاول مجدداً. لقد شد البطن كثيراً هذه المرة ولم يستطع أن يضبطه حتى بعد أن تنفس بعمق، وعندما أرخى الرباط، وقع البطن اللعين مجدداً. ارتطم رأس بيلى بخزانة الدروج، ثم انتشل البطن، وأجبر نفسه على أن يهدأ، وشد الرباط، ثم ضبط البطن في مكانه المناسب.

سمع بيلى من غرفة النوم تمتمات كما سمع ضحكات أليس.

بدت ضحكاتها متوترة. اللعنة، اللعنة، اللعنة.

ارتدى ملابس فضفاضة لأنها أسرع، ولأن أليس كانت محقة: إن البدينين يميلون لارتداء ملابس فضفاضة لأنهم يظنون أنها تجعلهم يبدو أكثر نحافة. كان الشعر المستعار على خزانة الدروج. أمسك به، ووضع على شعره الأسود. ضحكت أليس مجدداً من غرفة المعيشة، وذكر بيلى نفسه ألا يقول اسمها لأنه وعلى حد علمه، لم تعطِ الزائر اسمها الحقيقي. تنفس بعمق ليهدئ من روعه قليلاً، وابتسم وهو يأمل أن يبدو بمظهر شخص محرج لأنه لبي نداء الطبيعة ثم فتح الباب. «أرى أن لدينا ضيوفاً». قالت أليس: «أجل»، نظرت إليه، وابتسمت، وقرأ تعابير الارتياح العارم في عينيها، «قال إنه من أجرك الشقة».

قطب بيلى حاجبيه وكأنه يحاول أن يتذكره، ثم ابتسم عندما تذكره: «آه، أجل، أجل. أنت السيد ريختر أليس كذلك؟».

قال له: «ريختر»، ومد له يده. صافحه بيلى وهو يبتسم، وحاول أن يعرف ما الذي يفكر به ريختر لكنه لم يستطع. لا بد أن ريختر قد لاحظ الكدمات على وجهها وتوترها ورببتها؛ لقد كان من الصعب عدم ملاحظة ذلك.

هل كانت يد بيلى متعزقة؟ أجل على الأرجح.

أشار بيلى بلا مبالاة إلى غرفة النوم والحمام خلفه قائلاً: «لقد كنت في...».

قال ريختر: «لا عليك»، لقد كان يعاين شاشات الحواسيب التي تجوب المواقع المضللة: فوائد التوت البري، ونصيحتان غريبتان لإزالة التجاعيد، والأطباء يناشدونكم ألا تأكلوا هذا النوع من الخضروات، انظروا كيف أصبح النجوم المراهقون الآن.

قال ريختر: «هل هذا عملك؟».

«إن هذا عمل إضافي. أنا أجنبي المال الذي أدفعه على البيرة والسكيتلز من أعمال التكنولوجيا. إنني أتقل دوماً أليس كذلك يا عزيزتي؟».

قالت أليس: «أجل»، وضحكت بشكل متوتر مجدداً. رمقها ريختر بنظرة خاطفة واستشف بيلي من تلك النظرة أن هذا الرجل لم يصدق أليس عندما قالت له إنها قرييته بينما كان يتعثر بالبطن المستعار، كما لم يصدق أن القمر مصنوع من العجينة الفرنسية.

قال ريختر: «إنها أمور مدهشة»، ثم انحنى ليرى أن الشاشة قد انتقلت من الخضروات الضارة - والتي تبين أنها كانت الذرة؛ لم تكن الذرة من الخضار الحقيقية أساساً - إلى أشهر عشر جرائم لم يتم حلها - كانت قضية جونينيه رامزي تصدر هذه القائمة - ثم تابع: «مدهشة حقاً»، وقف باعتدال وتفحص المكان مضيفاً: «أعجبني ما فعلته بالمكان».

لقد رتبته أليس قليلاً، ولكنه لم يتغير تماماً عن الحال التي استلمه عليها. سأله بيلي: «كيف يمكنني أن أخدمك يا سيد ريختر؟».

تلبس ريختر شخصية رجل الأعمال، وعدّل ربطة عنقه، وابتسم بشكل رسمي وقال: «لقد أتيت لأضعك بالصورة. اشترت سلسلة شركات اسمها ساوذرن إينديفور تلك المخازن على شارع بوند والمنازل التي بقيت على شارع بيرسون بما فيها هذا المنزل. إنها تهدف لإنشاء مول يعيد إحياء هذه المنطقة من المدينة».

شكّ بيلي في احتمال أن المول سيعيد إحياء أي شيء في عصر الإنترنت، ولكنه لم يقل شيئاً. بدأت أليس تهدئ من روعها، وهذا أمر جيد، وقالت لهما: «سأذهب إلى غرفة النوم لأدعكما تتحدثان براحتكما»، فعلت هذا ثم أغلقت الباب خلفها.

وضع بيلي يديه في جيبيه، وترنح على قدميه، وقدم بطنه المستعار قليلاً ليظهر من تحت السترة الفضفاضة ثم قال: «هل تحاول أن تخبرني أنه سيتم هدم هذه المخازن والمنازل بما فيها هذا المنزل؟».

قال ريختر وكأنه يقدم هدية سخية: «أجل، ولكنهم يمهلونكم ستة أسابيع للبحث عن مكان مناسب للإقامة. أخشى أن الوقت ضيق، ولكن اترك لي عنوانك الذي ستنقل إليه، وسيسرني أن أساعدك في الإيجار الأولي»، تنهد ريختر، ثم أضاف: «عليّ أن أخبر الزوجين جنسن قبل أن أغادر المكان. سيكون الأمر صعباً لأنهما يعيشان هنا منذ فترة طويلة».

لم يكن بيلي مخولاً أن يخبره بأن دون ويفرلي كانا يبحثان عن مكان جديد ليشترياه بدلاً من الاستئجار عندما يعودان من رحلتهم، ولكنه أخبر ريختر أن الزوجين جنسن سيغيان لفترة طويلة، وأنهما طلبا منه أن يروي النبتتين، وهو ما يقوم به مع قريته.

«يا لحسن تعاملك. بالمناسبة، إنها فتاة لطيفة»، ولعق شفثيه وربما كان فعلاً بريئاً وربما لا.

«هل لديك رقم لاتواصل مع الزوجين جنسن؟».

«أجل، إنه في محفظتي. اعذرني للحظات».

«بالطبع».

كانت أليس تجلس على السرير، وتنظر إليه بعينين واسعتين. لقد كان وجهها شاحباً جداً، وبدت عيناها وكأنهما تطرحان الأسئلة مثل: ماذا حصل؟ وما مدى سوء الوضع؟

رفع بيلي يده، وأشار إليها بما مفاده: إن الوضع على ما يرام.

تناول محفظته، وعاد إلى غرفة المعيشة، وتذكر أن يمشي وكأنه بدين.

كان ريختر يحملق في أحد الحواسيب، وكانت يداه تتدليان على ركبتيه مثل رقائق الساعة المتوقف. كان يتفحص فوائد الأفوكادو التي كانت أفضل خضار الأرض - مع أنها كانت فاكهة - وفكر بيلي في احتمال أن يشبك أصابعه، ويضرب ريختر على عنقه، ولكنه اكتفى بفتح محفظته عندما أدار وجهه، وأعطاه قصاصة من الورق قائلاً: «ها هو الرقم».

تناول ريختر دفترًا صغيراً من جيبه الداخلي، وكتب الرقم بقلم فضي

قائلاً: «سأتصل بهما».

«يمكنني الاتصال بهما إذا أردت».

«من دواعي سروري، ولكن سيتوجب عليّ أن أتكلم معهما بنفسني. إن هذا من اختصاصي. آسف لإزعاجك يا سيد سميث. سأدعك تعود إلى...»، نظر إلى باب غرفة النوم وأضاف: «... إلى ما كنت تفعله». أدار رأسه باتجاه باب غرفة النوم متابعاً: «لا علاقة لي بالأمر لأننا في القرن الحادي والعشرين».

«أنا أعلم هذا، ولكن الأمر ليس على هذا النحو».

صعدا الدرج باتجاه البهو واستند بيلى على الدرايزين وتهد ثم قال: «عليّ أن أخسر بعض الوزن». قال ريختر: «وأنا أيضاً».

قال بيلى: «إن هذه الفتاة المسكينة هي ابنة أختي ماري. لقد هجرها زوجها منذ سنة وقابلت ذلك الوغد في حانة ما. كان اسمه بوب أو ما شابه. لقد أزعج الفتاة وضربها عندما قاومته. لا أعلم إن فهمت قصدي». «لقد فهمتك»، ثم نظر ريختر إلى الباب الأمامي، وكأنه لا يصدق اللحظة التي سيخرج فيها إلى سيارته. فكّر بيلى في نفسه: لعل هذه القصة جعلته غير مرتاح أو لعله يريد الابتعاد عني. «إليك تكملة القصة، إن لماري طبعاً صعباً حيث إنها لا تحتمل أن يملئ عليها أحد ما يجب أن تفعله».

قال ريختر وهو ينظر إلى الباب: «إنني أعرف هذا النوع تماماً».

«سأعنتي بابنة أختي لمدة أسبوع لأدع أختي تهدأ قليلاً، ثم سأعيد ابنتها وأتكلم معها بشأن بوب».

«فهمتك تماماً»، ثم أدار وجهه وابتسم قليلاً ومدّ يده لبيلى. بدت الابتسامة صادقة، فلعل ريختر صدّق قصته، ومن منظور آخر، لعله استمات بالتمثيل وكأن حياته تتوقف عليه، ولعلها كانت تتوقف عليه فعلاً. صافحه

بيلي بشدة.

قال ريختر بصوت عالٍ: «يا للنساء! لا يمكنك أن تعيش معهنّ ولا يمكنك أن تعيش من دونهنّ».

كانت هذه مزحة فضحك بيلي. أفلت ريختر يده، وفتح الباب، ثم أدار وجهه قائلاً: «أرى أنك قد حلقت شاربك».

وضع بيلي يده على وجهه مصعوقاً؛ لقد نسي أن يضع الشارب المستعار لكن ربما كان هذا أفضل. كان الشارب صعباً حيث كان يتطلب الكثير من اللاصق والعناية، فإذا لم يضعه في الوقت المناسب أو ظهرت آثار الصمغ اللاصق كان سيعرف ريختر أنه كان مستعاراً وسيتساءل عن الأمر. قال بيلي: «لقد سئمت من إبعاد الطعام عنه».

ضحك ريختر، ولم يستطع بيلي أن يتبين ما إن كانت ضحكة مجاملة أم لا؛ لعلها كانت كذلك. قال: «إنني أتفهم هذا تماماً يا صديقي».

نزل الدرج، واتجه إلى سيارته، وكان ظهره محدّباً. ربما كان هذا بسبب البرد، أو لأنه توقع أن بيلي سيطلق عليه النار.

لوح له قبل أن يدخل، وبدوره لوح له بيلي، ثم ركض إلى الطابق السفلي.

3

قال بيلي: «عليّ أن أتدبر أمر مغتصبيك اليوم، وعلينا أن نخرج من دودج غداً».

وضعت أليس يداً على فمها، ثم أنزلتها عندما اصطدم إصبعها بأنفها المتورم.

«يا إلهي، هل تعرّف عليك؟».

«إن حدسي يقول لي لا، ولكنه إنسان ينتبه إلى التفاصيل حيث إنه لاحظ أن شاربي قد اختفى...».

«يا إلهي».

«لقد ظن أنني حلقته، فالأمر على ما يرام على حدّ علمي. أنا مستعد أن أغامر ليوم آخر. هل أعطيته اسماً؟».

«بريندا كولينز. لقد كانت صديقتي في المدرسة الثانوية. هل... أعطيته اسماً آخر؟».

«كلا، لقد قلت إنك ابنة أختي وحسب، كما قلت له إن زوج أمك قد ضربك لأنك لم تلبّي نزواته».

أومأت أليس برأسها قائلةً: «ممتاز. إن هذا منطقي للغاية».

«ولكن هذا لا يعني أنه صدق القصة. إن القصص شيء والواقع شيء آخر. ما رآه هو رجل سمين في منتصف عمره مع فتاة يافعة مليئة بالكدمات. لقد بدت أليس منزعجة من كلامه، وكان يبلي سيضحك لو أن الظروف كانت مختلفة لأنها كانت تشبه الأطفال حينها. قالت: «أنا في الحادية والعشرين من عمري، إنني امرأة بالغة».

«هل يطلبون هويتك في الحانات؟».

«حسناً...».

أوما يبلي برأسه، وأنهى النقاش.

قالت أليس: «لا أعتقد أنه علينا الانتظار ليوم غد إذا كنت عازماً على... مواجهة تريب. لعله يجدر بنا أن نغادر الآن»، لقد كانت تنظر إليه وكأن الأمر كان محسوماً.

قال يبلي: «يا إلهي. إنك تعانين من متلازمة ستوكهولم فعلاً».

«كلا، لأنني لست رهينة. كان بوسعي أن أغادر عبر شقة الزوجين جنسن في أي وقت إذا صعدت على الدرج بهدوء، وما كنت ستلاحظني لأنك ستكون منغمساً بكتاباتك».

فكّر يبلي في نفسه: كان هذا صحيحاً، وبالإضافة...

قالت أليس ما كان يجول في خاطره: «إن وددت أن أهرب منك، فكان

بوسعي الهرب في أول مرة خرجت فيها، أي عندما ذهبت لتشتري لي الدواء في ذلك الصباح»، سكتت لبرهة ثم أضافت: «بالإضافة إلى أنني أعطيته اسماً مستعاراً».

«لأنك كنت خائفة».

أشاحت أليس وجهها وقالت: «كنت في الغرفة المجاورة، حيث كان بوسعي أن أهمس له أنك وويليام سامرز الذي قتل ذلك الرجل أمام المحكمة. كان من الممكن أن نصل لباب سيارته قبل أن تنتهي من وضع هذا الشيء»، ووكزته على بطنه المستعار.

«من الجنون أن ترافقيني».

لكن الفكرة كانت تسري كالماء في الطين الجاف. لا يمكنها أن ترافقه إلى فيغاس، ولكن إذا عملا على قصة تحمي هوية دالتون سميث التي كانت في خطر محقق فربما...

«يمكنك أن تذهب بمفردك إذا تركت تريب وصديقيه وشأنهم، لأنهم سيربطون أي خطر يصيبهم بي. لن يخاطروا ويذهبوا إلى الشرطة، ولكن من الممكن أن يؤذوني».

4

حاول بيلي أن يخفي ابتسامته؛ كانت تحاول أن تلعب بمشاعره، وكانت تنجح بفعلتها هذه. لقد اختلفت عن الفتاة شبه الواعية التي كانت تتقياً عندما رآها تحت المطر والتي كانت تصيها نوبات ذعر في الليل، واعتقد بيلي أن هذا تحسن ملحوظ. كما أنها كانت على صواب؛ كان أولئك الثلاثة سيربطون أي مكروه يصيبهم بها على اعتبار أنها الفتاة الوحيدة التي اغتصبوها في ذلك الأسبوع.

قالت وهي تنظر إليه محاولةً التلاعب به: «أجل، أعتقد أنه يجب ألا تعاقبهم»، ثم سألته عن سبب ضحكته.

«لا شيء. إنك تعجبيني وحسب. كان تاكو سيقول إن فيك سحراً». «لا أعرف ماذا تقصد». «لا يهم. ولا بد أن يُعاقب أولئك الأوغاد. عليّ أن أفكر في الأمر ملياً». قالت أليس: «هل يمكنني أن أساعدك في التوضيب بينما تفكر في الأمر؟».

5

لقد وضّب بيلي الحقائب، ولم يستغرق الأمر وقتاً طويلاً. لم يكن هناك مكان لملابسها الجديدة في حقيبتها، ولكنه عثر على كيس بارنز أند نوبل بلاستيكي على رف خزائنه العلوي ووضع حاجياتها فيه، ثم وضع الحواسيب بكيس ونقلها إلى سيارة الفيوجين.

بينما كان يفعل هذا، نظفت أليس شقة الزوجين جنسناً بخرقة صحن وبخاخ ممزوج مع الماء لمحو البصمات، ومسحت السطوح. اعتنت بجهاز التحكم الخاص بالتلفاز حيث استخدماه ولم تنس مفاتيح الإنارة. ساعدها بيلي في تنظيف الطابق السفلي بعد أن نزلت إلى هناك، وأوليا الحمّام اهتماماً فائقاً: نظفا المغاسل، والمرآة وكبسة رحض المراحاض، وقد استغرق منهما هذا قرابة الساعة.

قالت له: «أعتقد أننا أنهينا».

«ماذا عن مفتاح شقة الزوجين جنسناً؟».

قالت: «يا إلهي، لا يزال بحوزتي. سأمسح بصماتي عنه ثم... ماذا؟ هل أضعه تحت دواصة الأحذية أمام الباب؟».

قال: «سأهتمّ بالأمر»، ولكنه ذهب لي جلب مسدس دون جنسن الروغير. وضعه في حزامه تحت البطن المستعار وغطته السترة الفضفاضة. كان هذا المسدس غالياً، فسعره يتراوح بين خمسمئة أو ستمئة دولار، ولم يكن مع بيلي هذا المبلغ حالياً. ترك مئة دولار، وكتب ملاحظة بخط غير أتيق: لقد

أخذت مسدسك، وسأدفع لك ثمنه حين تُتاح لي الفرصة، ولكنه كان يعني إذا استطاع ذلك. ماذا عن والتر ودافني؟ هل كانتا ستموتان عند النافذة؟ هل كانتا تمثيلاً لروميو وجوليت في عالم النبات؟
يا له من تساؤل غبي في وضعه الحالي!

كان هذا لأن بييف أطلقت عليهما اسمين على الأرجح. رواهما للمرة الأخيرة، وتمنى أن يصادفه حظاً طيب، ثم تلمس جيبه الخلفي، وتحقق من رسم الفلامنغو الذي كان مطويّاً.

عندما نزل إلى الأسفل، تناول هاتف أليس من جيبه، وأعطائها إياه بعد أن استبدل بطاقة الاتصال. أخذته منه وهي تنظر إليه نظرة اتهام قائلة: «لم يكن ضائعاً. لقد كان بحوزتك طوال الوقت.»
«لم أكن واثقاً بك.»

«وهل تثق بي الآن؟»
«أجل، وعليك أن تتصلي بأملك في أقرب وقت، وإلا ستقلق عليك.»
قالت أليس: «أعتقد أنها ستقلق علي...»، ثم أضافت بحرقه: «بعد مرور شهر أو أكثر»، تنهدت وقالت: «ماذا سأقول لها؟ لقد قابلت صديقاً شاركني حب حساء الدجاج ومسلسل البلاكليست؟».

فكر بييلي في الموضوع، ولكنه لم يجد رداً مناسباً.
عندها ابتسمت أليس وقالت: «هل تعرف شيئاً؟ سأخبرها أنني تركت الكلية، إنها ستصدق هذا، كما سأخبرها أنني سأذهب إلى كانكون مع بعض الأصدقاء وستصدق هذا أيضاً.»
«هل ستصدقك فعلاً؟»

«أجل.»
تصوّر بييلي علاقة الأم وابنتها من خلال هذه الكلمة، كانت مفعمة بالبكاء والاتهامات والأبواب المغلقة بعنف. قال لها: «عليك أن تصوغي الأمر بشكل أفضل. والآن علينا الذهاب.»

هناك مخرجان لشيرود هایتس على التقاطع، وكان فيهما العديد من مطاعم الوجبات السريعة، ومحطات الوقود، والعديد من وحدات الإقامة. أخبر بيلى أليس أن تختار نزلاً لا يتبع لسلسلة مشهورة. تناول مسدس الروغير، ووضعه تحت المقعد بينما كانت تعاین اللافتات، وعندما وصلا إلى المخرج الثاني، أشارت إلى نزل بيني باينز، وسألته عن رأيه.

قال بيلى إنه مناسب. استخدم بطاقة ائتمان دالتون سميث ليحجز غرفتين متجاورتين بينما انتظرت أليس في السيارة، وتذكر بيلى حينها أغنية «ثرد ريت رومانس» لفرقة آمينغ ريديم آيسيس. أدخلوا حقائبهما، وتناول بيلى حاسوب الماك بوك برو من حقييته، ووضعه على طاولة الغرفة الوحيدة - كانت غير متزنة، وتتطلب ركيزة تحت إحدى قوائمها - ثم أغلق الحقيبة ووضعه على ظهره.

«ما حاجتك إلى حقيبة الظهر هذه؟».

«أحتاج إليها لبعض المعدات. علي أن أتسوق، كما أن مظهرها ملائم. إنها تجعلني أبدو محترفاً. ما رقمك؟».

أعطته رقمها وحفظه في جهات اتصاله.

«ما هو عنوان الشقة التي مكث فيها أولئك الرجال؟»، كان عليه أن يسألها هذا من قبل، ولكنهما كانا مشغولين.

«لا أعرف رقمها، ولكنها بجوار لاندفيو على الطريق 10. إنها آخر محطة للحافلة قبل أن تتجه إلى المطار وتنعطف مجدداً». أمسكت أليس بكم قميصه ورافته إلى النافذة، ثم أشارت إليه وقالت: «أنا متأكدة من أنها بجوار لاندفيو، كما أن هذه المباني الثلاثة إلى جانبها جزء منها. إن تريب يعيش - إنهم يعيشون - في المبنى سي».

«في الطابق الثالث؟».

«هذا صحيح. لا أذكر رقم الشقة، ولكنها كانت في آخر الرواق. عليك أن تُدخل رمزاً كي تفتح الباب الأمامي، ولكنني لم أرَ ما كتبه. لم أكثرث لهذا التفصيل حيث ظننت أنه لم يكن مهماً».

قال بيلى: «سأدخل إلى هناك». تمنى بيلى أن يكون محققاً في هذا الأمر. كان مجال اختصاصه هو الأسلحة وليس اقتحام المنازل التي كان عليها مفاتيح حماية.

«هل ستعود إلى هنا قبل أن تذهب؟».

«كلا، ولكنني سأتواصل معك».

«هل سنمكث في هاتين الغرفتين اليوم؟».

«لا أعلم. يعتمد هذا على الطريقة التي ستسير الأمور وفقها».

سألته عما إذا كان متأكداً من قراره فأجابها بيلى مؤكداً ذلك، وكانت هذه الحقيقة.

«لعلها فكرة سيئة».

لعلها كذلك، ولكن بيلى كان مقدماً على الأمر، إذ كان على أولئك الرجال دفع الثمن غالباً.

«سأراجع عن الأمر إذا قلت لا».

بدلاً من أن تفعل ذلك، أمسكت أليس إحدى يديه وشدتها - كانت يداها باردتين - وقالت: «توخَّ الحذر».

مشى إلى منتصف الرواق ثم عاد، هناك سؤال نسي أن يطرحه عليها. طرق الباب، ففتحت له.

«كيف يبدو تريب؟».

تناولت هاتفها، وأرته صورة له ثم قالت: «التقطت هذه الصورة عندما ذهبنا لمشاهدة فيلم».

كان يتسم في الصورة وهو يحمل الفوشار، وكان هو نفسه الرجل الذي خدَّرها واغتصبها برفقة صديقيه، وألقى بها من عربة وسط البرد

والمطر. كانت عيناه تلمعان وأسنانه بيضاء لامعة. اعتقد بيلى أنه يشبه ممثلاً في دعاية معجون أسنان.
«حسناً. ماذا عن صديقيه؟».

«كان أحدهما قصيراً، ويغطي النمش وجهه، أما الآخر فكان أطول منه بكثير وأسمر البشرة. لا أتذكر من كان جاك ومن كان هانك».
«لا يهم».

7

كان مول المطار قرب النزل وفي أعلى الشارع. كان بجواره فرع لوول مارت أكبر من فرع ميدوود. أقفل بيلى سيارته ووارى المسدس تحت مقعده، وتسوّق من المول؛ كانت الذريعة سهلة.
اشترى قناعاً حيث كان الهالويين بعد أسابيع، ولكن المتاجر كانت تعرض تحضيرات العطل قبل وقتها. اشترى منظاراً رخيصاً وكيساً من الأربطة البلاستيكية وقفازاً رقيقاً وخلاطاً يدوياً من نوع ماجيك ووند وعلبة من منظف الأفران من نوع إيزي-أوف. كان هناك شرطيان في الخارج وكانا يحتسيان القهوة ويتناقشان بشأن المحركات. حياهما بيلى وقال: «طاب مساؤكما أيها الشرطيان».

ردا التحية، ثم تابعا نقاشهما. مشى بيلى كالبدين إلى أن وصل إلى المرأب ثم ركض مسرعاً إلى سيارة الفيوجين. وضع المسدس ومشترياته في حقيبة حاسوبه المحمول وقاد ميلاً ونصف إلى لاندفيو. كانت راقية للغاية ومناسبة جداً للمتمتعين بحياة العزوية، ولكن لم يكن فيها مقصورة حراسة، كما كان مرأب سيارات المبنى سي. خالياً تقريباً في هذا الوقت من اليوم. ركن بيلى سيارته في مكان مقابل الباب، ونزع البطن المستعار وانتظر. وبعد مرور حوالى عشرين دقيقة، أتت سيارة كيا ستينغير رياضية، ونزلت منها امرأتان معهما أكياس تسوّق، ورفع بيلى نظاره. اتجهت المرأتان إلى

الباب الرئيسي، وأدخلنا رمزاً على لوحة المفاتيح ولكن كانت تحجب إحداهما الرؤية فلم يستفد بيلى. وصل بعد عشرين دقيقة رجل... ولكنه ليس واحداً من الرجال الذين كان يبحث عنهم. كان هذا الرجل في العقد الخامس من عمره كما أنه حجب بدوره الرؤية عن لوحة المفاتيح فلم يكن هناك نفع من المنظار.

فكر بيلى في نفسه: لن أستفيد شيئاً بهذه الطريقة.

كان من الممكن أن يدخل مع أي ساكن من هذا المبنى - هل يمكنك أن تدع الباب مفتوحاً من بعد إذنك؟ شكراً - ولكن هذا كان يحدث في الأفلام فقط على الأرجح. كما أنه كان وقت راحة فلم يدخل سوى شخصين في آخر أربعين دقيقة، ولم يخرج أحد من المبنى.

حمل بيلى حقيبة حاسوبه على كتفه، وذهب إلى خلف المبنى. كان أول شيء يراه في مرآب السيارات هو العربة.

كان بوسعه أن يرى ما كتب على الملصق: تبا للفشل. لا بد أن أحد أولئك الأوغاد على الأقل في المنزل، إلا إذا كانت العربة معطلة.

كانت هناك حاويتا قمامة كبيرتان قرب باب الخدمة كما كان هناك كرسي حديقة على اليمين وطاولة عليها منفضة.

كان الباب مفتوحاً قليلاً ومثبتاً بقرميدة لأنه كان من النوع الذي يقفل مباشرة إذا تم إغلاقه، ولم يبدو أن الشخص الذي كان يدخل في الخارج يريد أن يتعب نفسه في فتحه كل مرة.

اتجه بيلى نحو الباب، وألقى نظرة خاطفة من الفتحة. رأى رواقاً مظلماً ولم يكن فيه أحد، كما كان هناك صوت أغانٍ وكان أكسيل روز يغني «ويلكم تو ذا جانغل».

كانت هناك أبواب مفتوحة على اليمين واليسار على بعد ثلاثين قدماً، وكانت الموسيقى تصدر من باب إلى جهة اليمين. دخل بيلى إلى المبنى، ومشى بخفة في الرواق. عندما تتواجد في مكان لا تنتمي إليه، فعليك أن

تتظاهر بأنك تنتمي إليه. كانت الغرفة على اليسار عبارة عن غرفة الغسيل، وكان هناك العديد من الغسالات والمجففات تعمل على النقود، أما الغرفة الواقعة جهة اليمين فكانت تؤدي إلى القبو.

كان هناك أحد يغني مع الأغنية. لم يستطع بيلى رؤيته بوضوح، ولكنه رأى ظلاً لم يكتفِ بالغناء بل كان يرقص أيضاً. لعل المشرف على المبنى قرر أن يأخذ استراحة من عمله - سواء أكان إعادة ضبط القواطع أو دهن بعض الجدران - وتخيّل أنه كان يشترك في برنامج الرقص مع النجوم. كان هناك مصعد خدمة كبير في نهاية الرواق وكان مفتوحاً وكان باباه مبيتين بواسطة سنادات ولكن بيلى لم يفكر في استخدامه.

كان المصعد متصلاً مع القبو، لذا كان الظل الراقص سينتبه إليه، وكان هناك باب إلى يسار المصعد كتب عليه أدراج، فاستخدمه وصعد إلى الطابق الثالث. فتح حقيبة حاسوبه المحمول حينها ووضع القفاز والقناع. وضع الأربطة في جيب بنطاله، وكان يمسك بالمسدس بيد وبعلبة المنظف باليد الأخرى. فتح باب الدرج وعابن البهو. كان خالياً كما كان الرواق خلفه خالياً. كان هناك باب شقة على اليسار وعلى اليمين وفي نهاية الرواق الذي كان مهجع المغتصبين.

مشى بيلى في الرواق. كان هناك جرس، ولكن بيلى طرق على الباب. توقف قليلاً، ثم طرق على الباب بقوة أكبر.

سُمِعَت خطوات أقدام ثم قال أحدهم من الداخل: «من على الباب؟».

«الشرطة يا سيد دونوفان».

«أنا لست دونوفان، أنا زميله».

«لن ينفذ هذا معك، افتح الباب».

كانت بشرة الرجل الذي فتح الباب سمراء وكان أطول من بيلى بستة إنشات على الأقل.

كان طول أليس ماكسويل خمس أقدام وأربعة إنشات وحسب، فضايقتها

فكرة أن هذا الرجل العملاق فعل فعلته الشيعة بأليس.

«ماذا...؟»، شحب وجهه عندما رأى رجلاً يضع قناع ميلانيا ترامب ويحمل حقيبة حاسوب على ظهره.

قال بييلي: «أنزل بنطالك»، ثم رش مسحوق إيزي-أوف على عينيه.

8

تهاوى جاك أو هانك إلى الخلف، ووضع يده على عينيه.

سالت الرغبة عن وجنتيه ومن فكيه، وتعثّر بوسادة كانت أمام كرسي من القش ثم سقط أرضاً. كانت غرفة معيشة للعشاق بالتأكيد وكان هناك أريكة لشخصين - كان بييلي متأكداً أنها تسمى بأريكة العشاق - وكانت تواجه شاشة التلفاز الضخمة. هناك طاولة دائرية عليها حاسوب محمول ومشرب مقابل النافذة يطلّ على المطار. استطاع بييلي أن يرى طائرة تقلع وكان متأكداً أن ذلك الوغد سيتمنى لو كان على متنها إذا استطاع رؤيتها. كان هذا الرجل يصرخ أنه أصبح أعمى.

«لست أعمى، ولكنك ستصبح أعمى إن لم تغسل عينيك بالماء بسرعة، لذا كن حذراً. ارفع يديك».

«لا أستطيع أن أرى، لا أستطيع أن أرى».

«ارفع يديك وسأعتني بك».

كان جاك أو هانك يتلوى على السجادة الممتدة من الجدار للجدار المقابل. لم يبعد يديه، وكان يحاول أن يقف، وكان على بييلي أن يحترس لأن هذا الرجل كان ضخماً. أخفض بييلي حقيبة حاسوبه المحمول، وركل بطنه، فتأوه الرجل بصوت عالٍ

وتطايرت الرغبة على السجادة.

«هل تلعثمت؟ إن كلامي واضح. أبعد يديك».

أبعد يديه، وكان يضغط على عينيه كما احمرت وجنتاه وجبهته.

جثا بيلى على ركبتيه، وربط يدي ذلك الرجل قبل أن يستوعب ماذا يجري له.

«هل هناك أحد آخر في المنزل؟». كان بيلى متأكداً أنه لم يكن هناك أحد حيث إن عويل هذا الرجل كان عالياً للغاية ولم يظهر أحد.
«لا أحد. يا إلهي، إن عيني تحرقاني».
«انهض».

ترنح جاك أو هانك عندما وقف، وأمسكه بيلى من كتفيه، وجره عبر الممر الذي يؤدي إلى المطبخ قائلاً: «امش».

لم يمش جاك أو هانك بل تهاوى إلى الأمام، وحرك يديه أمامه ليرى ما إن كانت هناك أية عوائق. كان يتنفس بسرعة وصعوبة، ولكن أنفاسه لم تنقطع مثل أليس، أي لم يكن هناك داع أن يعلمه أول سطر من «رحلة تيدي بيرز». دفعه بيلى إلى أن ارتطم حزام سرواله بغسالة الأطباق. كان الصنبور مزوداً بألية الرش، فشغل بيلى الماء، ووجه المرشة إلى عيني جاك أو هانك. لقد تبلل هو الآخر في غضون ذلك، ولكن لم تكن هناك مشكلة فالمياه كانت منعشة.
«إنهما تحرقاني».

قال بيلى: «سيزول هذا الإحساس»، لكنه تمنى ألا يزول بسرعة. كان متأكداً أن مصاب أليس أحرقها بشدة ولعله لا يزال يحرقها، «ما اسمك؟». «ماذا تريد؟»، كان يبكي الآن. لا بد أنه في العقد الثاني من عمره. كان يبكي كالطفل مع أنه كان طويلاً جداً وبعمر الثانية والعشرين على الأقل. وضع بيلى فوهة المسدس على ظهر هذا الرجل وقال: «هذا مسدس، لذا لا ترغمني على سؤالك مجدداً. ما اسمك؟».

كاد يوشك على الصراخ: «جاك، جاك مارتينيز. لا تطلق علي النار أرجوك».

دفع بيلى جاك أمامه وقال: «هيا نذهب إلى غرفة المعيشة يا جاك».

اجلس على كرسي القش. هل يمكنك رؤيته؟».

ناح جاك وقال: «قليلاً. إن العالم مشوش من حولي. من أنت؟ لِمَ...؟».

«اجلس».

«يمكنك أن تأخذ محفظتي، لا أملك الكثير، ولكن تريب يحتفظ بالكثير من المال في غرفته في الدرج العلوي من مكتبه. خذ المال وانصرف».

«اجلس».

أمسك بمارتينيز من كتفيه، وأداره، ثم دفعه إلى كرسي القش الذي كان معلقاً على حبل موصول بالسقف، واهتزّ عندما جلس عليه جاك الضخم. حملق مارتينيز في بيبي بعينين حمراوين.

«اجلس دقيقة، وتمالك نفسك».

كان هناك بعض المناديل قرب دلو الثلج؛ كانت مناديل قماشية، وليست ورقية؛ هذا جيد، تناول بيبي منديلاً، وتوجّه صوب مارتينيز.

«لا تتحرك».

جلس مارتينيز من دون حراك، فمسح بيبي وجهه، وتخلص من آثار الرغوة، ثم تراجع وقال: «أين زميلك؟».

«لماذا؟».

«لا يحق لك أن تطرح الأسئلة يا جاك. أنا من يطرح الأسئلة. كل ما يفترض بك القيام به هو الإجابة عن أسئلتني، إلا إن كنت تريد جولة أخرى من الرغوة الحارقة، أو رصاصة في ركبتيك إذا أزعجتني للغاية. هل تفهمني؟».

«أجل»، تبللت مقدمة بنطال مارتينيز.

«أين هما؟».

«لقد ذهب تريب إلى آر. بي. سي. سي. ليرى مشرفه، أما هانك فهو في عمله. إنه يعمل رجل مبيعات في جوزبنك».

«ما هو جوزبنك؟».

«بنك جوزيف إي، إنه بنك لرجال...».

«لقد عرفته. ما هو آر. بي. سي. سي؟».

«جامعة ريد بلاف الحكومية. إن تريب طالب تخرج باختصاص

التاريخ، إنه يكتب بحثاً عن الحرب بين أستراليا وهنغاريا».

فكر بيلي أن يقول له إن أستراليا لم يكن لها علاقة بالثورة الهنغارية

عام 1848 ولكن لماذا عليه أن يخبره؟ لقد أتى إلى هنا ليعلم درساً آخر.

«متى سيعود؟».

«لا أعلم. أعتقد أن اجتماعه كان عند الساعة الثانية، كما أتوقع أنه

سيحتسي القهوة بعده؛ فهو يفعل ذلك دائماً».

قال بيلي: «لعله سيدردش مع النادلة ليتبين ما إن كانت جديدة في

المدينة وتريد أن تقابل شخصاً لطيفاً».

«ماذا تقول؟».

ركله بيلي على ساقه بشكل خفيف، ولكن مارتينيز صرخ من الألم،

واهتز كرسي القش. كان كرسيماً هزازاً لثلاثة زملاء في الغرفة.

«وماذا عن هانك؟ متى سيعود؟».

«إن عمله ينتهي في تمام الساعة الرابعة. لماذا...؟».

رفع بيلي علبة إيزي-أوف. لا بد أن رؤية مارتينيز ما زالت مشوشة،

ولكنه رأى العلبة، وسحب سؤاله.

«وماذا عنك؟ كيف تدفع ثمن البيرة وخبز البيغل؟».

«أنا أضارب في سندات الضمان».

ذهب بيلي إلى الحاسوب المحمول الذي كان على الطاولة المستديرة.

كانت هناك أرقام تظهر على الشاشة بتتابع وكان لونها أخضر. ومع أن اليوم

كان السبت، إلا أنه كان هناك أشخاص يتاجرون في مكان ما لأن جني المال

لا يعرف الراحة.

«هل أنت صاحب العربة في الخلف؟».

«لا إنها لهانك. لديّ سيارة مياتا».

«هل العربة معطّلة؟».

«أجل، لقد أخذت سيارتي للعمل هذا الأسبوع. إن المتجر الذي يعمل

به يقع في مول المطار».

سحب بيلى كرسيّاً عادياً، ووضعه أمام الكرسي الهزاز وجلس أمام

مارتينيز قائلاً: «يمكنني أن أتركك وشأنك يا جاك إن أحسنت التصرف. هل

يمكنك فعل ذلك؟».

«أجل».

«هذا يعني أنك ستلتزم الصمت عندما يصل زميلك، أي لا تحذّرها.

إنني أريد أن أعاقب تريب، ولكن إذا حذّرته أو حذّرت هانك فسأعاقبك

مثله. هل تفهمني؟ هل عقدنا صفقة؟».

«أجل».

تناول بيلى جواله واتصل بأليس، وسألت ما إن كان على ما يرام فقال:

«أجل، أنا بصحبة رجل اسمه جاك مارتينيز. لديه شيء ليقوله لك»، وضع

بيلى الهاتف قرب أذن جاك وقال له: «قل لها إنك وغد ودنيء».

لم يمانع جاك هذا لأنه كان خائفاً. كان بيلى يضع آماله في خوف جاك

وتمنى أن يتعلم درساً هو الآخر.

«أنا... وغد ودنيء».

«قل لها إنك آسف».

قال مارتينيز: «أنا آسف».

أخذ بيلى الهاتف، وبدت أليس وكأنها تبكي. قالت له أن يحترس وقال

لها بيلى إنه سيفعل. أنهى المكالمة، وصبّ اهتمامه على الرجل أحمر الوجه

الذي كان يجلس على كرسي القش وقال: «هل تعلم عمّاذا كنت تعتذر؟».

أوماً مارتينيز برأسه واكتفى بيلى بهذا الجواب.

جلسا ومضى الوقت. قال مارتينيز إن عينيه ما زالتا تحرقانه، فبلل بيلى منديلاً آخر، ومسح له وجهه وعينه فشكره مارتينيز. اعتقد بيلى أن الرجل سيستعيد ثقته بنفسه في نهاية المطاف كما أنه لن يغتصب امرأة مجدداً. لقد نجحت عملية إعادة تأهيله.

عند الساعة الثالثة والنصف، وقف شخص أمام الباب، في حين وقف بيلى خلفه، ووضع يداً على فم قناع ميلانيا كي يشير لمارتينيز أن يلتزم الصمت.

أوما مارتينيز برأسه. لا بد أن الشخص كان تريب دونوفان، لأنه لم يحن موعد انتهاء عمل هانك بعد. وضع دونوفان المفتاح في القفل بينما كان يصفر. أمسك بيلى بالروغير، ووضع قربه وجهه.

دخل دونوفان وهو يصفر؛ كان يماثل مواصفات الفتى اليافع الشيط بينطاله الجينز وسترة الجلد القصيرة واكتملت هذه المواصفات بالحقية الرسمية في يده والقبعة التي كانت تغطي شعره الأسود. رأى مارتينيز وهو يجلس على كرسي القش بيديه المكبلتين فتوقف عن الصفير، عندئذ تقدم بيلى وضربه بمؤخرة المسدس، ولكن بشكل خفيف.

ترنح دونوفان قليلاً، ولكنه لم يتهاو على الأرض مباشرة مثل الأفلام. أدار رأسه وكانت عيناه متسعيتين ووضع يده على رأسه في حين كان بيلى يوجّه المسدس عليه الآن.

نظر دونوفان إلى يده ورأى قطرات الدم عليها.
«لقد ضربتني».

قال مارتينيز بتأوه: «لقد تهاون معك».

«لماذا تضع هذا القناع؟».

«قَرَب مرفقيك من بعضهما».

«لماذا؟».

«لأنني سأطلق النار عليك إن لم تفعل هذا».

فعل دونوفان ما أملاه بيلي عليه، ولم يجادله في هذا.

وضع بيلي مسدسه في مقدمة بنطاله وهاجمه دونوفان، وهذا ما كان

بيلي يتوقعه. تنحى جانباً، وصدّ قفزة بيلي بضربة قوية وضع فيها ظهر

دونوفان على الباب فصرخ من الألم. أمسكه بيلي من ياقة سترته الجلدية

– لعله اشتراها من جوزيف إي. – وسحبه إلى الوراء، وجعله يتعثّر بساقه

الممدودة وسقط على ظهره بينما كان أنفه ينزف.

جثا بيلي قربه، ولكنه وضع مسدس دون جنسن في جيبه الخلفي كي

لا يحاول دونوفان أن ينتشله ثم تناول رباطاً.

«قَرَب مرفقيك».

«كلا».

«إن أنفك ينزف، ولكنه ليس مكسوراً. قَرَب مرفقيك، وإلا سأكسره».

قَرَب دونوفان مرفقيه فربطهما بيلي ببعضهما، ثم اتصل باليس ليخبرها

أنه نال من اثنين وبقي واحد.

لم يسلم دونوفان الهاتف لأنه لم يبدُ جاهزاً لأن يعتذر بعد.

10

جلس تريب دونوفان على أريكة العشاق، وظل يحاول محادثة بيلي.

قال إنه يعرف سبب وجود بيلي هنا، ولكنه أكد له أن كلام تلك الفتاة أليس

كان مجرد دفاع عن النفس. كانت مثارة، وكانت تريد الممارسة، وحظيت

بها، وافترق الأحبة، وانتهت القصة.

أوماً بيلي برأسه وقال: «لقد اصطحبتموها إلى المنزل».

«أجل، لقد فعلنا هذا».

«بواسطة عربية هانك؟».

ارتعشت عينا دونوفان عندما سمع هذا السؤال. كان لديه أسلوب ساحر وسخيف أنقذه طوال حياته، واعتقد أنه سيعمل على مقتحم يضع قناع ميلانيا ترامب ولكنه لم يفضل هذا السؤال؛ لقد كان سؤالاً استدراجياً. «كلا، لقد تعطلت العربة في مرأب السيارات الخلفي».

لم يقل بيلى شيئاً كما أن مارتينيز لم يقل شيئاً هو الآخر. لم ير دونوفان ملامح زميله التي كانت تعبر عن قوله: لقد أخفقت، إذ كان يركّز على بيلى. أشار برأسه إلى الحقيقة على الأرض وقال: «هل لديك ماك بوك برو؟ هذا رائع يا صديقي».

لم يقل بيلى شيئاً. كان وجهه يتعرق تحت القناع، ولم يطق الانتظار لأن ينزعه. أراد أن ينهي مهمته، ويغادر قنّ الدجاج هذا.

أتى الخنزير الثالث عند الساعة الرابعة والخمس والأربعين دقيقة. كان قصير القامة ويرتدي بذلة سوداء مؤلفة من ثلاث قطع وربطة عنق حمراء بلون الدم الذي سال على فخذي أليس ماكسويل. لم يسبب هانك أية مشكلة، بل استجاب على الفور لأوامر بيلى عندما رأى الدم على وجه دونوفان وعيني مارتينيز المتفخختين. أرشده بيلى إلى الطاولة المستديرة.

قال بيلى: «ها نحن ذا، اجتمعنا في هذه الغرفة بأحاسيس مرهفة».

قال دونوفان: «هناك مال في مكثبي وبعض المخدرات، إنه كوكاين

فاخر يا صديقي».

قال هانك: «لديّ بعض المال أيضاً. ليس لديّ سوى خمسين دولاراً ولكن...». رفع كتفيه، وكأنه يقول: ماذا يمكنني أن أفعل، كان سيفضل بيلى هذا الشخص، إذ بدا غيبياً مقارنة بما فعله، ولكنه متصالح مع نفسه. كان الجلد تحت عينيه وفمه شاحباً من شدة الخوف، ولكنه كان يُحسِن التصرف ويتمالك نفسه.

«هل تعرفون أنني لست هنا بهدف المال؟».

قال دونوفان: «قلت لك...».

قال مارتينيز: «إنه يعرف كل التفاصيل يا تريب».

نظر بيلى إلى هانك وقال: «ما اسمك الأخير؟».

«فلاناغان».

«أنت صاحب عربة العشق تلك أليس كذلك؟».

«أجل، ولكنها معطّلة. إنها تحتاج إلى...».

«أعرف ما أصابها، ولكنها كانت تعمل الأسبوع الماضي أليس كذلك؟»

هل اصطحبتهم أليس إلى بيتها بعد أن انتهيت منها؟».

صرخ دونوفان وقال: «لا تقل شيئاً».

تجاهله هانك وقال: «من تكون بالنسبة إليها؟ أنت حبيبها أو أخوها؟»

يا إلهي».

لم يقل بيلى شيئاً.

تنهد هانك وبدا أنه سيشرف على البكاء، ثم قال: «أنت تعلم أننا لم

نصطحبها إلى المنزل».

«ماذا فعلتم بها؟».

قال دونوفان: «لا تقل شيئاً»، يبدو أن هذه الجملة كانت شعاره.

«إنها نصيحة ليست سديدة. اعترف بالأمر يا هانك، ووفر على نفسك

الكثير من الألم».

«لقد تركناها».

«تركتموها؟ أهكذا ستصف الأمر؟».

قال: «حسناً. لقد هجرناها... ولكن يا صاح... لقد كانت تتكلم، كنا

نعرف أن لديها هاتفاً محمولاً ومالاً لتستقل سيارة أوبر. لقد كانت تتكلم».

سأل بيلى: «هل كانت تتكلم بمنطقية أو تفتح حديثاً؟ أخبرني هذا إن

كنت تتجراً».

لم يقل له هانك شيئاً، وانهمرت دموعه واستشف منها بيلى شيئاً آخر.

اتصل بيلى باليس، ولم يجبر هانك أن يقول إنه وغد ودنيء لأن دموعه كانت تشير إلى ذلك، بل طلب منه أن يقول إنه آسف وفعل ذلك حقاً، كما بدا أنه يعني ذلك رغم كل شيء.

ركّز بيلى على دونوفان وقال: «لم يبقَ سواك».

لقد التزم الزميلان اللذان كانا يجلسان على كرسي القش الهزاز الهدوء لأنهما تأكدا أن المقتحم سيطيح بهما إذا قاما بأي تصرف. تناول بيلى الخلاط اليدوي من حقيبة حاسوبه؛ كانت أداة أسطوانية رفيعة من الفولاذ وطولها ثمانية إنشات، وكان شريطها الكهربائي ملفوفاً بربطة أنيقة.

قال بيلى: «سأخبرك ما كان في بالي. إن الرجال لا يدركون آثار الاغتصاب إلا إذا اغتصبوا. ستحظى بتجربة مماثلة الآن يا سيد دونوفان». حاول دونوفان أن ينهض عن أريكة العشاق، ولكن بيلى دفعه إلى الورا.

أصدرت الوسادة صوتاً مضحكاً عندما سقط عليها، ولم يتحرك مارتينيز وفلاناغان من مكانهما، ولكنهما حدّقا إلى الخلاط بعيون جاحظة. «كل ما أريد منك فعله هو أن تنهض وتنزل بنطالك وسروالك الداخلي وتستلقي على معدتك».

«كلا».

شحب وجه دونوفان وجحظت عيناه أكثر. لم يتوقع بيلى أن يطبعه دونوفان في الحال، لذا تناول الروغير من حزامه وتذكّر بابلو لوبيز الذي كان من خسائر بيت الرعب. كان يقلد بيغفوت لوبيز شخصية هاري الدنيء في قوله: عليك أن تطرح على نفسك سؤالاً واحداً: هل تشعر أنك محظوظ؟ هل تشعر كذلك أيها الوغد؟ لم يتذكر النبرة تماماً، ولكنه تذكر المظهر العام. قال: «هذا ليس مسدسي فقد استعرته، وأعلم أنه مذخر، ولكنني لا أعرف نوعية الذخيرة؛ لم أتحقق منها. إذا لم تستلقِ على معدتك في الحال، فسأضطر إلى أن أطلق النار على كاحلك. لذا، عليك أن تطرح على نفسك

سؤالاً واحداً - هل الرصاصات محدبة أو جوفاء؟ إذا كانت محدبة فستمشي مجدداً على الأرجح، ولكن بعد ألم فظيع وعلاج فيزيائي طويل وستعرج لبقية حياتك، أما إذا كانت جوفاء فستطير معظم قدمك. لذا، سأعقد معك صفقة: إما ستمدد على الأريكة أو سأدمر قدمك. الخيار خيارك».

11

بدأ دونوفان يتباكى، لكن دموعه لم تُحرّك ببلي، ولم يشعر بالشفقة عليه. كان يريد أن يلكمه على فمه بمؤخرة المسدس كي لا يستطيع الظهور في إعلانات معجون الأسنان.

«دعني أضغها بشكل أدق: إما ستحمل ألماً مؤقتاً وذاً سيمحوه الزمن، أو ستعرج على رجلك اليسرى إلى الأبد إذا لم يبتريها الأطباء. لديك خمس ثوان لتقرّر. خمسة... أربعة...».

عند الرقم ثلاثة، نهض تريب دونوفان، واستلقى على معدته. لقد تقلص بدنه لدرجة أن خصيته كانتا ضامرتين.

قال مارتينيز: «يا سيدي. هل عليك أن...».

قال هانك: «اخرس. إنه يستحق هذا ولعلنا نستحق هذا جميعنا»، ثم قال لببلي: «ولعلمك. أنا لم ألجها، ولكنني مارست العادة السرية على معدتها وحسب».

«هل وصلت للنشوة؟»، كان يعرف ببلي الإجابة على هذا السؤال.

طأطأ هانك رأسه.

كان دونوفان يستلقي على السجادة، وبدت مؤخرته بيضاء شاحبة ومتقلّصة.

جثا ببلي على إحدى ركبتيه قرب فخذ الرجل وقال: «عليك ألا تتحرك يا سيد دونوفان، وستشكرني لأنني لم أشحن هذه الأداة. لقد فكرت في الأمر صدقني».

بكى دونوفان وقال: «سأقضي عليك».
«لن يُقضى اليوم على شيء سوى على كرامتك».
قرب بيلى قاعدة الخلاط من مؤخرة دونوفان.
ارتعش دونوفان وشهق.

«فكرت في أن أشتري سائلاً بينما كنت أتسوق، ككريم مرطب للجسم
أو زيت مساج أو حتى الفازلين... ولكنني عدلت عن الأمر. لم ترطب أليس
قبل أن تغتصبها أليس كذلك؟ إلا إن كنت بصقت على يدك قبل أن تلجها».
بكى دونوفان قائلاً: «أرجوك لا تفعل هذا».

«هل قالت أليس هذا؟ لا أظن ذلك، فهي كانت مخدرة ولم تستطع أن
تتفوه بحرف. قالت شيئاً واحداً وحسب: لا تخفني. كانت ستقول أكثر لو
كان بوسعها. هيا بنا يا سيد دونوفان. التزم الهدوء. لن أقول لك أن تسترخي
وتستمتع بالأمر».

12

لم ينغمس بيلى في الأمر كما اعتقد. لم يكن قلبه قوياً ولا معدته
تتحمل الفعل. عندما انتهى، التقط صوراً لتريب والآخريين بهاتفه المحمول،
ثم أخرج الخلاط من تريب، ومسح بصماته، وألقى به بعيداً. تدرجت
الأسطوانة، ورسن تحت الطاولة المستديرة التي كان عليها حاسوب
مارتينيذ المحمول.

«لا تتحركوا من أماكنكم حيث إنني أوشكت على الانتهاء منكم. لا
تخفقوا في نهاية المطاف».

ذهب بيلى إلى المطبخ، وأحضر سكيناً. لم يكن أحد قد تحرك من
مكانه عندما عاد. قال بيلى لهانك فلاناغان أن يمد يديه.

مد هانك يديه، وفك بيلى أسره. قال هانك بخجل: «لقد أوقعت شعرك
المستعار يا سيدي»، وكان على حق. إن الشعر الأشقر المستعار كان على

الأرض، وكأنه حيوان مقتول كالأرنب مثلاً. لا بد أنه وقع حين اشتبك مع دونوفان، ودفعه إلى الباب. هل تذكر إن كان قد ثبته على رأسه بشكل جيد قبل أن يغادر شقة الطابق السفلي؟ لكنه لم يتذكر شيئاً، إلا اعتقد أنه لم يثبتته. لم يضعه لأن القناع كان كفيلاً بتغطية وجهه، فاكتفى بإمساكه باليد التي لم تكن تمسك مسدس الروغير وقال: «لديّ صور لكم جميعاً، ولكن بما أن السيد دونوفان هو الوحيد الذي عمل الخلاط في مؤخرته فهو نجم العرض. لا أعتقد أنكم ستتصلون بالشرطة لأنكم لن تستطيعوا تفسير سبب اقتحامي المنزل من دون أن آخذ مالاً أو أشياء قيمة، ولكن إن اختلقتم عذراً لتغطية فعلتكم فسأنشر هذه الصورة على صفحات الإنترنت مع توضيح فوقها. هل لديكم أية أسئلة؟».

لم يسأله شيئاً. حان وقت مغادرة بيلى. كان بوسعه أن يتخلص من تنكره، وهو في طريقه إلى البهو، ولكنه أراد أن يقول شيئاً قبل أن يغادر وشعر أنه ضروري. كان أول سؤال يخطر في باله: أليس لديكم أخوات؟ أو أمهات؟ حتى بيلى كان لديه أم مع أنها لم تتقن عملها. إن هذا السؤال كان مجازياً أي أنه يعظهم بدلاً من أن يعلمهم.

قال لهم بيلى: «عليكم أن تعرفوا من أنفسكم».

غادر ونزع القناع وركض على الدرج وهو يضعه في حقيبة حاسوبه المحمول. كان يفكر أنه لم يكن أفضل من أولئك الرجال، أي لن يذم الرجال بما فيه، ولكن التفكير بهذا المنحى لا يجدي نفعاً. لقد قال لنفسه وهو يضع الشعر المستعار وينزل الدرج إنه عالق مع ذاته ويجب أن يستغلها بشكل جيد. إنها مواساة باردة، ولكنها كانت أفضل من لا شيء.

مكتبة ياسمين

t.me/yasmeenbook

الفصل السابع عشر

1

لا بد أن أليس كانت تنتظره في غرفتها لأنها فتحت في الحال عندما طرق الباب. عانقته، وتفاجأ بهذا، وحاول أن يتملص منها، ولكنه كفت عن فعل هذا عندما رأى نظرة الألم على وجهها، كما أنه لم يحظ بعناق منذ فترة طويلة باستثناء عناق الإخوة مع نيك أو جورجيو، ثم لاحظ بيلى عندها أن هذا غير صحيح، لقد عانقته شائيس أكرمان، وكان عناقها جيداً، وعناق أليس كان جيداً أيضاً.

حين دخلا غرفة المعيشة قال لها إنه على ما يرام حين ركب السيارة بعد مغادرة لاندفيو، ولكنها سألته مجدداً وأكد لها أنه على ما يرام.

«وهل... تدبرت أمرهم؟»

«أجل.»

«ثلاثتهم؟»

«أجل.»

«هل يجب أن أعرف الطريقة؟»

«لا يحتاج أي منهم إلى زيارة للمستشفى، ولكنهم دفعوا الثمن. دعينا نترك الأمر هكذا.»

«حسناً، ولكن هل يمكنني أن أطرح عليك سؤالاً مكرراً؟»

قال لها بيلى أجل.

«هل فعلت هذا من أجلي أو من أجل أختك؟»

فكر بيلى في الأمر ثم قال: «من أجلكما.»

أومأت برأسها، وختمت الحديث قائلة: «يبدو شعرك المستعار أشعث،

وكأنك مشيت في العاصفة. هل لديك مشط؟».

كان يملك مشطاً في حقيبة الحلاقة، وضعت أليس الشعر المستعار على أصابعها الممدودة، وأخذت تمشطه.
«هل سنمكث هنا اليوم؟».

فكر بيلى في هذا الأمر وهو في طريقه إلى هنا، فقال: «أعتقد أنه علينا البقاء هنا، لا أعتقد أن هناك داعياً للقلق بشأن أولئك الأوغاد، فهم لن يتصلوا بالشرطة على الأرجح».

كان يفكر في الصورة التي التقطها بهاتفه وتابع: «كما أن الوقت متأخر». توقفت عن التمشيط، ونظرت إليه بتركيز قائلة: «خذني معك أينما ذهبت»، فهمت صمته رفضاً، وأضافت: «لم يبقَ لدي شيء هنا. لا يمكنني أن أعود إلى كلية إدارة الأعمال وتقديم الكابتشينو كما لا يمكنني العودة إلى المنزل. لن أعود إلى المنزل بعد كل هذا. عليّ مغادرة هذه المدينة، وفتح صفحة جديدة. أرجوك يا دالتون، أرجوك».

«حسناً، ولكننا سنفترق في نقطة ما. هل تفهمين هذا؟».

«أجل»، رفعت الشعر المستعار وسألته: «هل أصبح حاله أفضل؟».

«أجل، كما أن أصدقائي ينادونني بيلى، حسناً؟».

ابتسمت وقالت: «حسناً».

2

هناك فرع لمطعم سلم تشيكنز على بعد ربع ميل من طريق الخدمة. اشترى بيلى منه طعاماً، ومخفوق الحليب ثم عاد. لقد سرتَه نظرتها لشطيرة الدجاج واللحم وكأنها متلهفة لتأخذ قضمة ثانية بعد القضمة التي كانت في فمها. لم تكن لديه فكرة عن سبب سروره هذا.

شاهدا الأخبار المحلية؛ كان هناك خبر واحد عن عملية الاغتيال في المحكمة، ولم يكن خبراً جديداً، بل كان عبارة عن تمهيد للنشرة الجوية.

بدأ العالم يتخطى ذلك الأمر.

«هل ستكونين على ما يرام اليوم؟».

«أجل»، وسرقت قطعة بطاطا مقلية منه وكأنها تثبت وجهة نظرها.

«إذا بدأ نفسك يضيق...».

«علي أن أغني رحلة تيدي بيرز. أنا أعرف هذا».

«وإن لم تُجدِ نفعاً فاطرفي الباب وسآتي فوراً».

«حسناً».

نهض وتخلص من قاذوراته وقال: «علي أن أقول لك تصبحين على

خير، هناك أمور يجب أن أتعامل معها».

«هل ستعمل على قصتك؟».

أشاح بوجهه وقال: «كلا، أمور أخرى».

بدت أليس قلقة فسألته: «لن تهرب مني في منتصف الليل يا بيلي أليس

كذلك؟».

كان هذا انحرافاً كبيراً لمجرى الأحداث وأضحكه للغاية، فأجابها:

«كلا، لن أفعل هذا».

«عدني».

طوى إصبعه البنصر كما كان يفعل مع شانيس وفي بعض الأحيان مع

كاثي وقال: «هيا اشبكي إصبعك بإصبعي».

طوت إصبعها، وشبكته بإصبعه، ثم ابتسمت.

«اخلدي للنوم باكراً، لأننا سنغادر باكراً، أمامنا رحلة طويلة».

كل ما عليه فعله الآن هو تحديد وجهتهما.

3

راسل بوكي هانسون من غرفته المجاورة لغرفة أليس.

هل لي بأن آتي إليك؟ في الواقع، هل لنا أن نأتي إليك. هناك شخص

برفقتي وهي فتاة أمينة، ولكنها تحتاج إلى هوية جديدة. لن أمكث طويلاً.
سأعطيك ما وعدتك به حين أسترّد حقي.

بعث الرسالة وانتظر. إن علاقته ببوكي وطيدة منذ البداية، كان يثق
ببوكي إلى أقصى درجة، واعتقد ببلي أن بوكي يبادل هذه الثقة. كما أن
المليون دولار مبلغ كبير جداً.

ظهر إشعار على هاتفه بعد خمس دقائق.

عرض سكوتس المباشر في سكيبر سموكهاوس عام 2007 69 أَل
كامينو على يوتيوب.

احذف الرسالة. لام. تاء. ميم.

لم يتواصل هكذا منذ سنوات، ولكن ببلي يعرف ما كان يعني اختصار
لام. تاء. ميم: لا تراسلني مجدداً.

بما أن بوكي كان يلجأ إلى هذه الأمور، فهذا يعني أنه يتصرف بحذر
شديد. لعله سمع شيئاً، وإذا سمع شيئاً فلم يكن جيداً.

كما أن ببلي تذكر معنى سكوتس. كان هذا اختصار لاسم فرقة بوكي
المفضلة: ساوذيروز كالتشر فور ذا كيدز، و69 أَل كامينو كانت إحدى أغانيها
المشهورة. دخل ببلي إلى اليوتيوب، وكتب عرض سكوتس لايف في سكيبر
سموكهاوس. لا بد أن أفراد فرقة ساوذيروز كالتشر فور ذا كيدز أدوا الكثير
من الأغاني في هذه المنطقة لأن هناك الكثير من الفيديوهات لهم. كان
هناك خمسة فيديوهات لأغنية 69 أَل كامينو ولكن لم يكن هناك سوى فيديو
واحد يعود لعام 2007. اختاره ببلي، ولكن لم يضغط على زر التشغيل. كان
الفيديو مصوراً بواسطة كاميرا هاتف محمول قديم ولا بد أن الصوت كان
مزعجاً، بالإضافة إلى أنه لم يأت بهدف الاستماع للأغنية.

كان هناك أكثر من ألف مشاهدة للفيديو ومئات التعليقات. نزل ببلي
إلى أحدث تعليق وكان قد كتبه هانسون 199 منذ دقيقتين.

كُتِبَ في التعليق: نغم رائع. لقد رأيتهم يؤدون عرضاً مبهرًا لهذه الأغنية

لمدة عشر دقائق في إيدجوود سالون في سايدويندير.
علق بيلى بشكل مختصر باسمه المستعار 40: أتمنى أن أشاهد عرضهم قريباً.

حذف رسالته ورسالة بوكي وذهب إلى غوغل. هناك بلدة وحيدة اسمها سايدويندير في الولايات الأمريكية المجاورة. إنها في كولورادو. لم يكن هناك إيدجوود سالون ولكن كان هناك طريق اسمه إيدجوود ماونت درايف. بعث رسالة لأليس: سنغادر عند الساعة الخامسة.

وصله ردها فوراً وكان: حاضر يا كابتن.
حمل بيلى تطبيقاً على أحد حواسيبه، وقد استغرق الأمر وقتاً لأن شبكة بيني باينز كانت ضعيفة للغاية. عندما أنجزَ تحميل التطبيق، قرأ لمدة ساعة ثم أخذ حماماً طويلاً. ضبط المنبه قبل أن يخلد إلى النوم، مع أنه عرف أنه لن يحتاج إليه، وحلم بالفلوجة كالعادة.

4

لقد وضعا أمتعتهما في صندوق سيارة الفيوجين في الظلام، ووضع بيلى أحد حواسيبه المحمولة الرخيصة على لوحة التحكم بين المقعدين الأماميين، ووصله بمأخذ الشحن وقال: «كنت على ثقة أنني سأستفيد من أحد هذه الحواسيب الرخيصة عاجلاً أم آجلاً».

قالت له أليس وهي شبه نائمة: «أحقاً هذا؟».

«كلا، ولكن حظي حالفتي هذه المرة».

عندما وضعت أليس حزام الأمان، فتح بيلى التطبيق الذي حمّله ليلة أمس فصدر صوت صارخ يشبه صوت اتصال الأجهزة القديمة، ما جعله يُخفض الصوت.

«لِمَ هذا؟».

انحنى بيلى، وأشار إلى لوح مخفي أسفل ويسار دُرج السيارة وقال:

«إن هذا جهاز تشخيص الأعطال الذاتي. إنه مسؤول عن الكثير من الأمور، ولأن هذه سيارة مرخصة، فإن إحدى مسؤولياته هي تحديد موقعنا إذا أراد أحد من الوكالة تعقبه. إنهم سيريدون معرفة موقعنا حين نتجاوز حدود الولاية لأنه مبرمج على أن يرسل إشعاراً، وهذا التطبيق عبارة عن مشوش. إذا حاول أي أحد التحقق منا، فسيعتقدون أن جهاز تشخيص الأعطال الذاتي معطل».

«أنت تتأمل أن يعتقدوا هذا».

قال بييلي: «إن ثقتي عالية بنجاح الخطة. هل أنت جاهزة؟ أتريدين التحقق من الغرفة بشكل سريع؟».

لقد استيقظت تماماً الآن وقالت: «أنا جاهزة. أين سنذهب؟».

«إلى كولورادو».

بدت يافعة جداً وهي تقول: «كولورادو؟ يا إلهي، كم تبعد من هنا؟».

«حوالي الألف ميل وأكثر. ستتطلب منا الرحلة يومين».

ابتسمت وقالت: «حسناً، لننطلق».

قال بييلي: «حاضر يا كابتن»، وشغل محرك الفيوجين، وبعد خمس دقائق، وصلا إلى منعطف واتجها غرباً.

5

توقفا لتزويد السيارة بالوقود وشراء الطعام في ماسكوغني؛ كانت تلك البلدة التي أصبحت مشهورة بفضل ميرل هاغارد. انشغلت أليس بالحاسوب ووجهت بييلي إلى مول آروهيد، وعندما وصلا إلى هناك، أشارت إلى مبنى مسقوف بمظلة برتقالية.

قال بييلي: «ما هو ألتا؟».

«متجر لمستحضرات التجميل. ادخل إلى هناك. لا أريد أن أدخل

ووجهي يبدو هكذا».

لم يستطع بيلى أن يلومها. إنها يافعة وفي تمام الصحة، وبدأت الكدمات بالتلاشي، ولكنها تركت أثراً يدل على أنها تعرضت لمشكلة في ماضيها. أخبرته ما عليه أن يحضره، فأحضره. إن كريم الأساس اسمه كريم دريمبليند للتغطية. إنه أرخص من دواء منع الحمل الذي اشتراه في الصباح التالي لذلك اليوم، ولكن فاتورته أصبحت ثمانية دولارات حين أضاف الفرشاة والبودرة.

قال لها حين سلّمها الكيس: «إنك صديقة مكلفة».

«انتظر حتى ترى النتيجة».

بدأت مفعمة بالنشاط، وأحبّ بيلى ذلك. لقد قطعت شوطاً طويلاً مقارنة بالفتاة التي لم تستطع أن تنظر إلى نفسها في المرآة... ولكنها لم تتعافَ تماماً. في تلك الليلة، خلدت إلى النوم بينما كانا يتجهان إلى الشمال الغربي. سمع بيلى أنينها بعد ساعة تقريباً، ورفعت يديها وكأنها تحمي نفسها. ضربت إحدى يديها بلوحة القيادة، واستيقظت وهي تشهق، ثم شهقت مرة ثانية وثالثة ووضعت يدها على عنقها.

قال بيلى: «هيا، غني رحلة تيدي بيرز»، كان يخفّف من سرعة السيارة وعلى وشك أن يركنها.

«أنا بخير الآن. استمر في طريقك. كان هذا كابوساً لا أكثر».

أطفأ بيلى المصابيح الرباعية وتابع في طريقه ثم قال: «ما كان هذا الكابوس؟».

«لا أتذكر».

كانت تكذب، ولكنه لم يضغط عليها.

6

توقفاً ليمكثا الليلة في بلدة بروتيكشن الصغيرة في كنساس لأنها تقع في منتصف طريقهما، ولأنهما أحبّتا فكرة قضاء ليلة في نزل يدعى نزل

بروتيكشن أو نزل الحماية. دخلت أليس معه لحجز الغرفة، ولم يرمقها الموظف بنظرة حتى. فكّر بيلي في نفسه: لو كانت الموظفة امرأة لكانت ستمتعن فيها. إن مكياجها كان جيداً، ووضعته بمهارة ولكنه لم يكن مثالياً. سألتها ما إن كانت تريد أن يطلبها طعاماً، فأومأت أليس برأسها موافقة. كانت مستعدة لأن تعود إلى الحياة العامة مجدداً، وكانت هذه إشارة جيدة.

تناولا الطعام في مطعم دونز، وكان مصدر الطعام الوحيد في بروتيكشن تقريباً. كانت لائحة الأطعمة تقتصر على شطائر البيرغر والهوت دوغ. قالت أليس: «ما مواصفات الرجل الذي سنقابله؟».

«يبلغ بوكي خمسة وستين عاماً أو سبعين الآن. كما أنه نحيل جداً، وكان جندياً في البحرية الأميركية. إنه يعيش حياته على البيرة والسجائر وسليم جيم وموسيقى الروك أند رول. إنه ضليع بالحواسيب ولديه معارف قوية ويعمل وسيطاً».

«وسيطاً؟».

«إنه لا يتعامل مع اللصوص أو الأطفال أو المتعاطين أو العدائين، إنه نصف عميل ونصف وكيل خبرات».

«للعالم السفلي؟».

ابتسم بيلي: «لا أعتقد أنه لا زال هناك عالم سفلي. إن عصر الحواسيب قضى عليه».

أخفضت صوتها وقالت: «إنه يدبر المهام لأناس مثلك أي للقتلة المأجورين».

لم يعارضها مع أنه على حدّ علم بيلي، كان هو القاتل المأجور الوحيد الذي تعامل معه بوكي. كيف يمكنه أن يعارضها وهناك شيء من الصحة في كلامها؟ كان يمكنه أن يخبرها مجدداً أنه يقتل الأشرار وحسب، ولكن لماذا عليه أن يشرح لها؟ إما ستصدق الحقيقة كاملة أو لن تصدق؛ إنه جدال عقيم. لا يستطيع تغيير ماضيه، ولكنه عزم على تغيير مستقبله، كما أنه يودّ

أن يسترجع حقه.

لقد استحقّ ذلك المبلغ تماماً.

«سيحضّر بوكي هوية مزيفة لك على ما أعتقد. إنه أحد اختصاصاته. يمكنك أن تصبّحي شخصاً جديداً إذا أردت».

«أنا أريد ذلك»، لم تتردد في قول هذا، «ولكنني أعتقد أنني سأتصل بأمي مجدداً في يوم ما».

ضحكت قليلاً، وأشاحت بوجهها متابعة حديثها: «هل تعلم أنني لا أتذكر آخر مرة اتصلت بي فيها؟».

«هل اتصلت بها أنت؟».

«أجل، بينما كنت تزور... تريب وزميلي».

«لم تخبريها أنك ذاهبة إلى كانكون أليس كذلك؟».

ابتسمت وقالت: «كنت على وشك أن أقول لها ولكنني لم أفعل. قلت لها إنه كان لديّ صديق حميم وانفصلنا، ثم تركت الجامعة، كما قلت لها إنني بحاجة إلى بعض الوقت لأدرس خطواتي التالية».

«هل وافقت على هذا؟».

«لقد مرّ وقت طويل على آخر مرة وافقتني فيها الرأي. من فضلك، هل يمكننا تغيير الموضوع؟».

7

لقد كان اليوم التالي عبارة عن قيادة وحسب على الطريق آي-70. لا زالت أليس تحاول أن تتعافى من الصدمة الجسدية والعقلية، فنامت كثيراً. فكّر بيبي في قسم الفلوجة الذي سيذكره في قصته التي كانت مخزنة على قرص تخزين في حقيبة حاسوبه.

إن هذا قاده إلى ألبى ستارك الذي اعتاد الحديث عن دراجته الهارلي

النارية وكيف سيخرجها من المستودع حين يصل إلى المنزل أو حين ينطلق في جولة على الطريق من نيويورك إلى سان فرانسيسكو. قال لنا: لن أتبع الطرق الترابية حيث سأنعطف بشدة. سأنتقل بسرعة ثمانين ثم أضغط على الفرامل. لم تتسنَّ الفرصة لألبي أن يفعل هذا حيث إنه توفي خلف سيارة أجرة في الفلوجة وكانت كلماته الأخيرة: لم يحدث شيء، لقد خدشوني وحسب. بدأ حينها بالشهيق مثلما كانت أليس تفعل حين تراودها نوبة ذعر، ولكن لم تتسنَّ لألبي الفرصة أن يغني أول سطر من أغنية «رحلة تيدي بيرز». لقد توقفا لتزويد السيارة بالوقود ولشراء الطعام في كوينتير، كنساس. لقد كان مطعماً للوافل وعندما خرجا من الفيوجين واقتربا منه، لاحظا أفراداً من شرطة الولاية يجلسون على المشرب. ترددت أليس، ولكن بيلى مضى قدماً، وسار الأمر على ما يرام، حيث لم يكثر أفراد الشرطة لهما.

قال بيلى وهما يعودان إلى السيارة: «إنهم لا يلاحظون شيئاً في معظم الأحيان إذا تصرف الشخص بطبيعية». «في معظم الأحيان؟».

رفع بيلى كتفيه وقال: «إن أيَّ شيء يمكن أن يحصل لأيِّ أحد، عليك أن تبذلي قصارى جهدك وتتفاءلي خيراً». «أنت تؤمن بالقضاء والقدر».

قال بيلى: «أنا واقعي».

«هل هناك فرق؟».

توقف وهو يضع يده على مسكة باب الفيوجين، ونظر إليها؛ كانت لديها قدرة على مفاجأته.

قال لها: «لا بد أن مستواك أعلى من كلية إدارة الأعمال. أعتقد أنه بوسعك أن تحققي إنجازات كبرى».

نامت أليس بعد أن شبت من الوافل واللحم المشوي، وكان يبلي يراقبها بين الفينة والأخرى. لقد كان يعجب بمظهرها يوماً بعد يوم كما أنه أعجب بجوهرها. إنها شخص أغلق الباب في وجه جزء من حياته، وفتح باباً آخر. كم شخصاً لديه القدرة أن يفعل ذلك حتى لو سنحت له الفرصة؟ استيقظت في تمام الساعة الرابعة، وتمددت ثم شهقت. كانت تنظر من نافذة السيارة بعينين واسعتين.

«يا محمد العربي».

ضحك وقال: «لم أسمع هذا المصطلح من قبل».

«إنها سلسلة جبال روكيز، يا إلهي، انظر إليها».

«إن منظرها بديع حقاً».

«لقد رأيت صوراً لها، ولكنها لم تعطِ المنظر الحقيقي حقّه، إنه منظر صادم».

هذا صحيح. لقد قطعاً عدة أميال، وكانت الأراضي منبسطة، وفجأة ظهرت هذه الجبال الشاهقة.

«اعتقدت أننا سنصل إلى مكان بوكي اليوم، ويمكننا فعل ذلك، ولكنني لا أريد أن أتبع الطريق 19 في الجبال في الظلام. لا بد أنه متعرج». لم يود أن يخبرها أنه لا يريد لبوكي أن يرى أضواء أمامية قوية تتجه إلى مرأب سيارته بين الساعة العاشرة والثانية عشرة من منتصف الليل، وخصوصاً أن بوكي كان حذراً جداً في إعطاء إحدائياته. قال: «تبيني ما إن كان بوسعنا أن نبيت في نزل رخيص شرق دنفر».

استخدمت هاتف شخصية دالتون بطريقة يافعة وبارعة وقالت: «هناك مكان يدعى برونغورن موتور ريست. هل يبدو رخيصاً؟».

«أجل، كم يبعد عن هنا؟».

«يبدو أنه على بعد ثلاثين ميلاً»، وعادت إلى النقر والبحث.
«إنه في بلدة تدعى بايرز. لديهم حلبة صيد وحفلة رقص ولكن في
تشرين الثاني. أعتقد أننا سنفوتها».
«يا لحظنا العاثر!».

قالت له: «إن الأمور السيئة محتم لها أن تحدث كما أن الحياة عبارة
عن حفلة، ولكن الحفلات ليس مقدراً لها أن تستمر طويلاً».
نظر إليها وقال: «هل هذا قول لأف. سكوت فيتزجيرالد؟».
قالت: «كلا، لبرينس. لا أستطيع تخطي جمال هذه الجبال. لا أعتقد
أنني سأنظر إليها حين تغيب الشمس. أعتقد أن قلبي سينفطر والسبب الوحيد
في وجودي هنا هو أن أولئك الرجال قد اغتصبوني تحت المطر. أعتقد أن
كل شيء يحدث لسبب ما».

لقد سمع بيلى هذا القول مرات عديدة، وكان يغضبه كثيراً، فقال «لا
أصدق هذا ولن أصدقه».

«حسناً، أنا آسفة»، كان صوتها ينم عن بعض الخوف، «لم أقصد أن...».
«إن تصديق هذا يساوي تصديق أن أختي لم تكن مهمة لهذه الدرجة
في خط القدر، وهذا الشيء ينطبق على ألبى ستارك وتاكو وجوني كابس
الذي لن يمشي مجدداً. لا يوجد تفسير منطقي لأي شيء من هذا».
لم تجبه، وعندما نظر إليها، وجدها تحديق إلى يديها المتشابكتين،
وكانت الدموع تنهمر من عينيها.

«يا إلهي يا أليس، لم أقصد أن أبكيك».
قالت وهي تمسح الدليل عن وجنتيها: «لم تفعل ذلك».
«كل ما في الأمر إن كان هناك... فعلاً فهو لا يؤدي عمله بشكل جيد».
أشارت أليس إلى الأمام وقالت: «إن هذه القمم دليل على وجوده».
فكر بيلى في نفسه: إن هذه الفتاة محقة من هذه الناحية.

لم يكن هناك مشكلة في حجز غرفتين متجاورتين ضمن نزل برونغورن موتور ريست، وظن بيلى أنهما يستطيعان حجز كل غرف الممر استناداً إلى قلة السيارات في المرأب. تناولا الطعام في فرع قريب لبيرغر بارن. عندما عادا إلى النزل، وصل بيلى قرص التخزين الذي كانت عليه القصة وفتح الملف، وذهب إلى حيث توقف: عندما سلم تاكو فريد بوق صباح الخير يا فييتنام، أغلق الملف مجدداً. إنه لم يكن خائفاً من كتابة أحداث بيت الرعب بالضبط، ولكنه لم يرد أن يكتبها بالتقسيط. أراد أن يكتب تلك الأحداث في مكان هادئ حيث يمكنه تفريغ عقله من السموم. إنه لا يعتقد أنه سيستغرق وقتاً طويلاً في كتابتها، ولكن تلك الساعات ستكون خانقة.

ذهب إلى النافذة ونظر خارجاً. هناك كرسيًا حدائق أمام كل وحدة سكنية، وكانت أليس تجلس على واحد منهما وتنظر إلى النجوم فأخذ يتأملها وهي تراقب النجوم مطولاً. لم يكن بحاجة إلى طبيب نفسي ليقول له ما تمثله أليس له: إنها نسخة ناضجة عن كاثي. كما أن الطبيب النفسي سيقول لها إنها نسخة عن روبن ماغووير أيضاً المعروفة بروني جيفنز من دار الطلاب الأبدية ولكن هذا لم يكن صحيحاً لأنه أراد أن يمارس الجنس مع روبن ولكنه لم يرد أن يمارس الجنس مع أليس، لقد اهتم لأمرها وهذا أسمى من ممارسة الجنس.

هل كان الاهتمام لأمرها خطيراً؟ بالطبع. هل كان اهتمام أليس لأمره وثقتها به واعتمادها عليه بالخطورة نفسها؟ بالطبع. ولكن تأملها وهي تنظر إلى النجوم كان أمراً فريداً؛ لعله سيكون خطراً إذا تدهورت الظروف، ولكنه كان يعني شيئاً الآن. أعطاهما الجبال والنجوم لتراقبها لا لتملكها وكان هذا يعني الكثير.

استيقظا باكراً، وعبرا حدود دنفر في تمام الساعة الثامنة صباحاً حيث كانت الطريق منبسطة. مرا ببولدر عند الساعة التاسعة إلا ربعاً، وكانت الطريق منبسطة أيضاً، وفجأة، ظهرت الجبال. كانت الطريق متعرجة كما تخيلها بيلي، وجلست أليس بتأهب، وتلفتت حولها وكانت عيناها متسعيتين وهي تراقب تلافيف الصخور على يمينها والمنحدرات القاسية على يسارها. لقد تفهم بيلي الأمر. كانت أليس فتاة عادية من نيو أنغلاند ذهبت في رحلة قصيرة وأليمة إلى الجنوب الأوسط، وكانت هذه المناظر جديدة ومذهلة بالنسبة إليها.

لم يصدق بيلي أبداً أنه كان يجب اغتصابها كي تستطيع أن ترى سفوح جبال روكيز، ولكنه كان سعيداً لأنها حظيت بتلك الفرصة. لقد أعجبه ذهولها، بل أحبه أيضاً.

قالت: «بوسعي أن أعيش هنا».

مرا بنيديرلاند التي كانت بلدة صغيرة، ومجرد مركز تابع للمنطقة التجارية في الضواحي. كان مرأب السيارات مزدحماً للغاية، ولم يصدق بيلي - الذي كان بوسعه أن يصدق كل شيء - أن هذا المرأب سيكون مهجوراً في أيام الربيع الأولى من السنة التالية وأن معظم المتاجر ستكون مغلقة.

قالت أليس وهي ترفع إصبعها وكانت وجتها قد احمرتا: «عليّ أن أذهب إلى هناك. أقصد إلى الصيدلية».

أوقف السيارة وركنها ثم قال: «هل هناك خطب ما؟».

«كلا، ولكن صديقتي ستزورني قريباً مع أن موعدها الأساسي هو بعد أسبوعين من الآن، ولكنني أشعر أنها ستزورني قريباً حيث بدأت التقلصات في بطني».

تذكر الإرشادات التي جاءت مع علبة الدواء التي أحضرها لها وقال:
«هل أنت متأكدة من أنك لا تريدينني...».

«كلا، سأذهب ولن أتأخر. يا إلهي، أتمنى ألا يتلطح بنطالي.»
«إن حدث ذلك فس...»، كان سيقول فسنشترى بنطالاً جديداً، ولكنها
كانت قد خرجت من السيارة بالفعل، وكانت تركض باتجاه والغرينز. عادت
بعد دقائق قليلة ومعها كيس.

سألها كيف حالها، وأجابته باقتضاب أنها كانت على ما يرام. اقتربا
من منظر خلاب خارج حدود البلدة، وطلبت منه أن يركن السيارة بعيداً
عن السيارات القليلة التي كانت موجودة، ثم طلبت منه أن ينظر بعيداً. فعل
هذا ورأى أحرق يمارس رياضة الطيران الشراعي فوق واد، وقد بدا الرجل
وكأنه بالكاد يتحرك بسبب بعد المسافة.

كان يسمعها وهي تتحرك وتفتح سحابها، كما سمع خشخشة الكيس
وجلبة أخرى حين فتحت الغلاف وتناولت ما تحتاج إليه - اعتقد أنها
ستستعمل فوطة نسائية خارجية، لأنها لم ترتح بعد كي تستعمل فوطة داخلية
- ثم رفعت سحابها مجدداً.
«يمكنك أن تنظر الآن.»

قال بيلي وهو ينظر إلى الطيار: «انظري إلى هناك»، كان الرجل يرتدي
قميصاً أحمر فاقعاً ويعتمر خوذة صفراء لن تفيده شيئاً إذا ارتطم بحرف
الجبيل.

ارتسمت على وجه أليس ملامح الذهول وقالت: «يا... إلهي.»
«ناهيك عن قبعتك التي ذكرتها سابقاً.»
ابتسمت أليس من قلبها، وكان هذا منظرًا رائعاً ثم كررت: «بوسعي
أن أعيش هنا.»

أشار بيلي إلى الطيار وقال: «أتمارسين هذه الرياضة؟»
«ليست هذه الرياضة بالتحديد»، سكتت لبرهة من الوقت لتعاين

الموضوع ثم قالت: «أو ربما سأجزبها».

«هل أنت جاهزة للانطلاق؟».

أجابت أليس بشكل ملفت: «حاضر يا كابتن».

11

استحسن بيلى قراره في عدم سلوك هذه الطريق البارحة حيث تطلب منه الوصول إلى سايدويندير ساعتين إضافيتين. لم يكن هناك مركز تجاري بل تجمع محالّ تذكارية على الطريق بالإضافة لمطاعم ومحالّ ثياب تعرض ملابس قديمة الطراز وبارات. كان هناك العديد من البارات، وكان هناك بار اسمه روف رايدير سالون وبوتس أند سبورز وهو مستيد و187،

ولكن لم يكن هناك إيدجوود سالون، ولكن هذا لم يفاجئ بيلى.

قالت أليس وهي تشير إلى بار 187: «إن اسم هذا البار مضحك».

وافقها بيلى الرأي وقال: «فعلاً»، ولكنه لم يعتقد أنه مضحك عندما رأى عدد الدراجات النارية التي ركنت أمامه. كان رقم جنحة القتل في قانون عقوبات كاليفورنيا.

استخدمت أليس هاتفه لتحديد الموقع لأن نظام تحديد المواقع في سيارة الفيوجن كان مشوشاً مع جهاز ضبط الموقع، وقالت: «يجب أن نقطع ميلاً آخر أو أكثر ثم نتجه يساراً».

أودى بهما ذلك الميل إلى خارج البلدة. خفّف بيلى من سرعة السيارة، وعندما رأى لافتة إيدجوود ماونت درايف انعطف. مرا بمنازل بدیعة وشاليهات بنظام سويسري بعيدة عن الشارع قليلاً. كانت مرائب سيارات تلك الشاليهات مغلقة لأن موسم التزلج لن يبدأ قبل ستة أسابيع. انتهى الطريق المعبد بعد 108 إيدجوود، ثم تحول الطريق السالك إلى طريق متعرج. مر بيلى بمنعطف خطير على شكل حرف أس. بالإنكليزية ومرّ بالفيوجن فوق قناة مياه جافة. ارتجت السيارة بعنف هذه المرة لدرجة أنهما

تحركا من مكانهما.

سألته أليس: «هل أنت متأكد أن الطريق صحيح؟».

«أجل، إننا نبحث عن الرقم 199».

بحثت بالهاتف ثم قالت: «ليس هنالك وجود لهذا الرقم».

«لست متفاجئاً».

انتهى الطريق الترابي بعد نصف ميل، ووجدنا نفسيهما يعبران طريقاً عشيباً نبتت فيه أزهار برية بشكل عشوائي، واعتقد بيلى أنه تابع لطريق شقّ لجمع الحطب في السابق. تزاومت الأشجار وخذشت الشجيرات جانبي الفيوجن. ازدادت درجة ميلان الطريق ومشى بيلى فوق الصخور المتراكمة من العصر الجليدي. بدت أليس غير مرتاحة وقالت: «عليك أن تراجع مسافة ميلين عندما ينتهي هذا الطريق لأنه ليس هناك مكان ل...».

أوقف بيلى سيارة الفيوجن على أضيق منعطف حيث انتهى الطريق فعلاً.

كان هناك منزل خشبي يمتد بشكل طولي على مصطبة شديدة الانحدار مدعّمة بدعامات تشبه أعمدة الهاتف، وكانت هناك سيارة جيب شيروكي مركونة تحت شرفة مفتوحة. استطاع بيلى أن يسمع صوت مولد كهرباء في الخلف؛ كان صوته منخفضاً، ولكنه واضح ورتيب.

خرج بيلى وأليس ونظرا إلى الشرفة، وحجبا عينيهما من الشمس. نهض بوكي هانسون عن الكرسي الهزاز الذي كان يجلس عليه واتجه نحو الدرايزين الخشبي. كان يعتمر قبعة نيويورك رينجرز ويدخن سيجارة.

«مرحباً يا بيلى. اعتقدت أنك تهت».

«هذا ما اعتقدته هي أيضاً. أعرفك إلى أليس ماكسويل يا بوكي».

«مسرور بمعرفتك يا أليس. يا إلهي يا بوكي، كم مر وقت على آخر

مرة رأيتك فيها؟».

قال بيلى: «أعتقد أربع أو خمس سنوات».

«هيا ادخلا، إن الدرج على الجانب. أستمنا جائعِين؟».

12

اعتقد بيلي أن وكيله ومدير أعماله سيكرهه لأنه أحضر شخصاً غريباً معه إلى هذا المكان الذي بدا أنه ملجأ، ولكن بوكي عامل أليس بلطف شديد. لم يقل إنه مرحّب بأي صديق يجلبه بيلي والخ... ولكنه وضّح ذلك، وبعد خجلها الأول - أو حذرهما - استرخت تماماً، ولكنها لم تغادر جانب بيلي.

كان المطبخ مرتباً وواسعاً ومشمساً. سخّن بوكي المعكرونة بالجبنّة في الميكروويف وقال: «كنت أود أن أطبخ لكما البيض بالصلصة المكسيكية حيث إنني أجيدها إلى حدّ ما، ولكنني لم أستقرّ هنا بعد. عليّ أن أجهّز المونة والخدمات، ثم سأستقرّ هنا إلى أن يهدأ الوضع، ونصل إلى خاتمة أتمنى أن تكون جيدة».

قال بيلي: «لقد أقحمتك في فوضى عارمة. أنا آسف جداً».
لوّح بوكي بيده وقال: «لقد عقدت الصفقة وأنا أعرف تبعاتها»، وضع وعاء ساخناً أمامهما وسأل: «وماذا عنك يا أليس؟ كيف قابلت هذا المناضل المشارك في حرب جورج بوش؟».

نظرت أليس إلى صحن المعكرونة بالجبنّة، وبدا أنها تظنه فريداً من نوعه. احمرت وجنتها وقالت: «أعتقد أنه يمكنك القول إنه التقطني عن الشارع».

«أحقاً هذا؟ هل أريتها مشهد تمثيلك الغبي؟ إنه شيء فريد. أرها يا بيلي».

لم يرد بيلي هذا. كانت أليس مختلفة عن رجال العصابات مثل نيك وجورجيو، ولكن بوكي قدّم لهما مكاناً آمناً ليكثا فيه لبعض الوقت، ولم يرد أن يرفض له هذا الطلب البسيط، مع أنه لم يكن مجبراً على تأديته.

«لقد رأيتَه بالفعل»، سكتت قليلاً ثم أكملت: «بطريقة أو بأخرى». رمقت ببلي بنظرة خاطفة قبل أن تكمل طعامها لتؤكد له أنها كانت تتحدث عن القسم الأول من القصة. كان ذلك القسم الذي كتبه وهو على دراية تامة بأن نيك أو جورجيو كانا يقرآن ما يكتبه من خلف ظهره. قال بوكي وهو يتناول الطعام: «أليس عظيماً؟ إن ببلي يستطيع قراءة الكتب المعقدة وفي الوقت نفسه إخبار كل طفل في ريفيرديل هاي عن سبب حصول باتمان على عباءته».

فكّر ببلي في نفسه: وماذا سأخسر؟ إن القليل لن يضر. نظر بتركيز وتمهل في حديثه ثم قال: «أنا لا أعرف هذا القسم حقاً». ضحك بوكي ووجهه شوّكته إلى ببلي التي علقت على إحدى أسنانها بعض قطع المعكرونة وقال: «لم تفوت أية خطوة يا رجل». نظر إلى أليس مخاطباً إياها:

«قلت لي إنه التقطك عن الشارع أليس كذلك؟ ماذا تقصدين بهذا؟». «لقد أنقذ حياتي».

رفع بوكي حاجبيه وقال: «هل كان على علم بهذا؟ أريد أن أسمع كل شيء». أخبراني القصة بأكملها وخصوصاً المصاعب التي اعتلتها. عاين ببلي الوضع بحذر وقال: «كل شيء ما عدا أليس»، ثم قهقهه، ولم يستطع مقاومة الأمر.

13

بدأ مجدداً بمقطع فرانك ماكتوش وبولي لوغان حين اصطحباه من الفندق، وتابع بالقصة إلى النهاية، ولكنه اختصر القسم الأخير، ولم يقل سوى أن هناك رجالاً عتفوا أليس قليلاً وتدبر أمرهم بنفسه. لم يسأل بوكي كيف عتفوها، وأخذ الصحون إلى حوض الجلي ثم سكب عليها الماء الدافئ.

كان في البيت الصغير الذي يقع نهاية شارع إيدجوود ماوتن درايف ميكروويف وطبق ساتلايت على السطح، ولكن لم يكن هناك جلاية. قالت أليس وهي تنهض عن كرسيها: «سأغسل هذه الصحون». قال بوكي: «لا عليك. إن عددها قليل وعليّ أن أنقع الكسرولة إذ يصعب تنظيف الجبنة الذائبة. كم ستمكثان هنا يا بيلي؟ أنا أسأل فقط لأتبين الأمر لأنه عليّ أن أذهب إلى كينغ سوبرز إن كنتما ستمكثان طويلاً». «لا أعلم، ولكن يسرني أن أشتري البقالة». قالت أليس: «وأنا أيضاً، أعطني لائحة وحسب». نظرت إلى الثلاثة ثم قالت: «أنت تحتاج إلى بعض الخضار».

تجاهل بوكي هذا، وقال بينما كان يوليهاما ظهره: «إنهم يلاحقونك يا بيلي، وليست عصابة نيك وحسب بل أربع عصابات منافسة أخرى وعدد لا يعرفه سوى الله من صائدي الجوائز. إن هذه مناسبة نادرة أجمع فيها أولئك الأشخاص على هدف واحد. أنت حديث ساخن في غرف الدردشة المخصصة، كما أنهم يلقبونك بالسيد سامرلوك».

قال بيلي: «إنهم جمعوا اسمي بيلي سامرز وديفيد لوكريدج». «هذا صحيح».

«هل يتحدثون عن دالتون سميث؟»، فكر آملاً ألا يكونوا. «على حدّ علمي، إن شخصية دالتون سميث لا تزال خفية، ولكن أولئك الأشخاص لديهم وصول مباشر لجميع وكالات الاستخبارات ما يقلل من شأن الأف. بي. أي. وإذا تركت وراءك حلقة مفرغة فيسيكتشفون أمر دالتون سميث».

أولى بوكي ظهره للمجلى، ونظر إلى أليس وهو يمسح يديه الحمرابين بمنشفة الصحون، ولم يكن عليه أن يبزر قصده.

قال بيلي: «إنها ليست حلقة مفرغة، عندما أغادر من هنا، سترحل بشخصية جديدة إذا كان بوسعك أن تؤمن لها وثائق جديدة».

«بالطبع، يمكنني فعل هذا، ولقد فعلت شيئاً بالفعل. لا شيء يضاهي الإنترنت مع معدّات التكنولوجيا الحديثة»، عاد إلى الطاولة وجلس إليها متابعاً: «ما رأيك في أن تصبّحي إليزابيث أندرسون؟»
تفاجأت أليس ثم ابتسمت قليلاً: «لا بأس. ألا يحق لي أن أختار اسمي؟».

«لا أفضل هذا، إذ إنك ستختارين اسماً يربطك بماضيك. كما أنني لم اختر الاسم، بل الحاسوب فعل ذلك. إنه موقع اسمه مولّد الأسماء»، نظر إلى بيلي وقال: «لا مشكلة إذا كنت تثق بها. ماذا عن الزوجين جنس؟ أو رجل العقارات ذاك؟ هل لديهم أي فكرة عن كونك أكثر من مجرد دالتون سميث؟».

هزّ بيلي رأسه نافياً.

«إن حاجتك آمنة، وهذا أمر جيد لأن هناك جائزة على رأسك».
«ما قيمتها؟».

«إن غرف الدردشة تقول إنها قرابة الستة ملايين دولار».

شهق بيلي وقال: «هل تمازحني؟ كانوا سيدفعون لي مليونين فقط لتأدية هذه المهمة».

«لا أدري».

كانت أليس تحرك رأسها من جهة إلى أخرى وكأنها تشاهد مباراة تنس.

قال بوكي: «إن نيك يدير العقد، ولكنني لا أعتقد أنه سيستخدم ماله كما لا أعتقد أنهم كانوا عازمين على إعطائك المبلغ الذي وعدوك به».

وضع بيلي مرفقيه على الطاولة، وقبضتية المحكمتين على جانبي وجهه ثم قال: «من يدفع ستة ملايين لقتل قاتل قاتلاً آخر؟».

ضحك بوكي قائلاً: «احفظ هذا القول، فهو يضاهي القول عن الفتاة التي كانت تبيع الصدف قرب البحر».

«من؟ ولماذا؟ كان جويل ألين نكرة على حدّ علمي».
هزّ بوكي رأسه وقال: «لا أعرف، ولكن لا بد أن نيك ماغاريان يعرف.
لعلك ستحظى بفرصة أن تسأله بنفسك».
سألت أليس: «من هو نيك ماغاريان؟».
تنهّد بيلى وقال: «بينغي كومبسون. إنه الرجل الذي أقحمني في هذه
الفضوى».

كانت هذه كذبة بشكل أو بآخر لأن بيلى ورّط نفسه بنفسه.

14

في نهاية المطاف، قرّر بيلى أن يمكث هو وأليس لدى بوكي لمدة
ثلاثة أو أربعة أيام. أراد أن ينهي كتابة قسم بيت الرعب. لن يستغرق منه هذا
القسم وقتاً طويلاً، ولكن كان عليه أن يفكر بخطوته القادمة. هل سيحتاج
مسدساً أطول وأمتن بالإضافة لمسدس الروغير؟ لم يكن يعرف.
هل كان يحتاج إلى مسدس آخر مثل مسدس الغلوك الذي يتسع لسبع
عشرة طلقة بدلاً من ست طلقات؟ لم يكن واثقاً من شيء، ولكن كان يجدر
به أن يجلب كاتم صوت للروغير مع أنه لم يكن يفضلّه. هل سيتعرض
لموقف يتطلب منه استخدام هذا؟ لم يكن يعرف شيئاً حيال هذا أيضاً،
ولكن بوكي قال له إن لا مشكلة في كاتم صوت للمسدس، ولم يمانع
بيلى ذلك. إذا كان مصنوعاً بشكل يدوي، فمن الممكن أن ينكسر بعد عدة
طلقات. قال بوكي: «إن هذه الأكسسوارات متواجدة في القرية، ويمكنني أن
أحصل لك على أم-249 إذا كنت تريده. عليّ أن أسأل في الأرجاء، فلديّ
أشخاص أمينون أعرفهم».

كان ذلك المسدس يلقّب بالمنشار. راودت بيلى ذاكرة خاطفة لجو
كليشيفسكي الضخم وهو يقف خارج بيت الرعب، ومعه المسدس ذاته.
أشاح بيلى بوجهه وقال: «دعنا نؤمن كاتم الصوت الآن وحسب».

«أنت تريد كاتم صوت لمسدس الروغير جي. بي. هذا».

كانت أليس ستحصل على وثائقها في غضون ثلاثة أيام، ولكن عندما ذهبت هي وبيلي للتسوق في سايدويندير، أخبرها بوكي أن تجلب معها صبغة شعر قائلاً: «أعتقد أنه عليك أن تصبغي شعرك أشقر لصورة شهادة القيادة، ولكن دعي حاجبيك غامقين. سيليق بك هذا المنظر».

«هل تعتقد هذا حقاً؟»، بدت غير متأكدة، ولكنها تحمست للفكرة.

«أجل، لقد كنت في كلية لإدارة الأعمال، لذا سأعطيك قصة تلائم هذا التفصيل. هل تجيدين لغة الاختصارات؟».

«أجل، لقد أخذت حصة فيها في رود آيلاند وتعلمتها بسرعة».

«هل يمكنك الإجابة على الهاتف؟ أهلاً... معك شركة ديغنام شيفروليه، من تريد أن أحول اتصالك له؟».

أدارت أليس عينيها.

«حسناً، أنت تعرفين مبادئ الأمور وهذا كافٍ بالنسبة إلى الوضع الاقتصادي غير المستقر. ارتدي ثياباً أنيقة وانتعلي حذاء مرتباً وابتسمي ابتسامة جميلة، وليس هناك سبب ليث أندرسون ألا ترسي أعمدتها».

لم يفضل بوكي الوضع، ولم تنتبهه أليس إليه، إلا أن بيلي تنبهه، ولكنه لم يعرف السبب.

15

ذهبا لشراء البقالية، ووضع بيلي شعره المستعار ونظارة وجدها له بوكي في كومة الأمتعة - كان يسميها بوكي الأمتعة الإيرلندية - التي لم يفتحها بوكي بعد، ودفع بيلي نقداً في كينغ سوبرز. مرا بشارع إيدجوود ماونت درايف وكانت سيارة الفيوجن تهتز على الطريق المتعرجة. ساعدت أليس بوكي في توضيب الأغراض، ونظر إلى الموز الذي اشترته بشك، ولكنه لم يقل شيئاً. عندما انتهت من مهمتها، قالت إنها تعبت من الأماكن

المغلقة، وأنها ستذهب لتمشي قليلاً. قال لها بوكي إنها ستجد طريقاً تؤدي إلى الغابة من الباب الخلفي: «إن درجة انحدارها قوية، ولكنك تبدين يافعة وقوية. عليك أن تضعي مسحوقاً مضاداً للحشرات، تحققي من وجوده في الحمام».

عادت أليس، وقد رفعت كميها، وكانت وجنتاها تلمعان بسبب المسحوق.

قال بوكي: «لا تكثرني للذئب»، ثم قال بعد أن رأى وجهها المرتعب: «أنا أمزح يا صغيرتي. إن السكان المحليين يقولون إنه لم يظهر ذئب في المنطقة منذ خمسينيات القرن الماضي؛ لقد اصطيدت كل الذئاب والذئبة. ولكنك سترين منظرًا خلاباً إذا مشيت لمسافة ميل. انظري أمامك، وسترين أميالاً من الجداول وقنوات المياه، وسترين مرجاً في الجهة المقابلة. كان هناك منتجع، ولكنه احترق منذ فترة طويلة»، ثم أخفض صوته وقال: «يقال إنه كان مسكوناً».

قال بيلي: «انتبهي على خطواتك، ومن أن تلوي كاحلك».

«سأتوخى الحذر».

ابتسم بوكي لبيلي عندما غادرت أليس وقال: «انتبهي على خطواتك، ومن أن تلوي كاحلك. هل أنت والدها؟ ولكنك بالعمر المناسب لتكون والدها».

«لا تحللني حسب فرويد، إنها صديقتي وحسب. لا يمكنني أن أشرح لك كيف حصل الموضوع ولكنه أصبح واقعاً».

«قلت لي إنهم عَنفوها. هل عنيت ما فهمته؟».

«أجل».

«جميعهم؟».

«اثنان منهم، حيث اكتفى الثالث بالاستمئاء على معدتها. هذا ما قاله

لي».

«يا إلهي، إنها تبدو... بحالة جيدة».

«إنها ليست كذلك».

«بالطبع لا، ولن تكون كذلك إلى الأبد على ما أعتقد».

وافقته الرأي؛ إن الحقيقة جارحة.

تناول بوكي زجاجتين من البيرة، وخرجا إلى الشرفة الأمامية. ركن بيلى سيارته مقابل سيارة الشيروكي.

قال بوكي عندما استأنف جلوسه على كرسيه الهزاز: «ولكنها في طور التأقلم على الأقل. إنها شجاعة». كان بيلى قد جلس على الكرسي المقابل.

أوماً بيلى برأسه وقال: «بالفعل».

«كما أنها تستطيع قراءة الأجواء. لعلها احتاجت أن تلتقط أنفاسها، ولكنها تركتنا لتتحدث بأريحية على الأرجح».

«هل تعتقد هذا؟».

«أجل، يمكنها أن تحظى بالغرفة الإضافية بينما تمكث أنت هنا.

وضعت بعض أمتعتي هناك، ولكنني سأفرغها. لا أعرف إن كان هناك

ملاحف للسريير ولكنني رأيت بعض البطانيات في الخزانة. هذا سيفي

بالغرض لثلاثة أو أربعة أيام، وبما أنك لا تعاشرها فيمكنك أن تنام في

العلية. في معظم أوقات السنة، يمكنك أن تتجمد من البرد أو تحترق من

الحر فيها، ولكنها ستكون الآن معتدلة. لدي فراش في مكان ما، ولعله لا

يزال في صندوق الشيروكي».

«هذا رائع. شكراً لك».

«إن هذا أقل ما يمكنني فعله لرجل يعدني بمبلغ قدره مليون دولار،

إلا إذا غيرت رأيك بخصوص هذا الموضوع».

«لم أغير رأيي»، نظر بيلى إلى بوكي بطرف عينه وقال: «أنت لا تعتقد

أنه يمكنني استرداد ذلك المبلغ».

«هناك احتمال أنك ستستردّ حقك». تناول بوكي من جيب قميصه علبة

سجائر من نوع بول مول - لم يكن لدى بيلي أية فكرة عن سبب استمرارهم في تصنيع هذا النوع - ثم عرض بوكي على بيلي سيجارة، ولكنه رفضها. أشعل بوكي سيجارته بقداحة زيبو كُتِبَ عليها شعار البحرية الأميركية ألا وهو: سنبقى أوفياء إلى الأبد، ثم قال: «لقد تعلمت منذ زمن بعيد ألا أستهين بك يا ويليام».

جلسا لبرهة صامتين وهما يجلسان على الكرسيين الهزازين. ظن بيلي أن شارع بيرسون كان هادئاً، ولكن هدوء هذا المكان جعل شارع بيرسون يبدو كوسط المدينة. لا بد أن هناك شخصاً يستخدم منشاراً في مكان ما أو فأساً. كما كان هناك صوت النسيم العليل يتخلل أشجار الصنوبر والحدود. راقب بيلي عصفوراً يطير وجناحه مفردان في السماء الصافية. «عليك أن تأخذها معك».

أدار بيلي رأسه صوب بوكي وكان مصعوقاً. كان بوكي يضع منفضة سجائر مليئة بالأعقاب على حضنه. قال بيلي: «ماذا؟ هل أنت مجنون؟ اعتقدت أنه يمكنها البقاء عندك لبعض الوقت بينما أتعب نيك وأنال منه في فيغاس».

«يمكنها ذلك، ولكن يجدر بك أن تأخذها معك»، نفص سيجارته، ونحى المنفضة جانباً، وانحنى متابعاً حديثه: «اسمعي الآن لأنني متأكد أنك لم تسمعي سابقاً. إن الرجال يلاحقونك، إنهم رجال مؤذون مثل دانا إديسون الذي ذكرته. إنهم يعلمون أن الشرطة لم تقبض عليك وأن نيك نصب عليك وأنت في خضم رحلتك لاسترداد حقك. إن هذا سيخرجه من جحره، وسيلفت نظره إليك».

تمتم بيلي وقال: «مثل شايلوك».

«ليس لدي معلومات بهذا الخصوص، حيث إنني لم أتابع الفيلم، ولكن إن كنت تظن أنه يمكنك خداعهم...»، داعب بوكي حينها الشعر المستعار الأشقر الذي أصبح عتيقاً وكان يجدر ببيلي أن يستبدله بآخر، ثم

تابع قائلاً: «... فأنت تلعب بالنار. إنهم يعلمون أنك غيرت مظهرك لأنك لن تتمكن من مغادرة ريد بلاف سوى بهذه الطريقة، وإن كنت تقود سيارة، فليس هناك طرق كثيرة تؤدي إلى فيغاس. لذا، سيراقبونها جميعها».

إن كلامه منطقي، ولكن بيلى لم يود أن يورط أليس في هذه المخاطر. كان يهدف إلى أن يبعدها عن أي خطر محقق. تابع بوكي قائلاً: «إن أول أمر عليك التفكير به هو لوحة سيارتك هذه»، أشار إلى سيارة الفيوجن المركونة تحت الشرفة، «هناك سيارات عليها لوحات الولايات الجنوبية، ولكن ليس الكثير». لم يجبه بيلى لأنه تفاجأ بغبائه، لقد وضع جهاز تشويش ليمنع جهاز تعقب الفيوجن، ولكنه نسي أمر اللوحة وهو يقطع الغرب الأوسط، وكأنه كان يقصد أن يكتب عبارة «ها أنا ذا» على لافتة كبيرة.

لم يكن على بوكي أن يقرأ أفكار بيلى، لأن كل شيء كان يفكر فيه بيلى بدا على ملامح وجهه. قال: «لا تقزع نفسك يا بيلى. لقد أصبت في العديد من الأمور وخصوصاً أنك شخص يتحرك بسرعة».

«لا يتطلب الأمر سوى زلة واحدة، وسأرى رأسي تحت المقصلة».

لم يخالفه بوكي الرأي، بل أشعل سيجارة أخرى، وقال إنه لا يعتقد أن أولئك الرجال سيبحثون عن بيلى في أماكن كأوكلاهوما وكنساس، وأضاف: «سوف يركزون على المنطقة الغربية مثل أيداهو ويوتا وأريزونا ونيفادا على وجه الخصوص وصولاً إلى فيغاس حيث الأمور ستصبح مكشوفة».

أوماً بيلى برأسه.

«كانوا سيصلون بحلول هذا الوقت إذا استطاعوا تتبع اللوحة».

أشار بوكي بيده، ورسم مساراً عبر الدخان ثم وأضاف: «إن هذه منطقة نائية ومناسبة لحفل إطلاق نار. أعتقد أن وضعك سليم وأن حجتك متينة. كما أن هذا أمر جيد لأن مستندات هذه السيارة باسم دالتون سميث أليس كذلك؟».

«أجل».

«هل لديك هوية باسم آخر؟».

لا زال بيلي يحتفظ برخصة قيادة ديفيد لو كريدج والماستر كارد الخاصة به ولكنهما لن تفيداه. أجب: «كلها محروقة».

«يمكنني أن أصنع لك هوية جديدة. سأستخدم مولد الأسماء، وإن جهزت لك بطاقة ائتمانية لا تحاول أن تستخدمها فهي ستكون غير صالحة للاستخدام، ولا تبدّل اللوحة لأنه عليك أن تبدل السيارة، يمكنك أن تبقي هذه السيارة المرخصة هنا فهي بشعة بجميع الأحوال».

قال بيلي وهو يشرب البيرة: «ولكنها مريحة».

«هل لديك مال؟ لقد أرسلت لي نسبة عشرة بالمئة من السلفة، فأتوقع أنه لديك بعض المال».

«لدي حوالي الأربعين ألفاً، ولكن ليست نقداً. إنها في حسابات في ريد بلاف».

«ولكنها باسم دالتون سميث أليس كذلك؟».

«أجل».

انتهت سيجارة بوكي، فأطفاها في المنفضة وقال: «هناك مكان غرب سايدويندير اسمه كراج ريكي للسيارات المستعملة. إنه يعمل في ساعات الليل، ويمكنك أن تشتري سيارة من هناك. وهناك احتمال أفضل، يمكنك أن أدفع له نقداً، وأشتري سيارة وفي المقابل يمكنك أن تعطيني شيكاً باسم دالتون سميث. سأنتظر حتى تنتهي هذه الدوامة لأصرفه».

«ولكنك لن تحظى بالمبلغ إذا قُتلت».

لوح بوكي بيده أمامه قائلاً: «لن أشتري سيارة بي. أم. دبليو. بل سيارة تؤدي الغرض وحسب، وسعرها بحدود الخمسة عشر ألفاً إلى عشرين ألف دولار. ربما لن أشتري سيارة بل عربة قديمة صدئة صوت محركها مدوّ»، نظر إلى الشمس، وهو يوازن الأمور في ذهنه ثم تابع: «ولعلها ستكون عربة تشبه عربات المزارعين». استطاع بيلي تخيلها، وارتسمت في مخيلته صورة عربة ذات دهان مقشوط عند الباب وصدأ على اللوحيتين ومادة لاصقة على

الأضواء الأمامية. إذا اعتمر قبعة رعاة بقر فسيكون تخفياً رائعاً حيث سيبدو وكأنه مثل أي مزارع عادي.

قال بوكي: «إنهم يبحثون عن رجل وحيد وهنا يأتي دور أليس. عليكما أن تدخلوا إلى كافيته على الطريق حيث يتواجد صائدو الجوائز ويحتسون القهوة ويراقبون الطريق السريع رقم 50. لن يلاحظوا شيئاً سوى رجل مع ابنته يقودان عربة دودج أو أف-150».

«لن أقحم أليس في وضع خطر كهذا»، إن أسوأ فكرة في الموضوع أنها كانت ستقبل بالوضع.

«هل أخذتها معك عندما عاقبت مغتصبها».

بالطبع لا، لقد تركها في نزل قريب، ولكن قبل أن ينهي كلامه عادت أليس، وفتحت الباب.

16

عندما صعدت إلى الشرفة، كان وجهها مشرقاً، وكانت تبتسم وشعرها مفروداً ولاحظ بيلي أنها كانت جميلة جداً اليوم.

قالت: «إن المنظر رائع هنا، إن الرياح كانت عاتية لدرجة أن توازني قد اختل، ولكن المنظر رائع، وتكاد الأراضي لا تنتهي».

قال بيلي وهو يبتسم: «في هذا الجو الصحو فقط».

لم تفهم أليس التعليق أو لعلها كانت مأسورة بما رآته اليوم، فقالت: «كانت هناك غيوم فوقتي وتحتي، ورأيت طائراً ضخماً... لا أعتقد أنه كان نسرًا أميركياً ولكن...».

قال بوكي: «بالطبع يمكنه أن يكون نسرًا. إنها تتواجد هنا الآن، ولكنني لم أرَ أيًا منها بأمّ عيني».

«أعرف أن كلامي سيبدو غير منطقي، ولكنني أعتقد أنني لمحت ذلك المنتجع الذي حدثني عنه، ثم أغمضت عيني لأن الرياح كانت قوية للغاية

فاختفى تماماً».

لم يتتسم بوكي وقال: «لست أول شخص يرى هذا. لست إنساناً يؤمن بالأرواح، ولكنني لن أقرب من منطقة فندق أوفرلوك. تحدث أمور خطيرة هناك».

تجاهلت أليس هذا وقالت: «كان منظرًا جميلاً وكانت الطريق رائعة. وهل تعلم يا بيلي؟ هناك كيبنة خشبية بعد ربع ميل من الطريق».

أوما بوكي برأسه قائلاً: «أعتقد أنه يشبه المنزل الصيفي. إنه يعود لوقت بعيد للغاية».

«إنه يبدو نظيفاً وجافاً وهناك طاولة وبعض الكراسي. إن الشمس تصل إليه إذا فتح الباب. يمكنك أن تعمل على قصتك هناك يا بيلي»، ترددت قليلاً ثم أردفت: «إذا أردت هذا بالطبع».

أدار رأسه صوب بوكي وقال: «ربما سأفعل هذا. منذ متى وأنت تملك هذا المكان؟».

فكر بوكي في الأمر ثم قال: «منذ اثنتي عشرة سنة؟ كلا، أعتقد منذ أربع عشرة سنة. إن الوقت يمر بلمح البصر أليس كذلك؟ كنت أحرص على أن آتي إلى هنا لأسبوع أو في يوم العطلة مرة أو مرتين كل سنة. أنا أفضل أن يكون وجهي معروفاً في هذه البلدة».

«ما اسمك هنا؟»

«إيلمير روندولف. إن هذا اسمي الحقيقي واسمي الواسطي»، نهض بوكي ثم قال: «أرى أنكما قد أحضرتما بيضاً، حان الوقت لأعد لكما ذلك الطبق المشهور».

دخل بوكي المنزل، وقبل أن يلحق به بيلي، أمسكت أليس بمعصم بيلي وقالت مجدداً: «بوسعي أن أعيش هنا». تذكر كيف كانت هيئتها حين حملها في شارع بيرسون تحت المطر، وكانت عيناها متورمتين للغاية. لم تكن هذه الفتاة نفسها. إن هذه الفتاة تبدو أفضل.

الفصل الثامن عشر

1

بعكس ضيفيه، ذهب بوكي ليدخن على الشرفة مع أن شبح رائحة كل سجائر بول مول التي دخنها منذ أن انتقل من نيويورك قد خيم على المنزل. انضم إليه بيلي في صباح اليوم التالي بينما كانت أليس تغني في الحمام، وهذه كانت إشارة إلى تعافيتها.

قال بوكي: «إنها تقول إنك تعمل على تأليف كتاب».

ضحك بيلي وقال: «أشك في أنني سأرتقي إلى هذا المستوى».

«إنها تقول لي إنك تود أن تعمل عليه في البيت الصيفي اليوم».

«أعتقد ذلك».

«إنها تقول إنه جيد».

«لا أعتقد أن خبرتها تؤهلها على أن تقارنه بكتاب آخر».

لم يجاره بوكي في هذا وقال: «كنت أفكر في أن أذهب وإياها لتبضع هذا الصباح لنعطيك فرصة لتركز في عملك، إنك تحتاج شعراً مستعاراً جديداً وهي تفتقد لحاجيات نسائية وليس لصبغة الشعر وحسب».

«هل تناقشتما في الأمر؟».

«أجل، لقد تناقشنا بالفعل، أنا معتاد على أن أستيظق قرابة الساعة

الخامسة والنصف، وبصراحة تامة، إن مثانتي هي من توقظني، وبعد أن أنهيت قضاء حاجتي، خرجت لأدخن سيجارة ووجدتها واقفة هناك، لقد راقبنا شروق الشمس معاً، وتحدثنا قليلاً».

«كيف بدت؟».

أدار بوكي رأسه باتجاه الحمام الذي كان يسمع منه صوت غنائها:

«كيف تبدو بالنسبة إليك؟».

«بحالة جيدة في الواقع».

«وأنا أعتقد ذلك أيضاً، ربما سنقود مطولاً باتجاه بولدير حيث توجد هناك خيارات أوسع، سنتوقف عند كراج ريكي باترسون للسيارات المستعملة لنرى ما لديه، ولعلنا سنتناول الغداء في هاندي آندي».

«ماذا لو كانوا جادين في ملاحظتكما أيضاً؟».

«إنك أنت من تقف في وجه المدفع يا بيلي، أتوقع أنهم بحثوا عني قليلاً في نيويورك ثم تحققوا من منزل أختي في كويز ثم اعتبروني قضية خاسرة».

«أتمنى أن تكون محقاً».

«دعني أقل لك شيئاً، سنتوقف أولاً عند متجر بافالو التبادلي أو كومن ثريدز، سأشتري قبعة رعاة بقر، وأعطي رأسي بها تماماً، ييهاو»، أطفأ بوكي سيجارة بول مول التي كان يدخنها وأضاف: «أتعرف أنك مثلها الأعلى في هذا العالم؟ إنك غالٍ جداً عليها».

إن المياه لا تزال تجري في الحمام كما أنها لا تزال تغني وهذا أمر جيد، ولكن بيلي يعتقد أنها تعاني في الوصول لدرجة النظافة التي تريدها. قال بوكي: «في الواقع، هي استخدمت تعبير ملاكها الحارس لتصفك».

2

بعد مرور نصف ساعة، وقفت أليس عند الباب بعد أن انكشف البخار عن الحمام في الوقت الذي كان فيه بيلي يحلق ذقنه.

«هل تمانع ذهابي؟».

«إطلاقاً، احظي ببعض المرح، ولكن احذري، ولا تخجلي أن تطلبي منه أن يوقف عمل الراديو إذا لم تحتلمي الصوت العالي».

«أريد أن أشتري بعض التنانير والسترات وصبغة لشعري، كما أريد أن

أشترى لك شعراً مستعاراً، كما أود أن أشترى حذاء رخيصاً وبعض الثياب الداخلية التي لا تشبه...».

«تلك الأشياء التي يمكن أن يشتريها لك عمك الجاهل في حالات الطوارئ فقط؟ لا تراعي مشاعري فيمكنني احتمال الأمر». «إن ما جلبته لي لا بأس به، ولكنني أحتاج إلى أكثر من هذا، كما أنني أحتاج حمالة صدر غير معقودة في أحد الطرفين».

لقد نسي بيلى هذا الأمر كما نسي لوحة سيارة الفيوجن. مع أن بوكي عاد إلى الشرفة ليدخن، ويشرب كأساً من عصير البرتقال - لم يدر بيلى كيف استطاع أن يحتمل هذا المزيج - أخفضت أليس صوتها وقالت: «ولكنني لا أملك الكثير من المال».

«دعي بوكي يتولى أمر المال، وسأتعامل أنا معه».

«هل أنت متأكد؟».

«بالطبع».

شدت على يده التي لا تمسك بموس الحلاقة وقالت: «شكراً لك على كل شيء».

إن امتنانها له شيء جنوني ومنطقي في الوقت ذاته، يا لها من مفارقة! لقد احتفظ بهذا التعليق لنفسه، وقال لها على الرحب والسعة.

3

غادر بوكي وأليس في الشيروكي عند الساعة الثامنة والرابع، وقد وضعت أليس بعض كريم الأساس على وجهها ولم يبقَ هناك أثر للكدمات. لم يعتقد بيلى أن الكدمات ستكون ظاهرة تماماً بلا مكياج، لقد مضى أسبوع على موعدها مع تريب دونوفان؛ إن اليافعين يتعافون بسرعة.

قال لها: «اتصلي بي إن احتجت شيئاً».

قال بوكي: «حسناً يا بابا».

قالت أليس لبيلي إنها ستفعل ذلك، ولكنه يستطيع أن يقرأ ما يدور في بالها، كانت تفكر في رحلة الطريق مع بوكي وكيف سيتحدثان بشكل طبيعي - وكأن هذا كان وضعاً طبيعياً أساساً - كما كانت تفكر بما ستجده في المتاجر الجديدة عليها، لعلها تفكر في قياس بعض الأشياء، إن الشيء الوحيد الذي دلّ هذا الصباح على أن هذه الفتاة قد اغتصبت هو وقت الاستحمام الأبدى.

بعد أن رحلا، مشى بيلي على الطريق الذي سلكته أليس ليلة البارحة، ووقف عند الكيئة الصغيرة التي يدعوها بوكي بالبيت الصيفي، ونظر إلى داخلها، هناك أرضية خشبية غير مطلية، والفرش الوحيد كان طاولة من الكرتون وثلاثة كراسٍ قابلة للطي، ولكن هل كان يحتاج أكثر من ذلك؟ كان يحتاج إلى حاسوبه وزجاجة صودا من الثلاثة.

فكر في سره: يا لحياة الكاتب! وتساءل من قال له هذا يوماً، لقد قال تلك العبارة إيرف دين أليس كذلك؟ الحارس الأمني لبرج جيرارد. لقد مر على هذا وقت طويل جداً، وكأنه قد جرى في حياة أخرى علماً أن هذه هي الحقيقة؛ لقد جرت تلك الحادثة في حياته كديفيد لوكريديج.

مشى إلى نهاية الممر، ثم نظر إلى المرح، وتساءل ما إن كان يستطيع رؤية منتجع أليس الوهمي، لكنه لم يستطع أن يرى سوى الأساسات التي كان يستند إليها، كما لم يكن هناك نسر أميركي.

عاد إلى المنزل كي يجلب جهازه الماك بوك برو وزجاجة الصودا، ووضعهما على طاولة الكرتون في البيت الصيفي، كانت الإضاءة القادمة من الباب المفتوح ممتازة. في البداية، جلس على أحد الكراسي القابلة للطي بحذر شديد، ولكنه لاحظ أنها كانت متينة بشكل كافٍ، استأنف قصته، ونزل إلى المقطع الذي يسلم فيه تاكو بوق الفريق إلى مترجمهم فريد، كان على وشك أن يتابع من حيث انتهى، ولكن ريختر قاطعه، ثم لاحظ صورة على الجدار، نهض ليعاينها عن قرب، لأنها كانت في الزاوية البعيدة - كان

هذا مكاناً غريباً لتعليق لوحة - كما أن ضوء النهار، لم يصل تماماً إلى تلك الزاوية، وتبين أنها تعرض مجموعة شعيرات تم تشكيلها على هيئة حيوانات.

هناك كلب على اليسار وأرنبان على اليمين وأسدان في المنتصف، كما كان هناك حيوان يشبه الثور وراء الأسدين، أو لعله كان أشبه بوحيد القرن، إن تكنيك اللوحة كان ضعيفاً للغاية كما أن اللون الأخضر كان شديداً للغاية، وكان الفنان ولسبب غير محدد قد وضع مسحة من اللون الأحمر على عيون الأسدين ليعطيها هيئة شيطانية. أنزل يبلي اللوحة، وأدارها لتواجه الجدار لأنه على ثقة من أن عينيه ستوجهان إليها ما لم يفعل ذلك، وليس لأنها لوحة جميلة بل على العكس تماماً. فتح زجاجة الصودا، وشرب جرعة كبيرة، ثم بدأ عمله.

4

قال تاكو: «هيا بنا يا رفاق، دعونا نحصل على القليل»، سلم فريد البوق الذي كُتبت على جانبه عبارة: صباح الخير يا فييتنام وقال له أن ينهال على المنزل بالصوت العالي المعتاد الذي ترافق مع إنذار على أن يخرج من في المنزل على أقدامهم على الفور، وإذا تأخروا فسيخرجون ضمن أكياس للجثث، نفخ فريد في البوق، ولم يخرج أحد، كانت هذه إشارتنا المعتادة لنبدأ بأنشودتنا: نحن البطاقة الراحبة، مرحى، مرحى. ولكن تاكو قال لفريد أن ينفخ مجدداً هذه المرة.

سأل دونك: «ما خطبك؟».

قال تاكو: «لا أدري، ولكن يتابني شعور غريب، في البداية، لا يعجبني التفاف الشرفة حول القبة، أتلاحظون هذا؟». لقد لاحظنا بالطبع، كان للشرفة سياج إسمتي منخفض.

«لعلّ هناك أشخاصاً يجلسون خلفها القرفصاء»، لقد رأنا ونحن ننظر

إليه، «كلا، أنا لا أصاب بنوبة زعر، ولكن ينتابني شعور مريب للغاية». كان فريد في خضم إلقائه للخطبة عندما أتى الكابتن هورست الذي عُيّن حديثاً مسؤولاً عن المجموعة، كان يجلس في سيارته الجيب فارجاً ساقيه وكأنه يخال نفسه الجنرال جورج أس. باتون. كان هنالك على الجانب الآخر من الشارع ثلاثة مبانٍ، كان قد تم إكساء اثنين منها أما الثالث فلم يتم الانتهاء من بنائه، لقد كانت تلك المباني مرشوشة بالحرف «خ» الدال على أنه قد تم إخلاؤها كما هو مفترض.

كان هورست أخضر، ولم يكن على دراية بأن المجاهدين قد تسللوا مجدداً، كما أن الجميع استطاعوا تمييز مدى كبر رأسه حيث كان يشبه يقطينة الهالوين.

لقد وبّخ بفضاظة قائلاً: «ما الذي تنتظره أيها الرقيب؟ إن ضوء النهار بدأ يتلاشى، أدخل مبني تلك المزرعة في الحال».

قال تاكو: «عَلِم يا سيدي، إنني أعطيتهم مهلة واحدة كي يخرجوا على قيد الحياة».

صرخ الكابتن هورست: «لا تبال بهم»، ثم انطلق مسرعاً.

قال بيغفوت لوبيز: «حكى الذكي».

قال تاكو: «حسناً، ضعوا أيديكم على يدي إن كنتم تودون عقد اجتماع للفريق».

لقد اقتربنا من بعض لنعقد الاجتماع؛ اعتاد فريقنا أن يسمى باللامعين التسعة، ولكننا أصبحنا اللامعين الثمانية: تاكو، ودين-دين وكلو، ودونك، وبيغفوت، وجوني كابس، وبيبل رولير صاحب حقيته الإسعافية المليئة بالحيل، وأنا. كنت أنظر إليهم، وكأنني لا أنتمي إليهم؛ لطالما انتابني هذا الشعور.

إنني أتذكر إطلاق نار متقطع، وانفجار قبلة ورائنا في مكان ما في بلوك كلو كما سمعت صوت قذيفة آر. بي. جي. من أمامنا ولعلها أصابت بلوك

بابا، كما أتذكر أنني سمعت كلمة مرحباً قادمة من مكان بعيد ولسبب الله وحده يعلمه، سمعت مغفلاً ينفخ في صفارته: فويت- فويت- فويت. إنني أتذكر كم كان الطقس حاراً لدرجة أن قطرات عرقنا كانت تشق طريقها على وجوهنا المتسخة، كما أن الأصحاب الذين كانوا على الشارع وهم يرتدون ستراتهم التي كُتِبَ عليها روك وراب تجاهلوا إطلاق النار والانفجارات وكأنهم لم يسمعوها، لقد كانوا يجثون على ركبهم المجروحة ليجمعوا الخراطيش المستعملة ليعطوها للمقاتلين كي يعيدوا استخدامها، وأستذكر أنني تحسست حذاء الطفلة على حزامي، ولم أعره عليه.

اجتمعت أيدينا للمرة الأخيرة في حياتنا، لا أدري إن كان تاكو يشعر بهذا مثلي أيضاً، ولعلنا شعرنا جميعنا بهذا، لا أعرف. أستطيع تذكر وجوههم ورائحة عطر جوني: إنغلش ليدر، كان يضع قليلاً منه كل يوم ويشاركه معنا، لقد عدّه تميمة الحظ الخاصة به. أتذكر أنه قال لي مرة إنه لا يوجد رجل يموت ورائحته زكية....

قال تاكو: «أروني الحماسة يا أصحاب»، وفعلنا ذلك، يا لنا من حمقى ومغفلين! - لطالما كنا حمقى ومغفلين في الحرب - ولكن ذلك دفعنا إلى الأمام، وإن كان هناك مجاهدون ينتظرون في ذلك المنزل المقتب، فلعلّ اجتماعنا هذا قد منحهم دقيقة من السكون لينظروا إلى بعضهم ويفكروا في ما كانوا يفعلونه ولماذا كانوا يتبعون فكرة إمام مسنّ عن الله وهم مستعدون للموت من أجلها.

«نحن البطاقة الراححة، مرحى، مرحى. نحن البطاقة الراححة، مرحى،

مرحى».

حركنا أيدينا المتشابكة ثم نهضنا، كنت أمسك بأم-4 وأضع أم-24 على كتفي أيضاً، وكان بجانبني كلو الضخم، وكان يمسك بسلاح أم-249 بذراع واحدة مع أنه كان يزن عشرين باونداً وهو مذكر، وكان قد ألقى بحزامه فوق كتفه الضخم، وكأنه ربطه عنق.

لقد تجمعننا عند الفناء الخارجي، والظلال المتشابكة التي أتت من الشقة غير المفروشة مقابل الشارع جعلت اللوحة تبدو وكأنها طاولة شطرنج - كانت الظلال تعود للأطفال المشردين في الزوايا وللنساء المترقيات ورجال شرطة المتطوعين - كان بيغفوت يمسك بسلاح أم-870 الذي كان يُستخدَم للاقتحام من خلال تفجير أقفال البوابات وتحويلها إلى قطع متناثرة، تنحى تاكو جانباً كي يُنفذ فوت مهمته، ولكن البوابة أصدرت صوتاً يشبه الصرير الذي يُسمع في أفلام الرعب عندما جُزب أن يدفعها بابلو. تبادلت وتاكو النظرات، كنا محض جنديين في البحرية يفكران بشيء واحد: كم كان هذا جنونياً!

رفع تاك كتفيه، وكأنه يقول إنه علينا تقبّل الحال كما هو، ثم أشار لنا لتجاوز الفناء بسرعة، ونحني جذوعنا، ونخفض رؤوسنا، لم يكن هناك سوى كرة قدم على الحصى، وقد ركلها جورج دينيرشتاين بخفة أثناء مروره. عبرنا الفناء من دون أن تطلق علينا رصاصة من نوافذ المنزل التي كان عليها قضبان والتي كانت تصل لنهاية الجدار الإسمنتي. كانت هناك أربع نوافذ على جانبي البوابة المزدوجة المصنوعة من الخشب الثقيل والذي يبلغ طولها ثماني أقدام، لقد نُقِشَ على كل منها سيفان محدبان متقاطعان فوق مرساة مجنحة، كان هذا رمز كتائب البعث أي رمز لمعتقد روجي آخر. بحثت عن فريد، ورأيتُه يقف إلى جانب البوابة، ووجدني أنظر إليه فرفع كتفيه، لقد فهمت إشارته، كان لفريد مهمة مخصصة، ولم تكن جزءاً من عملنا هذا.

أشار تاك لدونك وكلو كي يذهبا يساراً، ويتحققا من النافذة هناك، وذهبت وبيغفوت يساراً، حيث اختلست النظر من النافذة التي كانت إلى جانبي، وتركت مساحة لِنفسي كي أنسحب في حال أراد أحد المجاهدين أن يفجّر رأسي، ولكنني لم أرَ أحداً، ولم يطلق أحد النار عليّ، كما رأيت غرفة كبيرة مؤثثة بالسجاد وأريكة منخفضة ورفوف للكتب لم يكن عليها

سوى كتاب ورقي وحيد، وكان هناك طاولة قهوة في زاوية الغرفة، كما كان هناك بساط على جدار واحد مزخرف بأحصنة تركض. كان ارتفاع الغرفة يضاهي ارتفاع صحن الكنائس المحلية الكاثوليكية حيث بلغ خمسين قدماً وصولاً إلى تلك القبة المنارة بأشعة الشمس والتي بدت وكأنها بالمتناول بسبب ذرات الغبار المتراقصة.

تنحيت جانباً كي يحلّ بيغفوت مكاني، وبما أن رأسي لم ينفجر، أطال فوت النظر.

قال لي فوت: «لا أستطيع رؤية الأبواب من هنا، إن الزاوية غير مناسبة». «أعرف هذا».

نظرنا إلى تاك مجدداً، وحركت يدي جيئة وذهاباً كي أبتن له أن الطريق آمنٌ وغير آمنٍ في الوقت ذاته، أرسل دونك الإشارة نفسها من الجانب الآخر ورفع كتفيه، وسمعنا المزيد من إطلاق النار، كان بعضه بعيداً وبعضه الآخر قريباً، ولكنه لم يأت من بلوك ليما. كان المنزل المقبّب ساكناً، وقد ركنت كرة القدم التي ركلها دين-دين في زاوية الفناء؛ كان المكان مهجوراً على الأغلب، ولكنني استمررت في تحسّس حزامي كي أعثر على ذلك الحذاء اللعين.

اجتمعنا نحن الثمانية وأحطنا بالبوابة، قال تاكو: «علينا أن نصطف. من يريد أن يتقدم الصف؟». قلت له: «أنا أريد».

أشاح تاكو بوجهه وقال: «لقد دخلت أولاً في المرة الماضية يا بيلي، فتوقف عن المطالبة بهذا، وأعطِ دوراً لغيرك».

قال جوني كابس: «أنا أريد»، ثم قال تاكو: «إذاً، لقد حُسم الأمر»، وهذا هو السبب الذي أمشي فيه اليوم أنا بينما جوني لا يمشي، ليس للقدر خطة بل إنه يلقي بفرص كي يغتنمها البشر.

أشار تاكو إلى بيغفوت، ثم إلى البوابة المزدوجة، كان على البوابة

الأولى سقاية فولاذية تشبه لساناً ممدوداً بفظاظة، جَرَب فوت أن يفتحها، ولكنها بقيت موصدة.

كان الفناء مفتوحاً، وربما كان السبب هو أن الأطفال كانوا يأتون ليلعبوا فيه في أوقات أفضل ولكن المنزل كان مقفلاً.

أعطى تاكو بيغفوت الموافقة، ووضع فوت على كتفه سلاحه المحمل بطلقات خاصة بفتح الأبواب المتينة، ووقف بقيتنا في صف وراء جوني، بينما كان كلو يقف وراءه لأنه كان يمسك بسلاح أم-249. وقف تاكو وراء كلو، وكنت الرابع في الصف، وكان بيل في نهاية الصف كالعادة. كان جوني متوتراً ويحضر نفسه، وقد استطعت أن أرى تمتمة شفتيه: تمالك نفسك، تمالك نفسك، تمالك نفسك بحق الله.

انتظر فوت إشارة تاكو، وعندما أعطاها، فجّر بيغفوت قفل البوابة، انفجر قسم كبير من الجهة اليمنى للبوابة، وتهاوى إلى الداخل. لم يتردد جوني، ودفع الجهة اليسرى بكتفه، واقتحم الغرفة وقال: «بانزاي⁽¹⁾ أيها الأوغاد...».

لم يستطع قول سوى تلك الكلمات لأن المجاهد الذي كان ينتظر وراء الباب شرع بإطلاق النار بواسطة الكلاشينكوف، ولم يصوب على ظهر جوني بل على ساقه، فتشقق بنطاله، وصرخ من هول المفاجأة لأن الألم لم ينخر عظامه بعد، ابتعد كلو عن الغرفة وصرخ: «تراجعوا أيها الجنود». لقد ابتعدنا قليلاً، ثم بدأ إطلاق النار بسلاحه أم-249، كان قد عبره على أن يطلق النار رشاً وليس طلقة تلو الأخرى، وتهاوت البوابة على الرجل الذي كان يقف خلفها، وتطايرت المفصلات الحديدية، واختفى السيفان المحدبان، ووقع المجاهد، ولم يتبقَّ عليه سوى ثيابه التي جمعت شتاته، ومع هذا، كان يمسك بإحدى القنابل المعلقة على حزامه؛ كان قد أمسك بها؛ ولكنه وقع قبل أن يفجرها؛ فركلها كلو جانباً، واستطعت أن أرى جوني

(1) صرخة المعركة اليابانية.

فوق كتف تاكو، حيث كان يشعر بالألم الآن وأخذ يتقلب والدم يسيل إلى حدائه. قال تاكو لكلو: «أمسك به»، ثم صرخ: «نريد مسعفاً».

مشى جوني خطوة أخرى ثم سقط، كان يصرخ: «لقد أصبت. يا إلهي، لقد أصبت إصابة خطيرة». انطلق كلو إلى الأمام، وتبعه تاكو، وعندها أطلقوا النار علينا من الأعلى، كان يجدر بنا أن نتوقع هذا، كان يجب أن نخبرنا تلك الأشعة التي تسللت عبر القبة لأننا لم نلاحظ أية نوافذ من الخارج. كانت تلك عبارة عن ثقوب منخفضة محفورة في الإسمنت ومخفية بسبب السياج المحيط بالشرفة الخارجية بارتفاع متر تقريباً.

أصيب كلو في صدره، وتراجع وهو يحمل سلاحه، وقد صدّت درعه تلك الطلقة، ولكن الطلقة الثانية نالت منه في عنقه. نظر تاكو إلى الأشعة ثم أمسك بسلاح كلو الأم-249، وأصابته طلقة في كتفه، وارتطمت طلقتان بالجدار، وأصابته الطلقة الرابعة في أسفل وجهه، فنزل فكاه إلى الأسفل وكأنهما كانا متصلين بمفضلتين حديديتين. استدار باتجاهنا والدماء تنبثق منه وهو يشير لنا بأن نتراجع ثم تطاير كامل رأسه، اصطدم بي أحد، وظننت لبرهة أنني أصبت من الخلف، ثم رأيت بيل وهو يركض بجانبه وهو يحمل حقيبة إسعافاته الأولية من جانب واحد.

صرخ بيغفوت قائلاً: «كلا، كلا، إنهم فوقنا»، ثم أمسك بجانب الحقيبة الآخر، وأبعد مسعفنا وهذا كان السبب الوحيد الذي بقي فيه كليتون «بيل رولير» بريغز على قيد الحياة.

اصطدمت الرصاصات بالأرض، وخزبت بعض رخام الأرضية، ونشرت الغبار والقماش المتطاير عن السجاد، واصطدمت رصاصة بالبساط المزخرف وأصابت أحد الأحصنة الراكضة في صدره، كما أصابت أخرى طاولة القهوة وجعلتها تدور. كان المجاهدون على الشرفة يطلقون النار ببطء الآن، ورأيت جثتي تاكو وكلو تنتفضان عندما كانتا تتلقيان المزيد من الطلقات ليتحققوا من أنهما قد ماتا أو لينفسا عن غضبهم أو للسبيين معاً،

ولكنهم ابتعدوا عن جوني الذي سبح في بركة من دمه وهو يصرخ بشكل هيسيري؛ كان من الممكن لهم أن يقتلوه بسهولة، ولكنهم لم يريدوا ذلك، إذ كان جوني كبش الفداء الخاص بهم.

لم تستغرق الحادثة، من اللحظة التي فجر فيها فوت الباب إلى اللحظة التي كان المجاهدون يطلقون فيها النار من الشرفة على جثتي تاكو وكلو، سوى دقيقة أو أقل، فعندما تسير الأمور في غير مجراها المتوقع، لا تستغرق الكثير من الوقت.

قال دونك: «علينا أن نجلب كابس».

قال دين-دين: «إن هذا ما يريدونه، إنهم ليسوا بمغفلين، فلا تكن مغفلاً».

قال بيل: «سينزف حتى يموت إذا لم ننقذه».

قال فوت وهو يتجه محنياً إلى البوابة: «سأنقذه»، وأمسك بدرع جوني من الخلف، وشرع يسحبه باتجاهه بينما كانت الرصاصات تتطاير في كل مكان. لقد وصل إلى جثة المجاهد الميت، ثم تلقى رصاصة في وجهه، وهذه كانت نهاية بابلو لوبيز من إيل باسو، تكساس، وسقط على ظهره، ثم تبادل الثوار المتدربون الأدوار لإطلاق النار عليه وتابع جوني صراخه. قال دين-دين: «أستطيع الوصول إليه».

قال دونك: «هذا ما اعتقده فوت، إن أولئك الأوغاد يستطيعون إطلاق النار»، أدار وجهه إليّ وسألني: «ماذا علينا أن نفعل يا بيلي؟ هل لنا أن نطلب المعونة الجوية؟». كنا على دراية تامة بأن صاروخ هيلفاير سيقضي على المجاهدين الواقفين على الشرفة، ولكنه سينهي حياة جوني كابس أيضاً. قلت لهم: «سأغلبهم»، لم أنتظر لأخوض أي نقاش لأننا تجاوزنا هذه المرحلة، وركضت باتجاه الفناء وأسقطت سلاحي أم-4 على الحصى. سأل فريد: «هل ستراجع الآن أيها القائد؟».

لم أجهه، بل تابعت طريقي إلى الشقة غير المنتهية، والتي لم يكن عليها

باب، كانت مظلمة من الداخل، وتفوح منها رائحة الإسمنت الرطب، وكان اليهو عبارة عن كنز دفين من المؤن المعلبة وعلب الطعام الخفيف وألواح هيرشي، وكان هناك صندوق من علب كوكا كولا وتلال من المجلات وعلى رأسها مجلة فيلد أند ستريم؛ لا بد أن تاجراً عراقياً جريئاً كان يستخدم هذا المقر كمكان للبيع.

شرعت في صعود الدرج، حيث كان هناك العديد من القمامة المتناثرة على الدرج الأول، أما على الدرج الثاني، فكُتبت عبارة عد إلى منزلك أيها اليانكي بالطلاء على الحائط؛ تلك كانت عبارة قديمة لم تخسر بريقها يوماً. كان بوسعي أن أسمع أصوات الطلقات وصراخ جوني كابس، ولم أسمع الطلقة التي أصابت بيت كاشمان، ولكنني تأكدت من أنه قد أصيب. قال دين-دين إن كلمات دونك الأخيرة كانت: «أنا أستطيع الوصول إليه من دون عناء، إنه قريب جداً الآن».

انتهت الجدران عند الطابق الرابع، وسقطت عليّ أشعة الشمس الحارقة. مررت بعربة مليئة بالإسمنت الصلب وأبعدت حزمة من الألواح جانباً، واستمررت في الصعود وأنا ألهث كالكلب، كما كنت أتصيّب عرقاً. انتهت مجموعات الدرج عند الطابق السادس، ولم يكن هناك مشكلة لأنني كنت بموازية القبة التي كانت على الطرف الثاني من الشارع، وكان بوسعي أن أنظر إلى الشرفة من الأعلى.

كان هناك ثلاثة مجاهدين كانوا يجثون على ركبهم ويولونني ظهورهم، شددت حزام سلاح أم-24 على كتفي الأيمن وثبتت فوهة البندقية على حديد تسليح ناتئ من الجدار غير المبني بشكل تام. كانوا يضحكون ويشجعون بعضهم، وكان فريقهم كان على وشك الفوز بمباراة كرة قدم، فصوّبت سلاحي على رأس الرجل الذي كان يقف في الوسط؛ لم يكن رأسه بكبر يقطين الهالويين، ولكنه كان كبيراً بما يكفي؛ وضغطت على الزناد وطار

رأسه بسرعة، فلم يتبقَّ سوى الدم وبقايا الدماغ التي انزلقت على الجانب المحذب من القبة، فظفر المجاهدان الآخران إلى بعضهما بذهول متسائلين: ما الذي حصل للتو؟

قتلت الفرد الثاني ثم حاول الفرد الثالث إخفاء نفسه وراء السياج الإسمنتي، لعله اعتقد أنه سيؤمن له غطاء مني، ولكنه لم ينجح في محاولته هذه حيث إن السياج كان منخفضاً للغاية، فأطلقت النار على ظهره، وسقط أرضاً؛ لم يكن يرتدي درعاً واقيةً.

ركضت على الدرج وعبرت الشارع حيث لا يزال فريد يقف هناك، وكان دين-دين وبيل في بيت الرعب كما أن بيل كان يجثو على ركبتيه قرب جوني الذي تمزق بنظاله بالفعل، وكانت هناك بعض نثرات العظام ناتئة عن جلده وعالقة على القماش. كان دين-دين يصرخ في جهاز إرسال بيل ويخبر أحداً أن لدينا الكثير من الخسائر في بلوك ليما ضمن المنزل ذي القبة الكبيرة: إخلاء، إخلاء، نريد إخلاء المكان من الخسائر، وإلخ.

صرخ جوني: «هذا مؤلم حقاً. يا إلهي، إنه مؤلم للغاية الجنون».

قال بيل وهو يعطيه أقراص المورفين: «خذ هذه».

«يا إلهي، أتمنى لو أنني مت. أتمنى لو قتلوني. يا إلهي، اجعل كل

هذا يتوقف».

فتح بيل فم جوني، وأجبره على ابتلاع الأقراص قائلاً: «امضغ هذه...».

«ماذا حصل هنا أيها الجنود؟».

عاينت المكان ورأيت هورست، لا يزال في مكانه وهو يفرج ساقيه في محاولة منه لتقليد الجنرال باتون، ولكن وجهه المخضّر لم يتغير، إذ يبدو أنه كان مصاباً بالغثيان.

قال دين-دين: «ماذا يبدو؟ ما حدث هو لعنة الفلوجة يا سيدي».

قال بيل: «إن لم تؤمن له دماً على الحال فسوف يـ...».

لا بد أن ما أعاد يبلي من العراق كان من العراق بحدّ ذاتها، وهو جزء من المقطع الصوتي الأبدي الخاص بالفلوجة: صوت غيتار أنغوس يونغ في أغنية القيام بالأعمال الدنيئة مقابل أجر منخفض؛ لا بد أن بوكي وأليس قد عادا من رحلة التبضع. نظر يبلي إلى ساعته، ووجد أن الساعة كانت الثالثة والربع بعد الظهر، لقد مكث هنا لساعات من دون أن يشعر بالوقت. أنهى جملته، وحفظ عمله، ثم أغلق جهازه. كان على وشك أن يغادر عندما نظر إلى اللوحة التي أبعدها كي لا يضطر أن يتشوش بألوانها البدائية الزاهية، وأرجعها إلى مكانها، وعلى الأرجح لقد فعل هذا لأنه لا يزال في المزاج العسكري وتذكر ما أملاه عليهم الرقيب (استعداداً) آيينغتون: لا تدعوا لكم أي أثر عندما تغادرون المكان.

عاين اللوحة مقطب الحاجبين، كانت الشجيرة على شكل كلب على يمين اللوحة، أما الشجيرة على شكل أرنب فكانت على يسار اللوحة، ألم تكونا بالعكس سابقاً؟ وهل اقترب الأسدان من بعضهما؟ قال لنفسه إنه قد أخطأ في تقدير الأمور سابقاً، ولكنه لم ينس أن يقلب اللوحة كي تواجه الجدار قبل أن يغادر المنزل الصيفي.

كان صوت الموسيقى يرتفع كلما اقترب من المنزل، يمكن لبوكي أن يستمع إلى الموسيقى كما يريد لأنه لم يكن هناك جيران، ولا بد أنه قد أحضر شريطاً موسيقياً لأن فرقة ميتاليكا قد حلّت مكان فرقة إي. سي. دي. سي.

لقد أحضرا عربة جديدة - بالنسبة إليهما على الأقل - وتوقف يبلي كي يتأملها قبل أن يصعد الدرج. لم يكن هناك مكان يتسع لها تحت الشرفة

لذا ركنها في آخر ممر السيارات. كانت عربة دودج رام من طراز كواد كاب العائد لأوائل القرن الحادي والعشرين، لونها أزرق ولكنه بهت الآن وأصبح رمادياً، ولم يكن هناك معجونة فوق الأضواء الأمامية كما أن المقعد الأمامي أصلح بواسطة شريط أسود لاصق كما أن دعامة الركوب وصندوق السيارة كانا صدئتين، لقد كان في صندوق السيارة جزازة عشب أقدم من العربة نفسها على الأرجح، وكان هناك مقصورة معلقة من الوراء ولكنها كانت مهشمة ولا تحوي شيئاً.

بينما كان بيلى يصعد درج الشرفة، حلت أغنية توم ويتس مكان ميتاليكا. توقف بيلى عند عتبة الباب، وكان بوكي وأليس يرقصان في وسط الغرفة الكبيرة. كانت أليس ترتدي سترة جديدة ذات لون بهيج انعكس على عينيها، وكان شعرها مربوطاً بتسريحة ذيل الفرس - أو ذيل الحصان إن صح التعبير لأن شعرها كان يصل إلى منتصف ظهرها - بدت وكأنها مراهقة، وكانت تضحك وتمرح، لعل ذلك لأن بوكي كان راقصاً فاشلاً أو لأنها كانت تستمتع بوقتها فعلاً. أعطى بوكي إشارة النصر لبيلى، ثم تابع رقصه على أنغام بافالو، واستدار حول نفسه، واستدارت أليس في الاتجاه المعاكس حيث رأت بيلى يقف عند عتبة الباب، فضحكت أكثر، وهزت وسطها وهذا ما جعل شعرها الطويل يتحرك يميناً ويساراً. انتهت الأغنية، فأوقف بوكي عمل المسجل قبل أن يتسنى لبوب سيغير أن يغني عن بيتي لو، وتهاوى على الأريكة، وربّت على صدره قائلاً: «أنا متعب جداً ولا يمكنني أن أرقص البوغالو»، مرت على أليس سنون من التعب لدرجة أنها كانت منهكة لأن ترقص البوغالو، أدارت رأسها نحو بيلى بلهفة تامة سائلة إياه: «هل رأيت العربة؟».

«أجل».

«أليست مثالية؟».

أوماً بيلى برأسه قائلاً: «لن يتذكرها أحد بعد أن يمرّ بها»، نظر إلى

بوكي من فوق كتفها وسأله: «كيف تعمل؟».

«قال ريكي إنها جيدة بالنسبة إلى عربة خاضت بالفعل رحلة ليوم كامل، ولكنها تستهلك كثيراً من الوقود. لقد استقلتتها أنا وأليس في رحلة تجريبية وبدت على ما يرام. إن نظام تعليقها صعب قليلاً، ولكن عليك أن تتوقع ذلك بالنسبة إلى عربة بهذا القدم. لقد باعني ريكي هذه العربة بثلاثة آلاف وثلاثمئة دولار».

قالت أليس: «لقد قدتها في طريق العودة»، لا تزال مستمتعة بسبب التبضع أو الرقص وربما للسبيين معاً، وشعر بيلى بالسرور من أجلها، «إن نظام تعليقها ليس أوتوماتيكياً ولكنني اعتدت عليه، إن عمي علمني أن أضع الغيار الثالث عندما أريد الرجوع».

لقد كان بوسع بيلى أن يضحك حيث إنه قد تعلم القيادة في دار الطلاء الأبدي، لذا تولى المهام الأخرى بعد أن ذهب غاد إلى الخدمة - الذي كان اسمه غلين داتون في قصته - وقد أعطاه السيد ستينك - الذي كان اسمه السيد شبيك في قصته - تلك الملاحظات ذاتها.

قالت: «لقد أحضرت لك شيئاً، انتظر قليلاً».

ركضت إلى الغرفة المجاورة لتحضره، وتبادل بيلى وبوكي النظرات، فأوماً بوكي برأسه، ورفع له الإبهامين وقال له: «الأمر على ما يرام».

عادت أليس مع صندوق كُتبت عليه عبارة للزبائن المميزين بحروف مزخرفة وأعطته إياه.

فتح بيلى الصندوق وأخرج شعراً مستعاراً جديداً، لعله كان أعلى بكثير من الشعر الذي طلبه عن طريق البريد الإلكتروني من موقع أمازون. لم يكن هذا الشعر المستعار أشقر بل أسود تتخلله بعض الخصل الرمادية وأطول وأكثر من شعر دالتون سميث المستعار، وكانت الفكرة الأولى التي راودته هي أنه لن يشابه صورته التي كانت على رخصة القيادة في حال استوقفه شرطي، وبعد ذلك، راودته فكرة مسحت كل الأفكار الأخرى من ذهنه.

قالت أليس وقد بدأت ابتسامتها بالتلاشي: «ألا يعجبك؟». «إنه يعجبني كثيراً».

خاطر وعانقتها، ولكنها بادلتها العناق، لذا كان الأمر على ما يرام.

7

كان اليوم الأول لبيلي وأليس لدى بوكي يوماً صيفياً ولكن الليلة الثانية كانت أكثر برودة، كما كانت الرياح التي تهب بجانب المنزل باردة كثيراً، فأحضر بيبي بعض قطع الخشب من تحت الشرفة، وأضرم بوكي النار في المدفئة التي كانت في المطبخ.

جلسوا إلى الطاولة ليعاينوا الصور التي طبعها بوكي؛ كان بعضها من غوغل إيرث وبعضها الآخر من زيلو، وكانت تظهر الأراضي الخارجية والغرف الداخلية والخدمات لمنزل على شيروكي درايف 1900 في بلدة بايوت، والتي كانت في الواقع ضاحية شمالية من ضواحي لاس فيغاس؛ كان هذا منزل نيكولاي ماغاريان.

يقع المنزل عند سفح جبل بايوت، كما أنه طُلي باللون الأبيض كالثلج وهو مؤلف من أربعة طوابق، كان كل طابق متراجعاً عن الطابق الذي تحته ببضعة أمتار ما أعطى المنزل هيئة درج ضخم. فكّر بيبي إن الإطالة من هنا على مركز فيغاس رائعة في الليل وخصوصاً من السطح.

استطاعوا أن يروا جداراً عالياً يحيط بالحرم كله، كما رأوا البوابة الرئيسة وممر السيارات الذي يؤدي إلى المجمع السكني، ولكنه أشبه بطريق لأن طوله يبلغ ميلاً تقريباً، وهناك حظيرة على بعد مئتي ياردة من المنزل، بالإضافة لحقل عشبي لترويض الخيل وحلبة تدريب أيضاً بالقرب منه، أما بالنسبة للمباني الملحقة الأخرى، فكانت عبارة عن ثلاثة مباني، كان أحدها كبيراً وكان الاثنان الآخران صغيرين؛ اعتقد بيبي أن الطاقم كان يقطن في المبنى الكبير الذي كان يطلق عليه استراحة العمال في الأيام الغابرة

ولعل المصطلح لا يزال مستخدماً حتى الآن، وعلى الأرجح، كان المبنيان الآخران يُستخدمان كغرف صيانة ومستودع.

لم يجد شيئاً يمكن استخدامه كمرآب، وسأل بوكي عن الأمر قائلاً وهو يشير إلى المصطبة المشجرة وراء المنزل: «أعتقد أنه مبني عند المصطبة الأولى، ولكنني أظن أنه أشبه بهنغار أي قاعة لاثنتي عشرة سيارة أو أكثر، سمعت أن نيك مولع بالسيارات الكلاسيكية، وأعتقد أن الجميع لديهم رغبة لا يمكن تحقيقها إلا بالمال».

فكر بيلي أنه يوجد الكثير من الأمور التي لا يحققها المال. كانت أليس تتفحص صور زيلو عندما قالت: «يا إلهي، لا بد أن هناك عشرين غرفة، وانظرا إلى المسبح في الخارج». وافقها بوكي وقال: «إنه رائع فعلاً وكامل الأوصاف، ولا بد أنه قد أضاف بعض الأشياء لأن الصور يجب أن تكون قد أخذت قبل أن يشتريه نيك، لقد رأيت على زيلو أنه قد دفع ثمنه خمسة عشر مليوناً». فكر بيلي أن نيك قد نصب عليه بمليون ونصف فقط.

كانت صور زيلو الخارجية توضح ما لم يستطع غوغل إيرث توضيحه، فظهرت مثلاً المساحات العشبية ذات اللون الأخضر اليانع المرقط بالزهور، إن عشب الخيول من نفس درجة الأخضر تلك؛ وهناك بساتين من شجر النخيل وكان تحت ظل البعض منها جلسات خارجية. كم مئة ألف غالون من المياه يتطلب الحفاظ على تلك الفردوس في الصحراء؟ وكم بستانياً يعمل هناك؟ وكم عدد الخدم؟ كم حارساً كان يطوّق المنزل في حال أتى قاتل مأجور اسمه بيلي سامرز لبحث عن ماله اللعين؟

قال بوكي: «إنه يدعو بالتواء الصخري، لقد أجريت بعض التحريات، إن المعلومات التي يمكنك العثور عليها على الحاسوب مذهلة، إذا كنت خبيراً في البحث على المواقع المظلمة، فإن نيك يعيش هناك منذ العام 2007، وبما أن ظهره إلى الجبل فلم يزعجه أحد قط، ولعله قد استهتر

بالحراسة الشخصية، ولكن لا يمكننا الاعتماد على هذا الاستنتاج». وافقه بيلي في ذلك، إذ إن الشخص القادر على التخلص من شريك قديم ومعتبر كجورجيو بيغليللي لا يمكن الاستهانة به. إن الاعتقاد الذي يمكنه الاستناد إليه هو أن نيك كان يبحث عنه وينتظره، ولكن ما لا يستطيع نيك أن يفهمه هو درجة غضب بيلي. كان هناك صفقة والتزم هو بدوره فيها وبدلاً من أن يلتزم نيك نصب عليه وحاول قتله، كما يمكن لنيك أن ينكر هذا الأمر عند المواجهة ولكن بيلي يعرف الأمر، كلاهما يعرفان ذلك. نقر بوكي على بقعة على الأرض من صور غوغل إيرث الجوية وقال: «إن هذا المربع الصغير هو البوابة وهي مراقبة بشدة من قبل الحراس، يمكنك أن تتأكد من هذا».

لم يكن لدى بيلي أي شك في هذا الكلام، وتساءل مجدداً كم رجلاً عين نيك لحراسة مملكته الصغيرة. في أفلام سيلفيستر ستالون أو جيسون ستاتهام، كان هناك الكثير من الحراس المسلحين بكل أنواع السلاح من أسلحة أم-249 إلى صواريخ يمكن حملها على الأكتاف ولكننا كنا في الحياة الحقيقية.

من الممكن أن يكون هناك أربعة أو خمسة حراس يحملون مسدسات أوتوماتيكية أو بنادق أو النوعين معاً.

ولكنه كان بمفرده ولا يشبه سيلفيستر ستالون.

وضعت أليس إحدى صور غوغل إيرث في الوسط وسألت:

«ما هذا؟ لم أره في صور زيلو».

نظر بوكي وبيلي ولاحظا أن هذه نهاية الجدار الغربي على حافة وعرة، قال بوكي بعد برهة: «لا بد أنه مدخل للعمال، لن تهتمي بوضع تفصيل مثل هذا على موقع بيع عقاري، ولا المكان الذي تكدست فيه القمامة، إن مواقع البيع العقاري لا تأبه بشيء سوى الأمور التسويقية. ما رأيك يا بيلي؟».

«لا أعلم»، ولكنه بدأ بتكوين فكرة عامة، وكلما فكّر في تلك العربة

8

بعد العشاء، حجزت أليس الحمام لتصبغ شعرها، وعندما قدّم لها بوكي البيرة قبلتها من دون تردّد، وسمعاها وهي تقفل باب الحمام وراءها، ولم يتفاجأ بيلى ولم يعتقد أن بوكي قد تفاجأ أيضاً.

تناول بوكي زجاجتين من البيرة من الشلاجة بعد أن ارتدى معطفاً خفيفاً، ورمى لبيلي قميصاً شتوياً وخرجا إلى الشرفة، وجلسا على الكرسيين الهزازين. نقر بوكي زجاجته بزجاجة بيلى وقال: «نخب النجاح».

قال بيلى: «أحسنت في اختيار النخب، أريد أن أشكرك مجدداً لأنك استضفتنا، أنا أعلم أنك لم تكن تتوقع ضيوفاً».

«هل أنت جاد في طلبك لكاتم صوت لسلاح روغير؟».

«أجل، هل يمكنك أن تؤمّن لي غلوك 17 وذخيرة للاثنين؟».

أوماً بوكي برأسه وقال: «لا أتوقع أن هناك مشكلة في هذه الأنحاء. ما الذي تحتاج إليه أيضاً؟».

«أحتاج لشارب يتماشى مع الشعر المستعار الذي اشتريته لي، ليس أمامي وقت طويل كي أنمي واحداً»، هناك طلبات أخرى، ولكن أليس ستكون أفكاراً حول اكتشاف الباقي.

«على ماذا تُقدم يا بيلى؟ لعل الأوان قد حان لتخبرني كي أستطيع أن أعدلك عن القيام بمخططك».

أخبره بيلى، وأصغى إليه بوكي تماماً، وبدأ يومئ برأسه بعد فترة، ثم قال: «إن الذهاب إلى منزله مخاطرة، وكأنك تقتحم عرين الأسد، ولكن هناك احتمالاً أن ينجح هذا، إن جميع صيادي الجوائز يبحثون عنك في مركز المدينة وخصوصاً حول كازينو نيك، ما كان اسمه؟ دوبل ديوس؟».

«دوبل دومينو».

انحنى بوكي إلى الأمام ونظر إليه قائلاً: «إذا كنت قلقاً حيال المال الذي وعدتني به...».

«كلا».

«... فيمكنك أن تنسى الأمر، فأنا أتدبر نفسي بشكل جيد، كما أنني سعيد لوجودي خارج المدينة، ليس لدي أي فكرة لعينة عن سبب إقامتي المطولة في المدينة، سيفتخر أحد ما قبلة في الجادة الخامسة أو سيتفشى مرض معدٍ سيحوّل كل شيء من مانهاتن إلى ستاتين آيلاند إلى منطقة حجر».

اعتقد بيلي أن بوكي كان يسمع الكثير من كلام الراديو ولكنه لم يقل هذا، بل قال: «إن الأمر لا يتعلق بمالي أو بمالك، ولكنني سأسترده إذا لا يزال بحوزته، لقد خدعني ونصب عليّ، إنه رجل سيء»، سمع بيلي نفسه وهو ينساق وراء شخصيته الغبية، ولكنه لم يكثر لذلك، «لقد قتل جورجيو أو أمر بقتله، وكان يريد أن يفعل الشيء نفسه معي».

قال بوكي بهدوء: «حسناً، إن المسألة هي مسألة شرف».

«ليست مسألة شرف بل مسألة صدق».

«شكراً على تصحيحك لي. اشرب زجاجتك الآن».

شرب بيلي قليلاً، ثم نظر داخل المنزل حيث سمع صوت المياه للمرة الثانية وسأل: «كيف كانت في رحلة التبضع؟ هل كانت على ما يرام؟».

«كانت على ما يرام معظم الوقت، قبل أن ندخل إلى كومن ثريدز لنشتري لك قبة رعاة البقر - نسيت أن أريك إياها فهي جميلة حقاً - أصيبت بضيق في التنفس، وغنت شيئاً بصوت منخفض لم أستطع تمييز ما كانت الأغنية، ولكنها عادت بخير بعدها».

كان بيلي يعرف ما تمتته.

«لقد أثارت جلبة في كراج السيارات المستعملة، فحين رأت تلك العربة شرعت في مساومة ريكي حتى أرغمته أن يخفّض السعر من أربعة آلاف وأربعمئة دولار إلى ثلاثة آلاف وثلاثمئة دولار، وعندما حاول أن

يرسو على ثلاثة آلاف وخمسمئة دولار أمسكت بي وقالت: هيا بنا يا إيلمر، إنه لطيف، ولكنه ليس جاداً. هل تصدق هذا؟».

قال بيلي: «بالطبع»، وضحك، لكن بوكي لم يشاركه في ضحكه.

أصبح بوكي جدياً فجأة، وسأله بيلي: «ما الخطب؟».

«لا يوجد شيء الآن، ولكن من الممكن حصول شيء خطأ»، أنزل زجاجة البيرة ونظر إلى وجه بيلي ثم أردف قائلاً: «كلانا فازان من العدالة، ليس كذلك؟ أعرف أن الناس لم يعودوا يستخدمون هذا التعبير، ولكنه يصفنا بدقة، إن أليس ليست كذلك، ولكنها إذا ظلت إلى جانبك فستصبح هكذا لأنها مغرمة بك».

أنزل بيلي زجاجته وقال: «بوكي، أنا لست... أنا لا...».

«أنا أعرف أنك لا تريد أن تعاشرها، ولعلها لا تريد أن تعاشرك أيضاً بعد ما حصل لها، ولكنك أنقذت حياتها ولملمت لها شتات ذاتها...».

«لم أفعل هذا...».

«حسناً، لعلك لم تفعل ذلك بالمعنى الحرفي، ولكنك وهبتها الوقت والمكان لتفعل ذلك بنفسها، ولكن هذا لا يغير من فكرة أنها مغرمة بك، وستلحق بك بقدر ما تسمح لها، وإذا سمحت لها بهذا فستدمرها».

تنفس بوكي قليلاً بعد أن أنهى إخبار بيلي ما أراده، واعتقد بيلي أن هذا السبب الذي خرجا من أجله إلى الشرفة. تناول بوكي زجاجة البيرة وشرب نصفها، ثم تجشأ قليلاً.

«جادلني في هذه الفكرة إن أردت، إن إعطائي مكاناً لتمكثا فيه لبضعة أيام لا يخولني ألا أسمع آراء مضادة، لذا تشجع وجادلني».

ولكن بيلي لم يجادله.

«خذها معك إلى نيفادا بالطبع، اعثر على مكان رخيص لتقيما فيه خارج المدينة، ثم اتركها هناك واذهب لتنجز مهمتك، وإذا خرجت سليماً مع أموالك، أعطها القليل منها، وأرسلها إلى الشرق، وقل لها أن تمر علي»

وذكرها أن تلك الأوراق المزورة هي مجرد تمويه مؤقت، ويمكنها أن تعود
أليس ماكسويل مجدداً.

رفع إصبعه الذي بدأت ترتسم عليه آثار التهاب المفاصل وقال:
«ولكن بشرط أن تبعدها عن مهمتك، أتفهمني؟»
«أجل».

«إن لم تخرج بأمان فعلى الأرجح لن تخرج أبداً، هذا سيكون خبراً
صعباً عليها، ولكنها يجب أن تعلم، هل توافقني الرأي؟»
«أجل».

«قل لها أن تعود إلى هنا في حال لم يصلها خبر منك في غضون
عدة أيام؛ يمكنك أن تحدد المدة التي تريدها. سأعطيها بعض المال، وربما
سأعطيها ألف دولار أو خمسمئة دولار».
«ليس عليك أن...».

«أنا أريد ذلك، فهي تعجبني، إنها ليست متدمرة مع أنه من حقها التذمر
نظراً للأمر التي تعرضت لها، وبالإضافة إلى هذا، لقد جنيت هذا المال
منك، فأنت زبوني الوحيد منذ أربع سنوات، حيث لم أعد أزود لصوص
البنوك بأي ذخيرة، فمن السهل عليهم أن يصلوا إليّ في حال حدث خطب
ما، ولكنني أصبحت عجوزاً ولا يناسبني السجن».
«حسناً، شكراً لك».

توقف صوت المياه، واستند بوكي على كرسي بيلي الهزاز وقال:
«وكما تعلم، فإن القطة الصغيرة ستميل إلى كلب يرعاها بدلاً من أن
يلحق بها أو يأكلها، ولعل صغير البط سيفعل ذلك أيضاً وهذا ما يُدعى
بالتعلق. إنها متعلقة بك يا بيلي ولا أريد أن يصيبها مكروه».

فُتح باب الحمام، وخرجت أليس إلى الشرفة وهي ترتدي ثوب حمام
رثاً كان لبوكي على الأرجح حيث إنه بدا طويلاً جداً ويغطي قدميها. كانت
قد رفعت شعرها وثبتته بالعديد من مشابك الشعر، وغطته بغلاف بلاستيكي

رقيق. كانت بعيدة كل البعد عن اللون البلايني حيث إن شعرها كان داكناً جداً ولكنه بدا مختلفاً.

«ماذا تعتقدان؟ أنا أعرف أنه ليس واضحاً كثيراً ولكن...».

قال بوكي: «بيدو جميلاً، لطالما كنت متحيزاً للأشقر المائل إلى الرمادي، إن لون شعر أول حبيبة لي كان أشقر مائلاً إلى الرمادي، لقد رأيتها تقف قرب صندوق الموسيقى، وعرفت عندها أنه عليّ أن أحظى بها. يا لغبائي!».

ابتسمت له بينما كانت تنظر إلى بيلي حيث كان رأيه هو المهم. كان يعرف بيلي تماماً قصد بوكي، وتذكر فيلماً قصيراً رآه على يوتيوب حيث ظهر فيه عصفور يشرب من وعاء تابع لكلب - من نوع داني الكبير - بينما كان الكلب يجلس ويراقبه، كما أنه كان يفكر في ذلك المثل الذي مفاده إنك تصبح مسؤولاً عن الشخص حينما تنقذ حياته.
قال: «تبدين مذهلة»، فابتسمت له.

مكتبة ياسمين

t.me/yasmeenbook

الفصل التاسع عشر

1

مكث بيلى وأليس لدى بوكي لمدة خمسة أيام، وفي صباح اليوم السادس حزما أمتعتهما في عربة الدودج وتحضراً للانطلاق، كان بيلى يضع الشعر الأشقر المستعار والنظارة المزيفة، ولأن العربة كانت من طراز كواد كاب⁽¹⁾، تمكنا من إخفاء أمتعتهما وراء المقعد الأمامي. كانت لا تزال جزأزة العشب العتيقة في صندوق العربة، وقد أضيف إليها سياج ومنشار كهربائي. كانت المقطورة فارغة عندما رآها بيلى للمرة الأولى، ولكنها مُلئت الآن بأربعة براميل كرتونية اشترت من متجر لويز، وركلها الرجلان في الأرجاء كي يضيفا عليها هيئة كثرة الاستعمال وملاها بأدوات يدوية رخيصة من مزاد في نيدرلاند، ثم رُبطت البراميل على جوانب المقطورة بالأربطة المطاطية. قال بوكي وهما يلعبان بالبراميل: «أتود أن تشبه سائقي الدرجات في القرن الحادي والعشرين؟ لقد أصبح عددهم كبيراً في ويست ناين، وهم يطوفون في الأرجاء، ويعملون في وظيفة مؤقتة ثم يمضون في طريقهم».

سألت أليس عما كانت الويست ناين وسماها لها بوكي: كولورادو، ووايومنغ، ومونتانا، ويوتاه، وأريزونا، ونيو ميكسيكو، وإيداهو، وأوريغون، و- بالطبع - نيفادا، استحسن بيلى العربة قليلاً، ولكنها قد تكون احتياطاً غير طارئ لأن بوكي كان على حق وسيكون صائدو الجوائز يتربصون لهما

(1) تحصل عربة كواد كاب على اسمها من حقيقة أنها ذات أربعة أبواب، لأن «كواد» تعني «أربعة». المجموعة الثانية من الأبواب أصغر عموماً من المجموعة الأولى في الكابينة الرباعية، والصف الثاني من المقاعد صغير نسبياً. تتسع الكابينة الرباعية لخمس مقاعد ما لم يكن المقعد الأمامي عبارة عن مقعد.

في منطقة مترو فيغاس.

في وقت لاحق، سيكون مظهر العربة أمراً أساسياً عندما يصل إلى التتوء الصخري.

قال بوكي: «كانت هذه زيارة جيدة، وسررت بكما كثيراً»، كان يرتدي بنطالاً وسترة موحدين يعودان لسبعينيات القرن الماضي، عانقته أليس وكان شعرها الأشقر يبدو جميلاً في ضوء الشمس.

مد بوكي يده وقال: «بيلي؟ كن حذراً». أوشك بيلي أن يعانقه لأن هذه هي العادة في مثل هذه الظروف، ولكنه لم يفعل ذلك، إذ لم يكن يفضل العناق حتى في أسوأ حالاته. أخذ يد بوكي بين راحتيه، وراعى التهاب مفاصله ثم قال: «شكراً لك يا بوكي على كل شيء». «على الرحب والسعة».

صعدا السيارة، وشغل بيلي المحرك، كان صوته صاخباً في بادئ الأمر، ولكنه انتظم بعد قليل.

وافق بوكي على أن يجد أحداً كي يقود الفيوجن إلى المرأب بالإضافة إلى الحفاظ على اسم دالتون سميث، وفكر بيلي بعدد الأمور التي أصبح يدين بها لبوكي.

وجه العربة إلى الطريق، وعندما كان جاهزاً للانطلاق، أدى بوكي حركة ووها ووها وسار باتجاه المقعد الأمامي، وأنزلت أليس نافذتها. قال لها: «أود أن أراك هنا مجدداً، ولكن في الوقت الحالي، ابتعدي عن أعماله وابقى بسلام. أتفهميني؟».

قالت له: «أجل»، ولكن بيلي اعتقد أنها كانت تخبر بوكي بما يود أن يسمعه، وكان هذا جيداً، وفكر أنها ستصغي إليه إن لم تصغ إلى بوكي. ضغط على البوق مجدداً، ثم انطلق، وبعد ساعة ونصف، انعطفا غرباً على الطريق 1-70 باتجاه لاس فيغاس.

توقفا ومكثا ليلة في بيفر، يوتاه، إنه نزل خاص بالعشاق، ولكنه لم يكن سيئاً للغاية، اشترى سلة دجاج من مطعم كريزي كاو وزجاجتي باد من ريز 66 في طريق العودة، ولاحقاً، جلسا خارج غرفتيهما المتجاورتين، وقرباً كرسيّهما، وشربا البيرة الباردة.

قالت أليس: «لقد قرأت باقي قصتك على الطريق، إنها جيدة جداً. لا أطيق الانتظار كي أقرأ المزيد».

قطّب بيلى حاجبيه وقال: «لم أكن أخطّط لاستكمال هذه القصة بعد الفالوجة».

ابتسمت وقالت: «لألافالوجة، ألن تتطرق للقسم الذي حوّلت فيه عملك إلى قتل الناس مقابل المال؟».

ضايقه هذا الأمر لأنه كان أمراً مباشراً للغاية، ولكن الحقيقة تلسع كما أنها تتفهم ذلك.

«أقصد الناس الأشرار، كما أنني أريد أن أعرف كيف تعرفت إلى بوكي».

فكّر بيلى إنه يستطيع الكتابة حول هذا، ولعله يجدر به ذلك، وبعد التفكير في الأمر، توصل إلى أنه لو قتل المجاهد المتخفي وراء الباب جوني كابس بدلاً من أن يطلق النار على ساقيه ما كان بيلى سامرز أو أليس سيصلان إلى هنا، لقد خطر له أمر يشبه الإلهام - ولعله لم يجدر به أن يفكر في هذا - ألا وهو: إن لم يعيش جوني كابس كانت أليس ستموت من الصدمة والذل في شارع بيرسون.

«ربما سأكتب عن هذا إن سنحت لي الفرصة، أخبريني عن نفسك يا أليس».

ضحكت، ولكن بشكل مكبوت وليس بال تلقائية التي عهدتها منها.

كانت ابتسامتها تشكل حاجزاً منيعاً، ثم قالت: «ليس هناك الكثير، لطالما كنت فتاة تتوارى عن الأنظار، وتبقى في الخلف، إن وجودي معك هو الشيء المميز الوحيد الذي حدث لي، باستثناء اغتصابي من قبل الثلاثة». أصدرت صوت استهزاء يائس.

لكنه ما كان سيسمح لها أن تغوص في هذا الأمر، ولذلك قال: «لقد ترعرت في كينغستون وربتك أمك وأختك، وماذا أيضاً؟ لا بد أن هناك المزيد».

أشارت أليس إلى السماء المظلمة قائلة: «لم يسبق لي أن رأيت هذا العدد من النجوم في حياتي ولا حتى في منزل بوكي». «لا تغيري الموضوع».

رفعت كتفيها ثم قالت: «حسناً، ولكن هتئى نفسك كي تصاب بالضجر، كان أبي يملك متجرّاً للأثاث، وكانت أمي تدير أعماله، ومات نتيجة ذبحة قلبية عندما كنت في سن الثامنة وكانت غيري - أختي - في سن التاسعة عشرة، وترتاد معهداً للتجميل»، لمست أليس شعرها وأضافت: «كانت ستقول إنني صبغت شعري بشكل خاطئ».

«لعلها كانت ستفعل ذلك، ولكنه جميل. تابعي».

«كنت طالبة عادية في الثانوية، وخرجت في عدة مواعيد غرامية، ولكن لم يكن لدي صديق حميم. كان هناك طلاب لامعون، ولكنني لم أكن منهم، وكان هناك طلاب غير لامعين - مثل الذين يتعرضون للمقالب ويصبحون مضحكة - ولكنني لم أكن منهم أيضاً. كنت أفعل ما تمليه عليّ أختي وأمي معظم الوقت».

«باستثناء الذهاب إلى معهد التجميل».

«كنت على وشك أن أوافق على ارتيادها، لأنني كنت متأكدة من أنني لن أرتاد جامعة للأذكاء، لم أحضر الكثير من الكورسات التي تتطلبها تلك الجامعة»، فكرت بالأمر، ومنحها ببلي ما تحتاج إليه من وقت، ثم تابعت

قائلة: «في ليلة ما وبينما كنت أستلقي على السرير وعلى وشك الخلود إلى النوم، نهضت صاحبة فجأة وكنت سأقع عن السرير. هل حدث معك شيء كهذا من قبل؟».

فكر بيلى بالعراق وقال: «عدة مرات».

«قلت لنفسى: إن فعلت ما تريدانه فلن تنتهي هذه السلسلة مطلقاً، وسأظل أقوم بما تريدانه مدى حياتي، وسأستيقظ يوماً ما هنا في كينغستون العريقة»، نظرت إليه عندها وتابعت: «وهل تعلم ما ستقوله أُمِّي وغيري إذا علمتا بما حصل في شقة تريب وبما أفعله الآن معك؟ ستقولان: انظري إلى أين أودى بك الأمر».

مد بيلى يده ليربّت على كتفها، لكنها أدارت وجهها قبل أن يتمكن من فعل ذلك، ورأى المستقبل الذي من الممكن أن تحظى به هذه المرأة إذا كان الوقت والقدر لطيفين معها.

«وهل تعلم ما سأجيبهما؟ سأقول لهما إنني لا أكثرث لهذا لأنني أستحق أن أعيش حياتي وهذا ما أريده».

قال لها: «حسناً، حسناً يا أليس، لا بأس بهذا».

«بالطبع لا بأس به ما دمت على قيد الحياة، ولم تتسبّب بمقتلك».
كان هذا شيئاً لم يستطع أن يعدّها به، لذا لم يقل شيئاً. نظرا إلى النجوم مطولاً، وشرباً البيرة، ولم تقل شيئاً إلى أن قالت له إنها تعتقد أن وقت النوم قد حان.

3

لم يذهب بيلى إلى السرير حيث كان قد تلقى رسالتين من بوكي، بعث في الرسالة الأولى اسم شركة البستنة التي تعتنى بحدائق التتوء الصخري وكان اسمها غرينزد أند غاردينز، لعل رئيس الشركة كان كيلتون فريمان، أو هيكتور مارتينيز، أو شخصاً آخر تماماً، إنه عمل متقلّب للغاية، وكتب في

رسالته الثالثة إن نيك كان يمكث ضمن ذا دوبل في أيام الأسبوع ولكنه يحاول أن يعود إلى منزله في بايوت في العطلة وخصوصاً أيام الأحد، كما أنه لا يفوت مباراة للجايانيس أثناء موسم كرة القدم، ثم ألحق بوكي كلامه برسالة: إن الجميع يعرفون هذا عنه.

قال بيلى في نفسه: إنه من الممكن أن تُخْرَج الصبي من نيويورك، ولكنك لا تستطيع محو أثر نيويورك من الصبي.

هل حالفك الحظ بخصوص أمر الكراج؟

كانت إجابة بوكي سريعة: لا.

أحضر بيلى صور غوغل إيرث وزيلو معه، تفحصها لوهلة، ثم فتح حاسوبه المحمول، واطّلع على عدة عبارات إسبانية، لن يتوجب عليه قولها إذا كان الوقت قد اقترب، ولكنه ردّدها الآن لعدة مرات كي تُحفر في ذاكرته؛ فهو متأكد من أنه لن يحتاج إليها كلها، وعلى الأرجح، إنه لن يحتاج إليها أبداً، ولكن من الأفضل أن يبقى على أهبة تامة.

حفظ الترجمة الإسبانية لهذه الجمل:

إن اسمي بابلو لوبيز.

إن هذه ابنتي.

إن هذه من أجل الحديقة.

إنني أصمّ وأبكم.

4

عادا إلى مطعم كريزي كاو لتناول الفطور ثم تابعا طريقيهما، لم يرد بيلى أن يُحمّل العربة فوق طاقتها كما لن يتوجب عليه فعل هذا، كانت فيغاس على بعد حوالى مئتي ميل فقط، ولن يشنّ هجومه على نيك قبل يوم الأحد حين سيلعب المحترفون كرة القدم، وبالتالي، سيكون المجمع السكني الواقع في شيروكي درايف في أقصى درجات هدوئه.

لن يكون هناك حراس أو بستانيون أو مرافقة أمنية؛ لقد تحقق من الجدول ووجد أن الجاينتس سيواجهون الكاردينالز في تمام الساعة الرابعة مساءً بالتوقيت الشرقي، أي ستكون الساعة الواحدة في نيفادا.

ولتمضية الوقت، أخبر أليس كيف دخل إلى هذا الحقل من العمل الذي اعتبر نفسه قد تقاعد منه، وكان جوني كابس هو الحلقة الأولى التي تنتهي - وللآن، لقد تبقى حلقة واحدة على الأقل لم يتم تشكيلها - عند الطريق رقم 70 بين الولايات الذي يتجه غرباً.

«إنه الذي أصيبت ساقاه في ذلك المنزل، أي الذي تركوه على قيد الحياة كي ينصبوا لكم فخاً».

«أجل، إن كلاي بريغز - بيل رولير - جعل حالته مستقرة ونُقل جواً، لقد أمضى جوني وقتاً طويلاً في مستشفى ستيّ للمحاربين القدامى وأدمن على المخدرات بينما كانوا يحاولون إعادة تأهيل ما لم يتم إعادة تأهيله قط، وفي نهاية المطاف، أرسله العم سام إلى كوينز على كرسيه المتحرك وهو منتشر تماماً».

«إن هذا حزين جداً».

أخبرها بيلى أن نهاية قصة تعاطي جوني كانت سعيدة، تواصل معه ابن عمه جُوي، كان جُوي رجلاً حافظ على كنيته الإيطالية كابيزانو مع أنه كان يدعى بجُوي كابس، ومع موافقة أحد أكبر مؤسسات نيويورك - بالإضافة إلى سينولا كورتيل التي تتحكم بأمور المخدرات - أدار جوني كابس مؤسسته الصغيرة الخاصة والتي كانت متواضعة جداً وأشبه بعصبة. قدّم جُوي لابن عمه الجريح وظيفة محاسب إذا استطاع أن يقلع عن تعاطي المخدرات.

«وهل أقلع فعلاً؟».

«أجل، لقد أخبرني بالقصة كاملة بعد أن تواصلنا مجدداً، لقد دخل في نظام لإعادة التأهيل - ودفع عنه ابن عمه - ثم ارتاد اجتماعات زمالة

المدمنين المجهولين لمدة ثلاث أو أربع مرات في الأسبوع قبل أن يموت منذ عدة سنوات بعد أن تمكّن منه سرطان الرئة».

عبست أليس قائلة: «ذهب لاجتماعات زمالة المدمنين المجهولين كي يقلع عن المخدرات ولكنه كان يتاجر بها؟».

«لا يتاجر، ولكنه كان يعد وينظف الأموال الناتجة عن المتاجرة بها، ولكن هذا يصبّ في البحر ذاته، ونوّهتُ إلى هذا الأمر مرة عندما قابلته. هل تعلمين ما قاله لي؟ إن هناك أشخاصاً قد أقلعوا عن الكحول ولكنهم يعملون في بارات للكحول في جميع أنحاء العالم، وقال لي إنه كان يكفل بعض الناس وأقلع بعضهم عن المخدرات وتابعوا حياتهم، هكذا وصف لي الأمر: وتابعوا حياتهم».

«يا له من تناقض عظيم!».

أخبرها ببلي أنه كان يوشك على أن يلقي بنفسه إلى التهلكة، ولكنه ألقى أن هذا الموضوع كان جنونياً - جنونياً وانتحارياً - ثم خلع عنه الزي الرسمي. كان مشوشاً ويحاول أن يقرر ما مصير رجل كان عمله الوحيد لسنوات هو إطلاق النار على أدمغة رجال آخرين، وتواصل معه جوني حينها.

كان هناك رجل من جيرسي يفضل أن يقلّ بنات من البارات ويضربهن، لا بد أنه كان مصاباً بصدمة في طفولته، وقال جوني إنه كان يحاول حلها بهذه الطريقة؛ اللعنة على صدمة الطفولة؛ لقد كان هذا رجلاً سيئاً للغاية، لقد تسبب في دخول امرأة بغيوبة، وصادف أن تلك المرأة كانت من عائلة كابيزانو، لم تكن قريبة لجوني، ولكنها كانت من العائلة. إن المشكلة الوحيدة تكمن في أن ذلك الرجل ضارب النسوة كان عضواً من عصابة قوية كانت قاعدتها مقابل النهر في هوبوكين.

أخذ جوي جوني كابس برفقته إلى لقاء مع الرئيس وتبين أن رجال نيوجرسي لم يكونوا يفضلون ذلك الوغد أيضاً، إذ كان يتسبب بمشاكل،

وكان وغداً حقيراً ويضع خواتم في أصابع يديه كي يتمكن من ضرب الفتيات بدلاً من أن يأخذهن إلى المنزل ليضاجعهن كرجل طبيعي أو يمارس معهن الجنس الشرجي الذي كان يفضله الرجال وبعض النساء، ولكن ما من امرأة كانت تفضل أن تُضرب على وجهها.

وليزيد الطين بلة، لم يعطِ الرئيس جوني كابس إذناً كي يتخلص من ذلك الوجد، لأنه سيكون هناك عواقب، ولكن إذا فعل شخص خارجي الأمر وإن قام المستفيدان - عصابة هوبوكين وعصابة كوينز الصغرى - بدفع المبلغ المطلوب فسيتم نزع هذه الشوكة؛ لقد أطلقوا على هذا اسم ديبلوماسيّة العصابات.

«ولذلك اتصل بك جوني كابس».

«أجل».

«لأنك الأفضل؟».

«الأفضل من بين معارفه، كما أنه يعرف تاريخي».

«أنت تقصد الرجل الذي قتل أختك الصغرى».

«أجل، لقد بحثت عن هذا الرجل قبل أن أقبل العمل، واكتشفت بعض

الحقائق عنه. كما أنني ذهبت لأرى المرأة التي أدخلها في غيبوبة، كانت تعيش على التنفس الاصطناعي، ويمكنك أن تتوقعي أنها لن تعود للحياة مجدداً. كان جهاز المراقبة...»، رسم بيلى خطأ مستقيماً فوق المقود، «لذا قتلته ولم يختلف الأمر عن الرجال الذين قتلتهم في العراق».

«هل أعجبك الأمر؟».

قال بيلى من دون تردد: «لا، لم يعجبني في العراق ولا هنا أبداً».

«هل أمّن لك قريب جوني المزيد من فرص العمل؟».

«أمّن لي عمليين، وهناك حالة لم أقبل بها لأن الرجل... لا أعرف...».

«لأنه لم يبدُ سيئاً للغاية».

«شيء من هذا القبيل، ثم عرفني جوني على بوكي وعرفني بوكي على

نيك وها نحن هنا».

«أتوقع أن هناك أشياء أخرى لم تخبرني بها».

إن توقعها صحيح، ولكن بيلى لم يرغب في قول المزيد كما لم يُرد أن يغوص في تفاصيل الأعمال التي أذاها لنيك والآخرين، لم أخبر أحداً بهذا من قبل كما أنني كنت أتهيب أن أسمع هذا القسم من حياتي بصوت عالٍ، إنه قسم دنيء وغبي. إن أليس ماكسويل التي ترتاد كلية لإدارة الأعمال والناجية من حادثة الاغتصاب كانت في عربة مع رجل اعتاد أن يقتل الناس من أجل العيش، كان هذا عمله اللعين، وهل كان سيقتل نيك ماغاريان؟ على الأرجح كان سيقتله لو سنحت له الفرصة، وهناك سؤال جوهري هنا: هل كان القتل من أجل الشرف أفضل من القتل بداعي المال؟ على الأرجح لا، ولكنه لم يكن سيتراجع عن الأمر.

صمتت أليس لبرهة، وفكرت بالأمر ثم قالت: «أخبرتني بهذا لأنك لا تتوقع أنه ستكون لديك فرصة لتكتب هذا القسم أليس كذلك؟». هذا صحيح، ولكنه لم يُرد أن يعترف بهذا.

«بيلى؟».

أخيراً قال: «أخبرتكَ لأنك تريدان أن تعرفي»، ثم شغل الراديو.

5

حجزا في نزل رخيص أيضاً؛ فهناك الكثير منها على الطريق الذي يحيط بفيغاس. بينما كان بيلى يسجلهما باسم دالتون سميث وإليزابيث أندرسون وضعت أليس أربعة دولارات في إحدى الآلات الموجودة في البهو، وعند الدولار الخامس، سقطت عشر عملات نقدية مزيفة وصرخت أليس بسعادة طفل، فعرض عليها موظف الاستقبال خيارين: عشرة دولارات أو خدمات من النزل تماثل هذا المبلغ.

سألت أليس: «كيف المطعم هنا؟».

«إن البوفيه جيد جداً»، ثم أخفض صوته وقال: «اختاري المال يا عزيزتي».

أخذت أليس المال، وانطلقا إلى مطعم سيلورين سوبر برغر الذي كان في نهاية الطريق، وأصرت أليس على أن تدفع هي ولم يجادلها في الموضوع.

عندما عادا إلى غرفة بيبي، جلست عند النافذة، وراقبت الازدحام المروري باتجاه مركز المدينة الذي ليس له نهاية، كما أنها راقبت أنوار الفنادق والكازينوهات المتلاثلة، قالت بتعجب: «إنها مدينة الخطيئة، وها أنا ذا أجلس في غرفة ضمن نزل مع رجل وسيم صادم أن عمره ضعف عمري؛ إن أمي ستُصاب بانهيار عصبي».

ضحك بيبي بصوت عالٍ وقال: «ماذا عن أختك؟».

«لن تصدقني»، أشارت وقالت: «هل هذه جبال بايوت؟».

«إن كان هذا اتجاه الشمال فإنها جبال بايوت، كما أنها أقرب للتلال

السفحية إذا يهملك الأمر».

أدارت وجهها إليه، وكفت عن الابتسام ثم قالت: «قل لي ماذا ستفعل».

أخبرها بكل شيء، لكنه لم يفعل ذلك لأنه يحتاج إلى مساعدتها في

التحضير. أصغت إليه باهتمام وقالت: «يبدو هذا خطيراً للغاية».

«إذا كان الوضع مشبوهاً، فسأراجع وأعيد حساباتي».

«هل ستعرف أن الوضع سيكون مشبوهاً؟ مثلما عرف صديقك تاكو

الوضع خارج المنزل في الفلوجة؟».

«أنت تتذكرين هذا أليس كذلك؟».

«هل ستعرف؟».

«أعتقد هذا».

«ولكنك ستدخل في الحالتين على الأرجح مثلما دخلت إلى بيت

الرعب، وانظر ما حدث هناك».

لم يقل ببلي شيئاً، فلم يكن هناك شيء ليقوله.

«أتمنى لو أستطيع مرافقتك».

لم يجبها على هذا أيضاً، وحتى لو لم تصبه الفكرة بذعر شديد، فإن الخطة لن تنجح إذا كانت معه، وهي على دراية تامة بهذا.

«إلى أي حد أنت بحاجة إلى المال؟».

«أنا أستطيع متابعة حياتي من دونه، كما أن معظمه سأعطيه لبوكي، إن المال ليس سبب ذهابي، لقد عاملني نيك بشكل سيء، وعليه أن يدفع الثمن كما دفعه أولئك الذين اغتصبوك».

حان دور أليس لتصمت.

«وهناك شيء آخر، لا أعتقد أن نيك هو الذي خطط لقتلي بعد أن أوذي المهمة، كما أنني متأكد من أنه لم يكن الشخص الذي وضع جائزة بقيمة ستة ملايين دولار لمن يطيح بي، لذلك عليّ أن أعرف من هو هذا الشخص».

«لماذا؟».

«عليّ أن أعرف السبب أيضاً».

6

إن أول شيء فعله ببلي في الصباح هو التحقق من صندوق عربة الدودج لأن الأدوات كانت مربوطة وحسب ولم يقفل عليها.

كان كل شيء على حاله، ولم يفاجئه ذلك لأن محتويات الصندوق والمقطورة بمعظمها عتيقة وبالية، ولأن خبرته على مدى السنوات علمته أن معظم الناس كانوا صريحين، كما أنهم لا يأخذون ما ليس لهم، أما الناس الذين يفعلون ذلك - مثل تريب دونوفان ونيك ماغاريان، ومهما يكن الشخص الذي وراء نيك - يثيرون غضبه.

كان على وشك أن يسأل بوكي إن كان بوسعه معرفة ما نوع سيارة نيك الحالية - وعلى الأرجح ستكون في قسم كبار الشخصيات ضمن

مرأب دو بل دو مينو كما أنها ستكون فخمة بلا شك مع لوحة فخمة أيضاً - ولكنه لم يفعل هذا، إن بوكي قادر على هذا على الأرجح، ولكن هذا سيثير الشبهات حوله، وهذا آخر ما يريده بيلي. تمنى أن يكون نيك قد بدأ بالاسترخاء.

حالما فتحت المتاجر، ذهب برفقة أليس إلى أقرب متجر لمستحضرات التجميل، وفي هذه المرة، هو من كان بحاجة للتبرج ولكنه ترك لأليس مهمة اختيار المستحضرات، كانت تريد أن تذهب إلى الكازينو بعد ذلك، وكانت هذه فكرة سيئة ولكنها كانت متحمسة ومتأملة للغاية ولم يستطع أن يخيب أملها، قال لها: «ولكننا لن نرتاد الفنادق الفخمة أو سترييس».

أجرت أليس بحثاً على صفحات الإنترنت حتى وجدت فندقاً وصالة قمار بيغ تومي في شرق لاس فيغاس. عندما وصلا طلبت منها هويتها قبل أن يُسمح لها بالدخول فما كان منها إلا أن أرتهم هويتها الجديدة باسم إليزابيث أندرسون بثقة عالية، وبينما كانت أليس تجوب المكان وتحقق في لعبة الروليت والكراباس وبلاك جاك ودولاب المال دائم الدوران، كان بيلي يتفحص الأرجاء ويبحث عن رجال يحدقون بطريقة معينة، ولكنه لم يجد أحداً مشبوهاً، إذ إن معظم سكان البيئة الريفية هم من الأمهات والآباء المستعدين للخسارة.

لقد لاحظ بيلي أن أليس مختلفة عن الفتاة التي وجدها تحت المطر، كما أنها كانت في طريقها لأن تصبح فتاة أفضل وإذا فشل مخططه، فهذا سيعيدها إلى نقطة الصفر، وبالتالي نجاحها مسؤوليته. فكر في أن يتخلى عن الأمر ويعيدها إلى كولورادو، ولكنه تذكر حينها كيف شجعه نيك على أن يذهب إلى ما أطلق عليه اسم البيت الآمن مع أنه كان يعرف أن الرحلة إلى ويسكنسن ستستغرق ستة أميال إلى أن يوجه دانا إديسون الطلقة إلى رأسه؛ على نيك أن يدفع الثمن وعليه أن يقابل بيلي سامرز الحقيقي.

قالت أليس: «إنه صاخب للغاية»، كانت وجنتاها محمرتين وعيناها

تحاولان أن تتفحصا كل شيء في الوقت ذاته، «ماذا علي أن أفعل؟». وبعد أن تحقق من طاولة الروليت، أرشدها بيلى إليها، واشترى لها عدداً من قطع اللعب بخمسين دولاراً وهو يقول لنفسه إن هذه الفكرة سيئة، كان حظ المبتدئين الخاص بها رائعاً، إذ كسبت في عشر دقائق مئتي دولار وكان الناس يشجعونها، لم يكثر بيلى لهذا، وأخذها إلى ماكينة من فئة الخمسة دولارات حيث لعبت لمدة نصف ساعة وفازت بثلاثين دولاراً إضافياً. أدارت وجهها إليه وقالت: «اضغط الزر وانظر، ثم اضغط الزر وانظر، ثم امسح وكزر، إن هذا غباء أليس كذلك؟».

رفع بيلى كتفيه، ولكنه لم يكف عن الابتسام، إذ تذكر قول روبن ماغوير حين قالت: إنك إذا ابتسمت مع إظهار أسنانك فلن تستطيع التراجع مطلقاً.

قال لها: «أنت قلتها وليس أنا»، وأظهر أسنانه.

7

ذهبا بعد الكازينو إلى سينشري 16 وشاهدا فيلمين، كان أحدهما فكاهياً والآخر حماسياً، وكان الظلام قد حلّ عندما انتهى الفيلم الثاني. سألته أليس: «أتود أن نأكل شيئاً».

«لا مانع لدي، ولكن معدتي متنفخة من الفوشار وسور باتش كيدز». «من الممكن أن نتناول شطيرة وحسب، أتود أن تسمع شيئاً لطيفاً عن أمي؟».

«بالطبع».

«بين الفينة والأخرى، وعندما أكون مطيعة، كنا نقيم طقساً نسميه اليوم المميز، كان يمكنني أن أتناول الفطائر مع رقائق الشوكولاتة على الفطور ثم أفعل ما أريد، كأن أشرب مخفوق البيض في غرين لاين أبوثيري أو أشترى حيواناً محشواً - إن كان رخيصاً - أو أن أستقل الحافلة إلى آخر

محطة، وهذا كان شيئاً أفضله. لقد كنت طفلة غبية أليس كذلك؟».

قال بيلي: «لا».

أمسكت بيده، وداعبتها في طريقهما إلى العربة وكان هذا كان أمراً طبيعياً، ثم قالت: «هذا اليوم كان شبيهاً بذلك الطقس، كان يوماً مميزاً.»
«هذا جيد».

أدارت أليس وجهها إليه ثم قالت بنبرة قوية: «عليك ألا تتسبب بمقتلك، أنا أحذرك».

قال بيلي: «لن أموت، ألا تثقين بي؟».

وافقته وقالت: «بالطبع».

8

في تلك الليلة، لم تكن على ما يرام، وكان بيلي شبه نائم، وإلا ما كان سيسمع طريقة أليس التي كانت خفيفة وحذرة وخافتة للغاية، اعتقد لوهلة أنها كانت جزءاً من الحلم الذي يراوده عن شانيس أكرمان، نهض واتجه إلى الباب ونظر عبر العين الساحرة؛ كانت ترتدي ثياب النوم الزرقاء الواسعة التي اشتريتها أثناء رحلة التسوق مع بوكي، وكانت حافية القدمين وكانت يدها على عنقها. كان يستطيع سماعها وهي تشهق، إذ كان شهيقها أقوى من طرفتها.

فتح الباب، وأمسك بيدها التي لم تكن تضعها على عنقها، وأدخلها الغرفة، ثم غنى وهو يغلق الباب: «إذا نزلت إلى الغابة اليوم... غني معي يا أليس».

أشاحت بوجهها، وانهمرت الدموع من عينيها قائلة: «لا أستطيع...».

«بالطبع تستطيعين، إذا نزلت إلى الغابة اليوم...».

«عليك...»، ووب «... تن... تن...»، ووب.

كانت تترنح على قدميها وعلى وشك أن تفقد وعيها، واعتقد بيلي أن

عدم فقدانها للوعي في الصلاة كان معجزة.

هزها قليلاً وقال: «كلا، هذا السطر خاطئ، حاولي مجدداً، السطر التالي».

«فهنالك مفاجأة كبيرة؟»، كانت لا تزال تشهق، ولكنها تمالكت نفسها قليلاً.

«هذا صحيح، هيا نغرنّ سوياً، ولا تقولي الأسطر كلاماً بل غنّها إذا نزلت إلى الغابة اليوم...».

انضمت إليه قائلة: «فهنالك مفاجأة كبيرة، إذا نزلت إلى الغابة اليوم فعليك أن تتنكر بثياب مثيرّة»، تنفست بعمق، وشهقت بصوت عالٍ: هاه... هاه... هاه، «يجدر بي أن أجلس قليلاً».

وافقها بيلى وقال: «نعم، قبل أن تسقطي أرضاً»، ما زال ممسكاً بيدها، وأرشدتها إلى الكرسي بجانب النافذة، وكانت الستائر مفتوحة.

جلست ونظرت إليه، وأبعد شعرها الذي أصبح أشقر عن جبهتها. قالت: «جربت أن أغنيها في غرفتي ولم تُجدِ نفعاً، فلماذا أعطت مفعولها الآن؟».

جلس بيلى على طرف السرير وقال: «كنت تحتاجين إلى شخص كي يغنيها معك. ما الخطب؟ هل راودك حلم؟».

«كان حلماً فظيلاً، كان واحد من أولئك الشبان... أولئك الرجال... يسدّ فمي بخرقه لمسح الصحون كي يجعلني أكفّ عن الصراخ، ولعلني كنت أصرخ، أعتقد أنه كان جاك، ولم أستطع أن أتنفس، وكنت متأكدة أنني سأموت اختناقاً».

«هل فعلوا بك هذا حقاً؟».

أشاحت أليس بوجهها قائلة: «لا أستطيع أن أتذكر».

لكن بيلى يعرف أنهم فعلوا ذلك، كما أنه على ثقة أن أليس كانت تعرف أيضاً. كان قد اختبر هذا الشيء سابقاً، ولكن ليس بالدرجة العالية

التي كانت تحدث مع الآخرين، فهو لم يعمق معرفته بزملائه الذين تعرّف عليهم في العراق ولا المآسي التي حدثت - كان جوني كابس استثناء - ولكن كان هناك مواقع عالمية وكان يبحث عنها أحياناً.

«إن طريقة تعامل عقل المحاربين الناجين مع المصاب الأليم طبيعية للغاية، أو على الأقل محاولتهم في التعامل معه». «هل هذه أنا؟ هل أنا محاربة ناجية؟».

«أجل، لا يمكن للأغنية و للمنشفة المبللة أن تساعدك في كل مرة، هناك العديد من الطرق لتجاوز نوبة الهلع، ويمكنك البحث عن الموضوع عبر الإنترنت، ولكن في بعض الأحيان، عليك أن تنتظري انقضاءها وحسب».

همست أليس قائلة: «اعتقدت أنني تحسنت».

«لقد تحسنت فعلاً، ولكنك الآن واقعة تحت ضغوط»، وفكر بيلى إنه كان هو السبب في ذلك.

«هل يمكنني أن أمكث معك هذه الليلة؟».

كان على وشك أن يقول لا، ولكنه نظر إلى وجهها الشاحب المتوسّل، وفكر مجدداً: أنا الذي أوصلتك إلى هذه الحالة.

جلست على السرير، وجلس إلى جانبها، ثم استلقيا على ظهريهما وكان السرير ضيقاً فتلامس فخذاهما، نظر إلى السقف وقال لنفسه إنه لن يثار وكأنه يطلب من كلب ألا يلاحق قطة، كما تلامست ساقاهما وكانت ساقها دافئة تحت الثياب القطنية. لم يعاشر امرأة من بعد فيل، كما أنه لا يريد معاشرة هذه المرأة؛ ليكن الله في عونته.

قالت بصوت منخفض، ولكنه لم يكن خجولاً: «هل يمكنني مساعدتك؟ لا أستطيع ممارسة الجنس معك... أنا أقصد بالطريقة الفعلية... ولكن بوسعي أن أساعدك، كما أنني سأساعد بهذا».

«كلا يا أليس، شكراً لك، ولكن كلا».

«هل أنت متأكد؟».

«أجل».

«حسناً»، ثم أوليا ظهريهما لبعضهما.

انتظر بيلى إلى أن غلبها النعاس، واستسلمت للنوم، ثم ذهب إلى الحمام، وساعد نفسه.

9

مرت الأيام وكأنهما كانا في عطلة ثم آن الأوان.

كان هناك متجر تارغيت، وتوقفا عنده بعد الفطور، فاشترت أليس علبة بلاستيكية كبيرة من المرطب وبخاخة بالإضافة إلى لباسي سباحة. كان لون لباسها أزرق فاتحاً وقطعة واحدة، أما لباسه فكان سروالاً قصيراً عليه رسوم سمك استوائي.

كما اشترت له سروالين وسترتين موحدتين وقفاز عمل أصفر اللون ومعطف مزرعة من الجينز وسترة بكمين قصيرين عليها شعار فيغاس. سبحا في مسبح النزل، واكتشفا أنه أفضل جانب فيه، ولعبت أليس الكرة الطائرة المائية مع بعض الأطفال، وجلس بيلى ليراقبها، لقد شعر بالتلقائية، فمن السهل أن يعدّهما الناس أباً وبتناً في طريقهما إلى لوس أنجلوس بحثاً عن العمل أو عن أقرباء يمكنهم إعطاؤهما قرضاً أو مكاناً للإقامة.

كان موظف النزل محقّقاً بشأن البوفيه - كان مليئاً بوجبات المعكرونة والجبنة واللحم المدخن المطبوخ بعصارتة - ولكن بعد قضائها ساعتين في المسبح، أكلت أليس كل ما في صحنها وذهبت لسكب المزيد، ولم يستطع بيلى أن يجاريها مع أنه مرّ عليه وقت - كالتمرين العسكري مثلاً - كان يمكنه خلاله أن يأكل كل ما على الطاولة، ثم قالت إنها تودّ أن تحظى بقبولة بعد الغداء ولم يتفاجأ بيلى.

ذهبا ليتسوّقا مجدداً، وهذه المرة في متجر للزراعة والبستنة يدعى غرو بيبي غرو، وقد تلاشى مزاج أليس الصباحي الجيد، ولكنها لم تبذل جهداً كي تغَيّر له رأيه بخصوص اليوم التالي.

كان بيبي ممتناً لهذا لأن الإقناع سيؤدي إلى الجدل، وآخر شيء يود فعله هو الجدل مع أليس وخصوصاً ليس في يوم قد يكون يومهما الأخير. عندما ركنا العربة في النزّل، أخرج بيبي ورقة مطوية من جيبه الخلفي، فتحها ومسدها ثم وضعها على لوحة العربة وثبتها بشريط لاصق اشتراه من تارغيت. نظرت أليس إلى الفتاة الصغيرة التي كانت تحمل طائر الفلامنغو الوردي وسألته:

«من هذه؟».

كان تلوين شانيس فائق الجودة قد تلاشى مع الزمن، ولكن القلوب التي حامت فوق رأس الفلامنغو المنحني واتجهت نحو شانيس كانت واضحة للغاية. لمس بيبي قلباً منها وأجاب: «كنت أسكن بجانب منزل هذه الفتاة في ميدوود، ولكنها ستصبح غداً ابنتي إذا تطلب الأمر ذلك».

10

كان بيبي يثق بأمانة الأشخاص، ولكن ليس لهذه الدرجة، كانت الأدوات العتيقة والبراميل المتسخة آمنة، ولكن لعلّ أحداً سيرى ما اشترياه من غرو بيبي غرو وقرر أن يأخذ بعض الأشياء، لذا أخذ الأكياس إلى الداخل وخزّناها في حَمّام بيبي. كان هناك أكياس من فئة الخمسين رطلاً من تربة الزراعة من نوع ميراكل-غو كما كان هناك خمسة أكياس من فئة العشرة باوندات من سماد الديدان العضوي من نوع باكارو، بالإضافة لأكياس من فئة الخمسة والعشرين باونداً من سماد بلاك كاو،

فطلبت أليس من بيبي أن يحملها ومسحت أنفها ثم قالت إنها تستطيع شمّ رائحة السماد من خلال الكيس. شاهدنا التلفاز في غرفتها، وطلبت منه

أن يمكث معها، لكن بيلى قال لها إنه لا يجدر به أن يمكث إلى جانبها.

قالت أليس: «لا أعتقد أنني سأستطيع النوم بمفردي».

«ولا أنا، ولكن يجدر بنا أن نحاول، تعالي إلى هنا وعانقيني».

عانقته بشدة، وشعر أنها كانت ترتعش؛ ليس لأنها خائفة منه بل لأنها قلقة عليه. لا تستحق هذه الفتاة الرائعة أن تخاف يوماً، ولكن إذا كانت ستخاف في جميع الأحوال ففضل بيلى الخيار الأخير.

قال عندما ابتعد عنها: «اضبطي المنبه على الساعة السادسة».

«لن أحتاج إلى ذلك».

ابتسم وقال: «افعلي هذا بالحالتين، فلعلك فاجأت نفسك».

راسل بوكي من غرفته المجاورة: هل سمعت شيئاً عن نون؟

رد بوكي على الفور: كلا، إنه هناك على الأرجح، ولكنني لست متأكداً،

أنا آسف.

كتب له بيلى: لا عليك، ثم ضبط المنبه على الساعة الخامسة. لم يتوقع

أنه سيستطيع النوم، ولكن لعله فاجأ نفسه.

فاجأ نفسه قليلاً وحلم بشانيس؛ كانت تمزق صورة ديف الفلامنغو

وتقول: أنا أكرهك، أنا أكرهك، أنا أكرهك.

استيقظ عند الساعة الرابعة، وخرج وهو يضع القفاز الجديد بإحدى

يديه، وكانت أليس تجلس على كرسي الحديقة وهي تلف نفسها بستره

واسعة كُتِبَ عليها أنا أحب فيغاس، كما كانت تنظر إلى هالة القمر.

قال بيلى: «مرحباً».

«مرحباً».

ذهب إلى نهاية الطريق الإسمتي، ومسح القفاز الجديد بالوحد،

وعندما رضي عن مظهر القفاز، مسح عنه البقايا المتناثرة ثم نهض.

قالت أليس: «إن الجو بارد، وهذا سيفيدك. ارتد المعطف».

عرف بيلى أن الجو سيصبح دافئاً عند شروق الشمس. لعل الشهر

كان تشرين الأول، ولكن هذه صحراء، وكان سيرتدي معطف المزرعة في جميع الأحوال.

«هل تريدان أن تتناولوا الطعام كشطائر البيض مثلاً؟ إن مطعم ميكى دي في نهاية الطريق يفتح على مدار اليوم».

أشاحت بوجهها وقالت: «لست جائعة».

«هل تريدان القهوة؟».

«بالطبع، هذا جيد».

«هل تودين معها سكرًا وقشدة؟».

«كلا، أريدها سوداء».

ذهب إلى البهو المهجور، وجلب لهما كوبين من القهوة. وعندما عاد وجدها لا تزال تحرق إلى القمر، وقالت: «يبدو قريباً جداً وكأنني أستطيع لمسه. أليس جميلاً؟».

«أجل، ولكنك ترتعشين، هيا بنا إلى الداخل».

جلست على كرسيه قرب النافذة، وشربت قهوتها، ثم وضعت الكوب على الطاولة الصغيرة ونامت، كانت سترتها واسعة للغاية، وانزاحت قبتها لتكشف كتفها، فوجد بيلى هذا المنظر لا يقل جمالاً عن القمر.

جلس وارتشف قهوته مراقباً إياها؛ كان يحب تنفسها البطيء.

مضى الوقت بسرعة، وفكر بيلى إن الوقت يفضل هذا الشيء.

11

عندما أيقظها عند الساعة السابعة والنصف، وبخته لأنه تركها تنام. «عليّ أن أركب بذلك المسحوق اللزج، ولكنه يتطلب أربع ساعات ليأخذ مفعوله».

«لا عليك، إن اللعبة تبدأ في تمام الساعة الواحدة، ولن أشنّ هجومي عليه قبل الساعة الواحدة والنصف».

«مع هذا كنت أفضل أن نقوم بهذا العمل منذ ساعة لنكون في مأمن»،
تنهدت قليلاً ثم قالت: «تعال إلى غرفتي كي نبدأ العمل».

بعد دقائق قليلة، كان يجلس من دون قميص ويمسح يديه وذراعيه
ووجهه بالمرطب، فأخبرته ألا ينسى أن يدهن جفنيه، وعندما انتهى من هذا
الأمر، شرعت ترشه ببخاخ التسمير.

استغرق رش الطبقة الأولى خمس دقائق، وحالما انتهت، ذهب
بيلي إلى الحمام كي يلقي نظرة، وكل ما رآه كان رجلاً أبيض تعلوه سمرة
الصحراء.

قال: «هذا ليس كافياً».

«أعرف هذا، ضع المزيد من المرطب».

استخدمت البخاخ مجدداً، ولكنه لم يكن راضياً عندما عاين نفسه
أمام مرآة الحمام مجدداً، وقال لها: «لست متأكداً، لعل هذه كانت فكرة
غير سديدة».

«لا تقلق، هل تتذكر ما قلته لك؟ سيأخذ مفعوله ويصبح لونه داكناً في
فترة تتراوح بين أربع وست ساعات، وعندما تعتمر قبعة رعاة البقر وترتدي
السترة والبنطال الموحدين...»، نظرت إليه بتمعن ثم قالت: «إذا لم أعتقد
أنك تشبه أهل المكسيك فلن أخفي هذا الأمر عنك».

اعتقد بيلي أنها كانت ستطلب منه حينها أن يتخلى عن الأمر ويرافقها
إلى كولورادو، ولكنها لم تفعل ذلك، وطلبت منه أن يرتدي ما أسمته زي
تنكرك. ذهب بيلي إلى غرفته، ووضع الشعر المستعار داكن اللون وارتدى
السترة والبنطال الموحدين ومعطف المزرعة - وكان قد وضع القفاز الأصفر
في جيبيه - ثم اعتمر قبعة رعاة البقر التي اشترتها له أليس في بولدير؛ كانت
تغطي أذنيه ونبه بيلي نفسه أن يرفعها قليلاً عندما يحين الأوان كي يظهر
شعره الأسود الذي تتخلله خصل من الشيب.

قالت أليس بعينين محمرتين لا ترحمان: «تبدو جيداً، هل أحضرت

دفترك وقلمك؟».

أشار بيده إلى جيبه الأمامي الذي كان واسعاً ومناسباً لإخفاء سلاح الروغير الصامت بالإضافة لأدوات الكتابة.

ضحكت بصوت خافت وقالت: «أنت تزداد اسمراراً مع مرور الوقت، إنه لأمر جيد أن شرطة الحواجز لن تكون هناك».

مد بيدي إليه إلى جيبه الجانبي الذي لا يحوي مسدس غلوك 17 وأخرج رزمة من المال؛ كان هذا كل ما يملكه بالإضافة إلى بعض القروش؛ ثم قال لأليس وهو يمد يده: «إذا استدعى الأمر خذي هذه واعتبريها تأميناً». وضعتها أليس في جيبها من دون جدال.

«إن لم تتلقي اتصالاً مني هذا المساء فانتظريني، لا أعرف كيف ستكون تغطية الهواتف في الشمال، وإن لم أعد بحلول الساعة الثامنة أو التاسعة فلن أعود أبداً، ابقني هنا الليلة ثم سجلي خروجك واستقلي حافلة غري هاوند، واتجهي إلى غولدن أو إيستيس بارك، ثم اتصلي ببوكي وهو سيقلك، هل تفهمينني؟».

«لن يكون هذا جيداً، ولكنني أفهمك، دعني أساعدك في حمل أكياس السماد هذه إلى العربة».

ترنحا قليلاً، ثم وضعا الأكياس في الصندوق، وأغلقا الباب الخلفي للعربة. وقفا مكانهما ونظرا إلى بعضهما، كان هناك قليل من الناس ذوي العيون الناعسة - بائعين وعائلة - يوضبون حقائبهم ويستعدون للانطلاق. قالت له: «إن لم تكن مضطراً للتواجد هناك عند الساعة الواحدة فابق هنا لساعة أو ساعتين».

«أعتقد أنه عليّ الانطلاق الآن».

قالت أليس: «أوافقك الرأي، غادر قبل أن أنهار».

عانقها وبادلته العناق بشدة، وتوقع أن تقول له كن حذراً أو لا تمت أو تتوسل إليه مجدداً ألا يذهب، ولكنها لم تقل أيّاً من هذا، نظرت إليه

وقالت: «استرجع حقك».

أفلتته واتجهت إلى النزل، وعندما وصلت إلى النزل، رفعت هاتفها

وقالت: «لا تنسَ أن تتصل بي حالما تنتهي».

«لن أنسى».

قال في نفسه: إن استطعت العودة.

الفصل العشرون

1

بعد مرور ساعة على سلوكه الطريق 45 المتجه إلى شمال فيغاس، وصل بيلي إلى دوغي دوناتس الذي كان قرب محطة وقود آكرو ومتجراً متعدد الخدمات كان اسمه غريباً ألا وهو: تيريل هيريست، كان أشبه باستراحة شاحنات تحيط بها مساحات كبيرة من المواقف، وكان فيها مقطورات كبيرة تصدر أصواتاً تشبه شخير الوحوش، ملأ بيلي عربته بالوقود، واشترى عصير برتقال وكعكة، ثم ركن في الخلف، فكّر في أن يتصل بأليس لأنه أراد أن يسمع صوتها واعتقد أنها أرادت أن تسمع صوته أيضاً.

فكّر أنها كانت رهينته التي كوّنت تجاهه متلازمة ستوكهولم، ولكنها لم تعد كذلك بعد الآن، وشكّ في أنها كانت هكذا في المقام الأول، وتذكر كيف قالت له: استرجع حقك؛ لم تقلها بشكل شجاع لأنها لم تكن بطلة قصص مصورة تحولت إلى محاربة - ليس الآن على الأقل - ولكنها تمالكت نفسها. أمسك بهاتفه كي يتصل بها، ولكنه تذكر أنها لم تنم بشكل جيد ليلة البارحة، ولم يرد أن يوقظها في حال عادت إلى غرفتها واضعة لافتة ممنوع الإزعاج.

شرب عصيره، وأكل كعكته، وترك الوقت يمضي ممّا أدى إلى تسلل الحيرة والشكوك، ولم يستطع أن يجزم أن نيك سيقضي العطلة في التواء الصخري، كما أنه لم تكن لديه أية فكرة عن عدد الرجال الذين اصطحبهم معه في حال عودته، لقد جلب مرافقته الخاصة بالتأكيد إضافة لصائدي الجوائز، ولكنه لم يعرف أين زرعه، كانت لديه فكرة عن التوزيع الداخلي من خلال صور زيلو، ولكن من المحتمل أن يكون نيك قد أضاف تعديلات

عليه. لو كان نيك هناك ويشجع الجاينتس فلن يعلم بيلي من أين سيأشاهدهم؛ لم يكن متأكداً أنه سيستطيع الدخول عن طريق باب الخدم، ربما أجل وربما لا.

كان هناك صف من الحمامات المتنقلة، دخل إلى واحد منها كي يقضي حاجته، وعندما خرج من الحمام، وجد امرأة سوداء ترتدي سترة تغطي صدرها وحسب وتنورة قصيرة يمكنك أن ترى طرف لباسها الداخلي منها، وكانت تقف قرب الحمام، بدت أنها لم تنم طوال الليل كما أن الليلة لم تكن سهلة عليها، وذكره منظر المسكرة التي تسيل من عينيها - أو شخصيته الغبية - بفتيان بيغل في قصص دونالد داك والعم سكروج المصورة التي كان يشتريها أحياناً من ساحات البيع.

قالت المرأة: «مرحباً أيها الوسيم، أتريد أن تواعدني؟».

كانت هذه فرصة مثالية ليختبر تنكره، فتناول دفتره وقلمه من جيبه الأمامي وكتب: أنا أصم وأبكم.
«ماذا يعني هذا؟».

لمس بيلي أذنيه بيديه، ثم أشار إلى فمه.
قالت وهي تتعد عنه: «انس الأمر، لن أنام مع مكسيكي».
راقبها بيلي بسرور وهي تتعد عنه، وقال في نفسه: إنها لن تنام مع مكسيكي أليس كذلك؟ لا يجعلني هذا أشبه جون هاورد غريفين، ولكنني سأقبل بهذا.

2

بقي في سيارته خلف متجر الدونات حتى الساعة الحادية عشرة، وخلال هذا الوقت، رأى المرأة السوداء وبعضاً من زميلاتها وهن يتكلمن مع سائقي الشاحنات، ولكن لم تقترب منه أية امرأة، كما أن بيلي لم يمانع هذا، كان يخرج بين الفينة والأخرى ويتظاهر أنه يتحقق من أدواته، ولكنه

كان يريح ساقيه ويتحزّر من جلسته.

عند الساعة الحادية عشرة والرّبع شغل محرك العربة - في البدء، لم يعمل المحرك وهذا ما أخافه - ثم تابع طريقه على الطريق 45 نحو الشمال. كانت تلال بايوت السفحية تقترب منه كما أنه كان يستطيع رؤية التّوء الصخري على بعد خمسة أميال، كان مختلفاً عن المنزل الذي استأجره نيك في المدينة حيث كان يؤدي بيّلي عمله، ولكنه كان يعادله بمقدار البشاعة. بينما كان نظام تحديد المواقع يشير له أنه على بعد ميل من شيروكي درايف، وصل بيّلي إلى استراحة أخرى، ولكنها كانت عند المنعطف. ركن عربته في الظل، ودخل إلى حمام متنقل آخر، وفكر في شعار تاكو بيل: لا تفوت فرصة أن تتبول قبل أن تخوض عراكاً.

تحقق من ساعته بعد أن خرج من الحمام، وكانت الساعة الثانية عشرة والنصف، لا بد أن نيك كان يجلس في قصره الأبيض وهو يجهز نفسه كي يحضّر تجهيزات المباراة مع من رافقوه، ولعله كان يأكل الناتشو ويشرب دو إيكوي، فتأفّف بيّلي من سيرى التي قالت إنه على بعد أربعين دقيقة من وجهته، وأجبر نفسه أن ينتظر قليلاً وألا يتّصل باليس.

بدلاً من هذا، خرج من السيارة، وأمسك بمفك من البراميل المتسخة وحفر بعض الثقوب في العادم الذي كان متأدياً بالفعل. إذا وصل إلى مدخل الخدم وكانت عربته تعنّ وتصدر أصواتاً عالية فسيعدم هذا تنكره.

قال بيّلي: «حسناً»، وأراد أن ينشد شعار العسكرية، ولكنه لم يرد أن يبدو سخيلاً، بالإضافة إلى أن آخر مرة أنشدوا فيها هذا الشعار معاً لم يجد نفعاً. شغل المحرك، وانتظر كي يخفّ صوته ثم داس على البنزين وحاول مجدداً، اشتغل محرك الدودج وكان صوته أعلى الآن.

تحقق بيّلي من حركة المرور، ثم انطلق إلى الطريق 45، ثم انطلق إلى شيروكي درايف حيث ازداد انحدار الأرض، وكان هناك منازل متواضعة تحفّت بأول ميل من الطريق، ثم لم يعد هناك من أثر للمنازل، ولم يبق أمامه

سوى التواء الصخري.

فكر بيلى في نفسه: كنت سأتى إلى هنا لا محالة، ثم حاول ألا يضحك على هذه الفكرة لأنها كانت نذير شؤم واعتداداً فارغاً بالذات. لم تغادره تلك الفكرة، ورجح بيلى أن السبب هو كونها حقيقية، إذ كان قدره أن يأتى إلى هنا.
أجل.

3

كان الهواء نقياً خارج وادي لاس فيغاس، ولعله كان لديه تأثير ضخم، حيث شعر بيلى عندما اقترب من المجمع السكني أن المنزل يتراجع قليلاً كي لا يسقط عليه، كان الجدار عالياً جداً، ولم يستطع رؤية شيء من خلاله، ولكنه يعلم بوجود جهاز مراقبة في الداخل، وكانت عربته ستظهر عليه إذا كان هناك أحد يقف بجانبه.

كان شيروكي درايف ينتهي عند التواء الصخري، كما كان هناك طريق ترابي يتفرع عن نهايته، ويتجه يساراً، وكانت هناك لافتتان تحفان بهذا الطريق، وقد كُتِبَ على اللافتة اليسارية: صيانة وتوصيل أما الثانية فُكِّتَبَ عليها: للسيارات المخصّصة فقط، وقد كُتِبَت كلمة فقط باللون الأحمر.

انعطف بيلى عند هذا الطريق، ولم ينسَ أن يرفع قبعته قليلاً، كما ربّت على جيبه الأمامي - حيث كان الروغير المزود بكاتم صوت - كما ربّت على جيبه الجانبي - وتفقد مسدس الغلوك - إن منظر المسدسين سيكون أضحوكة حيث إنهما كانا يستعملان في الاستخدامات القريبة فقط، ولكنه لاحظ أنه لم يجزّب أيّاً منهما أو يتحقق من ذخيرتهما؛ ياله من أمر مضحك أن يجزّب سلاح غلوك ويتبين أنه لا يعمل أو أن مدمن مخدرات في كاراج ما قد أخطأ في تركيب كاتم صوت الروغير وانقلب الأمر عليه! لقد فات الأوان على القلق بشأن هذه الأمور الآن.

كان جدار المجمع إلى يمينه، أما على يساره، فكانت هناك أشجار سرو صغيرة، ولكن أغصانها طويلة لدرجة أنها لامست أطراف عربته. تخيل بيلى سائقي الشاحنات الكبرى - كشاحنات القمامة أو شاحنات توصيل البنزين أو مضخات الصرف الصحي - وهم يشقون طريقهم ويشتمون ويندبون حظهم في كل مرة يأتون فيها إلى هنا.

عندها شكّلت الجدران زاوية قائمة، وانتهت الأشجار، كما أن المنحدر استوى قليلاً حيث كان يقف حينها على أرض منبسطة سوتها جرافة على الأرجح لتشكيل أرضية المنزل. إن طريق الصيانة ينعطف قليلاً ثم يتابع مساره إلى البوابة المتواضعة التي كان يبحث عنها بيلى، واستطاع أن يرى من وراء الجدار القسم العلوي الأحمر من المزرعة التي يبلغ ارتفاعها خمس عشرة قدماً، وبدا السقف معدنياً ويعكس أشعة الشمس، فأزاح بيلى نظره عنها بعد أن أخذ نظرة خاطفة لأنه لم يرد أن يخاطر بنظره.

كانت البوابة مفتوحة، وتحفّ بها مشاتل زهور، كما رأى كاميرا مراقبة على الجدار، ولكنها كانت تتدلى كرقبة عصفور مكسورة، فأعجب بيلى بهذا حيث اعتقد أن نيك يسترخي في منزله وكان هذا دليلاً كافياً على ذلك. كانت هناك امرأة مكسيكية في المشتل وكانت ترتدي ثوباً أزرق فضفاضاً وتجتو على ركبتيها وهي تحفر في التراب ومعها منشفة، كانت بجانبها سلة مجدولة فيها أزهار مقطوفة، لا بد أنها قد اشترت القفاز الأصفر الذي كانت تضعه من المحل نفسه الذي اشترى منه بيلى قفازه، كما كانت تعتمر قبعة عريضة من القش كانت واسعة إلى حدّ مضحك. كانت توليه ظهرها، ولكن عندما سمعت صوت العربة - وكيف يمكن لها أن تغفل عنها؟! - التفتت للتحقق من الأمر، فاكتشف بيلى أنها لم تكن مكسيكية على الإطلاق.

كانت بشرتها متصبغة ومسمرة، ولكنها كانت سيدة أميركية متقدمة

في السن.

نهضت واقتربت من العربية، ووقفت أمامها حاجبة الطريق عنها، لم تقترب من باب السائق قبل أن خفف بيلى من سرعته، وركن العربة وأنزل زجاج النافذة. سألته: «من أنت؟ وماذا تريد؟»، وهنا شكر حظه على الكاميرا المعطّلة، ثم سألته السيدة السؤال ذاته بالإسبانية.

رفع بيلى إصبعه - كإشارة انتظار - ثم أخذ الدفتر من جيبه الأمامي، لقد شرد لوهلة ثم كتب بالإسبانية: إن هذه من أجل الحديقة.

«لقد فهمت هذا، ولكن ماذا تفعل هنا يوم الأحد؟ حدثني يا بيدرو». فتح صفحة جديدة وكتب: أنا أصمّ وأبكم.

حركت شفيتها بعناية فائقة وقالت: «أحقاً هذا؟ هل تفهم الإنكليزية؟». كانت عيناها الزرقاوان اللتان تزينان وجهها النحيل تعانيناه عن كئيب، وخطر في بال بيلى أمران: الأول هو أن نيك كان يسترخي في منزله... ولكنه لم يكن غير مبالٍ بشكل تام، ولعل كاميرا المراقبة كانت معطّلة ومرافقوه يتابعون اللعبة معه في الداخل، ولكن كانت هناك هذه السيدة ومعها منشفتها وسلّة الأزهار؛ لعل هذه أسطورة الصدفة البحتة التي كان يحدثه صديقه روبن عنها، ولكن لعلها لم تكن صدفة حيث رأى زجاجة مياه وشطيرة تحت ظل شجرة مجاورة، وهذا دلّ على أنها كانت ستبقى هنا لوقت طويل، ولعلها كانت ستبقى إلى حين انتهاء المباراة حيث سيزول الخطر.

أما بالنسبة إلى الأمر الثاني فكان أنها تبدو مألوفة؛ كان شكلها مألوفاً للغاية.

قربت يدها من العربية، وطقطقت أصابعها أمام أنفه، وكانت رائحتها تعبق بالدخان، ثم سألته: «هل تفهمني؟».

قرّب بيلى إصبع السبابة من إبهامه ليقول لها إنه يفهم القليل وحسب. ضحكت بصوت أجشّ وقالت: «أتوقع أنك ستكون في مأزق إذا سألتك عن بطاقة إقامتك. إذاً، ما سبب مجيئك إلى هنا يوم الأحد يا صديقي؟».

رفع بيلى كتفيه، وأشار إلى المزرعة التي كانت تظهر من فوق الجدار.
«بالطبع لن تأتي إلى هنا كي تحظى بالسكويت والشاي، ماذا لديك
كي تضعه في المزرعة؟ أرني».

بدأ بيلى يتخوف من الأمر، وهذا لأنها تستطيع أن تتحقق من صندوق
العربة وترى الأكياس بنفسها ولكن السبب الرئيسي كان هو الإحساس
المزعج بأنه سبق له أن رآها، لا يمكن لهذا أن يكون صحيحاً، إنها متقدمة
في السن ولا يمكن أن تكون من مرافقة نيك، كما أنه من المستحيل أن يعين
امرأة للقيام بمثل هذا العمل في جميع الأحوال، إن عقليته قديمة، كما أنها
متقدمة في السن، ولعلها امرأة مسالمة وضعوها خارجاً كي تراقب بوابة
الخدم بينما كانوا يشاهدون المباراة، كما أنها قررت أن تمضي بعض الوقت
في جلب بعض الزهور كي تزين بها المنزل، ولكن الشكوك لم تغادره.

«أسرع يا صاح، أسرع»، وطققت أصابعها مجدداً أمام وجهه. لم
يفضل بيلى هذه الحركة أيضاً مع أن فرضها لصلاحتها كان دليلاً آخر
على نجاح تنكره. ترجل بيلى من العربة تاركاً الباب مفتوحاً، وأرشدتها إلى
صندوق عربته، لكنها تجاهلته، وذهبت لتتحقق من المقطورة، نظرت إلى
البراميل، ثم شمته واستنكرتها، وذهبت بعدها لتتحقق من صندوق العربة.
«كيف لك ألا تجلب سوى كيس واحد من بلاك كاو؟ ما نفعه؟».

رفع بيلى كتفيه ليبين لها أنه لم يفهم.
وقفت المرأة على رؤوس أصابعها، وضربت الكيس، فاهتزت قبعتها
العريضة، ثم قالت: «كيس واحد، واحد»، ثم قالت بالإسبانية: «كيس واحد
فقط».

رفع بيلى كتفيه ليبين لها أنه فتى التوصيل وحسب.
تهددت، ولوّحت بيدها أمامه: «ما هذا بحق الجحيم؟ هيا ادخل،
لن أرسل في طلب هيكتور في عشية يوم الأحد لأسأله عن سبب إرساله
لشخص أصمّ وأبكم كي يوصل كيساً من الهراء، لا بد أنه يشاهد المباراة

أيضاً أو يشاهد مباراة أخرى».

رفع بيلى كتفيه ليبين لها أنه لم يفهم.

«أدخل هذا الهراء إلى هنا، ثم اذهب إلى أقرب حانة كي تشاهد النصف الآخر من المباراة».

كان عليه أن يعرف حينها ومن بريق عينيها، ولكنه لم يتبين الأمر، ولكن الحظ كان حليفه، رآها وهي تتقدم من مرآة السائق حين كان مستقل العرب، وقد تراجع في الوقت المثالي، وأخفض كتفه، ولم تُصب المنشفة سوى أعلى ذراعه تحت السترة التي كان يرتديها، وأغلق الباب على ذراعها وسقطت المنشفة على الأرضية قرب قدمه اليسرى.

«آه، اللعنة».

حررت يدها بسرعة لدرجة أنها ارتدت وارتطمت بقبعتها التي كشفت عن شعرها الأشيب المرفوع، ولاحظ حينها أين قابلها بيلى من قبل.

كانت تحاول أن تصل إلى جيب زي البستنة.

خرج بيلى من العرب بسرعة، وضربها على جانب وجهها الأيسر، فهوت على ظهرها في المشتل، ووقع الشيء التي كانت تحاول أن تخرجه من جيبيها، كانت تحاول أن تمسك بهاتفها، وكانت هذه المرة الأولى التي يضرب فيها امرأة، وعندما رأى الكدمة على وجهها تذكر أليس، ولكنه لم يندم على الضربة، كان من الممكن أن تخرج مسدساً، كما أنها تعرفت إليه حتى ولو انطلت عليها الخدعة في البداية، كما أنها أخفت عنه أنها اكتشفت أمره. وداعاً لخطة السترة والسروال الموحدين وبخاخ التسمير والشعر المستعار وقبعة رعاة البقر، وداعاً للوحة تشان التي ألصقها على لوحة السيارة التي كان من الممكن أن يشير لها بفخر وكأنها من رسم ابنته المبدعة، هل كان السبب أن المرأة رأت صورته وعابنتها حين قابلته مرة في ريد بلاف؟ أو لأن النساء كن يستطعن كشف التنكر بشكل أسرع من الرجال؟ كان هذا تفكيراً جنديراً، ولكن بيلى لم يستغرب الأمر.

«أيها الوغد، هذا أنت».

اعتقد أنها كانت لطيفة جداً في منزل نيك المستأجر كما أنها كانت مهذبة؛ بالطبع لأنها كانت تمثل دور الخادمة حينها.

تذكر الآن أن نيك أعطها رزمة من المال للطاهي آلان الذي حرق حلوى ألاسكا المخبوزة ولكنه لم يعطها شيئاً لأنها لم تكن ضمن لائحة الموظفين، بل كانت من العائلة. يا لسخرية القدر!

بدت وكأنها مصابة بالدوار، ولكن ربما كانت هذه خدعة أخرى، أياً يكن الأمر، كان مسروراً لأن المنشقة كانت في العربة، وضع ذراعاً حول كتفها وساعدها على الجلوس، كان خدها ينتفخ كالبالون وهذا ذكره بأليس مجدداً، ولكن أليس لم تنظر إليه بالطريقة التي كانت تنظر إليه فيها هذه المرأة.

كانت نظرة هذه المرأة متوعدة.

أمسك بيلى بالروغير باليد التي لم يكن يسندها فيها ووجهه فوهته إلى جبهتها المجددة. كان يعرف فرانك ماكينتوش باسم فرانكي إلفيس - ولكن لم يخبره أحد بهذا - كما أنهم كانوا يطلقون عليه اسم سولار إلفيس، كان شعره يتجمع على جبهته مثلها، وكان له نفس شعرها ووجهها النحيل وجبهتها المثلثة، كان يجدر بيلى أن يلاحظ هذه القرابة سابقاً ويوفر على نفسه بعض المشاكل، إن تلك القبعة خدعته.

«مرحباً يا مارج، لم تعودى تلك المرأة المهذبة التي كانت تقدم لنا العشاء في تلك الليلة».

قالت وهي تبصق في وجهه: «يا لك من وغد خائن!».

انتابت بيلى رغبة جامحة في أن يضربها مجدداً، ولكن ليس لأنها بصقت في وجهه. مسح البصاق عن وجهه، وتركها كي تسند نفسها حيث بدت أنها قادرة على ذلك، لعلها كانت في العقد السابع من عمرها ومدخنة مخضرمة، ولكن الاستسلام لم يكن في قاموسها وهذا أمر لم يخجل أن

يعترف به ببلي.

«أنت تخلطين الأمور، نيك هو الخائن، لقد أدت المهمة، وبدلاً من أن يدفع لي أجري نصب عليّ وخطط لقتلي».

«لا يمكن لنيك أن يفعل هذا، فهو لا يتخلى عن قومه».
ربما كان هذا صحيحاً، ولكن ببلي لم يتم يوماً إلى قومه.
أنا عميلكم المستقل العادي.

«دعينا لا نتجادل يا مارج، فقد فات الأوان».
«أعتقد أنك كسرت ذراعي اللعين».

«لقد حاولت أن تفتحي وريدي الوداجي، وعلى حدّ علمي، هذا يجعلنا متساويين. كم عدد الرجال الذين يشاهدون المباراة في الداخل؟».
لم تجبه.

«هل فرانك في الداخل؟».

لم تجبه، ولكن البريق في عينيها أعطاه ما أراد معرفته، أمسك بهاتفها المحمول، وأزاح عنه الغبار وقربه منها قائلاً: «اتصلي به وأخبره أن هناك رجلاً يوصل بعض السماد والتربة الزراعية، وأنه لا داعي للقلق، قولي...».
«كلا».

«قولي إنك أخبرت الرجل أن يوصل الأسمدة إلى المزرعة».

أخفض ببلي فوهة الروغير، ووضعها بين عينيها ثم قال: «أخبره يا مارج».

«كلا».

«أخبره، وإلا سأفجر دماغك ودماغ فرانك».

بصقت في وجهه مجدداً أو حاولت أن تبصق، ولكن شيئاً لم يخرج، واعتقد ببلي أن فمها كان جافاً؛ إنها خائفة، ولكنها مصرة على موقفها، وحتى لو وافقت على الأمر فإما نبرتها ستكشفه أو ستصرخ عبر الهاتف قائلةً: إنه هو. هذا الوغد الخائن ببلي سامرز.

لم يستطع إلا أن يتذكر أليس مع أنه أفنع نفسه أنها لم تكن هي، ولن تكون هي مطلقاً، ضرب حينها مارج على جبهتها، فقلبت عينيها، وسقطت على الأزهار. وقف فوقها لعدة دقائق كي يتأكد أنها لا تزال تتنفس، ثم ألقى بها تفها في العربة، كان على وشك أن يصعد إلى العربة ثم فكر مجدداً ورمى الأزهار المقطوفة من سلتها، كان تحت تلك الأزهار جهاز إرسال ومسدس صغير من نوع 357 كوبرا. تبين أنها لم تكن تقوم بأعمال البستنة وحسب بل كعميل احتياطي، لقد فكروا ملياً عندما وضعوا هذه المرأة القوية، وألقى بالمسدس وجهاز الإرسال في العربة.

تأخر المحرك حتى يعمل، وندب بيلى حظه، وأخيراً، عندما اشتغل المحرك ودخل إلى المجمع، توقف على بعد عشر أقدام من الجدار ووضع ناقل السرعة على الوضع الحيادي ثم أغلق البوابة، كان هناك انت هناك سقاة فولاذية ضخمة، أراحها؟ عن القفل، وعاد إلى العربة التي كان محركها يهدر بسبب العادم المثقوب، بدت فكرة ثقب العادم جيدة في البداية، ولكنه ندم عليها الآن.

في الوقت الذي كان يصعد فيه إلى العربة، شرعت مارج تضرب البوابة وتصرخ: «احذروا، احذروا. إنه سامرز. إن سامرز في العربة»، لكن بيلى لم يعتقد أن أحداً سيسمعها حتى وإن لم يكن العادم مثقوباً ولكن حيويتها أبهرته، لقد ضربها بكل ما أوتي من قوة، ومع ذلك نهضت مجدداً. لكنه نبه نفسه أنه لم يستخدم كل قوته عليها: لقد فكرت بأليس فتهاونت معها قليلاً.

لقد فات الأوان الآن ولم يعتقد أن الأمر كان بهذه الأهمية، عليها أن تركز حول الجدار وتشق طريقها عبر أشجار السرو كي تنبه الموجودين في بيت الحرس قرب البوابة الرئيسة... هذا إن كان هناك أحد أصلاً. بالطبع هناك أحد، فقد ظهر رجل حين مر بيلى قرب إسطلب، كان معه مسدس أو بندقية، ولكنه كان يضعها على كتفه في بادئ الأمر، وكان يبدو

مسترخياً ورفع يديه وقال: «ماذا هناك؟».

بدلاً من أن يدخل إلى المنزل كما قرر، عدل بيلي مرآة السائق، ورفع إبهامه للرجل وانعطف عند الطريق الذي يتجه إلى بيت الحرس.

توقف قليلاً، وتقدم الرجل، وكان السلاح - كان سلاح موسبيرغ - على كتفه، ولاحظ بيلي أنه كان يعرفه، لم يأت بيلي يوماً إلى هنا، ولكنه ذهب إلى جناح نيك في دوبل دومينو ثلاث أو أربع مرات وشاهد هذا الرجل هناك، كان اسمه سال على الأرجح، ولكن سال هذا لم يتعرف إليه مثل أم فرانك الحذقة.

قال: «كيف الحال يا شريك؟ هل سمحت لك المرأة المسنة بالدخول؟». «أجل». لم يحاول بيلي أن يتكلم الإسبانية حيث سيبدو مثل سيدي غونزاليز اللعين، «لدي شيء يجب على أحد توقيعه، هل يمكنك فعل هذا؟». قال سال: «لست متأكداً»، ارتسمت على وجهه ملامح القلق، ففكر بيلي في نفسه: لقد فات الأوان يا صاح، لقد فات الأوان. «أرني ما لديك». كان دفتر بيلي ظاهراً من جيبه الأمامي. أشار إليه وقال: «ها هو».

مد يده تحت الدفتر وسحب روغير الخاص بدون جنسن، لقد خرج بهدوء رغم كاتم الصوت المنتفخ ويا لها من معجزة! ثم أطلق النار. ظهر ثقب بين زري سترة سال التي كانت على الطراز الغربي، وصدر صوت يشبه فرقة البالون وتطابير كاتم الصوت إلى قسمين، سقط القسم الأول على الأرض أما القسم الثاني فسقط في العربة. قال سال بعينين واسعتين وهو يتراجع إلى الخلف: «لقد أطلقت النار علي».

لم يُرد بيلي أن يطلق النار على الشاب مجدداً لأنه سيصدر صوتاً أقوى، ولكن لم يتوجب عليه فعل ذلك، حيث جثا سال على ركبتيه وأخفض رأسه، بدا وكأنه يصلي ثم سقط إلى الأمام.

اعتقد بيلى أن عليه أن يأخذ سلاح الموسبيرغ، ولكنه تركه، وكما قال لمارج، إن الوقت يدهامه.

4

قاد عربته إلى المنزل الأساسي. هناك ثلاث سيارات تركن أمامه: سيارة سيدان، وسيارة رباعية الدفع ولامبورغيني لا بد أنها لنيك، وهنا تذكر بيلى كلام بوكي أن نيك يحب السيارات. أوقف بيلى عمل محرك العربة وصعد على الدرج الرئيسي، كان يمسك دفتره بيد وكان يخفي مسدس الغلوك تحته، لقد قتل رجلاً للتو ومع أن سال كان على الأرجح رجلاً شريراً قد فعل أشياء شنيعة لحساب نيك ولكن بيلى لم يكن متأكداً من هذا، كان سيقتل المزيد من الرجال الآن إن لم يمت في البداية.

كان سيفكر في هذا الأمر في وقت لاحق إن كان هناك وقت لاحق أساساً.

وضع أصابعه على الجرس وتردد، ماذا لو فتحت له امرأة؟ إذا حدث هذا فلا يعتقد بيلى أن بوسعه قتلها، حتى ولو كانت الأمور ستزداد سوءاً فلا يعتقد بيلى أنه قادر على فعل هذا، إذ كان يفضل لو سنحت الفرصة له كي يطوف حول المنزل ويعاينه ولكن الوقت كان يدهامه. إن أم إلفيس كانت تترنص به.

حاول أن يفتح الباب ووجده غير مقفول، فتفاجأ بيلى قليلاً. قرر نيك أنه لن يأتي كما أن اليوم كان الأحد، كانت الشمس ساطعة، وكان يوم كرة القدم في أميركا، ظن بيلى أن فريق الجاينتس قد أدخلوا هدفاً، وكان الحشد يهتف بالإضافة لعدة رجال من المرافقين، لم يكن الصوت قريباً وفي الوقت ذاته لم يكن بعيداً للغاية.

أعاد بيلى الدفتر إلى جيبه، ومشى باتجاه الصوت، وحدث حينها ما خاف منه، رأى خادمة لاتينية جميلة تحمل صينية من شطائر الهوت دوغ

فوق مبرد مليء بالبيرة الباردة على الأرجح، فتسنى وقت لييلي كي يفكر بكلمات أغنية قديمة لتشاك بييري: إنها جميلة لدرجة أن عمرها لم يتجاوز السابعة عشرة بدقيقة، رأت بييلي والمسدس، وفتحت فمها، فاهتز المبرد، وكانت الصينية على وشك أن تهوي، ولكن بييلي ثبتها مجدداً.

قال لها وهو يشير إلى الباب المفتوح: «أذهبي، خذي هذا واخرجي من هنا، ابتعدي».

لم تتفوه بحرف، وحملت الصينية، ثم عبرت الرواق خارجة إلى ضوء الشمس. كان قوامها مثالياً، كما أن انعكاس ضوء الشمس على شعرها الداكن كان دليلاً على عظمة الخالق. نزلت الدرج، وكان ظهرها منتصباً ورأسها شامخاً، ولم تنظر خلفها. هتف الحشد والرجال المرافقون، كما صرخ أحد: «نَلْ منهم أيها الأزرق الشجاع».

مشى بييلي على طرف الرواق المكسو بالبلاط، وكان هناك باب مفتوح يتوسط لوحتين لجورجيا أو كيفي، كانت الأولى لهضاب صحراوية والثانية لجبال، ومن بين مفصلات الباب، استطاع بييلي أن يرى أدراجاً تؤدي إلى طابق سفلي، وسمع إعلاناً لبيرة ما. انتظر بييلي خلف الباب كي ينتهي الإعلان حيث أراد أن يعيدوا تركيزهم إلى المباراة.

صرخ نيك من أسفل الأدراج: «أين تلك الشطائر اللعينة يا ماريا؟». قال مجدداً عندما لم يكن هناك جواب: «أسرعي يا ماريا». قال أحدهم: «سأذهب لأتحقق من الأمر»، اعتقد بييلي أن هذا صوت فرانك، ولكنه لم يكن متأكداً.

سمع صوت خطوات على الدرج، ووصل أحد ما إلى الرواق، ثم انعطف يساراً باتجاه المطبخ على الأرجح.

كان هذا فرانك فعلاً حيث استطاع التعرف إليه، إذ كان من الصعب عدم تمييز رأسه الأصلع المغطى بالشعر المستعار.

خرج بييلي من وراء الباب ولحق به. كان يمشي على رؤوس أصابعه،

وشكر ربه أنه كان يتتعل حذاء رياضياً.

دخل فرانكي المطبخ، والتفت خلفه.

«ماريا؟ أين أنت يا عزيزتي؟ نحتاج...».

ضربه بيلى على رأسه بالغلوك بأقوى ما يمكنه، وتناثرت قطرات الدم، وسقط فرانك إلى الأمام، وضرب جبهته بلوح التقطيع الذي كان على الطاولة في وسط المطبخ. كان رأس أمه صلباً ولعله ورث هذا الشيء عنها، بالإضافة إلى مثلث الجبهة، ولكن بيلى لم يعتقد أنه سيستيقظ من هذا على الفور ولعله لن يستيقظ منه أبداً.

لطالما كان الرجال يُضربون على رؤوسهم في الأفلام، ثم ينهضون على الفور بأضرار طفيفة أو معدومة، ولكن هذا لا ينطبق في الحياة الواقعية. كان من الممكن أن يموت فرانك ماكينتوش بسبب وذمة دماغية أو نزيف دموي تحت الجافية كما كان يمكن أن يحدث هذا في غضون خمس دقائق من الآن أو يدخل في غيبوبة لمدة خمس سنوات، ولعله كان سيستيقظ أبكر من هذا الوقت، ولكن ليس قبل أن ينهي بيلى مهمته على الأرجح، ومع هذا، لقد فتشه، لكنه لم يجد سلاحاً. مشى بيلى بهدوء إلى الرواق؛ لا بد أن المباراة قد استؤنفت، لأن الحشد كان يهتف مجدداً، وصرخ أحد الرجال من كهف نيك السفلي: «هيا، اطرحه أرضاً. أجل، هذا ما أتحدث عنه».

نزل بيلى الدرج بسرعة متوسطة؛ كان هناك ثلاثة رجال يشاهدون المباراة على شاشة تلفاز ضخمة، كان اثنان منهم يجلسون على كرسيين منفردين، وكان الكرسي المنفرد الثالث - ولعله كان لفرانك - فارغاً، أما نيك فكان يجلس في وسط الأريكة وكان فارغاً ساقه. كان يرتدي بنطالاً قصيراً وضيقاً وصارخاً للغاية، وكان بطنه ظاهراً من سترة نيويورك جاينتس وعليه صحن من الفوشار، وحمل الرجلان الآخران صحنين من الفوشار أيضاً، وهذا كان لصالحه، لأن أيديهما كانت مشغولة، كان بيلى يعرف الرجلين الآخرين، فقد رأى بيلى أحدهما في جناح نيك وفي مكتب دومينو

الرئيسي، لعله كان محاسباً أو رجلاً يعنى بالأموال المالية على الأرجح، لكن بيلى لم يتذكر اسمه تماماً، لعل اسمه كان مايكي أو ميكي أو ربما كان ماركي، أما الآخر فكان أحد رجلي دائرة الأشغال العامة المزيفين، كان اسمه ريغي شيئاً ما على الأرجح.

قال نيك: «لقد استغرقت وقتاً طويلاً»، كان الرجلان الآخران قد شاهدا بيلى، ولكن نيك كان يركز على المباراة، «ضع هذه الأشياء على...».

لاحظ أخيراً ملامح الصدمة على وجهي مرافقيه، فأدار رأسه، ورأى بيلى يقف على بعد درجتين من الأرض المفروشة بالسجاد، إن نظرة الخوف والذهول التي علت وجه نيك أشعرت بيلى بالرضى، لكنها لم تكن كفيلة بالتعويض عن آخر خمسة أشهر من حياة بيلى ولا تقارب ذلك، ولكنها كانت خطوة مهمة في الاتجاه الصحيح.

«بيلى؟»، تطايرت حبات الفوشار من الصحن الذي كان على بطن نيك، ووقعت على السجادة.

«مرحباً يا نيك، لعلك لم تسعد برؤيتي، ولكنني سعيد برؤيتك للغاية».

أشار بمسدس الغلوك إلى المحاسب الذي كان قد رفع يديه بالفعل وسأله: «ما اسمك؟»

«مارك، مارك أبرومويتز».

«انبطح أرضاً يا مارك، وأنت أيضاً يا ريغي، انبطحاً على بطنيكما، وافتحاً ذراعيكما وساقيكما، وكأنكما تحفران ملاكاً على الثلج».

لم يجادلوه، ووضعاً صحنَي الفوشار جانباً - بعناية فائقة - وانبطحاً أرضاً.

قال مارك أبرومويتز: «لدي عائلة».

«ممتاز، التزم بأوامري وستراها مجدداً، هل أنتما مسلحان؟»، لم يكن مضطراً أن يسأل نيك حيث إنه لم يكن هناك مكان لسلاح في الزي الرياضي التافه الذي كان يرتديه، ولا حتى لمسدس يوضع عند الكاحل.

أشاح الرجلان بوجهيهما اللذين كانا يواجهان الأرض.
قال نيك اسم بيلى مجدداً، ولكن ليس بشكل متسائل، بل بغبطة تامة،
إنه يلجأ لخدعة الأصدقاء القدامى، ولكنه لم ينجح في الأمر، ثم سأله: «أين
كنت بحقّ الجحيم؟ لقد حاولت جاهداً أن أتواصل معك».

ما كان بيلى سيجيب على هذا التساؤل التافه حتى ولو لم يكن في مهمة
مستعجلة، كان هناك كرسي رابع وبجانبه صحن نصف ممتلئ بالفوشار.
كان معلق المباراة يقول: «إن أداءهم لم يتراجع مع باركلي كما أن
جونز يترأس اللعبة...».

قال بيلى: «أوقف عمل التلفاز»، إن نيك ملك المنزل والأريكة لذا
بالتأكيد كان جهاز التحكم بحوزته.
«ماذا؟».

«لقد سمعتني، أوقف عمل التلفاز».

بينما كان نيك يوجه جهاز التحكم إلى التلفاز، سُرَّ بيلى عندما رأى
الرعدة التي تملكته يده، فأوقف المباراة ولم يعد هناك سوى هم الأربعة
ولكن الكرسي المنفرد الرابع مع صحن الفوشار الذي كان بجانبه دلّ على
أن هناك رجلاً خامساً.

قال بيلى: «أين هو؟».

«من؟».

أشار بيلى إلى الكرسي الفارغ.

«عليّ أن أشرح لك يا بيلى لماذا تأخرت في التواصل معك، كان هناك
مشكلة من طرفي و...».

«أخرس»، لقد استمتع بيلى بقول هذا وبدعم حاجته كي يتمشى مع
الهراء الذي كان يتفوه به نيك. قال: «مارك؟».

اهتزت ساقا المحاسب، وكأنه تعرّض لصدمة كهربائية.

«أين هو؟».

أجاب مارك بسرعة وهذا كان خياراً حكيماً: «لقد ذهب إلى الحمام». قال ريغي: «اخرس أيها الوغد»، فأطلق بيلي النار على كاحله، ولم يلحظ أنه كان سيقدم على هذا الفعل إلا بعد أن فعله كما أنه لاحظ أن تصويبه ما زال جيداً، ولم يندم على هذه الفعلة كما لم يندم على ضربه لفرانك في المطبخ. كان ريغي متورطاً في عملية التخلص من بيلي سامرز، إذ كانت الخطة تنصّ على وضعه في عربة قسم الأشغال العامة المزيفة وإبعاده عدة أميال عن المدينة ثم إطلاق النار عليه وإغلاق القضية، وعلاوة على ذلك، يجب أن يعرف ثلاثي هذا الكهف التتن من هو المسؤول. صرخ ريغي وتلوّى على ظهره، وحاول أن يمسك بكاحله قائلاً: «أيها الوغد، لقد أطلقت النار علي».

«اخرس أو سأخرسك، جرب حظك إن لم تكن تصدقني»، ومجدّداً وجّه المسدس إلى أبرومويتز الذي كان يراقبه بعينين جاحظتين وقال: «أشر إلى مكان الحمام».

أشار أبرومويتز إلى خلف الأريكة، حيث كانت هناك ثلاث آلات بينبول بجانب الجدار، وكانت أضواؤها تلمع بشدة ولكن كُتِمَت أصواتها بسبب المباراة، وكان خلفها باب خشبي مغلق.

«أخبره أن يخرج من الحمام يا نيك».

«اخرج يا دانا».

أهذا هو رجل نيك المفقود؟ كان دانا شريك ريغي في تمويه دائرة الاشغال العامة، كان رجلاً أصهب صغيراً وتظهر عليه ملامح البلاهة. فكّر بيلي في نفسه: إنه الرجل الذي انتقطني في برج جيرارد، لعله لم يكن الرجل الذي تخلص من كين هوف، ولكن هناك احتمالاً أن يكون هو، إنه إديسون بالطبع حيث على كل شخصية في القصة أن تذكر مرتين على الأقل وهذه كانت قواعد ديكينز وزولا.

لم يخرج من الحمام.

صرخ نيك: «أخرج يا دانا، إن الوضع على ما يرام».

لم تكن هناك إجابة.

سأل بيلى نيك: «هل هو مسلح؟».

«هل تمازحني؟ أعتقد أنني أطلب من أصدقائي أن يتسلحوا عندما

أدعوهم لمشاهدة مباراة؟».

قال بيلى: «أعتقد أننا سنكتشف الأمر، هل يفهم صديقك المنبطحان

على الأرض أنني متمكن من إطلاق النار أو بالأحرى أن هذا هو

اختصاصي؟».

قال نيك وقد خُطف لونه: «إنه يستطيع إطلاق النار باحترافية، لقد تعلم

هذا في الجيش، كان قناصاً».

«سأذهب إلى الحمام، كي أقنع دانا أن يخرج، أعتقد أنك لا تستطيع

الهرب يا ريغي ولكن السيد أبرومويتز يستطيع ذلك، اهرب وسأقتلك وهذا

ينطبق عليك أيضاً يا نيك».

قال نيك: «لن أتحرّك من مكاني، سنحلّ هذا الأمر بشكل سلمي عندما

أشرح لك...».

أخبره بيلى أن يخرس مجدداً، ثم ذهب خلف الأريكة التي كان نيك

يجلس عليها، فكان من السهل أن يطلق بيلى النار على رأسه إن اضطر.

كانت الأريكة تحجب ريغي والمحاسب، ولكن كاحل ريغي كان مصاباً،

ولم يعتقد أن رجل العائلة السيد أبرومويتز سيشكل عقبة. إن عقبة الحالية

كانت دانا إديسون.

وقف بجانب أقرب آلة لعب إلى الباب وقال: «هيا يا دانا، إذا خرجت

فهناك احتمال أن تنجو، أما إذا لم تفعل ذلك، فلن أضمن لك شيئاً».

لم يتلقَ بيلى جواباً كما أنه لم يكن يتوقع أيّ جواب أساساً.

«ها أنا سأدخل».

فكر بيلى في نفسه: وكأني بهذا الغباء، ثم انحنى، وأمسك بمقبض

الباب، وفي اللحظة التي أدار فيها المقبض، أطلق إديسون النار أربع مرات متتالية لدرجة أنه لم يستطع التفريق بينها، كان باباً ضيقاً ولم يكن فيه فتحات، فلم تتطاير منه سوى نشارة الخشب. شعر بيلي بحركة خلفه، ولكنه لم يلتفت إليها، لعل نيك وأبرومويتز يقدمان على الهرب، ولكنهما لن يتجاوزا مجال إديسون لينالا منه كما أنهما لن يفلحا في ذلك مثل الجنديين اللذين حاولا إنقاذ جونني كابس.

كان إديسون يتوقع من بيلي أن يتردد إذا كان على قيد الحياة ولكنه لم يفعل ذلك، وقف أمام الباب المشروخ وأطلق العديد من الرصاصات، وصرخ إديسون من الألم. كان هناك طقطقة ثم - كان هناك أمور غريبة تحدث في الواقع - أنزلت المياه في المرحاض.

رأى بيلي من طرف عينه السيد أبرومويتز وهو يحاول أن يصل إلى الطابق الأول بوثبات تشبه وثبات الغزال، ولم يكن لبيلي أية فكرة لماذا لم يتبع نيك السيد أبرومويتز، ولكن لم يكن لديه وقت كي يتحقق من هذا، فرفع قدمه وركل بقايا الباب قرب المفتاح وتطايرت البقايا وفُتح بسرعة. كان دانا إديسون مستلقياً قرب المرحاض وينزف من رأسه وعنقه، وكان مسدسه الغلوك قرب حوض الاستحمام مع نظارته التي كانت من دون عدستين، لا بد أنه قد أنزل مياه المرحاض وهو يسقط أرضاً. رفع عينيه كي ينظر إلى بيلي وقال:

«طب... يب».

نظر بيلي إلى الدم الذي كان يسيل في الحمام؛ ما من طبيب سيستطيع إنقاذ دانا، لقد حفر دانا قبره بيديه، انحنى بيلي فوقه ومعه المسدس وسأله: «هل تتذكر آخر شيء قلته لي عندما أتيت إلى مكتبي في برج جيرارد؟».

نفخ إديسون بصوت أجشّ ولفظ دماً نتيجة هذا التصرف.

«إنني أتذكر تماماً»، صوّب بيلي فوهة مسدس الغلوك إلى جبهة إديسون وقال: «قلت لي: لا تفوت الهدف»، وضغط على الزناد.

عندما خرج من الحمام، وجد ريغي جاثياً على ركبتيه، واستطاع بييلي أن يرى أعلى رأسه، ورأى أيضاً أنه يستلّ مسدساً فضئلاً لا بد أنه كان مخفياً تحت إحدى الوسائد، ولم يكن نيك غير مسلّح كما ادّعى، فأطلق بييلي النار على ظهر الأريكة قبل أن يتحرك ريغي، حينئذٍ قفز إلى الأريكة بثلاث وثبات كي يتحقق من الوضع؛ كان ريغي مستلقياً على ظهره، والمسدس بجانب إحدى ذراعيه الممدودتين، وكانت عيناه مفتوحتين وبدأتا تشحبان. ففكر بييلي في نفسه: كان يجدر بك أن تكتفي بكاحلك المصاب حيث كان الأطباء يستطيعون معالجتك.

وقع شيء في كهف الرجال، وتطايير الزجاج، وسُمعت شتائم باللغة الألبانية - اللعنة على حظي العاثر - فأسرع بييلي صوب مصدر الصوت محني الظهر، كانت المصابيح خلف التلفاز مطفأة ولكن بييلي استطاع أن يرى نيك بين الظلال حيث كان يوليه ظهره كما كان يضغط أزراراً على لوحة مفاتيح بجانب باب فولاذي.

كانت هناك طاولة بلياردو في الغرفة الملاصقة، وبعض آلات القمار العريقة، ولوح دوار كان بجانبه كسرات من الزجاج وتفوح منه رائحة الويسكي.

ضغط نيك على الأزرار بإلحاح كما استمرّ في الشتم باللغة الألبانية أو أي لغة تعلّمها في طفولته ونسي تفاصيلها، ولن يتوقّف إلى أن أمره بييلي بذلك، وطلب منه أن ينظر إليه.

فعل نيك ما أملاه عليه بييلي، وبدا مثل رجل موشك على الموت وكان هذا صحيحاً، ولكنه كان يتسم قليلاً - كانت ابتسامته، لا شك في أنها كانت ابتسامته - ثم قال: «لقد ذهبْتُ في الاتجاه الخطأ، كان عليّ أن أصعد على الدرج مثل مارك ولكن...»، ثم رفع كتفيه.

قال بيلى: «هل هذه خزنتك؟».

«أجل وهل تعلم شيئاً؟ لقد نسيت رمزها السري»، ثم أشاح بوجهه وقال: «كلا هذا هراء، لقد غيرت الرمز ونسيته، كان من أربعة أرقام، وكل ما أتذكره هو أن ثاني رقم كان الرقم اثنين».

سأل بيلى: «وماذا الآن؟».

قال نيك: «6247»، وضحك بالفعل.

أوماً بيلى برأسه وقال: «إن هذا يحدث مع أفضلنا كما يحدث مع بقيتنا».

عاينه نيك، ومسح شفته التي كانت تلمع بسبب البصاق ثم قال: «إنك تبدو مختلفاً قلباً وقالباً، لم تكن يوماً بالغباء الذي أظهرته، أليس كذلك؟ أخبرني جورجيو بهذا، ولكنني لم أصدق».

قال بيلى: «قبل أن تأمر بقتله؟».

اتسعت عينا نيك، وارتسمت ملامح الدهشة على وجهه والتي بدت صادقة.

«لم يمت جورجيو، إنه في البرازيل»، عاين وجه بيلى وأردف قائلاً: «أنت لا تصدقني أليس كذلك؟».

«كيف لي أن أصدقك بعد كل ما فعلته؟».

رفع نيك كتفيه وكأنه يوافق الرأي وقال: «هل أستطيع الجلوس؟ إن ساقبي ضعيفتان».

أشار بيلى بفوهة مسدسه إلى أحد كراسي المشاهدين التي تحيط بطاولة البلياردو، فمشى نيك بترنح إلى الكرسي الذي كان في الوسط وجلس عليه، ثم مد يده وأثار المصابيح الثلاثة التي كانت فوق الطاولة.

«لم يكن عليّ أن أقبل بذاك العرض ولكن كمية المال... أعمتني».

أدرك بيلى أن معه متسع من الوقت، ولكن من الخطأ أن ينساق وراء هذا الأمر، ولكنه كان سيفعل ذلك في جميع الأحوال لأنه كان يريد أجوبة،

كان المال شيئاً ثانوياً ومن الصعب الحصول عليه؛ لا يعثر رجل العصابات على جبل من المال في الخزانة إلا في الأفلام، إذ إن الحسابات المالية أصبحت على الحاسوب في هذه الأيام، ومن النادر أن توجد نقود ورقية؛ لقد أصبح المال شعباً.

«يعاني بيغز من مرض في الكبد، كنت ستظن أن قلبه يعاني من مشكلة بسبب وزنه، ولكن تبين أن المشكلة في كبده، إنه يحتاج إلى عملية زرع، وقال له الأطباء إن الأمر مستحيل إذا لم يخسر بعض الوزن، أي قرابة المئتي باوند، وإن لم يفعل ذلك فسيموت في غرفة العمليات، ولذلك ذهب إلى البرازيل».

«هل ذهب ليلتحق بعيادة لتخفيض الوزن؟».

«ذهب إلى عيادة مختصة لا يمكنه إلغاء تسجيله فيها إلا إذا وصل إلى الوزن المحدد، حيث أيقن أن هذه هي الطريقة الوحيدة لفعل ذلك، وإلا كان سيستسلم ويأكل شطيرة دسمة مع الجبنة».

بدأ بيلي بتصديق الأمر، وكان نيك يتحدث عن جورجيو بالفعل المضارع، ولم يخطئ مرة. هناك أشياء غريبة، ولكنها واقعية مثلما رحض إديسون مياه المرحاض وهو يسقط.

لا بد أن ارتياد جورجيو بيغز لعيادة لتخفيض الوزن كان من تلك الأمور.

«عرف جورجيو أنه سيتم التعرّف إليه بعد أن قتلت جويل ألين، إنه يشبه الحوت، ولكنه كان متصالحاً مع الأمر، وقال لي إنها طريقة تضمن عدم اعتقاله سواء أحظي بكبد جديد أم لا، كما أنه أراد التقاعد».

«أحقاً هذا؟»، اعتقد بيلي أن جورجيو من الأشخاص الذين سيموتون وهم على رأس عملهم.

«أجل».

«هل سيقضي أيامه الأخيرة تحت شمس البرازيل؟».

«أتوقع أنه يفضل الأرجنتين».

«بيدو هذا مكلفاً جداً، كم بلغت جائزة تقاعده بعد أن ساهم في توريبي؟».

تردد نيك قليلاً ثم قال: «ثلاثة ملايين».

«ثلاثة ملايين لجورجيو وستة ملايين للتخلص مني؟».

ارتخى نيك في كرسيه، واتسعت عيناه، وكان يقول لنفسه إن فرص خلاصه من هذا المأزق قد انعدمت إذا كان بيلي يعرف هذه التفاصيل، ولعله كان محقاً.

«هل استعصى عليك أن تدفع لي مبلغ المليون والنصف الهزيل الذي تدين به لي؟ كنت أعرف أنك بخيل يا نيك، ولكنني لم أحسبك نصاباً».

«اسمعي يا بيلي، لم تكن س...».

«بالطبع كنتم ستفعلون ذلك، أريد أن أسمعها منك، وإلا سأقتلك على الفور».

قال نيك بصوت معتدل، وقد خانته الدمعة التي سألت على ذقنه الحليق الجميل: «ولكنك ستقتلني في جميع الأحوال».

لم يجبه بيلي.

«حسناً، حسناً، كنا سنقتلك وهذا البند أتى مع الصفقة، كان دانا سيفعل ذلك».

«كنت سأصبح أوزوالد الخاص بك».

«لم تكن هذه فكرتي يا بيلي، قلت للزبون إنك ستقاوم لا محالة، ولكنه أصرّ عليّ، وكما قلت لك لقد أعمانني المال».

كان بمقدور بيلي أن يسأل عن المبلغ الذي تلقاه نيك، ولكن هل كان يريد أن يعلم؟ كلا، وعوضاً عن ذلك سأله: «من هو هذا الزبون؟».

أشار نيك إلى باب الخزانة بدلاً من أن يجيب.

«لديّ بعض المال، ليس بحوزتي مليون ونصف، ولكن لديّ ثمانمئة

ألف دولار على الأقل أو مليوناً، سأعطيك هذا المبلغ وسأعطيك المبلغ المتبقي لاحقاً.

قال بيلي: «أنا أصدّقك تماماً، كما أنني أصدق أننا فزنا في فييتنام، وأن الهبوط على سطح القمر كان مفبركاً». خطر له شيء آخر. «هل كنت تعلم بشأن الحريق؟».

استغرب نيك من تغيير الموضوع وقال: «حريق؟ أي حريق؟». «لم تكن القنبلتان الدخانيتان هما التمويه الوحيد في ذلك اليوم، كان هناك حريق في بلدة ليست ببعيدة عن المكان الذي أطلقت الرصاصة منه؛ كنت أعلم به مسبقاً لأن هوف أخبرني به». «أخبرك هوف بذلك؟ ذلك الأبله؟». «هل أنت متأكد أنك لم تكن تعرف؟».

صدّقه بيلي، ولكنه أراد أن يسمعها منه، لم يكن هذا مهماً فكان قد وصل إلى القاع، ثم كرّر سؤاله: «من كان ذلك الزبون؟». «هل ستقتلني؟».

فكر بيلي في نفسه: عليّ ذلك لأنك تستحق هذا. «من كان ذلك الزبون؟».

وضع نيك يده على جبهته، وأنزلها ببطء كي يمسح عرقه والبصاق الذي تراكم عند شفتيه، وكانت عيناه تقولان إنه قد فقد الأمل الذي كان معدوماً من البداية، ثم قال: «إذا أخبرتك من هو، فهل ستعطيني بعض الوقت كي أصليّ قبل أن تقتلني؟ أم أنك لن تكفي بقتلي بل تريدني أن أتلوى في الجحيم إلى الأبد؟»، وانهمرت دموعه بغزارة.

«يمكنك أن تصلي، ولكن أعطني اسم الزبون أولاً». «روجير كليرك».

اعتقد بيلي في بادئ الأمر أنه يشير إلى محاسب بالإنكليزية، ولكنه

وضّح أن هذه كانت كنيته. كان الاسم مألوفاً، ولكنه لم يربطه بعالم نيك أو بوكي هانسون، هل كان اسماً قرأه في الصحف أو المواقع أو برنامج إذاعي أو تلفزيوني؟ لربما كان في عالم السياسة أو التجارة؟ لم يكن ليبي اهتمام بالمجالين في كل الأحوال.

قال نيك: «من وورلد وايد إنترتينمنت، لا بأس إن لم تتعرف إليها، فهي واحدة من أضخم أربع شركات إعلامية في العالم». حاول نيك أن يبتسم - وكان أشبه برجل على فراش موته - ولكن يبلي بالكاد لاحظ ذلك، كان يسترجع شريط ذكرياته، ووصل إلى بدايته تقريباً حين تعرف إلى كين هوف الذي لا يتطّلع إلى التقاعد في جنوب إفريقيا. «أخبرني».

أخبره نيك ما أراد معرفته وذهل يبلي - بل أصيب بالذعر منها - لدرجة أنه فقد الإحساس بالوقت، ولم يتذكر أن ليس كل من في التواء الصخري قد قضي عليه إلى أن سمع عويلاً من الطابق العلوي، كان هذا صوتاً لن يصدر سوى عن أمّ وجدت ابنها فاقداً للوعي وعلى وشك أن يموت، أو أنه مات بالفعل.

طرح يبلي على نيك سؤالاً مجازياً: «هل تريد أن تعيش يا نيك؟». «أجل، أجل، إذا سمحت لي، سأحرص على أن أعطيك مالك كاملاً؛ إن هذا كلام قاطع»، كانت دموعه قد توقفت وهو يروي قصته، ولكنها عاودت الانهمار حين تأمل باحتمال النجاة.

لم يكن ليبي أي اهتمام في وعود نيك إن كانت كلاماً قاطعاً أم لا، وأشار إلى الباب الفولاذي غير المزين قرب الخزانة، ثم سمع عويلاً آخر في الطابق العلوي مرفقاً بعبارة: ساعدوني، فليساعديني أحد. «هل هناك أسلحة هنا؟».

لم يعد نيك هو المسؤول هنا أو المضيف المسؤول الذي استقبل يبلي بالأحضان منذ خمسة أشهر، كما أنه لم يعد شارب الشامبانيا الذي أراد أن

يساعد بيلي في هروبه، كان قد جُرِّد من تلك الألقاب وكان يسعى إلى أبسط غرائز الإنسانية ألا وهي النجاة، فاعتبر بيلي تعابير المفاجأة التي ارتسمت على وجهه صادقة، وقال: «في الخزانة؟ لِمَ سأضع أسلحة في الخزانة؟».

«ادخل إلى هناك، وأغلق الباب، وراقب ساعتك، ثم انتظر لمدة ساعة، إذا خرجت قبل ساعة فساكون قد ذهبت أو ساكون موجوداً هنا». فكّر بيلي في نفسه: وكأنني بهذا الغباء، ثم قال: «إن كنت هنا فساقتلك».

«لن أخرج، لن أخرج. وبخصوص المال...».

«سأتواصل معك بشأنه».

فكّر بيلي في نفسه: ربما ستتواصل، وربما لم أعد أريد أيّاً منه نظراً لما جنيته ولصالح مَنْ عملت، كان عدم المعرفة عذراً لا بأس به حينها، ولكنه لم يكن كافياً.

«تواصل مع صائدي الجوائز، وأخبرهم أنه حدث تبادل لإطلاق النار هنا وقُتِلت خلاله، وإذا اكتشفت أن هناك أحداً يلاحقني فتأمل أن يقتلني وإذا فشل في هذا، فساعود وأقتلك، وقل لكليك الكلام نفسه. سأسأله وإن كان كلامه مناقضاً فساعود وأقتلك، هل تفهمني؟».

«أجل، أجل».

أشار بيلي إلى ناحية التلفاز من كهف الرجال هذا وقال: «ونظف هذه الفوضى وأخفها، هل تفهمني؟».

سُمِعَ صوت من الأعلى يقول: ساعدوني، إنه لا يستيقظ.

«هل تفهمني؟».

«أجل. ما الذي تخطّط له...؟».

«ادخل إلى هناك».

لم يعانِ نيك مع الرمز هذه المرة، كان الباب محكم الإغلاق كقفل سفينة فضائية حيث سمع صوت: ووش عندما فتح، دخل نيك، ورمق بيلي بنظرة أخيرة كانت دليلاً على أنه لم يعد في موضع سيطرة ولعلّ هذا كان

انتقاماً كافياً.

سيكون هذا انتقاماً كافياً إذا دامت تلك النظرة، ولكن يبلي على ثقة تامة بأنها لن تدوم.

قال يبلي: «كن شريفاً ولو لمرة واحدة في حياتك».

أغلق نيك الباب، وصدر صوت عالٍ حين أقفل الباب مجدداً، كان هناك كيس قماش مليء بكرات البلياردو، وكان معلقاً بمسمار بجانب الكراسي. تناولها ورماها على الجانب الأخضر من طاولة البلياردو، ثم تناول مسدس إديسون الغلوك من الحمام، ومسدس نيك الخفي الذي كان قرب ذراع ريغي الميت، ووضع كلا المسدسين في الكيس، ثم فتش جيبي سروال ريغي، وكانت هذه مهمة غير محبذة، ولكنه لم يرد أن يرحل بالعربة ذات المحرك الضعيف.

وجد مفاتيح سيارة ريغي.

كان يبلي قد وضع مسدسه الغلوك الخاص في جيبه الأمامي، فأخرجه وهو يصعد الدرج، واستطاع أن يسمع أم فرانك -التي بدأ يبلي يشعر أنها زوجة «المبيد»- وهي تتكلم عبر الهاتف.

«أجل، أنا في بيت نيك أيها المغفل، لم عساي أتصل بك بدلاً من المستشفى؟».

تسلل يبلي من الرواق إلى المطبخ، ولم يستطع أن يرى مارج الملقبة بأم إلفيس، ولكنه رأى ظلها وهو يروح جيئةً وذهاباً وظل سلك الهاتف الأرضي، كما استطاع أن يرى بندقية موسييرغ على الأرض قرب قدمي فرانك ماكتوش المتباعدتين.

لا بد أنها البندقية التي كان يضعها الحارس سال على كتفه.

فكر يبلي في نفسه: كان عليّ أن آخذها حين تسنى لي الأمر.

«تعال إلى هنا بسرعة، إنه بالكاد يتنفس».

جثا بيلى على ركبتيه، وفتح ذراعيه. لقد استخدمت منشفة كي تمسح الدم عن مؤخرة رأس فرانك وتركتها هناك. سحب بيلى البندقية من زنادها وشدها إلى جهته ببطء وتأمل ألا تسمعه وتستدير، إذ إنه لم يرد أن يؤذي مارج أكثر.

شعر بفوهة باردة مفاجئة تدغدغ رأسه وعرف أنه نيك، لا بد أنه كان لديه مسدس في الخزنة، خرج وصعد على الدرج وكان يوجه المسدس الآن على مؤخرة رأس بيلى، أدار بيلى وجهه، وسمع طقطقة رقبتة، وكان واثقاً من كون هذا آخر صوت يسمعه في حياته؛ لم يكن هناك أحد.

وقف على ساقيه، وطققت ركبتاه، فسمعتة أم فرانك وتجاوزت الثلاثة - لم تكن بكبر شاشة التلفاز ولكنها لم تكن تقل عنها بكثير - وحدقت إليه؛ كان على وجهها كدمة كبيرة، ففكر بأليس مجدداً، ما زالت مارج تمسك بالهاتف، ولكن السلك وصل إلى نهايته، وأصبح أملس. زمجرت فأشار بيلى بمسدسه الغلوك إلى جسد ابنها الهامد ثم رفع المسدس إلى شفتيه وقال: «هششش».

لم تتغير تعابير وجهها، ولكنها أومأت برأسها.
غادر بيلى، ومر بالرواق في طريقه إلى الباب الأمامي.

6

كان شعار السيارة رباعية الدفع المركونة على الطريق المسفلت يماثل الشعار المرسوم على المفتاح الذي أخذه من ريغي، كان الشعار عبارة عن ثلاثة جواهر، وعندما دخل السيارة، كانت تفوح منها رائحة السيارات الجديدة على الرغم من رائحة الدخان المنبعثة من سجاير مالکها السابق، وكان هناك منفضة من الألمنيوم مليئة بأعقاب السجاير، فأخفض بيلى النافذة وأفرغها، وأضاف شيئاً آخر لنيك كي ينظفه.

خرجت مارج من الباب، وكانت تشبه شبح الموت في ظل الشمس الساطعة، وقالت: «إذا مات ابني فسأعثر عليك»، ثم صرخت بصوتٍ عالٍ مضيئةً: «إذا مات ابني فسألحق بك إلى نهاية الأرض».

فكر بيلى في نفسه: لا بد أنها ستفعل ذلك. إن فرانك نال ما يستحقه وأنت أيضاً يا سيدتي.

لم تتسنَّ له فرصة أن يري نيك الشعار الذي كان على سترته، ولكنه أظهره لها.

مرّ بجثة سال، واتجه نحو البوابة المفتوحة، وعندما انطلق عبر الطريق رقم 45، اتصل بأليس، وأخبرها أنه على ما يرام، وكان هذا صحيحاً على الرغم من غرابة الموقف والصعوبات التي أحقت به.

كان جرحه الوحيد عبارة عن خدش من منشفة مارج. قالت أليس: «حمداً لله. هل أنت...؟ هل قمت...؟».

«سأصل في غضون ساعتين، وربما أقل لأنني حدثت سيارتي، أنا أقود الآن سيارة رباعية الدفع من نوع ميتسوبيشي. أريد منك أن تحزمي الأمتعة، فسنگادر مباشرة. سأخبرك بكل شيء على الطريق».

لن يخفي عنها شيئاً، إنها تستحق أن تعرف كل ما جرى وخصوصاً إذا كان سيطلب مساعدتها في باقي الأمور. لم يتخذ قراراً بخصوص هذا الموضوع كما أن تفاصيل الخطة كانت مبهمه، ولكنه يميل إلى ذلك الاتجاه، كان هذا قرارها، ولكن كانت هناك أسباب ويريد مساعدتها في الباقي، كما أنه يعتقد أنها ستعرفها.

«هل سنعود... إلى منزل صديقك؟».

«دعيني أقل لك الخيارات، يمكنك أن تبقي هناك كما يمكنك أن ترافقيني إلى الشرق كي ننتهي من هذا العمل، هذا قرارك».

أجابت على الفور: «سأتي معك».

«لا تقرري الآن، انتظري كي تعلمي مكان وسبب ذهابي».

أنهى الاتصال، وكان أمامه وادي لاس فيغاس الضبابي الذي سُرَّ لأنه سيغادره، كان الشعار المتعلق بفيغاس الذي لم يستطع أن يظهره لفرانك ولكنه أظهره لأمه: إذا أردت أن تلعب فعليك أن تدفع الثمن، كان هناك شخص آخر يجب أن يدفع الثمن ألا وهو روجير كليرك. كان هذا رجلاً سيئاً للغاية.

مكتبة ياسمين

t.me/yasmeenbook

الفصل الحادي والعشرون

1

عندما وصل، وجد أليس تقف في المكان الذي ركن فيه العربة القديمة، فعانقته بشدة حالما خرج من السيارة، ولم يتردد للحظة واحدة وعانقها بالطريقة نفسها. عندما اكتفيا من إظهار المشاعر، كان مذهولاً وحزيناً بسؤالها الأول لأنه كان موجهاً من امرأة يافعة بُرمج عقلها على الحياة الخارجة عن العدالة.

«هل هذه السيارة آمنة؟ أئن يتم توقيفنا من قبل الشرطة إذا قدناها؟». «إنها آمنة حيث إن نظام تعقب المواقع ألغى تفعيله بالفعل ولست متفاجئاً بهذا»، كما أن مالكها ميت، ولن يتصل نيك بالشرطة لأنه سيضطر أن يشرح الكثير، كما أن بيلى أصبح لديه معلومات تدينه هو وزبونه. «وضبتُ جميع الأغراض، لم يكن هناك الكثير».

«حسناً، هيا بنا، يمكنك أن تحجزني في نزل في ويندوفر في طريقنا إلى هناك، إنها تقع على خط ولاية يوتاه تماماً».

عابت أليس أمتعتهما الحالية وقالت: «لست متأكدة من أن الأماكن التي مكثنا فيها كان لديها مواقع على الإنترنت، ربما سيكون هناك مواقع ولكن...».

«احجزني لنا في فندق تابع لسلسلة ما، لا يزال اسم دالتون سميث نظيفاً كما أن الضغط قد خفت، لن يبحث عنا أحد في الوقت الحالي».

«هل أنت متأكد؟».

فكر بيلى في الأمر، وقرر أنه كان متأكداً. كان آخر شيء قاله لنيك: كن شريفاً ولو لمرة واحدة في حياتك، واعتقد أن نيك الذي كان متأكداً

من أنه سيموت في كهف الرجال ذلك سيفعل ذلك، وإن لفترة قصيرة، كما كان هناك شيء آخر أيضاً، إذا نجح بيلى في الوصول إلى كليرك، فستنتهي مهمة نيك ماغاريان، وسيفلت بجائزة الملايين الستة على الأرجح ويضعها في أحد حساباته.

وفي هذه الأثناء، كانت أليس تنظر إليه وتنتظره.

«أنا متأكد، هيا بنا».

2

كانت هذه قصة طويلة، ولكن الرحلة إلى ويندوفر كانت ستستغرق خمس ساعات، وهذا وقت كافٍ ليسرد بيلى لأليس القصة بتفاصيلها وتحليله لها، ولكنه شحن هاتفه المحمول، وبحث عن روجير كليرك قبل أن ينطلقا؛ كانت سيرته الذاتية تفيد أنه ولد في العام 1954 أي إنه يبلغ خمسة وستين عاماً من عمره، ولكن الصورة المرافقة لسيرته أظهرته أكبر من هذا بعشر سنوات على الأقل، حيث إنه بدا شاحب اللون، وأصلع، ووجهه مليئاً بالتجاعيد ومترهلاً، وكانت عيناه تشبهان لؤلؤتين تعيشان في حجرتين جاحظتين؛ كان هذا وجهاً سموحاً يدل أنه قد عاش أياماً شاقة.

قال بيلى وهو يسلمها الهاتف المحمول: «هذا هو العقل المدبر لهذه المسرحية اللعينة».

كتبت معلومات على الهاتف المحمول بينما كان بيلى ينطلق باتجاه الطريق 15، وانحنت فوق الهاتف المحمول وهي تزيع شعرها عن وجهها بتوتر قائلة: «يا إلهي، إن ويكيبيديا تبين أنه يملك العالم، إعلامياً على الأقل». فكر بيلى مجدداً في لقائه الأول مع كين هوف حيث كانا يجلسان إلى طاولة مظلة خارج مقهى صنسبوت التي كانت مقابل المبنى الذي سيطلق منه بيلى الرصاصة، وكان هوف يحتسي النبيذ وبيلى يشرب صودا للحمية، كانت هناك طاقة تشع من هوف، كما كانت عقليته تشبه طاقته وكأنهما توأم،

لطالما أوقعته عقليته في مشاكل، وكانت ستراكم عليه مشاكل جديدة، كما كان جوهر حياته الذي تلقاه في طفولته على الأرجح هو أنه نجم فيلم اسمه حياة كين هوف الرائعة ومهما ساءت الأمور، كان كين يربح الفتاة والساعة الذهبية وكل شيء.

«صحف ومواقع وأستوديو أفلام وموقعان للبت...».

قال بيلي: «ولا تنسي خدمات التلفاز ومن ضمنها القناة السادسة في ريد بلاف التي كانت المحطة الوحيدة التي حصلت على مقاطع فيديو لجريمة القتل أمام المحكمة».

«هل تفكر في...».

«أجل».

قالت أليس بصوت ناعم: «اللعنة».

إنني أمر في ضائقة مالية هذه السنة، ألم يكن هذا ما قاله هوف؟ هناك مشاكل في تدفق المال منذ انخرطت في وورلد وايد إنترتينمنت، ولكن كانت هناك ثلاثة رهانات، كيف لي أن أرفض؟

قالت أليس: «إنه يملك وورلد وايد إنترتينمنت، إنها شبكة، بالإضافة لاثنتي عشرة قناة تلفاز، إن إحدى القنوات هي تلك القناة التي تحب ترامب، يعمل فيها ذلك المعلق التلفزيوني المسعور...».

«عرفت القناة التي تتكلمين عنها».

لقد تابع القناة 24 لوورلد وايد إنترتينمنت كما أن الجميع كان يتابعها، إنها تعرض عبر كل أجهزة تلفاز أبهى الفنادق ومحطات الطيران. كان يقف لبضع دقائق كي يسمع الهراء الذي يتفوه به أحد النقاد اليمينيين، وكان يغادر بعدها أو يضع قناة الأفلام إذا كان بيده جهاز التحكم، ولم يكن يعرف أن لديهم امتيازاً لقنوات التلفاز المحلية، ولم تكن لديه فكرة - في البداية على الأقل - عما كان هوف يتكلم عنه ولم يكثر لذلك، كما أنه لم يظن أن هذا كان أمراً مهماً، وتبين أنه مهم للغاية، كانت هذه هي الطريقة التي انخرط

بها هوف، وكان هذا السبب الذي لم يضطر إثره طاقم القناة السادسة أن يلاحق الحريق في كودي، كما كان هذا السبب الذي أودى بكين هوف في مرأب منزله الخاص.

«هذا هو الرجل الذي أردك أن تقتل جويل ألين؟ هذا الرجل؟ إنه مسنٌ وغني».

فكر بيلي في نفسه: أجل، إنه مسنٌ وغني ومعتاد على أن يكون إمبراطوراً، اعتقد كين هوف أنه كان يمثل في فيلم وحسب، ولكن روجير كليرك كان يمثل في فيلم وكانت هذه حقيقة، إنه الرجل الذي اعتقد أنه يستحق كل شيء، وأن كل شيء يجب أن يحضر له بشكل مثالي، ومن ضمن ذلك مقاطع فيديو لمقتل جويل ألين، وكنت أنا النادل.

«أخبرني ما جرى في التواء الصخري».

أخبرها بيلي بما تريده، ولكنه تغاضى عما قاله له نيك قبل أن يرسله بيلي إلى الخزانة وكأنه ولد معاقب ومحتجز في غرفته. وعندما انتهى من سرد الأحداث قالت: «فعلت ما كان عليك فعله».

هذا صحيح، ولكن هذه كانت شهادة امرأة بالكاد بلغت السن القانونية لشراء الكحول، وكان متأكداً من أن كين هوف كان يعتقد الأمر ذاته. قال: «أجل، ولكن قراراتي الخطأ أوصلتني إلى النقطة التي تطلبت مني هذا».

قالت أليس: «تلك المرأة المسنة»، ثم أشاحت بوجهها متابعة: «إنها رائعة، هل تعتقد أنها ستكون على ما يرام؟».

«إذا مات ابنها فلن تكون على ما يرام».

رمقت بيلي بنظرة سرٌّ لأنه رآها، إن كانت تشعر بالأمان لدرجة أنها غضبت منه فلعلها كانت تخطو اتجاه التعافي.

«ألا تعتقد أنها تتحمل بعض المسؤولية عن العمل الذي كان يقوم به؟ العمل لصالح رجل عصابات؟».

لم يستطع بيلي الإجابة عن هذا.

«أخبرني ما تخفيه عني، أي ما أخبرك إياه رجل العصابات، أخبرني السبب».

وصلا إلى التقاطع الآن، وبدأت الظلال تطول كما أن المباراة بين الجاينتس والكاردينالز كانت توشك على الانتهاء، فاز فريق بينما خسر الآخر، وكان هناك فريق تنظيف في طريقه إلى التواء الصخري، فضبط بيلى مثبت السرعة على السبعين تقريباً.

«كلف نيك جويل ألين بعملية قتل، ولكن نيك كان الوسيط وحسب، كما أنه أخبرني بهذا بنفسه مع أنه قال إنه كان وسيطاً، كان روجير كليرك هو من أمر بعملية القتل ودفع الملايين لصالحها. تقابلا على جزيرة في بيجو ساوند وعقدا الصفقة هناك».

«من كان يريد أن يقتل؟».

«ابنه».

3

قالت أليس: «بيتر، بول، أو شيء من هذا القبيل، كان من المفترض أن يتولى العمل بعد والده».

قال بيلى: «لقد كان باتريك، أتعرفينه؟».

قالت: «نوعاً ما. لأنّ والدتي تشاهد الأخبار 24 ساعة في اليوم». فكر بيلى في نفسه: ليست فقط والدة أليس، ربّما سبعون بالمئة من سكان أميركا هم مدمنو أخبار؛ يشاهدون القنوات الفضائية.

تابعت أليس: «كنت أغانر الغرفة غالب الوقت، فأنا أكره هذا الهراء، لكن الأمر لا يستحق الجدال معها. كانت قصتهم الرئيسية لمدة أسبوع تقريباً، حتى أكثر من ترامب. الآن أعرف لماذا يمتلك كليرك قناة نيوز 24». قال: «صحيح».

قالت: «قالوا إنه كان شيئاً يخصّ العصابات، وأخطأوا بين باتريك

كليرك وشخص آخر».

قال: «لم يكن شيئاً يخصّ العصابات، ولم يحدث خطأ. كانت شقة كليرك في مبنى مُحصّن بكلّ أنواع الأمن، ولا يمكن لأحد رجال العصابات تخطّي حارس البوابة، ناهيك عن دخول المبنى. بالإضافة إلى أنه لم يُسمع صوت إطلاق رصاص. لا بدّ أنّ ألين استخدم بوتيتو باستر».

سألته: «ماذا؟».

أجابها: «كاتم الصوت».

قالت: «كان هناك 24 عنصراً من رجال الشرطة للقبض على الرجل لكنهم لم يستطيعوا، لأنه بحلول ذلك الوقت ربما كان ألين خارج المدينة». وافقها بيلى قائلاً: «بالتأكيد، بعيد فوق التلال، وإن لم يكن قد أطلق النار على الرجلين لأنه خسر كثيراً في البوكر، ربما كان حتى اليوم حياً، وربما حتّى في ذلك الوقت، إذا لم يكن قد عاد إلى لوس أنجلوس وأخطأ بين الكاتبة وبائعة الهوى».

سألته: «لماذا كليرك... ابنه؟ لماذا؟».

أجاب: «لا يسعني إلا أن أخبرك بما قاله لي نيك. ربّما هناك المزيد، لكن لم يكن لديّ الكثير من الوقت».

قالت: «بسبب والدة ذلك الرجل؛ مارج؟».

قال: «نعم، مارج. كنت أعرف أنها ستوجه إلى البوابة الرئيسية، وأنها تعرف الرمز لفتحها، وتركتُ حارس البوابة...».

قالت: «سال».

قال: «صحيح، هو. تركته مع بندقيته. لذلك كان لديّ الوقت فقط لسماع القصة مختصرة».

قالت: «حسناً، أخبرني».

قال: «كان كليرك كبيراً في السن؛ ليس عجوزاً، ولكنه كبير في السن ويعاني من عدّة مشاكل صحيّة. كان بحاجة إلى تسمية خليفة له - لإبقاء

مجلس إدارته سعيداً، على ما أعتقد - وتوقع معظم الناس أنه سيكون باتريك، الابن البكر. لكن باتريك كان يتعاطى المخدرات بكثرة ويقضي وقته في الحفلات، واعتاد أن ينفق راتبه السنوي قبل نهاية نيسان ويأتي إلى والده في الأول من أيار، متسوِّلاً المزيد».

ابتسمت أليس وقالت: «ربّما كان يجب أن يذهب إلى والدته. يمكن أن تكون أكثر لطفاً معه».

قال: «ماتت والدة باتريك جراء جرعة زائدة من الحبوب المخدرة، ربّما كان انتحاراً، وربّما قُتلت. طلق كليرك والدة ابنه الأصغر».

قالت: «ديفين، أعتقد أنّه ظهر على التلفاز أيضاً؛ أدلى ببيان أو شيء من هذا القبيل».

أوما بيلي برأسه وقال: «ما أخبرني به نيك ذكّرني بقصة الجندب والنملة، مع إضافة أب ذكي بما يكفي لمعرفة الفرق. كان باتريك هو الجندب، وديفين، شقيقه الأصغر بأربع سنوات، هو النملة. كان ديفين دؤوباً وذكياً، يواظب على العمل الجاد. دعا كليرك ابنه وأخبرهما بقراره. كان باتريك غاضباً وقلقاً، فبنظره كان هو صاحب الأفكار الرائعة التي طورت ديليو. ديليو. إي. ودفعت بها إلى الأمام ولم يكن شقيقه سوى شخص كسول».

فكر بيلي في العينين الصغيرتين اللئيمتين في الصورة، وتخيل كليرك يقول شيئاً حساساً مثل لقد سرقت معظم أفكارك الرائعة من أصدقائك الممتمين لموسيقى الهيب هوب بينما كنت تتعاطى المخدرات.

لا يهم كيف صاغها، لكنّه دفع ابنه البكر إلى الغضب. يمكن لهذا الغضب أن يكون غضباً عاجزاً كما يحدث في معظم الحالات، لكن روجر كليرك كان لديه نقطة ضعف، وكان باتريك إما على علم بذلك أو أنّه اكتشفها بعد ذلك بوقت قصير.

قال بيلي: «لا أعرف كيف عرف ذلك، لم يخبرني نيك، ربّما لم يكن

يعرف أيضاً. ربّما حصل باتريك على دليل من شخص ما في دائرة أصدقائه الحمقى، أو من نمط حياته، وربّما سمع شيئاً، لكنّه لم يكن غيبياً تماماً، لأنّه استطاع تتبع النقاط إلى منزل صغير معين خارج تيخوانا». قالت: «بيت دعارة».

قال: «ليس تماماً. قال نيك إنه مؤل من قبل كليرك نفسه لاستخدامه الحصري. كان يدفع جزية، الكثير من المال كلّ عام للأخوة فيليكس، الذين يديرون في الأساس كارتل تيخوانا. قد تكون هناك بعض الإغراءات الأخرى أيضاً، غسيل الأموال حسب تخميني، لا يهم. قال نيك إنّ كليرك لم يجلب أصدقاءه أبداً خوفاً من أن ينتشر الخبر».

سألت أليس: «هل كان باتريك يتعامل مع العصابات؟ هل ينقل المخدرات لها؟ هناك مصطلح خاص لهذا الوصف».

أجاب بيلي: «مولينغ. ربّما كان يتعامل معهم».

قالت: «من الممكن أن يكون قد عرف ذلك عن والده من أحد أفراد العصابة».

رّبت بيلي على كتفها، وقال: «هذا جيّد. لن نعرف أبداً على وجه اليقين، لكن هذا منطقي أكثر من فكرة أن يعرف من صديق».

ابتسمت للمجاملة ابتسامة واهنة، واعتقد بيلي أنّها تعرف إلى أين سيصل هذا الحديث. لو كانت فتاة أقلّ ذكاءً، أو فتاة لم تُغتصب مؤخرًا لما عرفت، لكن هذه الفتاة حققت الشرطين.

قال: «كان كليرك يفضّل الفتيات الصغيرات».

سألت: «كم أعمارهنّ؟».

أجاب: «قال نيك ثلاثة عشرة أو أربعة عشرة».

قالت: «يا إلهي».

قال: «ستزداد الأمور سوءاً، هل تريدان أن تسمعي؟».

قالت: «لا، لكن قل لي على أيّ حال».

قال: «كان هناك حالة واحدة - أخبر نيك أنها كانت واحدة فقط - عندما كانت الفتاة أصغر من ذلك بكثير».

قالت: «اثنتا عشرة سنة؟»، كان وجهها يريد تصديق أنه مهما بلغت قذارة هذا العجوز السحلية، فإن هذا هو حدّ فساده.

قال: «وفقاً لكليك، لم يكن عمرها أكثر من عشرة أعوام، وكان لدى باتريك الصور التي تثبت ذلك. ما قاله روجر كليك لنيك في اجتماعهما في تلك الجزيرة هو أنه كان مخموراً جداً ويريد فقط أن يرى كيف كان...». قالت: «يا إلهي».

قال: «الباقى بسيط كسقوط أحجار الدومينو. احتفظ باتريك بالصور على قرص محمول، وأقسم إن الصور لم تكن موجودة في أيّ مكان آخر سوى على هذا القرص، وإنّ الرجل الذي التقط الصور مات ودفن في الصحراء. أخبر والده أنه يريد أن يصبح الرئيس التنفيذي، ويريد أيضاً نقل معظم حقوق التصويت التابعة لوالده، مما سيجعل أيّ اعتراضات قد تكون لدى مجلس الإدارة على المنحى الجديد الذي يريده لـ دبليو. دبليو. إي. بلا معنى. كان يريد نقل شقيقه - كان يناديه بـ «أخي الأحمق»، وفقاً لنيك - إلى مكاتب شيكاغو، وهو ما يبدو وكأنه سيبريا في مجال الإعلام. لقد أراد أن تسري هذه التغييرات اعتباراً من 1 كانون الثاني 2019، وأرادها كلها مكتوبة، وعندها فقط سيسلمه القرص المحمول الذي يحتوي على الصور».

قالت: «كيف يمكن لكليك التأكيد من عدم وجود المزيد من الصور؟». رفع بيلي كتفيه وقال: «ربّما كان هناك. أياً يكن الأمر، ما الخيار الآخر الذي كان لديه؟ لا بد أن باتريك كان على الأقل ذكياً بما يكفي ليعرف أنه إذا ظهرت الصور، فإنّ أسهم الشركة ستتهار بغضّ النظر عمّن كان الرئيس التنفيذي».

فكرت أليس قليلاً ثمّ قالت: «هذا كالدمار المؤكّد المتبادل».

قال: «أعتقد ذلك. ما أعرفه من نيك هو أن كليرك وافق، وبمجرد أن ألقى محاميه خطاباً يعلن فيه عن نيته في التقاعد وتسليم الشركة إلى ابنه الأكبر، وبمجرد نشر هذه الرسالة في محضر الاجتماع، أعطى باتريك القرص لأبيه الذي دمّره. لم يتوقع باتريك أبداً أن يذهب والده إلى نيك ماغاريان ويكلف رجلاً لقتله؛ لم يصل خياله إلى هذا الحد».

قالت: «ليس الجندب والنملة، بل هذا يشبه إحدى مسرحيات شكسبير الدموية».

قال: «مع وفاة باتريك، عندما يتنحى كليرك - نظراً لوضعه الصحي - سيتولى ديفين المسؤولية».

ركن في منطقة الخدمة، لأن الميتسوبيشي بحاجة للوقود، ولأن حلقه جف، وأراد مشروباً بارداً. اختارت أليس بعض المشتريات من رفوف المتجر، واستخدمت الحمام بينما كان بيلي يدفع النقود.

عادت إلى السيارة باكية وقالت: «أنا آسفة»، ثم أخرجت علبة مناديل من كيس مشترياتها الأبيض الصغير، ومسحت أنفها، وحاولت أن تبتسم متابعة: «لكن بينما كنتُ في الحمام، حجزت لنا في فندق رامادا إن في ويندوفر، من المفترض أن يكون لطيفاً».

قال: «جيد، ولا داعي للتأسف».

قالت: «ما زلت أفكر في ذلك الرجل الرهيب مع الطفلة. إنه يستحق الموت».

وافقها بيلي الرأي.

4

بحلول الوقت الذي انتهى فيه - مرة أخرى من نسج ما عرفه من نيك وما استنتجه أثناء قيادته عائداً من التواء الصخري - ظهرت بعض السيارات على الطريق السريع.

قال: «أخبر كليرك نيك أنه يريد أفضل رجل لهذه المهمة، رجل قليل الكلام يقوم بالمهمة، ولا يتحدث عنها بعد ذلك، وقال نيك إنه يعرف الرجل المناسب».

سألته: «أنت؟».

أجابها: «قال إنه فكر بي أولاً، لكنّه كان متأكداً من أنني لن أفعل ذلك لأنّ باتريك كليرك ربّما لم يكن سيئاً بما يكفي ليناسب ضميري. فوكلّ ألين ليقوم بالعمل كتنظيف عادي».

سألته: «هذا ما أسماه تنظيفاً؟».

أجابها: «نعم. الرقم الذي استقروا عليه كان ثمانمئة ألف دولار، يدفع عشرين ألفاً قبل العملية والباقي بعدها؛ طريقة الدفع نفسها التي وُعدت بها، ولكن المبلغ أقل».

أومأت أليس برأسها قائلة: «لم يرد أن يعرف ألين من هو وبماذا تورّط؟».

قال: «بالتأكيد. شعر نيك بالرضا حيال ذلك، لأنّ ألين كان ما كنت أتخيله دائماً، مجرّد ميكانيكي يقوم بإصلاح المشاكل بمسدس بدلاً من مفاتيح الربط والحواسيب. أعطى ألين صوراً لمبنى شقة باتريك، وصوراً للشقة نفسها، ورمز مدخل الخدمة، وبدل السيارة بعد الانتهاء من المهمة. فعل أيّ شيء قد يحتاج إليه للقيام بالمهمة بسرعة ونظافة»، سكت بيلي لبرهة ثمّ تابع: «لم يخبرني نيك بكلّ ذلك، لكن سبق لي أن عملت مع نيك، كنت أعرف الترتيبات؛ ما لم يقله ألين هو السبب، وألين لم يسأل».

قالت: «لكنّه سأل باتريك، أليس كذلك؟ قبل أن يقتله».

فكر بيلي وقال: «ربما، لكن يبدو أنّه غير مرجّح لرجل مثل جويل ألين. من المرجّح أن يقوم بالمهمة فقط، من دون محادثة. سيصوّب وسيطلق النار فقط».

قالت: «ربّما عرض عليه باتريك القرص... إلا أنّه لم يستطع، أليس كذلك؟ لم يكن لديه. اعتقد أنّه كان حزناً الآن في منزله بعد إعلان تعيينه رئيساً لمجلس الإدارة».

قال: «نيك لا يعرف ما حدث، ولا يستطيع ألين أن يخبرنا كيف اكتشف قضية روجر كليرك والطفلة في تيوخوانا، لكن لديّ فكرة، ربّما طُلب من ألين أن يجعل الأمر يبدو وكأنّه سرقة، وربّما قام بذلك أحد زملائه الذين التقوا باتريك عن طريق تجارة المخدرات في لوس أنجلوس، وقيل له أن يأخذ أيّ أموال أو مجوهرات وجدها. كان من المفترض أن يتخلص من المجوهرات والساعات وسلاسل الذهب وكلّ شيء من هذا القبيل، لكن يمكنه الاحتفاظ بالمال كمكافأة صغيرة. لذلك بعد أن قتل باتريك فتش المكان وربّما وجد صورة كان قد احتفظ بها باتريك في الخزانة، وربّما أكثر من واحدة؛ واحدة على الأقل تظهر وجه والده اللطيف بشكل واضح بينما كان ... يفعل ما كان يفعله. هل هذا منطقي؟».

أومأت أليس بقوة كافية لتجعل شعرها يهتزّ وقالت: «أراهن أنّ الأمر حدث بهذه الطريقة تماماً. حتّى لو كانت الصورة أو الصور في مكان آمن، فمن الممكن أن يتم الجمع بين ألين وبقية معلومات الخلفية الخاصة به. هل كان سيتعرّف حقاً على الرجل الذي في الصورة؟».

بناءً على ما يعرفه بيلى عن جويل ألين، لا يظنّ أنّه من النوع الذي شاهد وورلد وايد أنترتينت أو قرأ تقرير بلومبرغ.

قال بيلى: «ربّما ليس في البداية، لكن لن يستغرق وقتاً طويلاً لمعرفة ذلك. كانت بعض عمليات البحث على غوغل ستظهر له أنّه قتل ابن ملياردير صادف أنّه كان يمارس الجنس مع الأطفال».

أصبحت أليس مهتمة بهذا الأمر تماماً الآن، وفكّر بيلى مرّة أخرى أن إدارة الأعمال في ريد بلاف كانت ستضيق الكثير من الإمكانيات.

ومدرسة تصفيف الشعر؟ انس ذلك.

قالت: «إذاً، هذا القاتل المأجور، الميكانيكي، عامل النظافة، كان لديه شيان يستحقان المال - أن الأب كان بالتأكيد هو الشخص الذي دفع لقتل الابن، وأنه قام باغتصاب طفلة، لأنه أراد فقط أن يرى كيف كان الأمر».

قال بيلي: «أشك في أنه حاول تحويل ما يعرفه إلى نقود، على الرغم من أنه قد يكون فعل ذلك في النهاية، فهو يعرف أن ابتزاز شخص غني وقوي كروجر كليرك سيكون مخاطرة هائلة. أعتقد أنه احتفظ بها كبطاقة رابحة، والتي كان عليه في النهاية أن يلعبها ليس من أجل المال ولكن بسبب غبائه».

فكر بيلي في نفسه: غباء مزدوج، إذا أخذنا بالحسبان السيدة الكاتبة. قالت أليس: «كأنه أراد أن يُقبض عليه، فبعض القتلة يفعلون ذلك». ردّدت ما قالته، ووضعت يدها على معصمه قائلة: «أعني الأشخاص الذين ليس لديهم وازع أخلاقي».

تساءل بيلي: هل هذا ما تسمونه؟

قال: «أشك في أن ألين أراد أن يُقبض عليه، وإذا كان قادراً على معرفة ما الذي جعل هذه الصورة سلعة ثمينة، أعتقد أنه لم يكن غيباً تماماً أيضاً». قالت: «إذا لم يكن غيباً تماماً، فلماذا قتل هذا الرجل بسبب لعبة البوكر؟ ولماذا هاجم تلك المرأة في لوس أنجلوس؟».

حسناً، يعتقد بيلي أن ألين ظن أن رجل لعبة البوكر كان يغش، أما السيدة الكاتبة رشتة بالفلفل، لكن أياً من هذين الأمرين لا يصلح لجوهر سؤال أليس.

قال: «تخميني؟ غطرسة بسيطة. هل تريدان التوقف في مكان ما لتناول العشاء؟».

هزّت رأسها وقالت: «دعنا نقد مباشرة ونأكل عندما نصل إلى هناك. أريد أن أسمع باقي القصة».

شعر يبلي بمزيد من الثقة بشأن هذا الجزء على الرغم من أنه لا يزال في الغالب مجرد تخمين. بعد إلقاء القبض على ألين بتهمة الاعتداء ومحاولة الاغتصاب في لوس أنجلوس، لا بدّ أنه أدرك على الفور أنه ستقام الرابطة التي ستصله بجريمة القتل ومحاولة القتل شرقاً في ريد بلاف. كانت هناك تجارة نشطة للهواتف المحمولة في سجن المقاطعة، ومعظمها هواتف مؤقتة، إضافة إلى وجود وسطاء.

وصل ألين إلى وسيط يدعى نيك، وقال له إذا كان عليه العودة إلى ريد بلاف والخضوع لمحاكمة بتهمة قتل تكون عقوبتها الإعدام، فمن المحتمل أن يقضي رجل ثري جداً، الحرفان الأولان من اسمه آر. كيه. ما تبقى من حياته في السجن، وربما سيتعرض للمضايقات مثل هارفي واينستين⁽¹⁾، وأنه إذا حدث أي شيء له في سجن لوس أنجلوس، فسيندم آر. كيه. ندماً شديداً. قال: «تواصل نيك مع روجر كليرك. عيّن كليرك - من المؤكد تقريباً من خلال وسيط - محامياً بارعاً للدفاع عنه. عقد نيك وكليرك اجتماعاً آخر في تلك الجزيرة، ووضعوا عدداً من السيناريوهات المحتملة. إذا كان الأمر كذلك، لكان قد أخبرهم بما ربّما يعرفه نيك بالفعل، بأنه يمكنه إنهاء المفاوضات، لكن في النهاية سيوضع ألين على متن طائرة وتعاد محاكمته، لأنّ القتل من الدرجة الأولى يتفوق على الاعتداء المشدّد».

قالت: «عندها استعان بك نيك ماغاريان».

قال: «نعم، في ذلك الحين لأطلق الرصاصة الأخيرة. بحلول ذلك الوقت، كان ألين بعيداً عن السجن العام لأنه تعرض لهجوم مُدبر على ما أعتقد؛ ربّما كانت فكرته، أو فكرة محاميه. في كلتا الحالتين، انتهى به الأمر في الحصول على سجن انفرادي بينما كانت عملية التفاوض مستمرة. كان

(1) هو منتج أفلام أميركي سابق ومُدان بجريمة جنسية.

يجتمع بانتظام مع المحامي البارع ذي الأجر العالي، والذي أخبره أن كل شيء تحت السيطرة، أو قد يكون، بمجرد عودته إلى الشرق، إما أن يتم ترتيب هروبه بهوية جديدة تماماً، أو تسوية الأمور، ورشوة بعض الشهود، وإخفاء بعض الأدلة الرئيسية، وبذلك سيحرر ألين نفسه.

قالت: «ولم يكن لديه سبب للشك في ذلك».

هزّ بيلي رأسه وقال: «الرجال مثل ألين يشككون في كل شيء، ولكن لم يكن لديه خيار آخر».

سألت: «ماذا عن الصورة؟ أو الصور؟ بطاقته الراححة؟».

أجاب: «أعتقد أن كلاً من نيك وكليك كان لديهما أشخاص يبحثون في الوقت الذي كانت فيه عملية التفاوض مستمرة، وأعتقد أنهم عثروا عليها في النهاية. كل ما أعرفه على وجه اليقين هو أنه لم يحضر أي رجال فيدراليين لاعتقال روجر كليك».

قالت أليس: «ربما سنكون أول الحاضرين».

كره بيلي ضمير الجمع، لكنه لم يصحح لها. لديه خطة فقط، وعندما يصبح الأمر أكثر جدية، ربما يمكنه ترك أليس خارج خطته. تذكر بيلي ما قاله بوكي: إنها مغرمة بك، وستتبعك طالما سمحت لها بذلك، وإذا سمحت لها فسوف تدمرها.

6

قالت أليس عندما دخلا فندق ويندوفر رامادا إن عند الساعة التاسعة صباحاً من يوم الأحد: «أوه، انظر، إنه قصر؛ أعني مقارنة بالفنادق الثلاثة الأخيرة».

كانت غرفتهما المتجاورتان بعيدتين كلّ البعد عن الفخامة، لكنهما جميلتان. بدا أن سجادة الردهة قد نُظفت حديثاً بالمكنسة الكهربائية.

سألته: «هل ستمكن من النوم؟».

أجاب: «نعم»، لم يعرف ما إذا كان في الواقع صادقاً في إجابته. نظرت إلى عينيه مباشرة، وقالت: «سأنام معك، إذا أردت». ففكر بيلى في انجذاب روجر كليرك للصغار - في مناسبة واحدة على الأقل كانت الفتاة صغيرة جداً - وهز رأسه قائلاً: «إنه عرض لطيف وأقدره كثيراً، ولكن من الأفضل ألا تفعل ذلك». سألته: «هل أنت واثق؟».

كانت تنظر مباشرة إلى عينيه، وهل أغراه ذلك؟ بالطبع نعم. أجابها: «شكراً لك يا أليس، لكن لا. هل ستمكنين من النوم؟». سألته: «هل سنعود إلى بوكي غداً؟». أجابها: «نعم، من المفترض».

قالت: «حسناً، سأكون قادرة على النوم. أنا أحبه، فهو، كما تعلم، آمن». لم يكن بيلى متأكداً إن كانت ستشعر بالشعور نفسه إذا عرفت حتى نصف الصفقات التي شارك بها المر «بوكي» هانسون على مر السنوات، لكنه يفهم ما تعنيه ويعتقد أنها محقة؛ لقد نشأ رابط بينها وبين بوكي. قبلها للمرة الأولى على طرف فمها وقال: «ليلة سعيدة».

قالت: «تصبح على خير. أوه، خذ»، أعطته كيس المشتريات الأبيض وقالت: «زيت الأطفال ومناديل. نظف أكبر قدر ممكن من تلك المادة اللزجة، ثم استحم. لن تستطيع تنظيفها بالكامل، ولكن يمكنك تنظيف معظمها».

اتجهت إلى الباب، واستخدمت بطاقة فتح باب غرفتها، ثم عادت وقالت: «واترك بقشيشاً جيداً، لأنّ مزيداً من المادة سيخرج وستلوث الملاءات».

لم يفكر في ذلك، على الرغم من أنه ربّما كان سيفكر في ذلك غداً، عندما ينظر إلى السرير. قال: «حسناً».

دخلت ثم نظرت إليه من فوق كتفها وجهها مهيب ولكنه هادئ،

وقالت: «أحبك».

لم يفكر بيلى في الكذب حتى، فأخبرها أنه يحبها أيضاً، ثم توجه إلى غرفته.

7

اتصل بنيك؛ لم يكن متأكداً من أن نيك سيجيب، لكنه فعل.
قال نيك: «من المتصل؟»، بعد ذلك، ومن دون انتظار الرد قال: «هل أنت؟».

أجاب بيلى: «هذا أنا، هل تعيد الأمور إلى نصابها الصحيح؟».
قال نيك: «سيكون كل شيء جاهزاً بحلول الغد».
قال بيلى: «لم أقم بتهدئة أي شخص، لم أكن مضطراً إلى ذلك».
صمت نيك ولم يُسمع سوى صوت تنفسه، ثم قال: «أعلم ذلك».
سأل بيلى: «كيف حال فرانك؟».

أجابه نيك: «في المستشفى. اتصلت والدته بمسعفي المفضل. أرسل الدكتور ريفرز سيارة إسعاف خاصة وذهبت معه».
قال بيلى: «إنها امرأة شجاعة».

سأل نيك: «مارج؟ أنت تعرف نصف الحقيقة فقط».
فكر بيلى في نفسه: لو ضربتها على مؤخرة رأسها بمسدس الغلوك ذلك بدلاً من فرانك، فمن المحتمل أنها كانت سترد على الفور.
سأل بيلى: «هل صديقنا السمين لا يزال حياً؟».

أجاب نيك: «لقد كان حياً منذ ساعة عندما اتصلت لأخبره بما حدث. قال إنه كان يجب أن آخذ الموضوع بجديّة أكبر. قلت إنني أعتقد أن أربعة رجال - بالإضافة إلى مارج - كانوا جادين جداً. لماذا تسأل؟».

قال بيلى: «هل ساعد السيد كيه. عندما جاء إلى فيغاس؟ يبدو هذا نوع العمل الذي ستفوضه إليه».

قال نيك كما لو كان يتحدث إلى نفسه: «أنت أذكي بكثير مما كنت أعتقد».

قال بيلي: «أذكي ممّا كان يظنّه أيّ شخص؛ ربّما باستثناء بيغز. هل ساعده أم لا؟».

قال نيك: «هذا صحيح نوعاً ما. كان بيغز مع جودي بلاتر عندما علم أنّ كيه. قادم. كانا يراجعان كتالوغها، ويحاولان العثور على طفلة لتتال إعجابه. كان ليريد اثنتين قبل عشرة أو اثني عشر عاماً، لكن قدرته على التحمّل تراجع. لا يمكن تسميته بالرجل النبيل، لكنه يفضل الشقراوات».

سأل بيلي: «وهل يجب أن يكنّ صغيرات».

قال نيك: «نعم، لكن الفتيات اللواتي ذهب معهن في فيغاس لم يكنّ تحت سن الثامنة عشرة. كانت جودي موجودة منذ فترة طويلة وتدير خدمة مرافقة الفتيات القانونيّة. هذا يعني أنّها لا تستطيع القول إنّ الفتيات يذهبن من أجل الجنس، لكنها ليست مضطرة لذلك؛ الجميع يعلمون؛ لكنها تبتعد عن الفتيات الجذّابات القاصرات كما لو كنّ سمّاً؛ وهنّ كذلك».

انقلبت معدة بيلي عند تفكيره بذلك الضفدع مع فتاة بعمر أليس وقال: «عندما يريد فتاة جذّابة قاصراً، كان يعبر الحدود».

قال نيك: «صحيح».

قال بيلي: «أريد رقم الرجل السمين. هل ستعطيني إياه؟».

قال نيك: «هل ستلاحق السيد كيه؟».

كان بيلي سيفعل، لكنّه لن يقول ذلك حتّى عبر الهاتف المؤقت، معتقداً أنّ نيك يتأكد من نظافة هاتفه الشخصي. ثمّ كرر طلبه فقط للحصول على رقم جورجيو، فأعطاه إياه نيك.

قال بيلي: «هل سيتحدث إليّ؟».

قال نيك: «إذا طلبتُ منه. إذا قلت إنّك ستبقي المكالمة حول العمل. لم يكن ليوافق على هذا أبداً لو لم يكن بحاجة إلى فعل شيء من شأنه

أن يغير طريقة عيشه. إذا كنت تريد إلقاء اللوم على شخص ما، فلمني أنا. لم أكن بحاجة إلى خسارة مئتي رطل حتى يوافق الأطباء على منحي كبداً جديداً. كما أخبرتك، أعمتني الأموال».

ظنّ بيلى أنه أصدق اعتراف يمكن أن يعطيه نيك، وقال: «أخبره أنني سأبقي الحديث حول العمل. جويل ألين أصبح نسياً منسياً».

سأله نيك: «متى يجب أن أخبره أن يتوقع مكالمتك؟».

أجاب بيلى: «ليس الليلة، ربّما ليس في هذه الفترة. متى موعد عملية الزرع؟».

أجاب نيك: «لم يتمّ تحديده، ولن يكون قبل كانون الأول على الأقل. يجب أن يشرب بيغز الكثير من البروتين ويتناول الكثير من اللفت حتى ذلك الوقت».

وضع بيلى رقم الهاتف في محفظة دالتون سميث الخاصة به خلف بطاقات الائتمان وقال: «حسناً، اعتنِ بنفسك يا نيك».

قال نيك: «انتظر».

انتظر بيلى بفضول ما كان سيقوله نيك: «لم يكن الأمر أبداً لأنّ السيد كيه. لم يرد أن يدفع لك المليون والنصف. كان ذلك لأنّه أصر على قتلك بمجرد انتهاء المهمة. قال إنه لن يرتكب الخطأ نفسه الذي ارتكبه مع ألين. فهمت ذلك، أليس كذلك؟».

أجاب بيلى: «نعم. هل لا تزال هويتك إدوارد وودلي فعالة؟ الحساب في بربادوس؟».

أجاب نيك، على الرغم من أنه لم يستخدمه منذ عام 2014 أو 2015 باستثناء عمليات الإيداع والسحب الرمزية: «نعم، تحقّق من ذلك غداً. الحمد لله أنك لم تقتل مارك أبرومويتز. إنه ليس رائعاً، لكن هو ما بقي لي منذ أن ذهب بيغز إلى أميركا اللاتينية. كل ما يمكنني تحويله الآن بأمان هو ثلاثمائة ألف، لكنني سأضع المزيد عندما أستطيع. ستحصل في النهاية

على المليون والنصف».

قال بيلي لنيك عندما أعاد له حياته كن صادقاً ولو لمرة واحدة في حياتك، واللعنة إذا كان الرجل لا يحاول، إنه يحاول وبالطريقة الوحيدة التي يعرفها، المال.

قال نيك: «لن تشكرني، ولست بحاجة إلى ذلك. أنت عامل جيد يا بيلي. لقد أنجزت المهمة».

أنهى بيلي المكالمة من دون أن يقول وداعاً.

8

نظف نفسه بالمناديل المبللة وزيت الأطفال بقدر ما يستطيع، ثم استحم حتى أصبح الماء البني المتدفق في البالوعة صافياً تقريباً، لكنه لا يزال يرى المزيد من البقايا على مناشف الحمام التي استخدمها ليجفف نفسه.

سألته أليس إن كان سيتمكن من النوم فقال نعم، لكنه لم يستطع النوم لفترة طويلة، فهو لم يكف عن التفكير في الوقت الذي أمضاه في التواء الصخري؛ صحيح أن الوقت لم يتعد الساعة وربما أقل، ولكنه يبدو له وكأنه خمس ساعات؛ خاصة التوجه نحو إديسون، والشظايا المتناثرة، والمرحاض.

قال نيك إنه يعتقد أن أربعة رجال كانوا جادّين للغاية، لكن سال حارس البوابة لم يرفع البندقية أبداً عن كتفه، ولم يستدر فرانك أبداً، ولم يكن ريغي يحمل مسدساً، واضطر للذهاب إلى مخبأ الرئيس بدلاً من ذلك. فقط دانا إديسون كان جاداً وأخذ مسدسه معه، ومارج بالطبع، كانت جادة للغاية، ورأت تمويهه على الفور تقريباً.

فكر في ترك بقشيش جيد لعاملة التنظيف، ولذلك ترك عشرين دولاراً. ظلّ يتقلّب على سريره محدقاً في الظلام، وخطرت له فكرة أزعجته؛ لا

يحب ذلك على الإطلاق. لقد ترك صورة شان الخاصة بالفلامنغو فريدي - المعروف أيضاً باسم الفلامنغو ديف - في تلك العربة القديمة. كان لديه الوقت لأخذها لكن لم يخطر بباله ذلك مطلقاً، فكل ما أرادته في ذلك الوقت هو الهروب.

فكر في نفسه: انس ذلك، فهذا لا يعني شيئاً.

قد يكون هذا صحيحاً، لكن لم يكن يواسيه، لأنه كان مثل حذاء الطفلة الوردي في الفلوجة، والذي لم يكن بحوزته عندما تعرضوا لكمين في بيت الرعب؛ لقد فقد الحظ السعيد حينها. قال لنفسه إنها ليست سوى خرافة، وإنه بتصديقها لن يختلف عن الناس الذين اعتقدوا بوجود أشباح في ذلك الفندق القديم الذي احترق. تلك الأفكار أشعرته بالسوء، وبغض النظر عن كل شيء، تم رسم تلك الصورة له بدافع الحب.

خاطب بيلى نفسه قائلاً: «اذهب إلى النوم أيها الأحمق».

أخيراً استيقظ، ولكنه استيقظ من كابوس فظيع بغم جاف، ويدين مشدودتين. كان الحلم واضحاً ولكنه لم يكن متأكداً إن كان في فندق رامادا إن أو مكتبه في برج جيرارد؛ كان يعمل على قصته ولا بد أنها كانت في أيامه الأولى، لأنه لا يزال يكتب بشخصيته الغبية. سمع صوت قرع على الباب، وعندما توجه نحوه لفتحه كان يتوقع أن يكون الزائر كين هوف أو فيل ستانهورب، لكن على الأرجح هوف، لكن لم يكن أيّاً منهما، بل كانت مارج ترندي الفستان الأزرق الفضفاض الذي كانت ترتديه عندما اقترب من مدخل خدمة التتوء الصخري. فقط بدلاً من القبعة العريضة، كانت تعتمر قبعة فيغاس غولدن نايت، وبدلاً من المجرفة كانت تحمل بندقيّة سال.

قالت: «لقد نسيت الفلامنغو أيها اللعين»، ورفعت البندقية التي بدت فوهتها بحجم مدخل نفق أيزنهاور.

استيقظ بيلى من الحلم قبل أن تطلق النار عليه. استيقظ وتوجه إلى الحمام، وفكر بينما كان يتبول برودي بيل، المعروف أيضاً باسم تاكو بيل.

كانت الأحلام السيئة عملة شائعة في العراق، لا سيما أثناء معركة الفلوجة، وكان تاكو يعتقد - أو قال إنه يعتقد - أنه إذا مات في كابوس، فقد تموت في الحقيقة.

قال تاك: «خائف حتى الموت يا رجل. يا لها من طريقة للموت! أليس كذلك؟».

فكر بيلى في نفسه وهو يمشي عائداً إلى الفراش: لكنني خرجت من الكابوس قبل أن تتمكن مارج من الضغط على الزناد، لكنها كانت شريرة، وجعلت دانا إديسون يبدو مثل طفل وديع مقارنة بها.

كانت الغرفة باردة، لكنه لم يكلف نفسه عناء تشغيل المدفأة لأنها على الأرجح ستتهتز وتصدر ضجيجاً، غطى نفسه بالبطانيات ونام بسرعة، ولم يكن هناك المزيد من الكوابيس.

9

فضلت أليس سندويشات البيض المقلي السريعة بدلاً من تناول وجبة الفطور لأنها تريد الذهاب على الفور، وقالت: «أريد أن أرى الجبال مرة أخرى. أنا أحبها حقاً، على الرغم من أنني شعرت باضطراب في التنفس حتى اعتدت على الارتفاع».

ابتسم بيلى وقال: «حسناً، لنذهب».

سمع بيلى بعد وقت قصير من عبورهم حدود كولورادو، حاسوبه المحمول يصدر صوت دينغ دونغ للمرة الأولى منذ وقت طويل، وربما منذ سنوات. أخذه من المقعد الخلفي وفتحه. كان صوت دينغ دونغ يعني أنه تلقى بريداً إلكترونياً من أحد حساباته العديدة، وصلته رسالة من شركة ترافينت إنتربرايسيس من إيميل (woodyed667@gmail.com).

لم يسمع بهذا الاسم من قبل، لكن ليس لديه شك في من يقف خلف هذه الرسالة. نقر مرتين، فتحها وقرأها.

سألت أليس: «ماذا؟».

أراها الرسالة. أودعت شركة ترافينت إنتربرايسيس ثلاثمئة ألف دولار في حساب إدوارد وودلي في رويال بنك أوف بربادوس. كانت الملاحظة الوحيدة المكتوبة: «مقابل الخدمات المقدمة».

سألت أليس: «هل أتت هذه الرسالة ممّن أفكر فيه؟».

قال بيلى: «لا شك».

تابعا طريقيهما مرّة أخرى. إنه يوم جميل.

10

وصلا إلى منزل بوكي قرابة الساعة الخامسة بعد الظهر. كان بوكي يقف عند الباب بانتظارهما، وكان يرتدي الجينز وسترة من الصوف، ولا يبدو على الإطلاق كالرجل الذي كان يعيش ويعمل في نيويورك. يعتقد بيلى أنه ربما يكون أفضل حالاً هنا، كما أنه يعلم أنّ أليس أفضل هنا.

خرجت أليس من السيارة تقريباً قبل أن يتوقف بيلى وفتح بوكي ذراعيه صارخاً: «مرحباً يا جميلتي».

فركضت نحوه ضاحكةً.

فكّر بيلى في نفسه: انظر إلى هذا. هلاً تنظر إلى هذا.

الفصل الثاني والعشرون

1

بقيا مع بوكي في معتكفه الجبلي لفترة طويلة بما يكفي ليشاهدا تساقط الثلوج - ليوم واحد - بسبب عاصفة ثلجية في بداية الموسم. أدهشت شراسة العاصفة أليس وأفرحتها وأرعبتها في الوقت نفسه. كانت تقول: «لقد رأيت ثلجاً في رود آيلاند، الكثير منه، لكنني لم أر شيئاً مثل هذا». عندما توقفت العاصفة، خرجت هي وبوكي ليصنعا رجل ثلج في الفناء الخلفي. انضم إليهما القاتل المأجور بعد أن بذلا جهداً لإقناعه. عادت درجات الحرارة للستينات فنهيات بعد يومين، وذاب الثلج، فامتلات الغابة بالطيور وصوت المياه الناتج عن ذوبان الثلج.

لم يقصد بيلي أبداً أن يبقى طويلاً، لكن أليس أرادت ذلك، وأخبرته أنه بحاجة إلى إنهاء قصته، وقالت له بنبرة إقناع هادئة: «لقد فات الأوان للعودة الآن»، وبعد بعض التفكير، قرر بيلي أنها محقة.

لا توجد كهرباء في الكاينة الخشبية الصغيرة حيث كتب عن بيت الرعب وما حدث هناك، لذلك أدخل مدفأة تعمل على البطارية لتدفئة المكان بدرجة كافية حتى يتمكن من الكتابة، وظل مرتدياً سترته. علق شخص ما تلك الصورة للأشجار المُشذبة على شكل حيوانات مرّة أخرى، وكان بيلي مقتنعاً تماماً أنّ الأسدين في الصورة بدوا أقرب الآن، وعيونهما أكثر احمراراً، وأنّ الثور أصبح بينهما بدلاً من كونه خلفهما.

أقسم بيلي على أنّ الصورة كانت على هذا النحو من قبل. لا بد أنّها كانت كذلك، لأنّ الصور لا تتغير.

في عالم عقلاي يجب أن يكون صحيحاً، لكنّه لا يحبّ هذه الصورة.

أخذها - مرّة أخرى - وعلقها على الحائط - مرّة أخرى - بشكل مُعاكس. فتح ملف قصته، وانتقل إلى الأسفل إلى حيث توقّف. كان العمل بطيئاً في البداية، واستمرّ في إلقاء نظرة خاطفة إلى الزاوية البعيدة، كما لو كان يتوقّع أن تكون تلك الصورة معلقة هناك مرة أخرى، لكن لم يحدث ذلك. بعد نصف ساعة تقريباً، ظلّ خلالها يحدّق إلى الكلمات على الشاشة، انفتح باب الذاكرة ومضى يبلي. أمضى معظم أيام شهر تشرين الأول على الجانب البعيد من ذلك الباب، حتّى إنّه كان يتوجه إلى الكابينة متعلّلاً حذاء استعاره من بوكي في يوم العاصفة الثلجية الكبيرة.

كتب عن بقية جولته في الصحراء، وكيف قرّر - حرفياً تقريباً في اللحظة الأخيرة - عدم العودة مرّة أخرى. كتب عن صدمته الثقافية عند عودته إلى أميركا، حيث لم يقلق أحدٌ من القناصين والعبوات الناسفة. لقد بدا الأمر كما لو أنّ الحرب في العراق لم تكن موجودة، والأشياء التي مات أصدقاؤه من أجلها لم تكن مهمّة. كتب عن المهمة الأولى، حيث اغتال رجل جيرسي الذي كان يحبّ ضرب النساء، وكتب عن كيفية تعرّفه إلى بوكي وعن جميع المهام التي تلت ذلك. لم يحاول تجميل صورته، كتب كلّ ذلك بسرعة كبيرة، وكانت كتابته سلسلة كالماء الذي يجري منحدرًا عبر الغابة عندما يذوب الثلج.

أدرك يبلي بشكل غامض أنّ بوكي وأليس كوّنا رابطة قويّة. ظنّ أنّ الأمر بالنسبة إلى أليس بمثابة العثور على بديل جيد للأب الذي فقدته باكراً، أما بالنسبة إلى بوكي، فقد بدا الأمر وكأنّها الابنة التي لم ينجبها. لا يشعر بوكي بأدنى رغبة جنسية تجاهها، وهو غير متفاجئ، إذ لم يسبق له أن رأى بوكي مع امرأة؛ لم ير بوكي وجهاً لوجه في كثير من الأحيان، ونادراً ما تحدث الرجل عن النساء. ظنّ يبلي أنّ بوكي هانسون قد يكون مثلياً، بغض النظر عن زواجه مرتين. كل ما يعرفه، وكلّ ما يهتم به، هو أنّ تكون أليس سعيدة.

لكنّ سعادة أليس لم تكن من أولوياته خلال شهر تشرين الأول، بل كانت القصة هي أولويته الأولى؛ كتابه؛ لا شك في ذلك. إن عدم تمكن أحد من الاطلاع على الكتاب - ربّما باستثناء أليس ماكسويل - لا يزعج بيلى على الإطلاق. كتابه هو المهم، لقد كانت محققة في ذلك.

كتب بيلى كيف وصل هو وأليس - غير اسمها إلى كاثرين - إلى منزل بوكي - غير اسمه إلى هال - قبل أسبوع تقريباً من الهالوين، في يوم مشمس كانت الرياح يومها شديدة، وكيف فتح بوكي ذراعيه قائلاً لها يا جميلتي، وضمّهما. واعتقد أنه مكان جيد للتوقف.

احتفظ بنسخته على قرص، وأغلق حاسوبه المحمول، وتوجّه ليوقف عمل المدفأة، وتوقف. عادت الصورة على الحائط في تلك الزاوية البعيدة من الكابينة، وكان الأسدان أقرب؛ أقسم على ذلك. في تلك الليلة، وعلى العشاء، سأل بوكي إذا أعادها وقال بوكي إنه لم يفعل ذلك.

نظر بيلى إلى أليس التي قالت: «أنا لا أعرف حتى ما الذي تتحدّث عنه». سأل بيلى من أين أتت الصورة، فتجاهله بوكي، وقال: «ليس لديّ فكرة، لكنني أعتقد أن الحيوانات كانت في المقدمة. أنا متأكد من أن الصورة كانت في الكابينة عندما اشتريت هذا المكان، وأنا لا أصعد إلى هناك كثيراً عندما أكون هنا. أسميه بيت الصيف، لأنه يبدو بارداً دائماً حتى في الصيف».

لاحظ بيلى الشيء نفسه، ومع ذلك، فقد قام بعمل رائع هناك، كتب قرابة المئة صفحة على الرغم من وجود الصورة الغريبة وكلّ شيء. اعتقد أن القصة الباردة تحتاج إلى غرفة كتابة باردة؛ إنه تفسير جيد لأي تفسير آخر، لأنّ العملية برمتها كانت لغزاً بالنسبة إليه على أيّ حال.

حضرت أليس حلوى فطيرة الخوخ، ووضعتها على الطاولة، ثمّ قالت: «هل أنهيت قصتك يا بيلى؟».

فتح فمه ليقول إنه أنهاها، ثمّ غير رأيه وقال: «تقريباً. لديّ بعض الإضافات فقط».

كان اليوم التالي بارداً، ولكن عندما وصل بيلى إلى الكابينة الخشبية، لم يُشغل المدفأة ولم يحرك الصورة أيضاً. لقد قرّر أنّ ما يسمى ببيت الصيف مسكون. لم يؤمن بمثل هذه الأشياء من قبل، لكنّه يؤمن بها الآن. ليس بسبب الصورة فقط، بل بسبب كلّ ما حدث في هذه السنة المزدهمة. جلس على كرسي الغرفة الوحيد وفكر؛ إنّه لا يريد استخدام أليس في المستقبل - في نهاية عمله - ولكن في هذه الغرفة الباردة بجوها الغريب، ظنّ أنّه يجب عليه ذلك. رأى شيئاً آخر أيضاً، وسترغب هي في ذلك، لأنّ روجر كليرك ليس مجرد رجل سيئ، فمن شبه المؤكد أنّه أسوأ شخص عمل بيلى لصالحه على الإطلاق.

قالت أليس: ما زلت أفكر في ذلك الرجل الرهيب مع الطفلة الصغيرة. إنّه يستحق الموت.

لم ترد قتل تريب دونوفان، وربّما لم ترد موت كليرك لو اكتفى بالفتيات اللواتي يبلغن من العمر سبعة عشرة أو ستة عشرة عاماً، وربّما خمسة عشرة. كانت تريده أن يدفع الثمن، نعم، لكن ليس الموت. إلا أنّ كليرك لم يلتزم بهذه الأعمار؛ لقد أراد أن يرى كيف كان الأمر.

جلس بيلى ويده على ركبتيه وأطراف أصابعه مخدرة، وأنفاسه تتجمّد مع كلّ زفير. فكر في فتاة لا تكبرها سنّاً بكثير، أخذت إلى ذلك المنزل الصغير في تيخوانا. كانت تحمل حيواناً محشواً لتهدئتها، ربّما تحمل دُبّاً بدلاً من الفلامنغو الوردى. فكّر في خطواتها الثقيلة؛ لم يرد التفكير في هذه الأشياء، لكنّه فعل. ربّما كان عليه ذلك، وربّما ساعدته هذه الغرفة المسكونة بصورتها المسكونة في فعل ذلك.

أخرج محفظته ووجد القصاصه التي كتب عليها رقم هاتف جورجيو. أجرى الاتصال وهو يعلم أن فرص الوصول الفعلي إلى الرجل ضئيلة، لكن

جورجيو أجاب عند الرنة الثانية.

قال جورجيو: «مرحباً».

قال بيلى: «مرحباً، معك ديف لوكريدج. خمن ماذا حصل؟ أنهيت

كتابي».

قال جورجيو: «بيلى، يا إلهي، لا أصدق هذا، ولكنني سعيد لأنك

على قيد الحياة».

فكر بيلى في نفسه: يبدو من صوته أصغر سنّاً، وأقوى أيضاً.

قال بيلى: «أنا سعيد أيضاً لأنني على قيد الحياة».

قال جورجيو: «لم أرد أن ينتهي الأمر بهذه الطريقة، صدّقني. لكن

أنا...».

قاطعته بيلى قائلاً: «كان عليك اتخاذ قرار، وقمت بذلك، هل أحببت

أن أغدر من قبل شخص أثق به؟ كلا. لكنني أخبرتك أنك أنت الذي انتهى،

وأنا أعني ذلك. أنت فقط مدين لي بشيء، وآمل أن تكون رجلاً وتلبّيني.

أحتاج بعض المعلومات».

صمت قليلاً ثم قال: «هاتفي آمن، ماذا عنك؟».

قال بيلى: «وأنا أيضاً».

قال جورجيو: «سأثق بكلامك. نحن نتحدث عن كليرك، أليس

كذلك؟».

أجابه بيلى: «نعم، هل تعرف أين هو؟».

أجاب جورجيو: «لم يعد يأتي إلى فيغاس، لذا سيكون إما في لوس

أنجلوس أو نيويورك. يمكنني معرفة ذلك، إذ ليس من الصعب تتبعه».

قال بيلى: «هل تعرف من يزوده بالفتيات في لوس أنجلوس

ونيوورك؟».

قال جورجيو: «اعتدت أن أفعل ذلك مع جودي قبل أن أتقاعد»، قالها

من دون أن تسبب أي إزعاج لبيلى.

قال بيلى: «جودي بلاتتر؟ قال نيك إنها لا تتعامل مع القاصرات».
قال جورجيو: «صحيح، ليس من هنّ دون الثامنة عشرة، وكان ذلك
جيداً بما يكفي لكليك، ثمّ أراد الأصغر سنّاً. كان يتصل ويقول إنه يريد
الزلاية. كانت تلك هي كلمة السر».

فكر بيلى في نفسه: الزلاية؟ يا إلهي.

قال جورجيو: «جودي تعرف الرجال الذين يرغبون في العثور على
مثل هذه الفتيات. في بعض الأحيان كنت أتعامل مع كليك، وفي أحيان
أخرى كانت تفعل ذلك بنفسها».

قال بيلى: «هل تعرف جودي أيضاً الرجال في تيخوانا؟».

أخفض جورجيو صوته على الرغم من أنّ هاتفه آمن وقال: «أنت تفكر
في الفتاة الصغيرة. لم يكن لي أو لجودي أو لنيك أيّ علاقة بها. هذا كان
من ترتيب الكارتل؛ بناء على طلب كليك».

قال بيلى: «اعذرني، ولكن أريد التأكد من أنني فهمت فكرتك. إذا كان
كليك في لوس أنجلوس، وشعر بأنه يتوق إلى الزلاية، فسيصل بك أو
بجودي وسيجعله أحدكما يتواصل مع شخص ما هناك...»، هو حقاً قوّد،
ثمّ فكر بيلى في العبارة التي يريد استخدامها؛ في شيء يتماشى مع الزلاية،
وهذا ليس مفاجئاً، وتابع: «أو مربّي دجاج».

قال جورجيو: «صحيح، وإذا كان على الساحل الشرقي في منزله
في مونتوك بوينت، فسيواصل مع الرجل من نيويورك. لا أعرف كم عدد
المواعيد التي ربّها كليك منذ مغادرتي».

تساءل بيلى: مواعيد؟ ثمّ قال: «هو حقاً يحصل على ما يريد وكأنّها
خدمة توصيل خاص».

قال جورجيو: «يمكنك تسميتها هكذا. هذا ما يدفع من أجله الكثير
من المال يا بيلى».

الآن يأتي السؤال الكبير، سأل بيلى: «هل تتصل به جودي وتعرض

عليه فتاة في مكانه الجميل؟».

أجاب جورجيو: «هذا يحدث من وقت إلى آخر، بالتأكيد. في كثير من الأحيان خاصة بعد أن بلغ سنًا معينة وساءت قدراته الجنسيّة».

قال بيلي: «إذا اتصلت بجودي وقلت إنّ لديك فتاة ستعجبه، فتاة مميزة حقًا، فهل ستقلها؟».

صمت جورجيو قليلاً، وفكّر في الأمر، ثمّ قال: «ستفعل، ستشتم رائحة شيء خاطيء - تتمتع بأنف شديد الحساسية - لكنّها ستفعل ذلك. إنّها تكره هذا الرجل بسبب ما فعله بـ تي. جيه. وإذا اعتقدت أنّ شخصاً ما يحاول التلاعب به، أو ربّما حتّى يرتّب للإيقاع به، كانت ستوافق بفرح، وأنا أيضاً».

فكّر بيلي في نفسه: ولكن هذا لم يمنعكما من ممارسة الأعمال معه.

قال بيلي: «حسناً، سأعاود الاتصال بك».

قال جورجيو: «سأكون هنا. ليس لديّ مكان أذهب إليه ولا أريد ذلك. كرهت هذا المكان في البداية، ولكنني أصبحت أحبه، كمدمني الكحول الذين يحبون الرصانة بمجرد أن يكونوا قادرين على التمسك بها».

قال بيلي: «كم فقدت من الوزن؟».

قال جورجيو بفخر ربّما كان مُبزراً: «مئة وعشرة باوندات، عليّ أن أخسر تسعين أيضاً».

قال بيلي: «صوتك يبدو جيداً، ربّما إذا فقدت الوزن يمكنك تخطي العملية».

قال جورجيو: «كلا، كبدي ذهب ولن يعود. لقد حددوا موعد العملية بعد عيد الميلاد بيومين، لذا من الأفضل أن تنهي أيّ عمل لديك معي قبل ذلك الحين. المستند الطبي الموجود صريح بطريقة فجّة؛ إنّ احتمال فشل العملية يتراوح بين 40 و60 بالمئة».

قال بيلي: «سأعاود الاتصال بك»، فكّر بيلي في نفسه: لكنني لن أكلف نفسي عناء الدعاء من أجلك.

قال جورجيو: «أتمنى أن تمسك بهذا المنحرف المتحرف بالأطفال».
فكر بيلى في نفسه: الذي كنت تعمل لصالحه.
ليس عليه أن يقول ذلك لأن جورجيو قالها: «بالتأكيد، عملت لصالحه؛
لقد عرض عليّ الكثير من المال، وأردت أن أعيش».
قال بيلى: «مفهوم»، ثم فكر في نفسه: ولكن الجحيم لا يزال في
انتظارك يا جورجيو، وإذا كان هناك مثل هذا المكان، فمن المحتمل أن
ألقي بكم هناك حيث سنحتسي مشروباً على الصخور.
قال بيلى «ستحدث قريباً».
قال جورجيو: «لا تتأخر».

3

حان الوقت لإطلاع أليس على ما يدور في ذهنه، ويستحق بوكي
أن يكون جزءاً من المحادثة. أخبرهما وهم يجلسون إلى طاولة المطبخ
يحتسون القهوة، وعندما أنهى حديثه، نصحتها بالتفكير في الأمر، فأجابته
أنها ليست بحاجة إلى ذلك، فهي موافقة.
نظر بوكي إلى بيلى نظرة بائسة مفادها أنك ستأخذها معك إلى الجانب
المظلم بعد كل شيء، لكنه لم يقل شيئاً.
سألها بيلى: «قلت إنه تمّ التشكيك في عمرك في الحانات، أليس
كذلك؟».

أجابته: «نعم، لمرتين فقط. لقد بلغت الحادية والعشرين فقط قبل شهر
من ... لقائك».

سأل بيلى: «ألم يكن لديك هوية مزورة؟».

أجابه بوكي: «ما كانت لتنجح. أعني، انظر إليها».

نظرا إليها فاحمرت أليس خجلاً، وأخفضت عينيها.

سأل بيلى بوكي: «خمن كم عمرها؛ أعني إذا كنت لا تعرف؟».

قال بوكي: «ثمانية عشرة أو تسعة عشرة لكنها دون العشرين».

قال لها بييلي: «إلى أي مدى يمكنك أن تجعلي من نفسك يافعة؟ إذا حاولت ذلك؟».

أثار السؤال اهتمامها لدرجة كافية لتنسى وجود رجلين يدرسان وجهها وجسمها، وبالطبع أثار السؤال حفيظتها. في الحادية والعشرين من عمرها، فكرت بلا شك كيف يمكنها أن تجعل نفسها تبدو أكبر سنًا وأكثر تعقيداً، لكن أصغر سنًا؟ لماذا ستفعل ذلك؟

قالت: «يمكنني الحصول على رابط مرن لجعل ثديي أصغر، على ما أعتقد. النوع الذي يرتديه الرجال المتحولون جنسياً. أعلم أنهما ليسا بهذا الحجم على أي حال، لكن الرابط سيجعلني أبدو، كما تعلمان، مسطحة تقريباً. أليس هذا ما يحبه كليرك؟». عقصت شعرها بإحدى يديها، وتابعت: «وشعري... يمكنني قصه. لن أقصه قصّة قصيرة، لكن بشكل كافٍ بحيث يمكن ربطه على شكل ذيل حصان قصير، فأبدو مثل فتاة في المدرسة الثانوية».

قال بييلي: «والملابس؟».

قالت: «لا أعلم. يجب أن أفكر في الأمر. ومن دون مكياج، أو ليس الكثير منه، ربّما القليل من أحمر الشفاه الوردية الزاهية».

قال بييلي: «هل تعتقدين أنه يمكنك أن تبدي في عمر الخامسة عشرة؟».

قال بوكي: «مستحيل، ربّما يمكنها أن تبدو في السابعة عشرة».

وقفت أليس وقالت: «قد أكون قادرة على أن أبدو أصغر من السابعة عشرة. عفواً، أنا بحاجة إلى مرآة».

انحنى بوكي على الطاولة عندما ذهبت، وقال بهدوء شديد: «لا تتسبّب بقتلها».

قال بييلي: «أنا لا أخطّط لذلك».

ردّ بوكي: «قد تسير الخطط بشكل خاطئ».

في اليوم التالي، عاود بيلى الاتصال بجورجيو من المنزل الصيفي البارد. خطر له أنه قد لا يضطر إلى استخدام أليس على الإطلاق. إنه قنّاص، بعد كلّ شيء، والقنص من مسافات بعيدة هو تخصصه.

ظَلَّ بيلى يراقب الصورة أثناء حديثهما، ويتوقع أن تتحرك الحيوانات، ولكنها لم تتحرك.

بدأ بسؤال جورجيو عمّا إذا كان بإمكانه استخدام مهاراته في القنص في مسألة روجر كليرك.

أجابه جورجيو: «غير ممكن إطلاقاً، مكانه في مونتوك بوينت عبارة عن عقار مساحته أربعون فداناً، ما يجعل مكان نيك في نيفادا يبدو وكأنه مسكن صغير».

أحبط بيلى، لكنّه لم يكن متفاجئاً وقال: «وهل هو هناك الآن؟». قال جورجيو: «نعم، يُسمى المكان إيبوس نسبة إلى الإلهة اليونانية. سيبقى هناك إلى ما قبل عيد الشكر بقليل، ثم سيعود إلى (لالا لاند) لقضاء الإجازة مع وريثه وابنه الوحيد الذي لا يزال على قيد الحياة».

فكّر بيلى في نفسه: لالا فلوجة.

سأل بيلى: «هل سيكون معه حاشية؟».

ضحك جورجيو، وتحولت الضحكة إلى صوت يشبه الأزيز، لذلك ربّما لم يكن قد أصبح رجلاً جديداً تماماً بعد كلّ شيء، ثم قال: «هل تقصد كما يفعل نيك؟ مستحيل. كليرك لديه جهاز تلفاز في كلّ غرفة، تم ضبط كل جهاز على قناة مختلفة، هذه هي حاشيته».

قال بيلى: «ألا يوجد أمن؟»، لم يستطع بيلى تصديق ذلك، فكليرك هو واحد من أغنى الرجال في أميركا.

قال جورجيو: «أتقصد رجلاً في العقار؟ لا، ما دام يظنك ميتاً، وهو

يعرف أنه ليس لديك أي فكرة عمّن دفع مقابل قتل ألين».

قال بيلي: «كان يعتقد أنني ذهبت إلى منزل نيك فقط لأخذ المبلغ المتبقي».

قال جورجيو: «نعم، أنا متأكد من أن لديه شركة أمن تحت طلبه إذا احتاج إليها، ومن المحتمل أن يكون لديه زر طوارئ، لكن الرجل الوحيد الذي يبقى معه دائماً، هو مساعده ويليام بيترسن؛ إنه كالرجل من مسلسل التحقيق في مسرح الجريمة، أتعرفه؟».

سمع بيلي عن المسلسل لكنّه لم يشاهده أبداً.

قال بيلي: «هل بيترسن حارسه الشخصي ومساعدته أيضاً؟».

قال جورجيو: «لا أعرف ما إذا كان يمتلك مهارات الجودو والكراف ماغا، أو أشياء من هذا القبيل، لكنّه شاب وفي حالة بدنية جيدة، ويمكنك أن تفترض أنّه جيد في استخدام الأسلحة النارية، على الرغم من أنّه قد لا يحمل سلاحاً داخل العقار».

قال بيلي: «اسمع، هذا ما سأحتاجه منك. عليك إرسال شيء واحد. افعل ما أطلبه وسنصبح متعادلين».

قال جورجيو: «انتظر ثانية... حسناً، سأفعل ما تريده إذا استطعت، وإذا لم أستطع، فسأخبرك. قل لي».

أخبره بيلي، واستمع جورجيو وطرح بضعة أسئلة، لكنّه لم يُثر أيّ مشاكل لم يتوقعها بيلي مُسبقاً.

قال جورجيو: «قد ينجح الأمر بالفعل، على افتراض أن لديك فتاة يمكنها اجتياز المهمة. سأحتاج منك أن ترسل لي بعض الصور عبر البريد الإلكتروني. في الواقع، من الأفضل إرسال العشرات. معظمها للوجه، والقليل منها لكامل الجسم، وهي ترتدي ملابس محتشمة، وسأختار الصور التي تبدو فيها أصغر سنّاً. نحن لا نتحدث عن مراةقة حقيقية، أليس كذلك؟».

قال بيلى: «لا، مراهقة تقريباً، وكانت تجربتها الجنسية الوحيدة عبارة عن كابوس وكانت مخدرة».

قال جورجيو: «هذا جيد، سبق لكليك أن تعامل مع رجل جودي في نيويورك دارين بيرن، لذا بالتأكيد لا تستطيع أن تتحلل شخصيته، لكن يمكنك أن تكون شقيقه، أو ابن عمه».

قال بيلى: «يمكنني ذلك». على الرغم من أنه يفترض أنه سيحتاج إلى شيء مناسب للقواد، ثم تابع: «هل يتوقع كليك أن تقضي الفتاة الليلة معه؟».

قال جورجيو: «كلا، أنت تركز السيارة وتنتظر، بينما يفعل هو ما يريد - إذا افترضنا أن الفياغرا كانت تؤدي عملها بشكل صحيح - ثم تخرج الفتاة وتعود إلى السيارة. يستغرق الأمر ساعة، أو ساعتين على الأكثر».

فكر بيلى في نفسه: ذلك لن يستغرق وقتاً طويلاً، وأي نوع من الفياغرا سيأخذه سيذهب هباءً، ثم قال: «حسناً، نحن ذاهبان إلى الشرق من حيث نحن الآن...».

سأل جورجيو: «أنت وبوكي؟».

أجاب بيلى: «أنا والفتاة. عندما نصبح بالقرب من مونتوك...». قاطعه جورجيو قائلاً: «جرب ريفير هيرد حياة، أو هيلتون غاردن إن». فكر بيلى في نفسه: إنه لا يفوت خطوة. يكاد يتوقع أن يقول له إنه سيحجز لهما.

قال بيلى: «سأصل بك عندما نصل».

قال جورجيو: «حسناً، ولكن ابدأ بإرسال بعض الصور لأرجوحتك». سأله بيلى: «الأرجوحة؟».

رد جورجيو: «الفتاة يا بيلى، ويجب أن تكون من النوع المناسب. شابة، نعم، ولكن بصحة جيدة أيضاً. إذا بدت رخيصة، فانس الأمر».

قال بيلى: «مفهوم، هل تعرف أي شيء عن فرانك ماكتوش؟ كان على

قيد الحياة عندما غادرت، لكنني ضربته بشدة».

قال جورجيو: «حاول الدكتور ريفرز إنقاذه، ولكن لم يكن هناك ما يمكنه فعله. كان يعاني من نزيف في المخ، وقال نيك إنه ربّما أصيب بنوبة قلبية. أخذته أمه إلى رينو. إنه في مرفق رعاية طويلة الأمد؛ يسمونها بالرعاية التلطيفية».

قال بيلي: «أنا آسف لسماع ذلك»، وكان آسفاً حقاً.

قال جورجيو: «تسكن مارج في شقة قريبة، لقد دفع نيك مقابل الصفقة بأكملها».

سأل بيلي: «هل هو في غيبوبة؟».

أجاب جورجيو: «قد يكون من الأفضل لو كان كذلك. يقول نيك إن مارج أخبرته إنه ينام كثيراً، لكن عندما يستيقظ، لا يتحدث سوى كلام غامض. تأتيه نوبات فيصرخ كثيراً».

صمت بيلي، ولم يستطع التفكير في أي شيء ليقوله.

قال جورجيو بإعجاب: «لا بد أنك ضربته بشدة. لقد غادر إيفيس المبنى».

5

ذهب بيلي وبوكي وأليس إلى بولدر، حيث تجولت أليس في ثلاثة مراكز تجارية مختلفة، وتسوّقت في متاجر تحمل أسماء مثل ديب، وتين بيت، وفور أفير 21. ناقشت كلّ الخيارات مع بوكي الذي سيلتقط الصور التي سيرسلها جورجيو - أو جودي بلاتنر - إلى كليرك، وتبعهما بيلي في الغالب، وتلقّى نظرة مشبوهة من بعض موظفي المبيعات. اشترت أليس سترة مبطنّة خفيفة الوزن، وأربع تنانير، وقمصين، وبلوزة، وثلاثة فساتين. كانت ياقة أحد الفساتين منخفضة تحت الرقبة قليلاً، وكان هذا الفستان يعدّ الأكثر إثارة بين كلّ المشتريات، واستبعد بوكي حذاء منخفض الكعب

كذلك استبعد بعض الجينزات ذات الخصر المنخفض التي أعجبت
أليس؛ رفضها على الأقل في الصور؛ وقال: «اشترى الجينز لنفسك إذا
أردت، لكنّه سيرغب في رؤيتك في ثوب».

قصت شعرها في غريت كلييس عندما انتهت من التسوق الذي كلف
أربعمئة دولار. بينما هي منشغلة بذلك، اشترى بيلى أحذية، وسراويل،
وسترة منفوخة بجيوب داخلية. حمل بوكي قميصاً من الحرير أخضر اللون
وقال: «أنت ستلبي خدمة توصيل خاصة للقواد العجوز، هل تذكر؟».

أعاد بيلى القميص الأخضر مرّة أخرى إلى الرف واختار القميص
الرمادي بدلاً من ذلك ثم قال: «تبدو الياقة وكأنها تناسب ريك جيمس،
لكن لا تهتم».

سأل بوكي: «ريك من؟».

أجاب بيلى: «لا تهتم».

بينما كانا يمشيان عائدين نحو غريت كلييس، وكلاهما يحملان
الحقائب، أطلت أليس بشعر أقصر ومصفّف. كانت تعتمر قبعة كولورادو
روكيز مع تسريحة ذيل حصان، وشعرها ينسدل من الخلف. فكّر بيلى في
نفسه: يا إلهي، أعتقد أنّ هذا قد ينجح حقاً.

قالت أليس: «حاولت مصفّفة الشعر أن تقنّعي ألا أقصّه، وسألّني
لماذا أريد أن أقصّ مثل هذا الشعر الجميل الذي لا بدّ أنه استغرق مني
سنوات ليصبح بهذا الطول. لكن أفضل جزء، سألتني إذا أحببت المدرسة
الثانوية لدرجة أنني أردت أن أبدو كما لو كنت لا أزال هناك».

ضحكت ورفعت يدها، فصافحها بوكي مصافحة عالية، وفعل بيلى
الأمر نفسه، لكن بحماسة مزيفة. كانت أليس متحمّسة، ونسيت سبب
تسوقها، وكذلك بوكي انجرف برؤيتها سعيدة، لكن بيلى تذكر، وفكر في
تلك الفتاة الصغيرة في تي. جي. والتي كانت تمسك بلعبة وتستمع إلى

6

أرادت أليس التقاط الصور بمجرد عودتها، لكن بوكي طلب منها الانتظار حتى صباح اليوم التالي، عندما تبدو في أصغر حالاتها وأنشطها؛ يسميها نظرة أيلول الصباحية.

سألت أليس: «نيل دايموند، أليس كذلك؟ أمي من كبار المعجبين به»، ثم قالت لبيلي: «لا تسأل حتى، لقد اتصلت بها الليلة الماضية».

ربما فكّر بوكي في نيل دايموند، لكن بيلي يفكر في بول شاباس، والفتاة في المنزل على مشارف تي. جيه. وشانيس أكرمان.

7

في صباح اليوم التالي، أعدّ بوكي جلسة تصوير قصيرة؛ أراد استخدام النافذة المواجهة للشرق للحصول على ضوء الشمس الطبيعي، وقال إنه يجب تحريك الأريكة ووضع كرسي بدلاً منها، وعندما سأله بيلي عن السبب، قال بوكي إن الأرائك توحى بالجنس، وهذا ليس المظهر الذي يريدونه. فمظهر الفتاة الصغيرة البريئة هو المظهر الذي يبحثون عنه؛ ربما تباع نفسها مرّة واحدة فقط لمساعدة والدتها العجوز المكسورة.

خرجت أليس بإحدى تنانيرها وقمصانها الجديدة، وطلب منها بوكي العودة إلى الحمام، وتنظيف معظم الماكياج قائلاً: «تحتاجين القليل من موزد الخدود على وجنتيك وقليل من الماسكارا لجعل رموشك تبدو بشكل جيد، ولمسة خفيفة من أحمر الشفاه. هل تفهمين؟».

قالت أليس: «فهمت»، كانت متحمسة كطفلة تلعب لعبة تبديل الملابس.

عندما ذهبت، سأل بيلي بوكي: «كيف تعلمت هذه الأشياء؟ لم تفعل

ذلك أبداً...»، صمت بيلى وفكر، ماذا يعرف عن بوكي هانسون حقاً؟ إنه وسيط بين اللصوص، وهو بارع في إخراج الهاربين من البلاد، ولديه اتصالات مع المحامين، وربما حتى مع بعض المستويات العليا في القضاء في نيويورك. إذا كان الأمر كذلك، فإن بيلى لا يعرف من هم، أي من هؤلاء الرجال. بوكي متحفّظ، وهذا على الأرجح من الأسباب التي تجعله لا يزال على قيد الحياة.

قال بوكي: «هل سبق لي أن التقطت صوراً لشابات يرتدين ملابس ليتشبهن بالقاصرات المثيرات؟ الجواب لا، لكنه كان منتشرًا لبعض الوقت في المجلات الإباحية مثل بينت هاوس، وهاستلر، وكان ذلك في الثمانينيات، عندما كان هناك مجلات إباحية، أما بالنسبة للتقاط الصور، فقد تعلمت ذلك من والدي عندما كنت صغيراً».

قال بيلى: «ظننت أنك أخبرتني ذات مرة أن والدك كان متعهد دفن الموتى في مكان ما في ولاية بنسلفانيا».

أجاب بوكي: «لقد كان كذلك، لذلك تعلمت أيضاً الكثير عن المكياج منه. كان التصوير الفوتوغرافي هو عمله الإضافي؛ صور الكتاب السنوي المدرسي وحفلات الزفاف في الغالب، وفي بعض الأحيان كنت مساعده في العملين».

قال بيلى مبتسماً: «جئت إلى المكان الصحيح».

ردّ بوكي: «لقد فعلت»، لكن بوكي لم يبادل الابتسام، بل قال له: «لا تؤذ تلك الشابة يا بيلى، وإذا فعلت ذلك، فلا تعد إلى هنا، لأن الباب سيُغلق في وجهك».

عادت أليس قبل أن يتمكن بيلى من الإجابة مرتدياً بلوزة بيضاء وتنورة زرقاء وجورباً يغطي ركبتيها، فبدت صغيرة جداً بالفعل. أجلسها بوكي على الكرسي، وأمال رأسها بطريقة معينة حتى ينعكس ضوء الصباح الخافت على وجهها مستخدماً هاتف بيلى للتقاط الصور. قال إن لديه كاميرا لا يكا

ويودّ استخدامها، لكن هذا سيبدو احترافياً إلى حدّ ما. قد لا يفصل كليرك ذلك وقد يبدو ذلك مشبوهاً - لكنّه قد يفعل ذلك مرة أخرى - فالتلفزيون والأفلام جزء كبير من عمله بعد كل شيء.

قال بوكي: «حسناً، لنبدأ هذه الحفلة. لا ابتسامة كبيرة يا أليس، فقط ابتسامة خجولة. تذكّري ما نحن بصدد تحقيقه. حلوة ورزينة». حاولت أليس أن تكون حلوة ورزينة، ثم قهقهت.

قال بوكي: «حسناً، لا بأس. تذكّري أنّ الرجل الذي سينظر إلى هذه الصور هو مُغتصب القاصرات اللعين».

استفاقت بعد كلامه، وباشرا العمل، لم يستغرق التصوير الفعلي وقتاً طويلاً، بغضّ النظر عن الثروة التي سبقت التصوير. التقطت ست عشرة أو ثماني عشرة صورة بتسريحة ذيل الحصان وبملايس مختلفة، ولكنها انتعلت الأحذية الرياضية حتى مع الفستان المثير؛ وصوّرت العشرات بتسريحة مشبك الشعر. وضع مجموعات (8*10) على طباعة الألوان الخاصة به حتى يتمكن كلّ منهم من إلقاء نظرة. طلب بوكي من بيلي وأليس أن يختارا ست صور يعتقدان أنّها الأفضل، وبأنه سيفعل الشيء نفسه. صرخت أليس فجأة بمزيج من الغبطة والفرح قائلة: «يا إلهي، أنا أبديو في الرابعة عشرة تقريباً في هذه الصورة».

قال بوكي: «ضعيها ضمن الخيارات».

انتهوا، وانفقوا ثلاثتهم على ثلاث صور. أضاف بوكي صورتين أخريين، وأخبر بيلي أن يرسل الصور الخمس إلى جورجيو عبر البريد الإلكتروني، وقال: «سبق له أن عمل قواداً للعجوز الساحلية، لذلك من المحتمل أن يعرف ذوق كليرك أكثر منّا».

قال بيلي: «ليس الآن، سأفعل ذلك بمجرد أن نكون على الطريق متجهين إلى نيويورك».

سأل بوكي: «ماذا لو أخبر كليرك جورجيو أنّه غير مهتم؟».

أجاب بييلي: «سندهب على أيّ حال، وسأجد طريقة للدخول». قالت أليس: «سنفعل، لن تتركني في الفندق هذه المرة». لم يردّ بييلي، وفكّر في قراره وما إذا كان الوقت قد حان، ثمّ فكر بما مرت به أليس، وما فعله كليرك بالفتيات الأصغر منها، وأدرك أنه قد لا يكون هذا قراره.

8

في تلك الليلة اتّصل بنيك للمرّة الأخيرة وقال له: «ما زلتَ مديناً لي بمليون ومئتين».

قال نيك: «أعلم، وسوف تحصل عليها. لقد دفع صديقنا بعد أن علم أنك ميت».

قال بييلي: «أضف مبلغ مئتي ألف؛ سمّه مكافأة مقابل الهراء الذي وضعتني فيه، وأرسله إلى مارج».

قال نيك: «والدة فرانك؟ هل أنت جاد؟».

قال بييلي: «نعم، أخبرها أنّ المال مئتي. قل لها أن تنفقه على رعاية فرانك. أخبرها أنّني فعلت ما كان عليّ فعله، لكنني آسف».

تنهّد نيك وقال: «لا أعتقد أن اعتذارك سيفيد. مارج... مارج هي مارج».

قال بييلي: «يمكنك أيضاً أن تخبرها أنّ ما حدث كان بسببك في النهاية، وليس بسببي، لكنني لا أتوقع ذلك منك حقاً».

ساد الصمت لثوانٍ، ثمّ سأل نيك عن بقية ما يدين به، فأخبره بييلي بالضبط كيف يريد أن يتعامل بهذا الخصوص فوافق نيك بعد القليل من النقاش. هل هذا يعني أنه سيفعل ذلك بالفعل إذا لم يكن بييلي موجوداً للتأكد؟ يشكّ بييلي في ذلك، لأنّه ليس لديه أيّ فكرة إلى متى سيستمر امتنان نيك لكونه قد نجا. لكنّه ينوي التأكد من تنفيذ رغباته، لأنّه لا ينوي الموت

في نيويورك، بل روجر كليرك هو من سينتهي به الأمر ميتاً.

قال نيك: «حظاً سعيداً، أنا أعني هذا».

قال بيلي: «آه، فقط تأكد من أن يُعتنى بفرانك، والشيء الآخر».

قال نيك: «بيلي، أريد فقط أن أخبرك...».

أنهى بيلي المكالمة؛ ليس لديه أي اهتمام بما يريد نيك أن يقوله له.

هما متعادلان الآن، انتهت مهمته مع نيك.

9

في وقت مبكر من صباح اليوم التالي، كان بيلي جاهزاً للذهاب، لكن بوكي طلب منه الانتظار حتى الساعة العاشرة لأن لديه مهمة عليه القيام بها. أثناء قيامه بذلك، زار بيلي المنزل الصيفي مرّة أخيرة. أخذ صورة الحيوانات عن الحائط وحملها إلى نهاية الممر. نظر من الممر لمدة دقيقة أو دقيقتين، إلى المكان الذي كان فيه المنتجع المسكون سابقاً، والذي اعتقدت أليس أنها رآته، لكن بيلي لم ير سوى القليل من البقايا المتفحمة، ظن أن الموقع لا يزال مسكوناً، ولهذا السبب لم يُعد أيُّ شخصٍ تشييده، على الرغم من أن الموقع يبدو ممتازاً.

رمى الصورة، ولاحظ أنها علقت في قمة شجرة صنوبر على بعد حوالي مئة قدم. فكّر في نفسه: دعها تتعفن هناك، ثم عاد إلى المنزل. وضعت أليس الأمتعة في الميتسوبيشي؛ لا يوجد سبب لعدم قيادته لها شرقاً، فهي سيارة جيدة، ولا يمكن تعقبها، ولن يفوتها ريغي.

سألته أليس: «إلى أين ذهبت؟».

أجاب بيلي: «للتنزه فقط. أردت أن أحرك ساقِي».

كانا يجلسان على الأرجوحة عندما عاد بوكي وقال: «رأيت صديقاً

واشترت لك هدية صغيرة»، وسلم أليس مسدساً، ثم تابع: «هذا مسدس

سيغ ساور بي 320، صغير بما يكفي لتحمليه في حقيبتك. وضعت فيه الطلقات، لذا كوني حذرة في كيفية التقاطه إذا كان عليك إخراجَه». نظرت إليه مفتونة وقالت: «لم يسبق لي أن استخدمت مسدساً».

قال بوكي: «الأمر بسيط بما فيه الكفاية، فقط صوّبي وأطلقِي. إن لم تكوني قريبة يُحتمَل أن تُخطئي هدفك، ولكنك قد تخيفين شخصاً ما»، نظر إلى بيلي وقال: «أخبرني إذا كانت لديك مشكلة في حملها للمسدس». هزَّ بيلي رأسه.

قال بوكي: «عديني يا أليس أنك ستستخدمينه إن اضطررت لذلك». وعدته أليس.

ردَّ بوكي: «حسناً، عانقيني الآن».

عانقته وبدأت بالبكاء. اعتقد بيلي أن هذا أمر جيد، فهي تعبر عن مشاعرها كما يقولون في مجموعات المساعدة الذاتية. كان عناقاً طويلاً وقويّاً، فتركها بوكي بعد ثلاثين ثانية تقريباً، واتجه نحو بيلي قائلاً: «دورك الآن».

عانقه رغم أن عناق الرجال لا يعني له شيئاً. كان بوكي مجرد شريك عمل طيلة سنوات، ولكن خلال الشهر الماضي أصبح صديقه. لقد وفرَّ لهما المأوى عندما احتاجا إليه، وكان معهما بكلِّ ما خطَّطا له، والأهم من ذلك كله، لقد كان جيداً مع أليس.

جلس بيلي خلف مقود الميتسوبيشي واتجه بوكي إلى جانب مقعد الركاب مرتدياً بنطاله الجينز وقميصه بلون الفانيلا ثمَّ أوماً برأسه، فأنزلت أليس النافذة ومال إلى الداخل وقبلها على جبينها قائلاً: «أريد أن أراك مجدداً. تأكدي من أن تزوريني».

قالت أليس باكية: «سأفعل بالتأكيد».

استقام بوكي وتراجع قائلاً: «الآن اذهبا، وأوقعا بابن الوضيعة».

توقف بيلى في متجر وول مارت في لونغمونت، واقترب من المبنى قدر الإمكان لتحسين اتصال الإنترنت اللاسلكي واستخدم حاسوبه المحمول، ثم أرسل صور أليس إلى جورجيو وطلب منه عرضها على كليرك في أسرع وقت ممكن.

قل له اسم الفتاة روزالي، وإنها متفرغة لمدة ثلاثة أيام من الآن فقط. السعر قابل للتفاوض ولكن لا يقل عن 8000 دولار للساعة الواحدة. أخبره أن روزالي هي «شيء مميز»، وقل له أن يراجع جودي بلاوتر إذا كان يشك في ذلك. وإن أردت فأخبره أنك ستهتم بالترتيبات مجاناً للتعويض عن مضاعفات وظيفة ألين، وأخبره أن مندوب التوصيل هو ستيفن بيرن، ابن عم دارين بيرن. أعلمني بمجرد أن تسمع جوابه.

أقاما تلك الليلة في فندق هوليداي إن إكسبريس في لينكولن، نبراسكا. أحضر بيلى أمتعتهما باستخدام العربة بينما رن هاتفه مُنبئاً إياه بوصول رسالة نصية. سألت أليس: «جورجيو؟ ماذا قال؟».

سَلَمها بيلى هاتفه.

أرسل جورجيو: يريد لها، 4 تشرين الثاني، 8 مساءً، 775 طريق مونتوك السريع. أرسل لي رمز إيهام لأعلى أو لأسفل.

سألها بيلى: «هل أنت متأكدة من أنك تريدين أن تفعلي هذا؟ إنه قرارك يا أليس».

أرسلت له أليس موافقتها.

الفصل الثالث والعشرون

غادرنا لينكولن باكراً، وتوجهنا شرقاً عبر الطريق 1-80؛ لم نتحدث كثيراً في الساعة الأولى، إذ كانت أليس تقرأ كل ما كتبتُه في المنزل الصيفي. مرت سيارة من أمامنا في ضواحي مدينة كاونسيل بلافز، جلس في مقعدها الخلفي مهرج وراقصة باليه، ولوح المهرج لنا، فلوّحت له أليس.

سألته: «أليس، هل تعرفين ما هو اليوم؟».

قالت: «الخميس؟»، ولم تبعد عينيها عن الشاشة. جعلني ذلك أفكر في ديريك أكرمان وصديقه داني فازيو في شارع إيفرغرين، وهما منومان بسبب ما يشاهدانه على هاتفيهما.

قلت: «ليس فقط أي خميس، إنه الهالوين».

قالت: «حسناً»، ولم تبعد عينيها عن الشاشة.

سألته: «ما الشخصية التي كنت تختارينها في الهالوين».

قالت وهي تقرأ: «ممم... ذات مرة كنت الأميرة ليا، وأخذتني أختي في جولة في الحي».

قلت: «في كينغستون، أليس كذلك؟».

قالت: «صحيح».

قلت: «هل حصلت على الكثير؟».

أخيراً نظرت إليّ وقالت: «دعني أقرأ يا بيلي، لقد أوشكت على الانتهاء»، لذا سمحت لها بالقراءة.

في النهاية، وعندما أغلقت الحاسوب المحمول، سألتها إذا قرأت كل شيء.

أجابته: «فقط إلى حيث بدأت قصتي. الجزء الذي تقيأت فيه، وكدت

أن أختق. كان من الصعب قراءة ذلك، لذلك توقفت. بالمناسبة، نسييتَ تغيير اسمي».

قلت: «سأدوّن ملاحظة».

قالت مبتسمة: «الباقى أعرفه. أتذكر البلاكليست على نيتفليكس؟ وكيف رويانا النبتين».

قلت: «دافنى ووالتر».

سألتنى: «هل تعتقد أنهما نجتا؟».

قلت: «أنا متأكد من ذلك».

قالت: «لا تكن متأكداً، فلا أحد يعرف».

اعترفت أن هذا صحيح.

قالت أليس: «ولا أنا، لكن يمكننا أن نعتبر أنهما بخير إذا أردنا ذلك، أليس كذلك؟».

قلت: «نعم، بالطبع يمكننا ذلك».

قالت أليس: «هذه ميزة عدم المعرفة»، ونظرت عبر النافذة إلى أميال من حقول الذرة التي كانت كلها باللون البنى منتظرة الشتاء، ثم تابعت: «يمكن للناس أن يقرروا تصديق أي شيء قديم يريدونه، وأنا اخترت أن أصدق أننا سنصل إلى مونتوك بوينت، ونفعل ما جئنا من أجله، وننجو بفعلتنا، ثم نعيش سعادة دائمة».

قلت: «حسناً، سأختار تصديق ذلك أيضاً».

قالت أليس: «لم يُقبض عليك بالرغم من كل عمليات القتل التي نفذتها؛ لقد نجوتَ منها جميعاً».

قلت: «أنا آسف لأنك اضطررت إلى القراءة عن ذلك، لكنك طلبتِ

منى أن أكتب كل شيء».

هزت كتفيها وقالت: «هناك قاسم مشترك بين كل قتلاك، إنهم أشخاص

سيئون. أنت لم تطلق النار على أي كاهن أو طيب أو... أو حارس». جعلني ذلك أضحك، فابتسمت أليس قليلاً، وبدت وكأنها تفكر، لذا تركتها تفعل ذلك.

عبرنا الأميال الواحد تلو الآخر.

أخيراً قالت: «سأعود إلى الجبال حيث سأعيش مع بوكي لبعض الوقت. ما رأيك في ذلك؟».

قلت: «أعتقد أنه سيحب ذلك».

قالت أليس: «فقط كبدائية، حتى أتمكن من العثور على عمل، والحصول على منزل لي، والبدء بتوفير المال للعودة إلى الدراسة لأنه يمكنني بدء الدراسة الجامعية وقتما أشاء. في بعض الأحيان لا يبدأ الناس الدراسة الجامعية قبل أن يبلغوا العقد الرابع أو حتى السادس، أليس كذلك؟».

قلت: «شاهدت على إحدى المحطات التلفازية رجلاً بدأ الدراسة عندما كان في الخامسة والسبعين من عمره وحصل على شهادته عندما كان في الثمانين. أشعر أنك لن تعودي إلى كلية إدارة الأعمال».

قالت أليس: «لا، سأرتاد كلية عادية، ربما حتى جامعة كولورادو. يمكن أن أعيش في بولدر؛ لقد أحببت المدينة».

سألتها: «هل لديك فكرة عما تودين دراسته؟».

ترددت وكأن شيئاً قد حدث لها، وغيّرت رأيها قائلة: «ربما التاريخ أو علم الاجتماع، وربما فنون المسرح. ليس من أجل التمثيل، فأنا لا أريد أن أمثل، ولكن من أجل الأشياء الأخرى، كالتحضيرات والإضاءة وكل ذلك. كثيرة هي الأمور التي أشعر بالفضول حيالها».

قلت لها: «هذا جيد».

سألته: «ماذا عنك يا بيلي؟ ماذا ستفعل بعد ذلك؟».

أجبتها من دون طول تفكير قائلاً: «بما أننا نحلم، أود أن أصبح كاتباً».

نقرتُ على الحاسوب المحمول الذي كانت تحمله وتابعتُ: «لم أكن أعرف إن كنت أستطيع كتابة قصة، ولكنني الآن واثق من أنني أستطيع». سألت أليس: «ماذا عن هذه القصة؟ يمكنك تعديلها وتحويلها إلى قصة خيالية...».

هزرت رأسي قائلاً: «لن يطلع عليها أحد سواك، ولا بأس بذلك. لقد أدت الغاية منها، إذ إنها فتحت لي باب الكتابة ولست مضطراً إلى إعطائك اسماً مستعاراً».

ظلت أليس هادئة لبعض الوقت ثم سألت: «هذه آيوا، أليس كذلك؟». أجبتها: «صحيح».

قالت: «إنها مملة».

ضحكتُ قائلاً: «أراهن أن سكانها لا يعتقدون ذلك».

قالت: «أراهن أنهم يفعلون ذلك، وخاصة الأطفال».

لم أستطع مجادلتها بهذا الموضوع.

قالت: «قل لي شيئاً».

قلت: «سأفعل إذا استطعت».

قالت: «لماذا يريد رجل في العقد السادس من عمره أن يكون مع فتاة صغيرة مثل روزالي؟ لا أفهم ذلك. يبدو... لا أعرف... بشعاً».

قلت: «انعدام الأمن؟ أو ربّما يحاول استعادة الحيوية التي فقدتها؟ أو ربما استعادة ذكريات شبابه؟».

فكرت أليس في الأمر وقالت: «يبدو الأمر لي هراء».

في الواقع، لقد فكرتُ مثلها أيضاً.

قالت: «أعني، فكر في ذلك؛ ما الذي يمكن أن يتحدث عنه كليرك لفتاة تبلغ من العمر ستة عشر عاماً؟ سياسة؟ أحداث العالم؟ محطات التلفزيونية؟ وما الذي ستحدث إليه؟ عن التشجيع وأصدقائها على فيس بوك؟».

قلت: «لا أعتقد أنه يبحث عن علاقة طويلة الأمد، كانت الصفقة ثمانية آلاف دولار مقابل ساعة واحدة».

قالت: «إذاً، فالأمر مضاجعة مقابل مضاجعة؛ خذ واعطِ. هذا يبدو أجوف بالنسبة إليّ، وتلك الفتاة الصغيرة في المكسيك...»، صمتت لبرهة ثم قالت شيئاً ما بصوت منخفض، لكنني لم أستطع فهمها. سألتها: «ماذا قلت؟».

قالت: «إنه وحش»، وهي لا تزال تنظر إلى أميال من حقول الذرة، وكزرت: «قلت إنه وحش».

* * *

قضينا ليلة الهالوين في ساوث بيند، إنديانا، والأول من تشرين الثاني في لوك هافن، بنسلفانيا. أثناء تسجيل الوصول، رنّ هاتفني مُنبأً بوصول رسالة نصيّة من جورجيو.

قال فيها: يريد بيترسن، مساعد آر. كيه. صورة لابن عم دارين بيرن بغرض تحديد الهوية. أرسلها إلى judyb14455@aol.com) وسوف تمررها من دون تدقيق، ستكون سعيدة إذا واجه آر. كيه. بعض الحظ السيئ. كان طلب بيترسن للصورة مُقلقاً، ولكنه لم يكن مُفاجئاً، فهو المسؤول عن أمن كليرك ومساعدته بعد كل شيء.

أخبرتني أليس ألا أقلق، وقالت إنها ستعيد الهيئة مع الشعر الأسود المستعار الذي كنت أستعمله في التتوء الصخري، فقالت: «في بعض الأحيان يكون من الجيد أن يكون لديك أخت مصففة شعر». ذهبنا إلى وول مارت حيث وجدت أليس نظارة، وكريماً فاتح اللون قالت إنه سيعطيني منظراً إيرلندياً، وقرطاً ذهبياً صغيراً مثبتاً بمشبك لأذني اليسرى. عدنا إلى الفندق ومشطت الشعر الأسود المستعار، وأخبرتني أن أضع النظارة قبل الشعر المستعار.

قالت: «وكأنك تظن نفسك نجماً سينمائياً، البس القميص ذا الياقة العالية، وتذكر أن كليرك وهذا الرجل بيترسن، يعتقدان أن بيلي سامرز قد مات».

لقد التقطت الصورة على خلفية محايدة - جدار من الطوب في بيست ويسترن حيث كنا نقيم - وتفحصنا الصورة معاً وعن كثب.

سألت أليس: «هل هي جيدة بما فيه الكفاية؟ أعني، لا أرى أنها تشبهك، خاصة مع تلك الابتسامة، لكنني أتمنى لو كان بوكي هنا لمساعدتنا».

قلت: «أعتقد أنها كما قلت، ستخدمنا كثيراً فكرة أنهما يعتقدان أنني مدفون في سفوح باويت».

عندما عدنا إلى الداخل قالت أليس: «هذه مؤامرة صغيرة، زبونك المجهول، والآن سيدة فيغاس».

قلت: «لا تنسي نيك».

وقفت عابسة في منتصف الممر المؤدي إلى غرفتينا قائلة: «ماذا لو اتصل أيّ منهم بكليرك وأخبره بما يحدث، فمن المحتمل أن تكون تلك صفقة مربحة بالنسبة إليهم. ليس ماغاريان أو السيد بيغليلي، ولن يفعل بوكي أبداً، ولكن ماذا عن المرأة بلاتنر؟».

قلت: «لن تفعل أيضاً، لقد سئموا جميعاً منه».

قالت: «أنت تأمل هذا».

قلت: «أنا أعلم»، على أيّ حال سأفعلها، وبدا الأمر أكثر فأكثر أن أليس توافقني الرأي.

* * *

بقينا في نيوجيرسي ليلة 2 تشرين الثاني، وفي الليلة التالية، وصلنا إلى فندق ريفيرهايد حياة على بعد خمسين ميلاً من مونتوك بوينت. كان جورجيو قد أبدى بالفعل بعض التحفظات من محبسه في العيادة التخصصية

في أميركا الجنوبية عندما علم أنني لم أحجز باسم ستيفن بيرن، بل حجزت تحت اسم دالتون سميث. كان على أليس أن تظهر بطاقة هوية إيلزابيث أندرسون الجديدة، لأنّ هذا المكان كان أكثر فخامة من الفنادق التي سبق لنا أن أقمنا فيها. كان جورجيو، الذي ربّما يكون أكثر نحافة حالياً إلا أنّه لا يزال حادّ الطباع كما كان دائماً، قد حجز أيضاً غرفة مزدوجة مدفوعة الأجر مسبقاً لستيفن بيرن وروزالي فورستر. لم يكن كليرك ليتحقّق، لكن بيترسن قد يفعل ذلك. إذا قال الموظف لبيترسن أنّ بيرن وفورستر لم يصلا بعد، فلن يكون بيترسن قلقاً للغاية. لم يكن معروفاً عن القوادين أنهم يحتفظون بجداول منتظمة.

سألت قبل مغادرة المكتب إذا كان هناك طرد لي، وقد تبين أن هناك واحداً من فن أند غيمس نوفيلتيز في لاس فيغاس؛ وهي شركة غير موجودة بلا شك؛ وقد أرسله جورجيو بناء على طلبي. فتحته في غرفتي مع أليس حيث وجدت في داخله عبوة صغيرة بحجم مزيل التعرق؛ لا يوجد رشاش هذه المرة.

سألته أليس: «ما هذه؟».

أجبتها: «كارفنتانيل. في العام 2002 ضحّخه الروس في مسرح حيث كان أربعون أو خمسون متمرداً شيشانياً يحتجزون سبعمئة رهينة. كانت الفكرة تنويم الجميع وإنهاء العملية، ولقد نجحت العملية فعلاً، لكن الغاز كان قوياً جداً. مئة من الرهائن لم يناموا فحسب، بل ماتوا، وأشكّ في أنّ بوتين اكرث لأمرهم. أفترض أن يكون هذا الرذاذ بنصف قوّته الأساسية. نحن نلاحق كليرك، وأنا لا أريد أن أقتل بيترسن إذا لم أضطر إلى ذلك».

قالت: «ماذا لو لم يعمل؟».

قلت: «عندها سأفعل كلّ ما أحتاج إليه».

قالت أليس: «سنفعل».

كان الرابع من تشرين الثاني يوماً طويلاً؛ أيام الانتظار دائماً ما تكون طويلة؛ أخرجت أليس ثوب السباحة، وسبحت في حوض السباحة في الفندق، ثم تمشينا في وقت لاحق، وتناولنا وجبة غداء خفيفة من عربة نقائق. قالت أليس إنها تريد أخذ قيلولة، وحاولت أنا أن أنام، لكنني لم أستطع، واعترفت أليس في وقت لاحق، بينما كانت تعيد تصفيف الشعر المستعار مرة أخرى لمطابقة الصورة، بأنها لم تستطع النوم بدورها. قالت: «لم أنم كثيراً الليلة الماضية، سأنام عندما ينتهي كل هذا، سأنام كثيراً».

قلت: «اللعنة، ابق هنا إذاً، ودعيني أنجز المهمة».

ابتسمت ابتسامة خفيفة وقالت: «وماذا ستقول لبيترسن عندما تأتي من دون الفتاة ذات الثمانية آلاف دولار؟».

قلت: «سأفكر في شيء ما».

قالت: «قد لا يسمح لك بالدخول، وإذا فعل ذلك، فسيتعين عليك قتل بيترسن. أنت لا تريد أن تفعل ذلك، ولا أريدك أن تفعله، لذا أنا ذاهبة».

غادرنا عند الساعة السادسة. كان لدى أليس صورة للعقار من تطبيق غوغل إيرث، وإرشادات حول كيفية الوصول إلى هناك على نظام تحديد المواقع العالمي. كانت حركة المرور خفيفة، وسألتها إن كانت تريد التوقف عند أحد مطاعم الوجبات السريعة في ضواحي ريفيرهايد فقهقتها قائلة: «إذا أكلت أي شيء، فسأتقياً على ثوبي الجديد الجميل».

كانت ترتدي الفستان الأرجواني المطبوع بأزهار بيضاء جميلة ذا الياقة المكشوفة قليلاً، وسترتها الجديدة التي تركتها مفتوحة كي تظهر الياقة بوضوح. كانت تضع حزام الصدر تحته بدلاً من ارتداء حمالة صدر، وكانت حقيبة يدها في حضنها، وبدخلها المسدس، أما أنا فكننت أرتدي سترتي

الجديدة، وأضع مسدسي في أحد الجيوب الداخلية، والرذاذ في جيب آخر. قالت: «طريق مونتوك السريع التفافي»، كنت أعرف ذلك، لقد درست التصميم على حاسوبي المحمول بعد ظهر ذلك اليوم عندما لم أستطع النوم، لكنني تركتها تحدث. كانت تحاول تهدئة أعصابها والتخلص من التوتر، فتابعت: «عليك عبور متحف لايت هاوس، ودخول أول منعطف إلى اليسار. إيوس ليس عقاراً يطل على البحر؛ لقد ضحى بالمنظر على ما أعتقد. أشك في أنه قادر على ركوب الأمواج وقد بلغ من العمر عتياً، أياً يكن الأمر. هل أنت خائف؟».

قلت: «كلا»، على الأقل لم أكن خائفاً على نفسي.

قالت: «حسناً، سأخاف بالنيابة عنا نحن الاثنين؛ إذا لم يكن لديك مانع». استعانت بالخريطة على هاتفها مرة أخرى وقالت: «يبدو أن الرقم 775 يقع على بعد ميل واحد، بعد متجر مونتوك فارم مباشرة. يجب أن يكون ذلك مريحاً، الخضروات الطازجة وكل شيء في متناول اليد. تبدو جيداً يا بيلي، كالإيرلنديين. هل يمكنك التوقف في مكان ما؟ أريد التبول». توقفت في مكان يسمى بريزي واي دينير في منتصف الطريق تقريباً بين ريفر هيد ومونتوك. اندفعت أليس إلى الداخل، وفكرت في المضي قدماً من دونها؛ فكل ما قاله لي بوكي إلا أفعله بها - ولها - كنت أفعله. سرعان ما استصبح شريكاً في جريمة قتل رجل ثري ومشهور، ولن يحدث ذلك إلا إذا سارت الأمور على ما يرام، أما إذا سارت عكس ما خُطِّط لها، فقد ينتهي بها الأمر ميتة. لكنني بقيت، وانتظرتها، لأنني احتجت إليها للدخول، نعم، ولكن أيضاً كان لها الحق في أن تقرر.

خرجت مبتسمة وقالت: «هذا أفضل بكثير، ظننتك ستتركني».

قلت: «لم أفكر في ذلك أبداً»، من نظرة عينها أدركت أنها تعرف أنني أكذب. استعدت في مقعدها، وغطت ركبتيها بفستانها حيث بدت وكأنها

فتاة في ثانوية ممتازة ولائقة، من النوع الذي لا يبدو أنه يتصنع ذلك أبداً، ثم قالت: «هيا بنا ننجز المهمة».

* * *

مررنا بمتحف لايت هاوس، وسلكننا المنعطف الأيسر على مسافة أقل من مائة ياردة حيث كان الظلام دامساً. سمعنا من مكان ما جهة اليمين صوت أمواج المحيط، ورأينا أعلى الأشجار الهلال يتوسط سواد السماء، فانحنيت أليس، واهتمت بالشعر المستعار، ثم جلست هادئة ولم نتحدث معاً.

بدأت الأرقام على طريق مونتوك السريع عند 600، لأسباب ربّما لم يعرفها سوى مخططي المدن الذين أخذوا مكافآتهم النهائية منذ فترة. لقد فوجئت أن المنازل، على الرغم من أنها مستترة بشكل جيد، كانت عادية. كان معظمها عبارة عن مزارع ومنازل على طراز كيب كودز التي ما كانت ستبدو في غير مكانها في شارع إيفرغرين، حتى إنه كان هناك محطة للمقطورات وممرات مرصوفة بالحصى، لكن المقطورات كانت مركونة.

بدا متجر مونتوك فارم الذي يحتوي على القليل من المنتجات الغذائية مظلماً ومغلقاً، وهناك عدد قليل من اليقطين المكس على شكل هرم بجانب الباب والقليل منه أيضاً في الجزء الخلفي من شاحنة قديمة كُتب عليها للبيع على جانب، واستيراد البضائع على الجانب الآخر.

أشارت أليس إلى صندوق بريد خلف المتجر وقالت: «هذا هو». خففت من السرعة وسألتها: «هذه آخر فرصة. هل أنت واثقة؟ إذا لم تكوني كذلك يمكننا العودة».

أجابت: «أنا واثقة». كانت تجلس بشكل مستقيم، وكانت ركبها ملتصقتين ويدها مشدودتين على حزام حقيبتها، وتنظر إلى الأمام مباشرة. استدرتُ إلى مسار ترابي كُتب على إشارة مرورية بجانبه طريق

خاص - من الواضح أنّ المسار الترابي كان مموهاً للتخلص من السياح الفضوليين - ثمّ اتّسع الطريق فوق التلّ الأول، وأصبح عريضاً بما يكفي لمرور السيارات بشكل مريح. استخدمت الضوء العالي، وفكرت في أن هذه كانت رحلتي الثانية إلى منزل الرجل السيء، وكنت أمل أن يكون الأمر أسرع وأكثر كفاءة هذه المرّة.

اقتربنا من منعطف، وأصبحت البوابة الخشبية المضلّعة أماننا، كان ارتفاعها قرابة ست أو سبع أقدام وكانت تسدّ الطريق، كما كان هناك جهاز استقبال مُثبّت على عمود خرساني. اقتربت منه، وأنزلت نافذتي، وضغطت على الزر، وقلت: «مرحباً؟».

اعتقدت ووافقتني أليس وبوكي أنّ محاولة الحصول على لهجة إيرلندية قد تكون كارثية، ولم يكن هناك سبب لضرورة أن يتميز بيرن بهذه اللهجة خاصة إن أمضى كل حياته في نيويورك. في غضون ذلك لم يردّ أحد.

قلت من جديد: «مرحباً، أنا ستيفن بيرن. ابن عم دارين، هااايي؟ لدي شيء للسيد كيه».

لم ألقَ ردّاً، ولم يكن هناك شيء سوى الصمت المطبق. شعرتُ، وكذلك أليس وهذا ما بدا من مظهرها، بأنّ هناك خطباً ما، ولن تتمكن من الدخول؛ ليس بهذه الطريقة على الأقل.

ثمّ أتى الرد، وقال رجل ما: «اخرج من السيارة». كان صوته بارداً وعديم اللحن، من الممكن أن يكون صوت شرطي، ثمّ تابع: «أنت والشابة معاً. سترى علامة X أمام البوابة في المنتصف تماماً، قفا هناك، وانظرا إلى جهة اليسار. قفا بالقرب من بعضكما».

تبادلت وأليس النظرات بعينين واسعتين، وهزرت كتفيّ، ثمّ أوامت برأسي. ترحلنا وتوجهنا صوب البوابة حيث وُضِعَت علامة X التي ربّما

كانت زرقاء ذات يوم ولكنها تحوّلت الآن إلى اللون الرمادي على مربع خرساني. وقفنا عليها ونظرنا يساراً.

قال الرجل: «انظرا إلى الأعلى».

نظرنا، ولاحظنا وجود كاميرا بالطبع.

كان بإمكانني سماع صوت خافت يتمتم بشيء ما، ثم أياً كان من يضغط على زر الاتصال الداخلي في المنزل - أفترض أنه بيترسن - صمت ولم يقل شيئاً. لم يكن هناك رياح، وكان الوقت متأخراً جداً لوجود الصراصير. سألت أليس: «ماذا يحدث؟».

لم أكن أعرف، لكنني اعتقدت أنه من المحتمل أنهما كانا يستمعان، لذلك أخبرتها أن تصمت وتنتظر. اتسعت عيناها، لكنها أدركت الأمر بعد ذلك وقالت بصوت منخفض: «حسناً يا سيدي».

قال المتحدث من الداخل: «أرى انتفاخاً على الجانب الأيسر من سترتك يا سيد بيرن. هل أنت مسلح؟».

اللعنة، كانت الكاميرا جيدة بحيث لا يمكنني أن أنكر، وستظل البوابة مغلقة بلا شك، بغض النظر عن مدى رغبة كليرك في الفتاة، لذا قلت: «نعم، للحماية فقط».

قال الرجل: «أخرجه وارفعه».

أخرجت مسدسي الغلوك، ورفعته أمام الكاميرا.

قال الرجل: «ضعه في قاعدة مركز الاتصال الداخلي. لن تحتاج إلى حماية هنا، ولن يسرقه أحد، كما يمكنك أخذه عندما تخرج».

فعلت ما قيل لي. كانت علبة الرذاذ أصغر بكثير من أن تُرى، لذلك لم يكن هناك انتفاخ على الجانب الآخر من السترة. إذا تمكنت من شل حركة الرجل الذي يتولى الاتصال الداخلي، فلن يكون كليرك مشكلة، أو هذا ما تمنيته.

عدت إلى المربع الخرساني، لكن الصوت الصادر من جهاز الاتصال الداخلي أوقفني، قائلاً: «لا يا سيد بيرن. من فضلك ابقَ حيث أنت». صمت قليلاً ثم قال: «في الواقع أريدك أن تخطوَ خطوتين إلى الوراء لو سمحت». خطوت خطوتين نحو السيارة.

قال: «الآن خطوة أخرى»، وفهمت؛ كانا يريدانني خارج نطاق الكاميرا. أراد كليرك تفحص البضاعة وتحديد ما إذا كان يريد حقاً الشراء أو إعادتنا. سمعت صوت أنين خافت من الكاميرا، فنظرت ورأيت العدسة بارزة الآن؛ إنهما يكتبان الصورة.

اعتقدت أن الرجل سيطلب من أليس بعد ذلك أن تُظهر للكاميرا ما بداخل حقيبتها، وسينتهي الأمر بالكشف عن مسدسها، ووضعه في قاعدة مركز الاتصال الداخلي جنباً إلى جنب مع مسدسي، لكن هذا لم يحصل. قال: «ارفعي تنورتك أيتها الفتاة».

كان هذا صوت بيترسن، لكن كليرك هو من ينظر بشغف بعينه العجوزتين.

كانت أليس تحدق إلى الأرض بدلاً من الكاميرا، ورفعت تنورتها إلى فخذيها. لقد اختفت كدماتها منذ فترة طويلة فظهرت ساقاها ناعمتين وفتيتين. كرهت الصوت، كرهت كليهما. قال: «أعلى من فضلك».

للحظة ظننتها سترفض، ثم رفعت تنورتها حتى خصرها، ولم تنظر إلى الكاميرا. لم يكن هناك شك في أن ذلك مذلٌّ، ولم يكن لديّ أدنى شك في أن كليرك يستمتع بذلك.

ثم قال: «انظري الآن إلى الكاميرا». ففعلت أليس ذلك.

قال: «استمري في رفع تنورتك. يوّد السيد كليرك أن تحركي لسانك

حول شفيتك».

قلتُ: «لا، هذا يكفي».

أنزلت أليس تنورتها، ونظرت إليّ بما معناه ماذا أفعل بحقّ الجحيم؟ عدت إلى نطاق الكاميرا ونظرت قائلاً: «لقد رأيت ما يكفي، أليس كذلك؟ أيّ شيء آخر في الداخل. الجو بارد هنا، وأريد المال في يدي قبل أن تخطو عبر الباب، وستبدأ الساعة بمجرد دخولها. أفهمت ذلك؟». فكرت بقول هاليبي مرة أخرى ضمن حديثي، لكنني تراجعته.

ساد الصمت قرابة الثلاثين ثانية، كنت أشعر خلالها بذلك الشعور الغريب مرة أخرى. قلت لها: «اللجنة على هذا الهراء، تعالي»، وأمسكت ذراعها.

بعد ذلك فتحت البوابة وقال صاحب الصوت عبر الاتصال الداخلي: «لقد قطعت ثمانية عشر ميلاً يا سيد بيرن. لديّ أموالك».

كانت أليس ترتجف.

رفعت زجاج النافذة قبل أن أخبرها بصوت أعلى من الهمس بقليل بأنني آسف لذلك، فقالت: «لا أهتم إذا رأيا سروالي، لقد ظننت أنهما سيطلبان مني فتح حقيبتني، وعندها سيريان المسدس عبر الكاميرا اللعينة».

قلت: «أنت طفلة. لا أعتقد أنه فكر بموضوع حملك السلاح».

قالت: «ثم اعتقدت أنه لن يسمح لنا بالدخول على الإطلاق. اعتقدت أن الرجل سيقول أنت لست في السادسة عشرة من العمر، اخرجي من هنا وتوقفي عن إضاعة وقتنا».

ظهرت الآن مصابيح قديمة على جانبي الطريق حيث استطعت أن أرى أضواء المنزل الذي أطلق عليه الرجل العجوز اسم إيبوس، على اسم إلهة الفجر ذات الأصابع الوردية.

قلت: «من الأفضل أن تعطيني السلاح».

هزّت رأسها وقالت: «أنا أريده، كما لا يزال لديك الرذاذ».

لم يكن هناك وقت للجدل حول هذا الموضوع. كان المنزل - القصر - على مرمى البصر. إنه عبارة عن هيكل حجري يتربع على مساحة لا تقل عن فدانين من العشب؛ متنزه أطفال يملكه رجل ثري بالتأكيد. كان هناك منعطف في الأمام، ودرجات حجرية تؤدي إلى مدخل دائري.

حين وضعت أليس يدها على مقبض الباب للخروج من السيارة قلت لها: «لا، دعيني أنزل وأفتحه لك، كما يفعل الرجل النبيل».

سرت أمام غطاء محرك الميتسوبيشي، وفتحت الباب، وأمسكت يدها التي كانت باردة جداً، وكانت عيناها واسعتين وشفثاها ملتصقتين معاً. تمتمت في أذنها وأنا أساعدها على الخروج: «امشي ورائي وتوقفي عند تلك الدرجات. هذا سيحدث بسرعة».

قالت: «أنا خائفة جداً».

قلت: «لا تترددي في إظهار ذلك الخوف، فمن المحتمل أن يعجبه ذلك».

مشينا إلى الدرجات الأربع ثم توقفنا. أضيء الضوء الخارجي، واستطعت أن أرى ظلها الطويل وهي لا تزال تمسك حقيبتها بيديها؛ كانت تضعها أمامها كما لو أنها ستحميها مما سيحدث في الثلاثمئة ثانية القادمة أو نحو ذلك. انفتحت البوابة الأمامية الكبيرة، وسطع ضوء داخلي. كان الرجل الواقف هناك طويلاً ويتمتع ببنية جسدية جيدة. لم أستطع الحكم على عمره أو حتى تحديد وجهه بسبب الضوء خلفه، لكنني تمكنت من رؤية قراب لمسدس صغير على خصره. قال بيترسن: «ماذا تفعل هناك في الأسفل؟ قل لها أن تصعد».

قلت: «المال أولاً»، وقلت لأليس: «ابقي مكانك يا فتاة».

وضع بيترسن يده في جيبه الأمامي - الجيب الموجود على الجانب

الآخر من القراب، والذي كان بلا شك مبطناً بالبلاستيك ليتيح سحبه بسلاسة وسهولة إذا لزم الأمر - وسحب رزمة من النقود سلّمني إيّاها وقال: «لا تبدو إيرلندياً».

ضحكت وبدأت بعدّ المال، كان المبلغ كله أوراقاً من فئة المئة، وقلت: «يا رجل، بعد إمضاء أربعين عاماً من حياتي في أحياء نيويورك، أمل ألا يحدث ذلك. أين الرجل الكبير؟».

قال: «هذا ليس من شأنك، أرسل الفتاة، واركن سيارتك هناك بجوار المرأب، وابقَ في السيارة».

قلت: «نعم، بالتأكيد، لكنك الآن جعلتني أخطئ في العد».

ثم عاودت العد. قالت أليس خلفي: «بيلي؟ أنا أشعر بالبرد».

تصلب بيترسن قليلاً وقال: «بيلي؟ لماذا تدعوك بيلي؟».

ضحكتُ وقلت: «آه يا رجل، هي تفعل ذلك طوال الوقت؛ إنه اسم

حبيبها»، ثم ابتسمت له وتابعت: «إنه لا يعرف أنها هنا، هل تفهم؟».

لم يقل بيترسن شيئاً، ولم يبدو مقتنعاً، واتجهت يده نحو القراب.

قلت: «هذا جيد يا رجل، المبلغ كامل».

دفعت النقود في جيب سترتي، وأخرجت الرذاذ.

ربّما رآه، وربّما لا، لكنّه بدأ بسحب المسدس الصغير على أيّ حال.

جمعت يدي على شكل قبضة ولكمته، ثم رششت الرذاذ على وجهه؛ رشّة

صغيرة لكن النتيجة كانت مرضية. ترنّح ذهاباً وإياباً مرّتين، ثم سقط أرضاً.

سقط المسدس على المنحدر، وصدر منه صوت كانفجار مفرقة نارية

صغيرة. ما كان يفترض بذلك أن يحصل، فلا بدّ أنّه عبث به بطريقة ما.

شعرت أنّ الرصاصة تجاوزت كاحلي، فاستدرت للتأكد من أنّها لم تصب

أليس.

صعدت الدرج مرعوبة وقالت: «آسفة، آسفة، كان هذا غيبياً، لقد نسيت

من...».

صدر صوت من داخل المنزل، وقد بدا أنه يعود لشخص مدخن: «بيل؟

بيل؟».

كدت أجيّب، ثم تذكرت أنّ الرجل الذي يرقد في البهو كان اسمه بيلي أيضاً؛ إنه اسم شائع للغاية، ثم قال الصوت ذاته: «ماذا كان ذلك؟ أين الفتاة؟»، ثم سعل.

فُتح باب في منتصف الطريق أسفل القاعة وظهر كليرك من خلاله. كان يرتدي بيجاما من الحرير الأزرق، وكان شعره الأبيض ممشطاً بتسريحة بومبادور ممّا جعلني أفكر في فرانك، وكان يتكئ على عصا. قال: «بيل، أين الفتاة...؟».

توقّف ونظر إلينا، ثمّ نظر إلى الأسفل ورأى رجله ممدداً على الأرض. استدار وعرج بحثاً عن الباب الذي دخل من خلاله، وانحنى مُتكئاً على عصاه ممسكاً بها في كلتا يديه، وكاد يقفز مستنداً إليها. كان أسرع ممّا كنت أتوقع بالنظر إلى عمره وحالته. ركضت خلفه، وتذكرت حبس أنفاسي بينما كنت أعبر البهو، وأمسكته وهو يحاول إغلاق الباب. دفعت الباب فسقط، وسقطت عصاه بعيداً.

جلس ونظر إلى وجهي حيث كنّا في غرفة المعيشة، وكانت السجادة التي تمدد عليها باهظة الثمن؛ ربّما تركية؛ وبدت اللوحات على الجدران باهظة الثمن بالقدر نفسه، وكان الأثاث فخماً ومنجداً بالمخمل، وهناك حامل من الكروم يحمل زجاجة من الشمبانيا باهظة الثمن بلا شك على مهد من الثلج.

بدأ يتعدّ عني مستنداً على مؤخرته محاولاً الوصول إلى عصاه، وقد بدأت تسريحته الدقيقة تتبعثر، فغطى شعره وجهه المترهل المتجدد. كانت شفته السفلى لامعة بسبب البصاق، عالقة في نوع من التجهّم، واستطعت

شم رائحة العطر الخاص به.

قال: «ماذا فعلت لبيبل؟ هل قتلته؟ هل كانت تلك طلقة نارية؟».

أمسك العصا ولوح بها أمام وجهي وهو جالس هناك وساقاه مفتوحتان. بدأ سروال البيجاما الخاصة به ينخفض، كاشفاً عن وركيه وشيب العانة.

قال: «أريدك أن تخرج من هنا. من أنت على أي حال؟».

قلت: «أنا الرجل الذي قتل الرجل الذي قتل ابنك».

اتسعت عيناه، ودفع بالعصا صوب وجهي، فأمسكت بها، وجعلته يفلتها، ورميتها في مكان بعيد من الغرفة، ثم قلت: «أمرت شخصاً ما أن يشعل النار في كودي، ورتبت لطاغم التصوير الخاص بمحطتك التلفازية ليكون الوحيد في المحكمة عندما أطلقت الرصاصة. أليس كذلك؟».

حدق إليّ، وكانت شفته العليا ترتفع وتنخفض. بدا وكأنه كلب عجوز في مزاج سيئ، وقال: «أنا لا أعرف ما الذي تتحدث عنه».

قلت: «أعتقد أنك تعرف، لقد كان ذلك مبكراً جداً. لماذا؟».

ركع كليرك على ركبتيه، وزحف باتجاه الأريكة مما أتاح لي رؤية أفضل بكثير مما كنت أرغب برؤيته. شدّ حزام خصر سرواله بشكل غير مجدٍ بحيث كدت أشعر بالأسف تجاهه، إلا أنني لم أفعل. السيد كليرك يود أن يرى ملابسك الداخلية. يود السيد كليرك أن تحركي لسانك حول شفتيك. سألت وكأني لا أعرف: «لماذا؟ يجب أن تجيبي».

أمسك بذراع الأريكة بينما كان يلهث لالتقاط أنفاسه، وتمكنت من رؤية الزر الملون للسماعة التي تحسن السمع في إحدى أذنيه. جلس وقال لاحقاً: «حسناً، حاول ألين ابتزازي، وأردت رؤيته وهو يموت».

فكرت في نفسي: بالطبع فعلت، وأراهن أنك شاهدته مراراً وتكراراً، سواء أكان بالسرعة العادية أو بالحركة البطيئة.

قال: «أنت يا سامرز. أخبرني ماغاريان أنك ميت»، ثم قال بعد ذلك

بغضب سخيف ومرّوع: «لقد دفعت لذلك اليهودي ملايين الدولارات. لقد سرقني».

قلت: «كان يجب أن تطلب صورة. لماذا لم تفعل؟».

لم يجب، وما كنت بحاجة إلى سماع إجابته. لقد كان إمبراطورًا لفترة طويلة لم يستطع تصوّر أنه لا يُطاع. صوّر عملية الإعدام، اقتل المنفذ. ارفعني تنورتك وأريني سروالك. هذه المرة أريد طفلةً صغيرةً حقًا. سألني: «أنا مدين لك بالمال، هل هذا سبب مجيئك إلى هنا؟».

قلت له: «قل لي شيئاً آخر. أخبرني كيف كان الأمر، أن تقتل أحداً من لحمك ودمك». ارتفعت شفته مرّة أخرى لتظهر أسناناً مثالية جداً بالنسبة إلى هذا الوجه العجوز وقال: «لقد استحقّ ذلك، ما كان هناك شيء ليقفه عند حده. لقد كان...»، سكت كليرك ثمّ ونظر إلى أليس وقال: «من هذه؟ هل هي الفتاة التي دفعت ثمنها؟».

دخلت أليس الغرفة، ووقفت إلى جانبي ممسكةً بحقيبتها بيدها اليسرى والمسدس لا يزال داخلها، وقالت: «أردت أن تعرف كيف يكون الأمر، أليس كذلك؟».

قال: «ماذا؟ أنا لا أعرف ما الذي تتحدثين عنه...».

قالت: «اغتصاب طفلة، أردت أن تعرف كيف يكون الأمر».

قال: «أنتِ مجنونة. ليس لديّ أيّ فكرة عما تتحدثين...».

قالت: «لا بدّ أنّه كان مؤلماً كهذا...»، وأطلقت النار عليه. أعتقد أنّها كانت تصوّب نحو خصيتيه، لكنّها أصابته في بطنه بدلاً من ذلك فصرخ كليرك صرخة مدوية.

لقد استولت الحادثة القديمة على تفكيرها، وضغطت على الزناد. أسقطت حقيبتها، ووضعت يدها على فمها.

صرخ كليرك: «يا إلهي، أنا أتألم، لقد تأذيت». كان يضع يده على بطنه،

وقد تسرب الدم من بين أصابعه إلى البيجاما الحريرية التي يرتديها. التفتت
أليس إليّ وقد بدت عيناها متسعيتين ودامعتين، وفمها مفتوحاً، وهمست
بشيء لم أسمعه تماماً.

صرخ كليرك: «أنا بحاجة إلى طبيب، أنا أتألم».

كان الدم يتدفق منه الآن. أخذت المسدس من يد أليس، ووضعت
الفوهة على صدغه الأيسر، وضغطت على الزناد. تراجع مرة أخرى على
الأريكة، وسقط على الأرض. انتهت أيامه في اغتصاب الصغيرات وقتل
الناس، والله وحده يعلم ما غير ذلك.

قالت أليس: «لم أكن أنا يا بيلي، لم أكن أنا من ضغط على الزناد،
أقسم إنني لم أقصد ذلك».

لكن كانت هي من أطلقت الرصاصة؛ لقد استيقظ شيء ما بداخلها،
شخص غريب عنها، وعليها الآن أن تتعايش معه، ستراه في المرة القادمة
التي ستنظر فيها إلى المرأة.

وضعت مسدس السيغ في حزامي، ووضعت هي حزام حقيبتها على
كتفها، وقلت لها: «هيا، علينا الخروج من هنا».

قالت: «أنا فقط... كان الأمر كما لو كنت خارج نفسي، و...».

قلت: «أعرف، علينا الذهاب يا أليس».

قالت: «كان الصوت صاخباً جداً. ألم يكن الصوت مرتفعاً؟».

قلت: «نعم، كان عالياً جداً. هيا بنا».

اصطحبتها إلى أسفل القاعة، ولاحظت الآن أنها كانت مليئة بلوحات

لفرسان وسيدات جميلات، وطواحين هواء لسبب لعين ما.

نظرتُ إلى بيترسن وسألت: «هل مات هو الآخر؟».

ركعتُ بجانبه، لكنني لم أكن بحاجة إلى التأكد من نبضه. كنت أسمع

أنفاسه سليمة وثابتة، فقلت لها: «إنه على قيد الحياة».

سألت: «هل سيتصل بالشرطة؟».

أجبتها: «في النهاية سيفعل، لكننا سنكون قد رحلنا بعيداً بحلول ذلك الوقت، وسينتهي أمره بعد أن يفعل».

قالت بينما كنا ننزل على الدرج: «لقد استحقّ كليرك الموت». تمايلت، ربّما لأنها استنشقت القليل من الغاز، أو لأنها كانت في حالة صدمة، وربّما للسببين معاً، فوضعت ذراعي حول خصرها. نظرت إليّ وسألت: «أليس كذلك؟».

قلت: «أعتقد ذلك، ما أعرفه هو أن الرجال أمثاله فوق العدالة في معظم الحالات، باستثناء العدالة التي قدمناها له. كان هذا انتقاماً من أجل الفتاة في المكسيك، ولابنه الذي أمر بقتله».

قالت: «لكنّه كان رجلاً سيئاً».

قلت: «نعم، كان سيئاً للغاية».

استقللنا السيارة، وسلكننا الطريق الداخلي، وتساءلت عمّا إذا كانت الشاشة التي كان الرجلان يشاهدانها من خلالها قد سجلت وجودنا. إذا حدث ذلك، فسيظهر فقط رجلٌ بشعر أسود وفتاة صغيرة رفعت تنورتها لمرة واحدة أو مرتين فقط - ولفترة وجيزة - ثم رفعت رأسها. سيكون من المستحيل التعرف إليها بعد أن تتخلص من الشعر الأشقر. كنت أكثر قلقاً بشأن البوابة. إذا احتجنا إلى رمز لفتحها، فسنكون في مشكلة، لكن البوابة فُتحت عندما اقتربنا. أوقفت السيارة عند البوابة وفُتحت البوابة.

سألت: «لماذا تتوقف؟».

أجبتها: «مسدسي، جعلني أتركه أسفل هذا الشيء، وبصمات أصابعي عليه».

قالت: «يا إلهي، هذا صحيح. أنا غبية».

قلت: «لست غبية، أنت في حالة صدمة، ومشتتة الذهن. سيزول هذا

التفتت إليّ، وقد بدت الآن أكبر من عمرها بدلاً من أن تكون أصغر،
وسألتنى: «هل سيزول حقاً؟ هل تعدني؟».

أجبتها: «سيزول، أعدك».

ترجلت من السيارة، وكنت أبدو أمام ضوء المصاييح الأمامية كممثل
على خشبة المسرح عندما خرجت المرأة من بين الأشجار على بعد عشر
أقدام من البوابة. كانت ترتدي بنطالاً وسترة مموهين بدلاً من الفستان
الأزرق، وكانت تحمل في يدها مسدساً بدلاً من المجرفة، ولم يكن لديها
عمل في هذا الجانب من الولايات المتحدة أو في أيّ مكان باستثناء الاعتناء
بابنها المتضرّر، ولكنني كنت أعرف سبب وجودها هنا.

لم أتردّد، فرفعت مسدس السيغ، لكنها كانت أسرع.

قالت مارج: «أيّها اللعين»، وأطلقت النار، وبدوري أطلقت النار عليها
بعد ثانية فاندفع رأسها إلى الخلف، وسقطت أرضاً.

صرخت أليس وركضت نحوي قائلة: «هل تأذيت؟ بيلى، هل تأذيت؟».

قلت لها: «كلا، لقد أخطأت في تصويبها»، ثم شعرت بالألم في
جانبي. لم أتفادها كلياً بعد كلّ شيء.

سألتنى: «من كانت هذه؟».

أجبتها: «امرأة غاضبة تدعى مارج».

لقد أدهشني ذلك بشكل مضحك، بدا وكأنه عنوان لفيلم يذهب
لحضوره الأشخاص الأذكياء في دور السينما. ضحكت وهذا جعل جانبي
يؤلمني أكثر.

قالت: «بيلى؟».

قلت: «لا بدّ أنّها خمنت إلى أين أنا ذاهب، أو ربّما أخبرها نيك
عن كليرك، لكنني لا أعتقد ذلك. أعتقد أنّها كانت جيدة في إبقاء أذنيها
مفتوحتين أثناء تقديم الغداء والعشاء».

سألتني: «أهي المرأة التي كانت تعمل في البستنة؟».

قلت: «نعم، هي».

وضعت أليس يدها على فمها ثم سألت: «هل ماتت؟ إذا لم تمت، فمن فضلك لا تقتلها بالطريقة التي... بالطريقة...».

قلت: «لن أقتلها إذا كانت لا تزال على قيد الحياة».

قلت ذلك لأنني كنت متأكداً من أنها ميتة، وذلك بسبب الطريقة التي تراجع فيها رأسها إلى الخلف. ركعت إلى جانبها لبرهة وقلت: «لقد ماتت»، فأجفلت عندما وقفت ولم أستطع التحكم بنفسي.

قالت: «قلت إنها لم تُصَبِك».

قلت: «في خضم تلك اللحظة لم أعتقد أنها أصابتني، إنه مجرد خدش».

قالت: «أريد أن أرى».

أردت ذلك أيضاً، لكن ليس في ذلك الوقت، فقلت لها: «علينا الخروج من هنا قبل أي شيء آخر. خمس طلقات نارية هو عدد كبير جداً. اجلبي لي مسدسي الغلوك من حيث وضعته».

بينما فعلت أليس ذلك، أخذت المسدس الذي استخدمته مارج - سميث أند ويسون- واستبدلته بمسدس السيغ بعد مسحه أولاً على قميصي ثم لففت أصابعها حوله. مسحت علبة الرذاذ، ووضعت بصماتها عليها، ثم وضعتها في أحد جيوب سترتها. عندما نهضت، كان الألم في جانبي أسوأ قليلاً؛ ليس فظيماً، لكنني شعرت بتسرُّب الدم وتلطixه قميصي. فكَّرت في نفسي: ارتديته مرة واحدة وأتلفته، يا للعار! ربّما كان عليّ أن أعتد اللون الأخضر.

قلت: «لقد تمَّ كل شيء، فلنخرج من هنا».

عدنا إلى ريفرهيد، وتوقفنا في الطريق للحصول على ضمادات للجروح، ولفافة من الشاش، ولاصق جروح، وبيروكسيد الهيدروجين،

ومُطَهَّر البتادين. ذهبت أليس إلى وال غرين بينما انتظرتها في السيارة، وبحلول الوقت الذي وصلنا فيه إلى الفندق، كان جذعي والجانب الأيسر مني قد تصلبًا بشكل كبير. استخدمت أليس مفتاحها للسماح لنا بالدخول من الباب الجانبي. كان عليها مساعدتي في خلع سترتي في الغرفة، فنظرت إلى الفتحة الموجودة فيها، ثم إلى الجانب الأيسر من القميص، وقالت: «يا إلهي».

أخبرتها أنها تبدو أسوأ مما كانت عليه على الأرجح؛ لقد جف معظم الدم.

ساعدتني في خلع القميص ودعت الله مرة أخرى، لكن هذه المرة كانت مكتومة بعض الشيء لأنَّ يدها كانت فوق فمها، وقالت: «هذا ليس مجرد خدش».

صحيح، لقد اخترقت الرصاصة جسدي فوق عظم الفخذ مباشرة، ممزقة الجلد واللحم؛ ربّما كان عمق الجرح نصف بوصة. قالت: «لنذهب إلى الحمام، إذا كنت لا تريد ترك الكثير من الدماء حولك...».

قلت: «لقد توقف النزيف».

قالت: «هذا هراء. في كلّ مرة تتحرك فيها يعاود جرحك النزف مجدداً، عليك خلع ملابسك، ثم الوقوف في حوض الاستحمام بينما أقوم بتضميد الجرح، وهو ما لم أفعله من قبل، إذا كنت تريد أن تعرف. على الرغم من أن أختي فعلت ذلك لي مرّة واحدة عندما اصطدمت بدراجتي بصندوق بريد سيميكييس».

ذهبنا إلى الحمام، وجلستُ على غطاء المراض بينما كانت تنزع حذائي وجوربي. وقفت، وعاود الجرح النزف. فكت حزام بنطالي الذي كنت أرغب في خلعه بنفسي، لكنّها لم تسمح لي بذلك، وجعلتني أجلس على غطاء المراض مرّة أخرى، ثم ركعت وسحبته من رجلي.

قالت: «سروالك أيضاً. إنه غارق بالدم من الجانب الأيسر».

قلت: «أليس».

قالت: «لا تجادل. لقد رأيتني عارية، أليس كذلك؟ فكّر أننا بذلك نصبح متعادلين، ادخل إلى حوض الاستحمام».

وقفت وخلعت سروالي، ثم دخلت حوض الاستحمام وأبقت يدها ثابتة على مرفقي أثناء قيامي بذلك. كان الدم يسيل على ساقي اليسرى وبلغ الركبة. وصلت إلى مقبض الدش، فدفعت يدي بعيداً وقالت: «ربما غداً، أو بعد غد، لكن ليس الليلة».

فتحت صنوبر الحوض، ورطبت منشفة، ونظفتني متجنبة الجرح. كان الدم والجلطات الصغيرة تتدفق في البالوعة، فقالت: «يا الله! قطعت الرصاصة جسدك كالسكين».

قلت: «رأيت إصابات أسوأ في العراق، وكان الرجال المصابون يتابعون عملهم في اليوم التالي».

قالت: «هل هذا صحيح حقاً؟».

قلت: «حسناً... ربما يرتاحون ليومين أو ثلاثة».

عصرت المنشفة، وألقيتها في كيس البلاستيك الموضوع في سلة المهملات، ثم أعطتني منشفة أخرى لأزيل العرق عن وجهي. أخذتها، ومسحت وجهي، ثم رميتها قائلاً: «سنأخذ هذه السلة معنا». ربّيت بالمنشفة وجففتني، وألقت بها في سلة المهملات، ثم ساعدتني على الخروج من الحوض؛ كان الخروج أصعب من الدخول.

سارت أليس معي إلى السرير حيث جلست بحذر وساعدتني على ارتداء آخر سروال نظيف، ثم طهرت الجرح الذي كان يؤلمني بشكل أكبر من لحظة اختراق الرصاصة. لم تنفع الضمادات، إذ كان الجرح عميقاً، مما أحدث فجوة في جانبي. استخدمت أليس الشاش والشريط، وفي النهاية، تلطخت أصابعها بدمي.

قالت: «حاول أن تستلقي بلا حراك على ظهرك الليلة، ولا تتحرك كي لا يسيل الدم على الملاءات. ربّما عليك الاستلقاء على منشفة».

قلت: «فكرة جيدة».

ذهبت لتجلب منشفة حمام هذه المرة، كما أحضرت الكيس الذي فيه المنشفة وقالت: «لديّ تايلانول في حقيتي. سأعطيك قرصين، وأترك قرصين لوقت لاحق، حسناً؟».

قلت: «حسناً، شكراً لك».

نظرت مباشرة إليّ وقالت: «لا داعي للشكر، فأنا سأفعل أيّ شيء من أجلك يا بيلي».

أردت أن أقول لها ألا تقول ذلك، لكنني لم أفعل، وبدلاً من ذلك قلت: «علينا الخروج من هنا في الصباح الباكر. لقد قطعنا مسافة طويلة بالسيارة إلى سايدويندير، و...».

قالت أليس: «ألفا ميل فقط؛ لقد بحثت عنها عبر محرّك البحث غوغل».

قلت: «ولا أعرف كم يمكنني أن أقود».

قالت: «لن يكون هذا جيداً لك، إلا إذا كنت تريد فتح هذا الجرح مرّة أخرى. أنت بحاجة إلى غرز، لكنني لن أجرب ذلك».

قلت: «لا أتوقّع منك هذا، يمكنني العيش مع بعض الندوب. لو كان الجرح أعمق ببضع بوصات كنت سأواجه مشكلة حقيقية». يا إلهي، مارج اللعينة. ثمّ قلت لها: «لا تزيّلي غطاء السرير يا أليس، سأنام عليه، هذا إذا كان بإمكانني النوم. لم يكن الألم شديداً بشكل رهيب الآن بعد أن تلاشت لسعة بيروكسيد الهيدروجين، لكنّه ثابت، فقط افردني المنشفة».

فعلت، ثمّ جلست عليها وقالت: «ربّما عليّ البقاء معك، سأنام على الجانب الآخر».

هزّزت رأسي وقلت: «كلا، أحضري لي التايلانول، ثمّ نامي في غرفتك. عليك النوم إذا كنت ستقودين السيارة». ألقىت نظرة خاطفة على

ساعتي، ورأيت أنها الساعة الحادية عشرة والربع، ثم تابعت: «أودّ أن نخرج من هنا بحلول الساعة الثامنة على أبعد تقدير».

* * *

عند الساعة السابعة، كنّا في الخارج، وتولّت أليس القيادة حتّى منطقة مترو نيويورك، ثم أخذت مكانها، وبدوت مرتاحاً. اجتزنا نيو جيرسي وبنسلفانيا، ووصلنا إلى منطقة الترحيب الواقعة قبل حدود الولاية بقليل، عندها بدلنا مكانينا. عاود جرحي النزف، وقبل أن نتوقف ليلاً - في فندق آخر خارج الشبكة - كان علينا شراء المزيد من الشاش. سأكون على ما يرام، لكنني سأحصل على ندبة دائمة وبذلك تتماشى مع نصف إصبع قدمي الكبير المفقود، ولكن هذه المرة من دون قلب أرجواني.

في تلك الليلة أقمنا في جيم وميليسا رود سايد كاين، وحصلنا على حسم بنسبة عشرة بالمئة لأننا دفعنا نقداً. شعرت بتحسن في اليوم التالي، وزال التيسس والألم من جانبي، وتمكنت من القيادة لبعض الوقت، وتوقفنا في ضواحي دافنبورت، ونزلنا في فندق بيد أوي المتداعي.

لقد قضيت معظم ذلك اليوم أفكر، وأخطط لما سيحدث بعد ذلك. هناك أموال في ثلاثة حسابات منفصلة، أحدها متاح لي فقط باسم دالتون سميث، وهي هوية كانت لا تزال نظيفة؛ على الأقل بقدر ما أعرف. سيكون هناك المزيد في حساب وودلي إذا دفع نيك، واعتقدت أنه سيفعل. لقد تمّ حلّ مشكلة روجير كليرك بعد كل شيء، ولصالحه المالي الكبير.

عانقت أليس وقبلتها على خديها قبل أن تدخل غرفتها. نظرت إليّ بعينيها الزرقاوين الداكنتين واللتين كنت سأحبهما، تماماً كما أحببت عينيّ شان أكرمان ذاتي اللون البني الداكن. وقالت: «لماذا قبلتني؟».

قلت: «لقد شعرت برغبة في ذلك».

قالت: «حسناً»، ثم وقفت على أطراف أصابعها وقبلت شفتي قبلة

حازمة وطويلة ثم قالت: «وأنا أيضاً شعرت برغبة في ذلك».

لا أعرف ما كان تعبيرى، لكنه جعلها تبسم.

قالت: «لن تعاشرنى، وأنا أفهّم ذلك، لكن عليك أن تفهم أنّى لست ابتك، وأنّ مشاعري تجاهك ليست مشاعر ابنة لأبيها».

ذهبت بعيداً. كانت آخر مرّة أراها فيها، لكنني احتجت أن أسألها: «أليس؟»، عادت إليّ فسألتها: «كيف تتعاملين مع الأمر؟ بشأن كليرك؟».

فكرت في الأمر وهي تمرّ أصابع يدها عبر شعرها، ثمّ اعتلى الحزن وجهها وقالت: «لا أزال أحاول»، فقررت أنّ ذلك كان جيداً بما فيه الكفاية.

ضبطت منبه هاتفي على الواحدة بعد منتصف تلك الليلة؛ ستكون أليس نائمة بالتأكيد في ذلك الوقت؛ وعندما نهضت، تفحصت الضمادات؛ لا دم ولا ألم، لكنني شعرت بالحكة الجافة التي تدلّ على الشفاء. لم تكن هناك قرطاسية في بيد أوي بالطبع، لكن كان لدي دفتر ملاحظات من قرطاسية برج جيرارد في حقيبتى، فمزقت بضع صفحات وكتبت خطاب الوداع.

عزيزتى أليس،

وأنت تقرّأين هذه الرسالة سأكون قد ذهبت. أحد الأسباب التي جعلتني أرغب في التوقف هنا هو أنّ هابي جاكز سيكون على بعد نصف ميل من الطريق. أنا متأكد من أنه يمكنني العثور هناك على سائق يسمح لي بالركوب معه مقابل مئة دولار. يجب أن أذهب إلى الغرب أو الشمال، فأنيّ منهما سيناسبني، لكن ليس الجنوب أو الشرق. لقد كنت هناك وفعلت ذلك.

أنا لا أتخلّى عنك. صدقيني.

لقد أنقذتلك عندما ألقى بك أولئك الرجال الثلاثة الأشرار الأغبياء على جانب شارع بيرسون، أليس كذلك؟ والآن أنا أنقذك مرّة أخرى، أو هذا ما أحاوله على الأقل. قال بوكي شيئاً لم أنسه، قال لي إنك ستتبعيني طالما سمحت لك، وإذا سمحت لك، فسأدمرك. وتأكّدت أنّه كان محقاً بعد ما فعلناه في منزل كليرك في مونتوك بوينت. أعتقد

أنه كان محقاً بشأن تدميرك أيضاً، لكنني لا أعتقد أن ذلك قد حدث بعد. عندما سألتك كيف تتعاملين مع موضوع كليرك، قلت إنك تحاولين، وأنا أعلم أنك كذلك، وأنا متأكد من أنك في الوقت المناسب ستنجحين في وضع ذلك خلفك، لكنني أمل ألا يكون الوقت مبكراً جداً. صرخ كليرك، أليس كذلك؟ صرخ أن ذلك كان مؤلماً، وأمل أن تطاردك هذه الصرخات بعد فترة طويلة من ذهابي. ربّما كان يستحق أن يتأذى بعد ما فعله بالفتاة في المكسيك، وبابنه، وبالفتيات الأخريات أيضاً، لكن عندما تُسببين ألماً لشخص ما، ليس ألماً خفيفاً كالجرح في جانبي ولكن طلقة قاتلة، فذلك يترك ندبة؛ ليس على الجسد بل في العقل والروح، لأنه ليس بالشيء الهين.

أريد أن أتركك لأنني أيضاً رجل سيئ، وهذا اعتراف دفعته بعيداً عن قلبي من قبل، في الغالب من خلال الكتابة، لكنني لا أستطيع دفعه بعيداً أكثر ولن أخاطر بإصابتك أكثر مما أصبت به بالفعل.

أذهبي إلى بوكي، لكن لا تبقي معه. إنه يهتم بك، وسيكون لطيفاً معك، لكنّه أيضاً رجل سيئ. سيساعدك على بدء حياة جديدة بشخصية إليزابيث أندرسون، إذا كان هذا ما تريدينه. هناك أموال في حساب رجل يدعى إدوارد وودلي، وإذا دفع نيك فسيكون هناك المزيد. هناك أيضاً أموال في بنك بيميني، باسم جيمس لينكولن. بوكي لديه كل كلمات المرور وجميع معلومات الحساب، وسيقدّم لك النصيحة حول كيفية تحويل الأموال إلى حسابك الخاص، وسيتيح لك الاتصال بمستشار ضريبي. هذا الجزء مهم للغاية، لأن المال الذي لا يمكن الاهتمام به هو باب سحري يمكن أن يفتح تحت قدميك عندما لا تتوقعين. تركت بعض المال من أجل بوكي، والباقي لك؛ للدراسة ولبداية حياتك كامرأة جيدة ومستقلة، وهو ما أنت عليه يا أليس وما ستكونينه.

ابقي في الجبال إذا أردت ذلك. بولدر لطيفة، وكذلك غريلي وفورت كولينز وإيستس بارك. استمتعي بحياتك. في مرحلة ما، ربّما عندما تكونين في العقد الرابع من عمرك وأنا في العقد السادس، قد تتلقين مكالمة مني، ويمكننا الخروج لتناول مشروب. سأعدّ المشروبين؛ يمكننا شرب نخب دافني والتر.

أحببتك يا أليس، أحببتك كثيراً. إذا كنت تحببيني كما قلت، اجعلي من هذا الحب شيئاً حقيقياً في هذا العالم من خلال عيش حياة جيدة ومفيدة. وتفضلني بقبول فائق الاحترام، بيلي.

ملاحظة: سأخذ حاسوبى المحمول - إنه صديق قديم - لكنني سأترك محرك الأقراص الذي حفظت عليه قصتي في غرفتي، إلى جانب مفاتيح السيارة رباعية الدفع. تنتهي القصة عندما غادرنا إلى مونتوك بوينت، لكن ربّما يمكنك إنهاؤها. بالتأكيد يجب أن تكوني على دراية بأسلوبى الآن. أنهيتها كما تشائين، فقط لا تذكرى اسم دالتون سميث أو واسمك.

طويت الورقة حول مفتاح غرفتي، وكتبت اسمها عليها وأدخلتها من تحت بابها. وداعاً يا أليس.

وضعت حزام حاسوبى المحمول على كتفى اليمنى، والتقطت حقيبتى في يدي اليمنى، وتوجهت إلى اليسار من الباب الجانبي. توقفت على بعد نصف ميل من الطريق لأستريح وأقوم بشيء آخر. فتحت الحقيبة وأخرجت المسدسين - الغلوك، ومسدس مارج - وقمت بتفريغ مسدس مارج ورميت الطلقات أبعد ما أستطيع. ستدخل الرصاصات في إحدى صناديق القمامة عند محطة الشاحنات.

بعد أن اهتممتُ بأمر المسدسين، بدأت السير نحو الأضواء والشاحنات الكبيرة ونحو بقية حياتي، ربّما حتى نحو نوع من التعويض، إذا لم يكن ذلك كثيراً علي، ولكنه على الأرجح كذلك.

الفصل الرابع والعشرون

1

إنه الحادي والعشرون من تشرين الثاني 2019، أي قبل أسبوع من عيد الشكر، لكن ساكني المنزل في إيدجوود ماونت درايف لا يبهون بعيد الشكر. قال بوكي إن الجو باردٌ جداً في الخارج، والثلوج على وشك التساقط. أشعل ناراً في موقد المطبخ، وجلس على الكرسي الهزاز الذي جرّه من الشرفة، وكان يتعل جوره ويمدّ قدميه على سياج المدفأة واضعاً حاسوباً محمولاً مفتوحاً على فخذه. فُتح باب من ورائه واقتربت الخطى. أتت أليس إلى المطبخ، وجلست إلى الطاولة. كانت شاحبة، وأخف وزناً من المرة الأولى التي رآها فيها، نزل وزنها بما لا يقلّ عن عشرة باوندات، وبدا خداهما مجوفين، وهذا ما أعطاها مظهر عارضة أزياء نصف جائعة.

قالت: «هل أنهيت أو ما زلت تقرأ؟».

قال: «أنهيت. كنت فقط أنفقد النهاية. هذا الجزء ليس منطقيّاً».

لم تقل أليس شيئاً.

قال: «لأنه إذا ترك لك محرّك الأقراص، فإن الجزء المتعلق به وهو يسير على الطريق ويرمي السلاحين بعيداً لا يمكن أن يكون صحيحاً».

لم تقل أليس شيئاً؛ فهي لم تقل الكثير منذ أن وصلت إلى منزل بوكي، ولم يُجبرها بوكي على ذلك. ما فعلته، في الغالب، هو النوم والكتابة على الحاسوب الذي أغلقه بوكي الآن.

قال: «ماك بوك برو. أداة رائعة».

قالت أليس: «نعم، أعتقد ذلك».

قال: «إذاً، في القصة أخذ بيلى الحاسوب معه، ولكن ها هو، إضافة إلى الأشياء التي لا يمكن أن تكون على محرك الأقراص، وهذا أشبه بقصة خيال علمي».

لم تقل الشابة التي كانت تجلس إلى طاولة المطبخ شيئاً. قال: «ومع ذلك، لا يوجد سبب لعدم اكتمالها. لا يوجد سبب يجعل القراء يعتقدون أنه لم يذهب ويعش في الغرب في مكان ما، أو في أستراليا، حيث تحدث دائماً عن ذلك. ربما يؤلف كتاباً آخر، لقد ذكر ذلك أيضاً مراراً وتكراراً، لكنني لم أعتقد أنه سيُقدّم على شيء من هذا القبيل».

نظر إليها، ونظرت أليس إلى الورا. هبت الرياح في الخارج باردة كالثلج، لكنها دافئة هنا في المطبخ.

أخيراً، قال بوكي: «هل سيقراها الناس يا أليس؟».

قالت: «لا أعرف... يجب أن أغير الأسماء...».

هز رأسه وقال: «مقتل كليرك كان خبراً عالمياً، ولا يزال...»، رأى خيبة أملها وتجاهلها وتابع: «ربما يعتقدون أنه رواية، لقد تعلمت ذلك منه، بينما كنت أقرأ ذاك الكتاب الورقي القديم الذي التقطته في ستراند، كان اسمه «فالي أوف ذا دولز». ما دمت تُبعدين اسمي، فأنا لا أهتم. سمّيني تريفور ويتلي أو شيئاً من هذا القبيل وضعيني في ساسكاتشوان أو مانيتوبا. بالنسبة إلى نيك ماغاريان، يمكن لذلك اللعين أن يعتني بنفسه».

سألت: «هل تعتقد أنها جيدة؟».

وضع بوكي الحاسوب المحمول - كما كان بيلى يضعه - على طاولة المطبخ وأجاب: «أعتقد ذلك، لكنني لست ناقداً أدبياً».

قالت: «هل يبدو مثل أسلوبه؟».

ضحك بوكي وقال: «حبيبتي، لم أقرأ أبداً أي شيء كتبه، لذلك لا أستطيع أن أوكد ذلك، لكنّه بالتأكيد يبدو وكأنه صوته، ويبقى الصوت كما هو طوال الطريق. لكن سأقول لك هذا، لم أستطيع أن أعرف بالتأكيد القسم

الذي بدأت فيه بالكتابة».

منذ عادت أليس لم تكن تبتسم، لكنها الآن ابتسمت له وقالت: «هذا جيد، أعتقد أنه الجزء الأكثر أهمية».

قال: «هل اختلقت ذلك عن كوني رجلاً سيئاً أيضاً؟».

لم تُخفِضَ عينيها وقالت: «كلا، هو من قال ذلك».

قال بوكي: «لقد كتبت ما تمنيت أن يحدث، بطل القصة يمشي بعيداً نحو المستقبل حاملاً حقيقته. أخبريني الآن بما حدث فعلاً». وهذا ما فعلته.

2

عادا إلى ريفيرهايد، وتوقفا في الطريق للحصول على ضمادات للجروح، ولفافة من الشاش، ولاصق جروح، وبيروكسيد الهيدروجين، ومطهر البتادين. ذهبت أليس إلى والغرين بينما انتظرها في السيارة، وبحلول الوقت الذي وصلا فيه إلى الفندق، كان جانب بيلى وذراعه اليسرى قد تصلبا بشكل كبير. استخدمت أليس مفتاحها للسماح لهما بالدخول من الباب الجانبي. كان عليها مساعدته في خلع سترته في غرفته، وعندما نظرت إلى الفتحة الموجودة فيها، ثم إلى الجانب الأيسر من قميصه، قالت: «يا إلهي، هذا ليس مجرد خدش، إنها معدتك».

قال مرتبكا: «أعتقد ذلك، أو ربّما أدنى بقليل؟».

قالت أليس: «لنذهب إلى الحمام إذا كنت لا تريد الكثير من الدماء حولك».

ولكن بمجرد وصولهما إلى هناك ومساعدته في خلع قميصه، لاحظت أنه بالكاد يوجد أي دم يسيل من الجرح المسود. كانت قادرة على تغطيته بالضمادات بعد أن استخدمت بيروكسيد الهيدروجين وقليلاً من البتادين. ثم ساعدته على العودة إلى السرير، كان يمشي ببطء ويميل إلى اليمين،

ثم قال بينما كان وجهه يتصبّب عرقاً: «اللعيّنة مارح».

جلس يلهث وكان جسده منحنيّاً، وسألته أليس عن مدى ألمه.
أجابها: «ليس سيئاً جدّاً».

قالت: «هل تكذب؟».

قال: «لا. حسناً، قليلاً».

لمست بطنه إلى اليمين من الجرح، وبدأ يلهث مرة أخرى، وقال: «لا تلمسيه».

قالت: «علينا الذهاب إلى المستشفى»، سكتت لبرهة ثم أردفت قائلةً:
«لا نستطيع فعل ذلك، أليس كذلك؟ إنّه جرح ناتج عن طلق ناري وعليهم
الإبلاغ عن ذلك».

قال مبتسماً: «لقد أصبحت خارجة على القانون حقّاً».

هزت أليس رأسها وقالت: «أنا فقط أشاهد التلفاز كثيراً».

قال: «سأكون بخير، لقد رأيت الأسوأ في العراق، وكان الرجال

المصابون يتابعون عملهم في اليوم التالي».

هزت أليس رأسها قائلة: «أنت تنزف من الداخل. أليس كذلك؟

والرصاصة لا تزال في جسدك».

لم يردّ بيلي، فحدّقت إلى الإسعافات الأولية، وبدت غير صالحة

لتضعها على الجرح.

قالت: «حاول أن تستلقي بلا حراك على ظهرك الليلة، هل تريد

التايلانول؟ لديّ عدة أقراص في حقّيتي».

قال: «إذا كان التايلانول هو ما لديك، فسوف آخذه».

اعطته قرصين وساعدته على الجلوس حتّى يتمكن من ابتلاعهما مع

الماء.

سعل ووضع يده على فمه. أمسكت بيده، ونظرت إليها؛ ليس هناك

دم على راحة يده. ربّما هذا جيد، وربّما لا، إنها لا تعرف.

قال: «شكراً لك».

قالت: «لا داعي للشكر. سأفعل أي شيء من أجلك يا بيلي».

ضغط على شفتيه معاً وقال: «علينا الخروج من هنا في الصباح الباكر».

قالت: «لا يمكننا يا بيلي...».

قال: «ما لا يمكننا فعله هو البقاء هنا».

قالت: «سأتصل ببوكي، لديه الكثير من المعارف، وقد يكون أحدهم

طبيباً في نيويورك يمكنه علاج جرح ناجم عن طلق ناري».

هز بيلي رأسه قائلاً: «يمكن أن يحدث ذلك في برنامج تلفزيوني، لكن

ليس في الحياة الحقيقية. بوكي ليس من النوع المتطفل. ولكن إذا عدنا إلى

سايدويندير، فسيكون قادراً على العثور على شخص ما».

قالت: «إنها تبعد ألفي ميل تقريباً، لقد بحثت عنها عبر محرك البحث

غوغل».

أوما بيلي برأسه وقال: «سيتعين عليك القيادة، وربما لمعظم الطريق،

وعلى أن نصل بأسرع ما يمكن. إذا كانت هناك عاصفة ثلجية، فليساعدنا

الرب».

قالت وكأن الأمر ثقل على كتفيها: «سأقود ألفي ميل؟».

قال: «قد تكون هناك طريقة لتسريع المحركات».

قالت: «تسريع ماذا؟».

قال: «هذا اسم مسرحية، لا تهتمي»، مَدَّ يده إلى جييبه الخلفي، وأخرج

محفظته وأعطاه إياها، ثم طلب منها قائلاً: «ابحثي عن بطاقة الصراف الآلي

الخاصة بي. هناك آلة في الطابق الثاني. رمز المرور الخاص بي هو 1055.

هل يمكنك تذكر ذلك؟».

قالت: «نعم».

قال: «ستسمح لك الآلة بسحب أربعمئة دولار، وبحلول صباح الغد،

قبل أن تغادر، يمكنك سحب أربعمئة أخرى».

قالت: «لماذا كلّ هذا؟».

قال: «لا تهتمّي الآن. قد لا ينجح ما أفكر فيه، ولكن لنكن متفائلين. ابعثني عن البطاقة».

فتشت محفظته، ووجدت أنّ الاسم المكتوب عليها هو دالتون كرتيس سميث، فرفعت حاجبيها متعجبة.
قال: «هيا يا فتاة».

توجهت إلى الطابق الثاني، ووضعت البطاقة في الآلة وأدخلت الرمز. توقعت من الآلة أن تبتلع البطاقة، وشعرت بالخطر الحقيقي، لكنّ البطاقة خرجت من الآلة وكذلك المال. كان المبلغ كلّه من فئة العشرينات، جديدة وغير مجمعة. طوتها ووضعتها في محفظتها، وعندما عادت إلى غرفة بيولي وجدته مستلقياً.

سألته أليس: «كيف حالك الآن؟».

أجابها: «الوضع ليس في غاية السوء. تمكنت من الذهاب إلى الحمام ولا يوجد نزف، ربّما بقاء الرصاصة في الداخل أمر جيد؛ ربما هي السبب في توقف النزيف».

بدا هذا غير مرجّح بالنسبة إلى أليس، كقول جدتها أنّ نفخ القليل من دخان السيجارة في أذنها المتألّمة من شأنه أن يهدئ الألم، لكنّها لا تؤمن بذلك.

فتشت في حقيبتها، وأخرجت زجاجة التايلانول وقالت: «ماذا عن قرصين آخرين؟».

قال: «يا إلهي، نعم».

أحضرت له كوباً من الماء، وعندما عادت وجدته جالساً ويضغط بيده على جنبه. تناول قرصي التايلانول واستلقى مرة أخرى، وأجفل.
قالت: «سأبقى معك. لا تفكر حتّى في الجدل معي».

لم يجادلها بالفعل، بل قال لها: «أودّ أن نخرج من هنا عند الساعة

السادسة، السابعة على أبعد تقدير. لذا، نامي قليلاً».

3

سأل بوكي: «وهل فعلت ذلك؟ هل نمت؟».

أجابته: «نمت قليلاً، وأشك أنه نام على الإطلاق. لم أكن أعرف مدى سوء الأمر، أو مدى عمق الرصاصة».

قال بوكي: «أظن أنه ثقب في أمعائه، أو ربّما في معدته».

سألته: «هل كان بإمكانك أن تجد له طبيياً؟ لو اتصلت بك؟».

فكّر بوكي أن الأمر انتهى، وقال: «كلا، لكن كان بإمكانني التواصل مع شخص قد يكون قادراً على الوصول إلى شخص آخر في غضون مهلة قصيرة؛ شخص لديه خبرة طبية».

سألت: «هل كان يبلي يعرف ذلك؟».

تنهد بوكي وأجاب: «إنه يعلم أنّ لديّ الكثير من المعارف في مختلف المجالات».

سألت: «حسناً، لماذا لم يسمح لي على الأقل بسؤالك؟».

قال بوكي: «ربّما لم يُرد ذلك، ربما أراد أن يوصلك إلى هنا قبل أن يموت».

4

غادرا الفندق عند السادسة والنصف، وكان يبلي قادراً على المشي إلى السيارة من دون مساعدة.

قال إن أعطته قرصين من التايلانول، فسيتمكن من تحمّل الألم. أرادت أليس أن تصدّق ذلك، لكنها لم تستطع. كان يمشي ويعرج ويضغط بيده على جانبه الأيسر. جلس في المقعد المجاور للسائق ببطء، وكأنه عجوز مصاب بالتهاب المفاصل. شغلت المحرك والسخان للحدّ من برد

الصباح، ثم أسرع إلى الداخل للحصول على أربعمئة دولار أخرى من جهاز الصراف الآلي، ثم نقلت أمتعتي بواسطة عربة ووضعتها في السيارة. قال وهو يحاول وضع حزام الأمان: «دعينا ننطلق. اللعنة، لا يمكنني وضع هذا».

ساعدته في وضعه، ثم انطلقا عبر الطريق 27 إلى طريق لونغ آيلند السريع. ازدادت حركة المرور بشكل تدريجي على الطريق السريع، وقادت أليس وهي جالسة في وضع مستقيم، وتمسك بالمقود بكلتا يديها، كانت متوترة بسبب كثرة السيارات التي تمر على يمينها ويسارها؛ لقد حصلت على رخصة القيادة منذ ثلاث سنوات، ولم تَعْتَدِ القيادة في مثل هذه الطرقات. تخيلت الكثير من الحوادث الناتجة عن قلة خبرتها، وفي أسوأ التخيلات، يموتان على الفور نتيجة تصادم بين أربع سيارات، وفي الحالة الثانية، نجوا لكن الشرطة تكتشف أن رفيقها مصاب برصاصة في أمعائه. قال بيلي: «اسلكي المخرج التالي، سنبدل مكانينا. سأقود أنا عبر منطقة المترو، ثم عبر نيو جيرسي، وبمجرد أن نكون في بنسلفانيا، يمكنك تولي زمام الأمور. ستكونين بخير».

سألته: «هل ستستطيع القيادة؟».

أجاب: «بالتأكيد»، وظهرت على شفثيه الابتسامة المتوترة التي لا تحبها. عاد وجهه رطباً من شدة التعرق، وكان خداه محمرين. هل هو محموم جزاء الإصابة؟ لم تكن أليس تعرف، لكنها تعرف أن التايلاندول لن يعالج ذلك. قال بيلي: «إذا كنا محظوظين، فقد أتمكن من القيام بذلك براحة نسبية».

غيرت أليس المسرب، وبعد أن سلكت المخرج ركنت السيارة. فجأة، ظهر شخص ما أمام السيارة، فشعرت أن قلبها خرج من صدرها من شدة الخوف. كانت حركة المرور جنونية.

قال بيلي: «كان ذلك خطأ، ابن الوضيعة، لا بدّ أنه من مشجعي

اليانكيز. هناك... هل ترين تلك اللافتة؟ هذا ما نريده».

تُظهر اللافتة سائق شاحنة يلوح بيده وهو يقفز فوق عربة ذات ست عشرة عجلة، محمداً باللون الوردى النيون، وقد كُتب أسفلها أيضاً باللون الوردى النيون: موقف شاحنات هابي جاك.

قال: «رأيتُه ونحن قادمان. في يوم أفضل من هذا، قبل أن تطلق مارج النار عليّ».

قالت: «بيلى، خزان الوقود شبه ممتلئ».

قال: «نحن لا نسعى وراء الوقود، تراجعى إلى الخلف، وضعى هذا فى حقيبتك».

سحب مسدس مارج سميث وويسون من تحت المقعد.

قالت: «لا أريده»؛ إنها صادقة، فهي لا تريد أن تلمس مجدداً مسدساً طيلة حياتها.

قال: «أفهمك، ولكن خذيه على أي حال، فأنا لم أضع فيه الطلقات، واحتمال أن تضطري إلى إظهاره هو واحد بالمئة تقريباً».

أخذته، ووضعتة فى حقيبتها، ثم قادت إلى حيث ترى العشرات من شاحنات المسافات الطويلة.

قال: «لا يوجد الكثير من السحالي. لا بد أن يكن نائمات».

قالت: «ماذا تقصد بالكثير من السحالي؟ عاهرات؟ عاهرات يوقفن الشاحنات؟».

قال: «نعم».

قالت: «يا لك من ساحر!».

قال: «عليك التجوّل حول تلك الشاحنات، كما فعلت عندما تسوّقت من تلك المراكز التجارية حيث اشترت ملابسك، لأنّ التسوق هو كلّ ما ستفعلينه».

سألته: «ألن يعتقدون أنني سحلية؟».

ابتسم، لكن هذه المرة كانت الابتسامة التي تحبها أليس. نظر إلى بنطالها الجينز الأزرق، وسترتها، والأهم من ذلك كله وجهها الخالي من المكياج.

قال: «هذا مستحيل. أريدك أن تبحتي عن شاحنة ذات واقٍ من الشمس مقلوب. سيكون هناك شيء أخضر عليه مثل قطعة من الورق أو شريط سينمائي، أو ربّما بعض الشرائط على مقبض الباب. إذا كان سائق الشاحنة في الكابينة، اقتربي واقربي واقربي على نافذته. هل ما زلتِ معي؟».

قالت: «نعم».

قال: «إذا أنزل السائق نافذته، فستقولين له إنك في رحلة طويلة بطول الساحل، وإن صديقك يعاني من تقلّصات في الظهر. أخبريه أنك تقومين بمعظم القيادة، وكنت تأملين في العثور على بعض من مهدّئات الألم أقوى من الأسبرين أو التايلانول، وبعض المنشطات أقوى من القهوة أو مشروب الطاقة مونستر، هل فهمت؟».

فهمت أليس الآن سبب الزيارتين إلى ماكينة الصراف الآلي.

قال: «أمل أن يكون أوكسيكودون، لكن بيركس أو فايكس سيفيان بالغرض. إذا كان أوكسيكودون، فأخبريه أنك ستدفعين عشرة مقابل عشرة أو ثمانين مقابل ثمانين».

قالت: «لم أفهم».

قال: «عشرة دولارات مقابل عشرة مليغرامات، وثمانين مقابل ثمانين مليغراماً من المنشطات، وإذا حاول أن يدفعك لمضاعفة المال... فقولي له أن يغرب عن وجهك. أديرال جيد، وربّما بروفيجيل أفضل. هل فهمت؟».

أومأت أليس برأسها وقالت: «عليّ الذهاب إلى الداخل والتبول أولاً. أنا متوترة جداً».

هزّ ببلي رأسه وأغمض عينيه قائلاً: «كوني حريصة، حسناً؟ أنا لست في وضع يسمح لي بمقاومة لصّ سيارات».

تبوّلت، والتقطت بعض الوجبات الخفيفة والمشروبات من المتجر، ثم خرجت وبدأت السير حول الشاحنات. صَفَّرَ شخص ما خلفها لكنها تجاهلته؛ إنَّها تبحث عن شاحنة ذات واقٍ من الشمس عليه شيء أخضر، أو شريط عند مقبض الباب، لكن كلَّ ما وجدته، عندما كانت على وشك الاستسلام، هو شاحنة بيتريلت مع رسم أخضر معلق على لوحة القيادة. كانت خائفة، وظنَّت أنَّ الرجل وراء المقود ربَّما يسخر منها أو ينظر إليها على أنَّها امرأة مجنونة، لكن بيلى يتألَّم وستفعل أيَّ شيء من أجله.

اقتربت ونقرت بأصابعها على النافذة، فأنزل السائق نافذته. بدا الرجل مهاجراً اسكندنياً، أشقر الشعر، كبير البطن، أزرق العينين. نظر إليها من دون أيَّ تعبير وقال: «إذا كنت تبحثين عن مساعدة يا عزيزتي، فعليكِ استدعاء (أي أي أي)».

أخبرته عن تقلصات الظهر والقيادة الطويلة وقالت إنَّها تستطيع الدفع إذا لم يكن ذلك كثيراً.

سألها: «كيف أعرف أنَّك لست شرطية؟».

السؤال غير متوقع لدرجة أنه أضحكها، وهذا ما أقنعه. تجادلا، ثم انتهى بها الأمر بدفع خمسمئة دولار مقابل عشرة مليغرامات من أوكسي، وثمانين - ما أسماه بيلى منشطات - مقابل عشرة أقراص من الأديرال البرتقالية. إنَّها على يقين من أنَّه رفع الأسعار، لكنَّها لا تهتم. ركضت عائدة إلى الميتسويشي مبتسمة وجزء منها كان يشعر بالراحة، والجزء الآخر بالإنجاز: أول صفقة مخدرات لها، ربَّما أصبحت بالفعل خارجة على القانون.

كان بيلى غافياً؛ كان رأسه إلى الخلف وذقنه مستنداً إلى الزجاج الأمامي.

بدا الوهن على وجهه، وظهرت بعض الشعيرات رمادية اللون على اللحية الخفيفة التي تغطي وجنتيه. فتح عينيه عندما نقرت أليس على النافذة

فأجفل ومال لفتح الأبواب. ضغط على المقود حتى يتمكن من الجلوس بشكل مستقيم في مقعده، وظنت أنه لن يكون قادراً على القيادة لمسافة ميلين، ناهيك عن عبور نيويورك ونيوجيرسي في ظل حركة المرور الكثيفة هذه.

سألها: «هل نجحت؟».

انزلت أليس خلف المقود، وفتحت المنديل الذي تضع فيه الأقراص. نظر وقال إنها قامت بعمل جيد، وهذا ما أسعدها.

سألها: «هل كان عليك إظهار المسدس؟».

هزّت رأسها نافيةً.

أخذ المنشطات وقال لها: «لم أعتقد أنك ستفعلين ذلك. سأحتفظ بالباقي إلى وقت لاحق».

سألت: «ألن تفقد وظيفتك؟».

أجابها: «كلا، الناس الذين يستخدمونها للحصول على النشوة هم من يفقدون وظيفتهم، أما أنا فلا أستخدمها من أجل ذلك».

سألت: «هل ستكون قادراً على القيادة؟ أستطيع المحاولة...».

أجابها: «أعطني عشر دقائق، ثم سنرى».

مضت خمس عشرة دقيقة، ثم فتح بيلى باب الراكب المجاور لمقعد السائق وقال: «لنتبادل مكانينا».

مشى حول السيارة من دون أن يعرج كثيراً وجلس خلف المقود من دون أن يجفل على الإطلاق، وقال: «كان جوني كابس على حق، هذه الأشياء ساحرة، وبالطبع هذا ما يجعلها خطيرة للغاية».

سألت: «هل أنت بخير؟».

أجاب بيلى: «جاهز للقيادة؛ لفترة على أي حال».

خرج من الجزء الخلفي حيث تقف الشاحنات الكبيرة ودخل بسلاسة إلى حركة المرور، قاد بدقة خلف شاحنة صغيرة تسحب مقطورة، وأمام

شاحنة قلابة. كانت أليس ستردد لدقائق بسبب حركة المرور خلفها وأبواق السائقين، وعندما كانت ستقرر أن تراوغ أخيراً، كانت ستصدم سيارة من الخلف. قاد بيلى داخل وخارج حركة المرور الأبطأ هذه من دون تردد. انتظرت أن يبدأ الدواء في العبث بتركيزه، لكن ذلك لم يحدث.

قال: «شغلي الراديو لنسمع بعض الأخبار. جربي وينز 1010 على أي. أم».

وجدت وينز، كانوا يذيعون خبراً عن تسرب في خط أنابيب في نورث داكوتا، وتحطم طائرة في تكساس، وإطلاق نار في مدرسة في سانتا كلارا، ولا شيء بخصوص مقتل قطب إعلامي في منزله في مونتوك بوينت.

قال بيلى: «هذا جيد. علينا استغلال هذا الوقت».

فكرت أليس أنهما خارجان على القانون بالتأكيد.

تعزق بيلى مرة أخرى بحلول الوقت الذي وصلا فيه إلى مشارف نيويورك، لكن قيادته لا تزال ثابتة وواثقة، وسلكا نفق لينكولن إلى نيو جيرسي. ومع استدعاء أليس للاتجاهات من نظام تحديد المواقع العالمي جي بي أس، وصل بيلى إلى الطريق 1-80. لم يستطع الوصول إلى خط ولاية بنسلفانيا، فتوقف في منطقة استراحة صغيرة في منطقة نتكونغ بورو وقال: «هذا كل ما يمكنني فعله. دورك الآن، خذي أديرال الآن، وربما قرصين آخرين عند الساعة الرابعة عندما تشعرين بالتعب، ثم استمري في القيادة لأطول فترة ممكنة. حاولي أن تقودي حتى الساعة العاشرة صباحاً، فبحلول ذلك الوقت، سنكون قد قطعنا ما يقارب الثمانمئة ميل».

نظرت أليس إلى القرص البرتقالي وقالت: «ماذا ستفعل بي؟».

ابتسم بيلى وقال: «ستكونين بخير، صدقيني».

ابتلعت القرص، وانزلق بيلى ببطء من خلف المقود، ومشى متأرجحاً حول غطاء محرك الميتسوبيشي، وكاد أن يقع.

خرجت أليس على عجل وثبتته سائلة إياه: «ما مقدار الألم؟».

قال: «أنا بخير»، نظرت إليه أليس، ثم قال: «في الواقع، أشعر بألم فظيع. سأعود إلى الخلف، وأتمدد بقدر ما أستطيع. أعطني اثنين من الأوكسيكودون عيار عشرة مليغرامات، فلربما أستطيع النوم».

سندته حتى الباب الخلفي بقدر ما استطاعت، وأرادت أن ترفع قميصه وتنظر إلى المنطقة المحيطة بالضمادة، لكنه لم يسمح لها، ولم تضغط عليه لأنه يريد أن تمضي قدماً، ولأنها لن تحب ما ستراه. بدأ مفعول الأديرال؛ في البداية اعتقدت أن هذا هو خيالها، ولكن الطريقة التي ينبض بها قلبها ليست بالخيال، وكذلك طريقة وضوح رؤيتها. هناك عشب حول محطة الراحة الصغيرة المصنوعة من الطوب في منطقة الاستراحة ويمكنها رؤية ظل كل عشب. رأت كيس رقائق البطاطا، ولا توجد كلمة أخرى تصفه، بدا لذيذاً. شعرت أنها تريد القيادة الآن، وتريد قطع أميال بالميثوسبيشي.

إما أن يبلي قد قرأ أفكارها، أو أنه عرف من التجربة كيف سيؤثر الأديرال على فتاة لم تأخذ منشطاً أقوى من قهوتها الصباحية.

قال: «قودي بسرعة خمسة وستين، أو سبعين إذا اضطررت. لا نريد أي أضواء زرقاء وامضة تلاحقنا، حسناً؟».

قالت: «حسناً».

قال: «هيا بنا».

5

قالت أليس: «قدنا على ما يرام. جفت فمي، وأنهيت الدايت كولا والسبرايت، كما أنني لم أشعر برغبة في التبول لفترة طويلة. كان الأمر كما لو أنني تركت مثانتي في موقف شاحنات هابي جاك».

قال بوكي: «السرعة تفعل ذلك. ربّما لم ترغب في تناول الطعام أيضاً».

قالت: «لم أرغب، لكنني علمت أنني مضطرة إلى ذلك. توقفت قرابة الساعة الثالثة صباحاً للحصول على سندويشات، حيث بقي يبلي ممدداً

على المقعد الخلفي؛ كان نائماً ولم أرغب في إيقاظه».

شك بوكي كثيراً في أن بيلى كان نائماً بسبب النزيف الداخلي وانتشار الالتهاب، لكنه ظلّ صامتاً، ولم يعبر عن شكوكه.

قالت: «أخذت قرصين آخرين وواصلت القيادة. عند حلول الليل توقفنا في فندق غير مسجل في إنديانا. كان بيلى مستيقظاً بحلول ذلك الوقت، وجعلني أسجل الدخول. كان عليّ مساعدته في الوصول إلى الغرفة، فبالكاد كان قادراً على المشي. أخبرته أن يأخذ المزيد من الأوكسيكودون، وقال إنه عليه أن يحتفظ بها ليوم الغد. أسندته حتى وصل إلى السرير، ونظرت إلى الجرح. لم يردني أن أنظر، لكن بحلول ذلك الوقت كان أوهن من أن يمنعي».

ظلّ صوت أليس ثابتاً خلال كلّ هذا، لكنّها كانت تمسح عينيها بكمّ سترتها مراراً وتكراراً.

سأل بوكي: «هل تحوّل الجرح إلى اللون الأسود؟».

أومأت أليس برأسها وقالت: «نعم، وكان متورماً. قلت له إن علينا طلب المساعدة، لكنّه رفض. قلت إنني سأحضر له طبيباً وإنه لن يستطيع إيقافي، فقال إن هذا صحيح، ولكن إذا فعلت ذلك، فهناك احتمال وارد لقضاء ثلاثين أو أربعين سنة في السجن؛ بحلول ذلك الوقت كان مقتل كليرك يُذاع على الأخبار. هل تعتقد أنّه كان يحاول فقط إخافتي؟».

هز بوكي رأسه وقال: «كان يحاول الاعتناء بك. إذا استطاع رجال الشرطة - وبالطبع العملاء الفيديريون - أن يربطوا إصابة بيلى بما حدث في منزل كليرك، فستكونان في ورطة كبيرة، وبمجرد أن يتحرى رجال الشرطة ويعرفون أن بيلى كان في فندق ريفيرهيرد، فسيشكّون وستصبحين متورطة».

قالت: «أنت تقول ذلك لتجعلني أشعر بتحسن».

نفذ صبر بوكي، فنظر إليها وقال: «بالطبع، لكن هذه هي الحقيقة. متى مات يا أليس؟».

لم يستطع أيّ منهما النوم؛ يبلي لأنه يعاني من ألم شديد للغاية، وأليس لأنها لا تزال تشعر بأثار أقراص لم يسبق لجسمها أن اختبرها. أخبرها قرابة الساعة الرابعة والنصف صباحاً قبل الفجر أنّ عليهما المضيّ قدماً، وقال إنه سيتعين عليها مساعدته في الوصول إلى السيارة، وأراد أن يحدث ذلك قبل أن يستيقظ النزلاء.

أخذ الغرامات الأربعة المتبقية من الأوكسيكودون، واستخدم الحمام. تبعته، وكان قد تخلص من غالب الدم في الحمام، ولكن لا يزال هناك البعض من دمه على حافة المرحاض وعلى البلاط. مسحته وأخذت معها كيس القمامة البلاستيكي؛ إنها عقلية خارجة على القانون.

يحتاج الأوكسيكودون إلى قليل من الوقت ليعطي مفعوله، كان عليه المشي لمدة عشر دقائق للوصول إلى السيارة لأنه اضطر إلى الاستراحة كل خطوتين - ولأنها لم تستطع حمله - لكن مضى كل شيء على ما يرام. تمكن ببطء، مع سلسلة من الصرخات الصغيرة التي تكره سماعها، من الزحف إلى المقعد الخلفي، ولكن عندما يكون في أفضل حالاته، متكئاً بذراعه على وسادة رأسه، كان يتسم لها ابتسامة مشرقة بشكل ملحوظ.

قال: «اللعينة مارج. لو أنّها وجّهت الطلقة إلى اليسار مسافة نصف بوصة فقط، لكان بإمكاننا تجنّب كلّ هذه المشاكسة». وافقته قائلة: «تلك اللعينة».

قال: «ابقي السرعة على الخمسة والستين إلا عند التجاوز، ثمّ قودي بسرعة خمسة وسبعين عندما نصل إلى أيوا ونبراسكا. لا نريد أن تلحق بنا أيّ أضواء زرقاء وامضة».

قالت: «علم، لن يكون هناك أيّ أضواء وامضة». قال ضاحكاً: «أنا أحبك يا أليس».

تناولت أليس قرصين من الأديرال، ثم فكّرت قليلاً، وأخذت الثالثة، وانطلقت.

كانت حركة المرور جنوب شيكاغو مروّعة، ستة أو ثمانية صفوف في كلا الاتجاهين، ولكن مع الأديرال كانت أليس تتنقل بلا خوف. خفّت حركة المرور غرب منطقة المترو، واستطاعت أليس عبور مدن لاسال، برينستون، شيفيلد، وأناوان، وكان قلبها ينبض في صدرها بلطف. كانت تلتفت بين الحين والآخر لترى بيلي المستلقي في المقعد الخلفي. بدأ بيلي في الحديث بينما كانا يغادران دافنبورت ويدخلان المساحات الواسعة المنبسطة في ولاية أيوا بحقولها التي كانت لا تزال رمادية إلى الآن منتظرة الشتاء. قال كلاماً غير منطقي يجعل كل شيء في العالم منطقياً. قال إنه في الظلام يتألم ويبحث عن مخرج، فقالت له: «أوووه يا بيلي، أنا آسفة جداً».

وقال الكثير عن كاثي، وقال لها ألا تخبز البسكويت، وأن تنتظر حتى تعود أمّها إلى المنزل كي تساعد، وأخبرها أن شخصاً ما أذى بوب راينز وأنه سيعود إلى المنزل لثيماً. قال إن كورين تثق به، وبأنه الشخص الوحيد الذي فعل ذلك. تحدث عن شان، وقال شيئاً ما يتعلق بالمعرض، وتحدث عن شخص يدعى ديريك وشخص آخر يدعى داني.

أخبر هؤلاء الأطفال بأنه لن يرأف بحالهم لمجرد أنه بالغ. اعتقدت أليس أنه يتحدث عن لعبة مونوبولي لأنه ظلّ يقول إنه يجب الإسراع وهزّ النرد وإنّ خطوط السكك الحديدية هي عملية شراء جيدة، ولكن المرافق ليست كذلك.

انحرفت أليس بمجرد أن صرخ بيلي. قال بيلي: لا تدخل إلى هناك يا جوني، هناك مجاهدون خلف الباب، أولاً أرم قبلة دخانية، ومن ثمّ سندخل. تحدثت عن بيغي بي، الفتاة من دار الرعاية حيث مكث بعد أن فقدت والدته حضانتها. قال إنّ الطلاء هو الشيء الوحيد الذي يربط قاطني المنزل الملعون معاً. تحدثت عن الفتاة التي كان معجباً بها، ناداها أحياناً

روني وأحياناً أخرى روبن، والتي كانت أليس على علم بأنه اسمها الحقيقي، وقال شيئاً عن سيارة الموستنغ المكشوفة وعن صندوق الموسيقى: «ستغني طوال الليل إذا نقرت بها في المكان المناسب. تاك، أتذكر؟»، وتحدث عن إصبع قدمه الذي فقد جزءاً منه، وعن حذاء الطفلة الوردية الذي ضاع، وعن بوكي وأليس وشخص آخر يدعى تيريز راكوين. يعود مراراً وتكراراً إلى أخته وإلى الشرطي الذي أخذه بعيداً إلى منزل الطلاب الأبدية. تحدث عن جمال وعن آلاف السيارات التي يضيء زجاجها الأمامي في الشمس. لقد أفرغ حياته في المقعد الخلفي لهذه السيارة المسروقة، وفطر قلبها.

أخيراً صمت، واعتقدت في البداية أنه استغرق في النوم، لكن في المرة الثالثة أو الرابعة نظرت إليه ورأته مستلقياً هناك، ولا تزال ركبته مرفوعتين إلى الأعلى، فظننت أنه ميت.

وصلا إلى نبراسكا، وانطلقت عبر مخرج هيمينغفورد هوم نحو قمة المقاطعة ذات المسارين المستقيمين؛ انتهى اليوم تقريباً. قطعت مسافة ميل ووصلت إلى طريق ترابي فسلكته، وقادت لمسافة كافية بحيث تبتعد عن الطريق المسفلت. خرجت وفتحت الباب الخلفي وشعرت بالارتياح في البداية لرؤيته ينظر إليها، وارتعبت بعد ذلك من فكرة أنه مات وعيناه مفتوحتان. رمش بيلى وسألها: «لماذا نتوقف؟».

أجابته: «كنت بحاجة لتمديد ساقِي. كيف حالك يا بيلى؟».

سؤال غبي، لكن ما الذي يمكن قوله غير ذلك؟ هل تعرف من أنا أم تعتقد أنني أختك الميتة؟ هل ستستجمع قواك العقلية لبعض الوقت؟ وبالمناسبة، هل فات الأوان؟ تعتقد أليس أنها تعرف الإجابة عن هذا السؤال.

قال: «ساعديني على الجلوس».

قالت: «لا أعرف ما إذا كان هذا أمراً جيداً».

قال: «ساعديني على الجلوس يا أليس».

إذاً، هو الآن يعرفها، وهو معها، على الأقل في الوقت الحالي. أخذت

يديه وساعدته في وضع قدميه على الطريق الترابي الذي لا يحمل اسماً في بلدة تسمى همينغفورد هوم في جبال كولورادو. سيحلّ الظلام قريباً، وقد امتدّت فترة ما بعد الظهر حتى المساء هنا في هذه الأراضي المنبسطة، وعلى الرغم من حلول شهر تشرين الثاني، انسكب الضوء الأحمر المسائي للغروب على حقول الذرة التي تهتز بفعل النسيم الخفيف. كانت يدها ساختين ووجهه يحترق، وانتشرت بُثور الحمى على شفّتيه.

قال: «لقد قمت بعمل جيد».

قالت: «لا يا بيلي، لا، عليك أن تتماسك. سأعطيك قرصين من الأوكسي، لقد بقي لديّ اثنين من تلك الأقراص. سوف أقود السيارة طوال الليل».

قال: «لا، لن تفعلين».

قالت: «يمكنني القيام بذلك يا بيلي. أنا أستطيع حقاً».

هزّ بيلي رأسه وكانت لا تزال تمسك بيديه، إذ كانت تعتقد أنها إذا تركتهما، فسوف يتخبّط مرّة أخرى على المقعد وأن قميصه سيرتفع وسترى بطنه الذي أصبح الآن أسود اللون، وانتشر الالتهاب إلى صدره، وقلبه.

قال: «استمعي إليّ الآن. هل تسمعينني؟».

قالت: «نعم».

قال: «لقد أنقذتك بعد أن تركك أولئك الرجال، أليس كذلك؟ الآن أنا أنقذك مرّة أخرى، أو أحاول على الأقل. أخبرني بوكي أنك ستبعينني طالما سمحتُ لك بذلك، وإذا سمحتُ لك، فسأدمرك، وقد كان محقاً».

قالت: «أنت لم تدمّرني، أنت أنقذتني».

قال: «صه. أنت لم تُدمّرني بعد، هذا هو الشيء المهم. أنت بخير. عندما سألتك كيف تتعاملين مع موضوع كليرك، قلت إنك تحاولين، وأنا أعلم أنك كذلك، وأنا متأكد من أنك في الوقت المناسب ستنجحين في وضع ذلك خلفك؛ عدا عن أحلامك».

كان الضوء الأحمر للغروب ساطعاً ومشرقاً يلون حقول الذرة، وكان المكان صامتاً للغاية هنا ويدها تذوبان بين يديها.
قال: «صرخ كليرك، أليس كذلك؟».

قالت: «نعم».

قال: «صرخ أن ذلك كان مؤلماً».

قالت: «توقف يا بيلي، هذا مروّع، علينا أن نعود إلى...».

قال: «ربما كان يستحق أن يتأذى بعد ما فعله، لكن عندما تُسببين ألماً لشخص ما، فذلك يترك ندبة في عقلك وروحك، لأنه ليس بالشيء الهين». فأنأ عرف هذا الشعور جيداً».

كان الدم يسيل من زاوية فمه، بل من كلتا الزاويتين، وقد تخلت عن محاولة منعه من التحدث. إنها تعرف ما هذا، إنه إعلان بأنه يحتضر، ووظيفتها هي الاستماع طالما أنه قادر على الكلام. لم تقل شيئاً حتى عندما أخبرها أنه رجل سيء، فهي لا تصدق ذلك، ولكن لا وقت للجدال الآن.

قال: «اذهبي إلى بوكي، لكن لا تبقي معه. إنه يهتم بك، وسيكون لطيفاً معك، لكنّه أيضاً رجل سيء». سعل وتطير الدم من فمه، ثم تابع: «سيساعدك على بدء حياة جديدة بشخصية إيزابيث أندرسون؛ إذا كان هذا ما تريدينه. هناك أموال في حساب رجل يدعى إدوارد وودلي، وإذا دفع نيك فسيكون هناك المزيد. هناك أيضاً أموال في بنك بيمينى باسم جيمس لينكولن. هل يمكنك تذكر هذا؟».

قالت: «نعم، إدوارد وودلي، وجيمس لينكولن».

قال: «بوكي لديه كلّ كلمات المرور وجميع معلومات الحساب، كما سيقدم لك النصيحة حول كيفية تحويل الأموال إلى حسابك الخاص وسيتيح لك الاتصال بمستشار ضريبي. هذا الجزء مهم للغاية، لأن المال الذي لا يمكن حسابه هو باب سحري يمكن أن يفتح تحت قدميك عندما لا تتوقعين. هل...».

المزيد من السعال، والمزيد من الدم.

ثم تابع: «هل تفهمين؟».

أجابت: «نعم يا بيلي».

قال: «بعض المال من أجل بوكي، والباقي لك، للدراسة ولبداية حياتك من جديد. سوف يعاملك معاملة عادلة. حسناً؟».

قالت: «حسناً. ربّما يجب أن تستلقي الآن».

قال: «سأفعل ذلك، ولكن إذا حاولت القيادة طوال الليل، فسيكون هناك حادث بانظارتنا. تحققى من هاتفك في البلدة التالية التي تحوي على متجر وول مارت. اركني بجانب عربات السكن المتنقلة، ونامي. ستستيقظين منتعشة في الصباح وتعودين إلى بوكي بحلول وقت متأخر من بعد الظهر؛ إلى الجبال. أنت تحيين الجبال، أليس كذلك؟».

أجابت: «نعم».

قال: «عديني».

قالت: «أعدك أن أتوقف الليلة».

قال وهو ينظر من فوق كتفها: «كلّ حقول الذرة هذه، والشمس. هل قرأت كورماك مكارثي من قبل؟».

أجابت: «كلا يا بيلي».

قال مبتسماً: «عليك قراءتها، رواية بلود ميرديان. مارج اللعينة، هاه؟».

قالت أليس: «هذا صحيح، اللعينة مارج».

قال: «كتبت كلمة المرور الخاصة بحاسوبي المحمول على ورقة صغيرة، ووضعتها في حقيبتك».

وبذلك، ترك يديها وتراجع. رفعت قدميه، وتمكنت من إدخال ساقيه إلى السيارة. لم تعلم إذا كان ذلك يؤلمه، لأنّه لم يعطِ أي إشارة. نظر إليها، وسأل: «أين نحن؟».

أجابت: «نحن في نبراسكا يا بيلي».

سألها: «كيف وصلنا إلى هنا؟».
أجابت: «لا تهتم. أغمض عينيك، وارتح».
قال باستهجان: «روبن؟ هل هذه أنت».
قالت: «نعم».
قال: «أحبك يا روبن».
قالت: «أنا أحبك أيضاً يا بيلي».
قال: «لننزل إلى القبو ونزّ إن بقي تفاح».

7

نهضت أليس ومشت إلى الثلاثجة، وجلبت زجاجة من البيرة، ثم فتحت الغطاء وشربت نصفها.

«كان هذا آخر شيء قاله لي. عندما أوقفت سيارتي في وول مارت كيرني بالقرب من عربات السكن المتنقلة، كان على قيد الحياة، وقد عرفت ذلك لأنني سمعت صوت أنفاسه، وعندما استيقظت عند الساعة الخامسة من صباح اليوم التالي، كان ميتاً».
سألت بوكي: «هل تريد بيرة؟».
قال: «نعم، شكراً».

أحضرت له البيرة وجلست. لقد بدت متعبة حين قالت: «لننزل إلى القبو ونزّ إن بقي تفاح. ربّما كان يتحدث إلى روبن أو إلى صديقه غاد. ستكون الحياة أفضل لو كتبها شكسبير، هذا ما أعتقد. على الرغم من أنه... عندما تفكر في روميو وجوليت...». سكتت، وشربت ما تبقى من البيرة وتورد خذاها، واعتقد بوكي أنها تبدو أفضل قليلاً.

ثم قالت: «انتظرت حتى فتح وول مارت، ثم دخلت واشترت بعض الأشياء كالبطانيات والوسائد، وكيس نوم على ما أعتقد».
قال بوكي: «نعم، كان هناك كيس نوم».

قالت: «غطيته وعدت إلى الطريق السريع. لم أتجاوز الحد الأقصى للسرعة بأكثر من خمسة أميال في الساعة، تماماً كما أخبرني. لاحظت وجود سيارة دورية خلفي في ولاية كولورادو، بأضواء زرقاء منارة، واعتقدت أنه انتهى أمري، لكنها مرت على الطريق، ولم تكن تلاحقني. وصلت إلى هنا، ودفناه مع معظم أغراضه. لم يكن لديه الكثير، ولكن ليس بالقرب من البيت الصيفي. لم يحب بيبي ذلك الكوخ. عمل فيه، لكنه قال إنه لم يعجبه أبداً». قال بوكي: «أخبرني أنه يعتقد أنه مسكون. ماذا بعد ذلك يا عزيزتي؟». قالت: «النوم. يبدو أنني لا أستطيع الحصول على كفايتي. اعتقدت أنني سأصبح أفضل حالاً عندما أنهي كتابة قصته، لكن...»، هزت كتفيها، ثم وقفت وتابعت: «سأكتشف ذلك لاحقاً. أنت تعرف ما قالته سكارليت أوهارا، أليس كذلك؟».

ابتسم بوكي هانسون وقال: «سأفكر في الأمر غداً، فغداً يوم آخر». قالت وهي تبتسم: «هذا صحيح. أراهن أن بيبي كان سيكره هذه العبارة».

قال بوكي: «من الممكن أن تكوني محقة». تنهدت أليس وقالت: «لا يمكنني نشره مطلقاً، صحيح؟ كتابه؛ ولا حتى كرواية. ليس بعد خمس سنوات من الآن، ولا عشر سنوات. لا فائدة من خداع نفسي».

وافقها بوكي قائلاً: «غالباً لا، سيبدو كأن دي. بي. كوبر كتب سيرته الذاتية، وقال للعالم خذوا، هكذا فعلت كل شيء». قالت: «أنا لا أعرف من هذا».

قال: «هذا ما أقصده، لا أحد يعرفه. رجل اختطف طائرة، وحصل على المال، وقفز بمظلة، ولم يره أحد مرة أخرى. مثل بيبي في قصته». قالت: «هل تعتقد أنه سيكون سعيداً لأنني فعلت ذلك؟ لأنني تركته يعيش؟».

قال: «كان سيعشق ذلك يا أليس».

قالت: «هذا ما أظنه أيضاً، إذا كان بإمكانني نشره، فهل تعرف ما سأسميه؟ بيلي سامرز: قصّة رجل ضائع. ما رأيك؟».

قال: «أعتقد أنه مثالي».

8

أثلجت في الليل، وبلغ ارتفاع الثلوج قرابة بوصة واحدة أو اثنتين، وتوقف تساقط الثلج في الوقت الذي استيقظت فيه أليس عند الساعة السابعة. كانت سماء الصباح صافية للغاية، وشبه شفاقة.

كان بوكي نائماً؛ فقد كان بإمكانها سماعه وهو يشخر حتّى عبر باب غرفة النوم. أعدت القهوة، وجلبت الحطب من الكومة المجاورة للمنزل، وأشعلت النار في الموقد، وبحلول ذلك الوقت، كانت القهوة ساخنة وشربت فنجانها قبل أن ترتدي معطفها وتنتعل حذاءها وتعتمر قبعتها الصوفية كي تغطي أذنيها.

ذهبت إلى الغرفة المخصصة لها لتستخدمها، ولمست الحاسوب الشخصي لبيلي، ثم التقطت الغلاف الورقي الملقى بجانبه ووضعت في الجيب الخلفي من بنطالها الجينز. سمحت لنفسها بالخروج والسير في الطريق، ولاحظت آثار خطوات الغزلان على الثلج، الكثير منها، والآثار الغريبة التي تشبه يد راكون أو راكونين، لكن الثلج أمام المنزل الصيفي كان غير ملحوظ بشكل واضح.

ابتعدت الغزلان والراكون عن المكان، وفعلت أليس الشيء ذاته. وجدت شجرة القطن القديمة⁽¹⁾ بجذعها المُنقسم عند نهاية المسار تقريباً؛ إنها علامتها؛ واتجهت إلى الغابة، وبدأت تمشي، وتعد الخطوات بصوت غير مسموع. وصلت في العد إلى مئتين وعشر خطوات؛ كان هذا

(1) اسم شجرة في أميركا الشمالية ولا علاقة له بنبته القطن المعروفة في بلادنا.

هو عدد الخطوات التي خطتها في اليوم الذي أحضرا فيه بيبي إلى هنا، ولكن نظراً لأن رحلتها زلقة هذا الصباح، فقد وصلت إلى مئتين وأربعين قبل أن تصل إلى المنطقة المُنظفة، فكان عليها أن تعبر فوق جذع شجرة صنوبر مقطوع لتصل إليها. يظهر في وسط المنطقة مربع من التراب البني نثرا فوقه خليطاً من إبر الصنوبر والأوراق المتساقطة، لكنّه بدا واضحاً أنّه قبر، حتّى مع وجود الثلج الخفيف فوق الإبر والأوراق. أكّد لها بوكي أنّ الزمن كفيّل بحلّ هذا الأمر، وأنّه بحلول تشرين الثاني المقبل، يمكن للمتزهين أن يمشوا فوق تلك البقعة من دون أن يكون لديهم أيّ فكرة عمّا يوجد تحتها. قال: «لا أعني أنّه سيكون هناك متنزهون، فهذه أرضي، وأنا أبقّيها مسجّلة. ربّما استغلّ الناس الفرصة عندما لا أكون متواجداً هنا، وربّما استخدموا الطريق للتحديق في المكان الذي كان يتواجد فيه فندق أوفر لوك، لكنني الآن هنا، وأخطط للبقا، فأنا متقاعد بفضل بيبي، وقد أصبحت مجرد رجل عجوز آخر يسكن الجبل. هناك الآلاف منهم بين هنا والمنحدر الغربي، ينمون شعرهم حتّى مؤخراتهم ويستمعون إلى التسجيلات الموسيقية القديمة لـ ستينيوولف».

وقفت أليس عند سفح القبر وقالت: «مرحباً يا بيبي»، لم تشعر بالغرابة عند التحدث إليه، كان ذلك طبيعياً بما فيه الكفاية، ولم تكن متأكّدة كيف ستشعر، ثمّ قالت: «أنهيت كتابة قصتك، ومنحتها نهاية مختلفة، لقد قال بوكي إنك ما كنت لتمانع، وحفظتها على محرك الأقراص نفسه الذي كنت تستخدمه عندما بدأت العمل في ذلك البرج. بمجرد وصولي إلى فورت كولينز، سأستأجر صندوق ودائع آمناً وأضعه بداخله مع هويتي الحقيقية العائدة لأليس ماكسويل». عادت إلى جذع شجرة الصنوبر المقطوع وجلست عليه، أخرجت أولاً الغلاف الورقي من جيبها ووضعتّه في حجرها. من الجيد أن أكون هنا. إنه مكان هادئ.

فعل بوكي شيئاً قبل أن يلف الجثة بالقماش المشمع. لم يخبرها بماذا فعل، لكنه قال إنه لن يكون هناك أي رائحة عندما يصبح الطقس حاراً، وإن الحيوانات لن تزعجه، وقال إن هذه هي الطريقة التي كانت تتم بها مثل هذه الأمور في الأيام السابقة لقطارات العربات ومناجم الفضة.

9

قالت أليس: «قررت الدراسة في فورت كولينز؛ جامعة ولاية كولورادو. لقد رأيت الصور، فالمكان جميل هناك. تذكرت عندما سألتني ماذا أريد أن أدرس، وقلت لك حينها ربما سأدرس التاريخ، وربما علم الاجتماع، وربما حتى فنون المسرح. كنت خجولة جداً، ولم أستطع أن أخبرك ما أردت فعله حقاً، لكنني أراهن أنه يمكنك التخمين، ربما حتى خمنت في ذلك الحين. فكرت في الأمر أحياناً عندما كنت في الثانوية لأنّ حصة اللغة الإنكليزية كانت دائماً أفضل حصة بالنسبة إلي، لكن إنهاء قصتك جعل الأمر يبدو ممكناً».

سكتت لبرهة، إذ كان من الصعب قول بقية الكلام بصوت عالٍ حتى عندما تكون بمفردها. بدا ذلك طموحاً للغاية، وكانت والدتها لتقول إنها تتفوق على نفسها، لكنها أرادت قول ذلك، فهي مدينة له. قالت: «أود كتابة القصص».

سكتت مرة أخرى ومسحت عينيها بكمّ سترتها. الجو بارد هنا، لكن السكون رائع في هذا الوقت الباكر، حتى الغربان نائمة.

قالت بتردد: «عندما كنت أفعل ذلك، عندما كنت...»، لماذا يصعب قول الكلمة؟ لماذا يجب أن تكون صعبة هكذا؟ أكملت: «عندما كنت أكتب، نسيت أن أكون حزينة، نسيت القلق بشأن المستقبل، ونسيت أين كنت. لم أكن أعرف أنّ ذلك قد يحدث. يمكنني التظاهر بأننا كنا في فندق بيد أوي خارج دافنبورت في أيوا، لكن كان ذلك مختلفاً عن التظاهر، فعلى الرغم

من عدم وجود مثل هذا المكان، كان بإمكانني رؤية الجدران الخشبية المزينة
والمفرش الأزرق وزجاج الحمام وكيس القمامة البلاستيكي الذي كُتِب
عليه مُعقَّم من أجل صحتك، ولكن لم يكن هذا هو الجزء الأكثر أهمية».
مسحت عينيها وأنفها، وراقبت سُحْب البخار البيضاء من زفيرها.
قالت: «يمكنني التظاهر بأنّ مارج - مارج اللعينة - جرحتك فقط،
بعد كل شيء».

هزّت رأسها كما لو أنها تصفي أفكارها وقالت: «لكن هذا ليس
صحيحاً، لقد جُرحت فقط. كتبت لي تلك الرسالة ومزرتها من تحت باب
غرفتي عندما كنت نائمة. مشيت إلى موقف الشاحنات على الطريق رغم أنّ
موقف الشاحنات في نيويورك وذهبت من هناك. هل تعلم أن هذا يمكن أن
يحدث؟ هل تعلم أنه يمكنك الجلوس أمام شاشة أو ورقة وتغيير العالم؟
هذا لا يدوم، فالعالم يعود دائماً، ولكن قبل عودته، يكون كل شيء رائعاً، كل
شيء كما أتمناه، لأنه يمكنني الحصول على الأشياء بالطريقة التي أريدها،
وأريدك أن تظل على قيد الحياة وهذا ما حدث في القصة وستظل دائماً».
وقفت وذهبت إلى بقعة الأرض التي حفرتها هي وبوكي معاً؛ ففي
العالم الحقيقي هو هناك؛ ثم جثت ووضعت الكتاب على القبر. ربّما
سيغطيه الثلج، وربّما ستحملة الريح بعيداً، لا يهمّ، ففي عقلها سيبقى هنا.
الكتاب كان تيريز راكوين من تأليف إميل زولا، وقالت: «الآن أعرف عمّن
كنت تتحدث».

10

اتجهت أليس إلى نهاية المسار عند الوادي المُطلّ على الأرض
المنبسطة حيث كان الفندق القديم - الفندق المسكون الشهير وفقاً لبوكي
- وبمجرد أن فكّرت به، شعرت أنّها رأته بالفعل، لا شكّ في أنّها تهزي.
اليوم لا ترى شيئاً، لكنّها تعتقد أنّ بإمكانها جعله هناك، تماماً كما تمكّنت

من جعل بيد أوي هناك، بكلّ تفاصيله كالزجاج وأكياس القمامة في الحمام
وبقع الدماء التي تساقطت على البساط على شكل ولاية تكساس. يمكنني
أن أجعله هناك، يمكنني حتى ملؤه بالأشباح، إذا أردت ذلك.
وقفت في الهواء البارد تنظر بين هذا الجانب وذاك، ويدها في جيبيها،
معتقدة أنّ بإمكانها خلق عوالم. أعطاهما بيلى هذه الفرصة؛ إنّها هنا، إنّها
موجودة.

12 حزيران 2019 - 3 تموز 2020

مكتبة ياسمين

t.me/yasmeenbook